أطفال بلا أسر

الدكتور

أنسى محمد أحمد قاسم

قسم العلوم النفسية

بكلية رياض الأطفال بالقاهرة

تصدير بقلم

الأستاذ الدكتور

سهير كامل أحمد

أستاذ علم النفس

وعميد كلية رياض الأطفال

بالقاهرة

الطبعة الأولى

٢٠٠٢

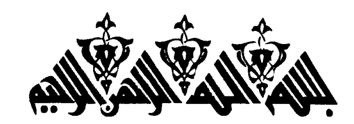


الإهداء

إلى أم الطفولة في مصر

إلى ماما

سوزان مبارك



تصدير

بقلم: الأستاذ الدكتور/ سهير كامل أحمد
أستاذ علم النفس
وعميد كلية رياض الأطفال بالقاهرة

لقد نشط البحث العلمى فى مجال الطفولة فكشف لنا عن جوانب كثيرة فى حياة الأطفال ومشكلات نموهم فى السنوات الأولى من عمرهم. كما أوضح لنا أن حاجة الطفل إلى الحب والعطف والطمأنينة من الحاجات الأساسية للطفل منذ يومه الأول، ويزداد هذا الاحتياج ويقوى يوماً بعد يوم... ويعد الوالدين المصدر الأساسى والأولى لإشباع مثل هذه الحاجات النفسية، بيد أنه أحياناً ما يفقد الطفل هذا الحب وتلك الطمأنينة وذلك نتيجة لافتقاده لوالديه وانفصاله عنهما وإيداعه بمؤسسات الإيواء.

والدراسة الحالية تتطرق لموضوع الحرمان من الوالدين فى مرحلة الطفولة وعلاقته بمفهوم الذات والاضطرابات السلوكية للأطفال. وفيها يؤكد الباحث على أهمية دور الأسرة وضرورة الارتباط بالوالدين على حياة الطفل، ويؤكد الباحث على أن تواجد الوالدين فى حياة الطفل لابد وأن يكون تواجداً نفسياً أكثر من أن يكون تواجداً بيولوجياً فهو يقول: «إن الوالدية ممارسة وليست نسباً»... فعلاقات الطفل الاجتماعية تبدأ مع الأسرة ويكتسب الشعور بقيمته وذاته مع أفراد أسرته، حيث أنه من خلال هذه العلاقة الأولية ينمى خبرته عن الحب والعطف والحماية ويزداد وعيه بذاته، ويزداد نموه بزيادة تفاعله مع المحيطين به وقيامه بدوره الخاص وينمو لديه شعور بالطمأنينة والثقة فى نفسه وفى عالمه، وتأخذ شخصيته فى التبلور والاتزان ليصبح شخصاً سوياً متوافقاً فعالاً.

ويؤكد كثير من الباحثين فى مجال رعاية الطفولة على أن بيت الطفل الأسرى أفضل من المؤسسات التى ترعى الأطفال بصورة جماعية، حتى وإن كان البيت غير مناسب من الناحية المادية فهو أفضل من المؤسسة التى تتصف الرعاية فيها بالرتابة والافتقار إلى العلاقات الدافئة الحميمة العطوفة بين الطفل والقائمين عليه.

كذلك ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن مفهوم الفرد عن ذاته ذو تأثير كبير على كثير من جوانب سلوكه، كما أنه متعلق بشكل مباشر بحالته العقلية والجسمية وشخصيته بوجه عام، ويميل أولئك الذين يرون أنفسهم أنهم غير مرغوب فيهم ولا قيمة لهم أو سيئين إلى أن يسلكوا وفق هذه الصورة التى يرون أنفسهم عليها -كما يميل أصحاب المفهوم غير الواقعى عن أنفسهم إلى التعامل

مع الحياة والناس بأساليب غير واقعية، كما يتجه من لديهم مفهوم منحرف أو شاذ عن أنفسهم إلى السلوك بأساليب منحرفة أو شاذة، وعلى هذا تعد المعلومات الخاصة بكيفية إدراك الطفل لذاته مهمة إذا ما حاولنا القيام بدور فى مساعدة هذا الطفل أو محاولة الوصول إلى تقويمه.

وبعد..

فإنه يسعدنى أن أقدم لقراء العربية هذا البحث القيم الجاد، حيث توخى الباحث الدقة والعمق فى عرض هذا الموضوع، واتسم بسلاسة فى تقديمه واضعاً فى الاعتبار أن عدد كبير من القراء غير المتخصصين ليست لديهم الخلفية الكافية من الدراسة النفسية المتخصصة لمتابعة الموضوع، فقدم المصطلحات المفتاحية ليسهل على أى قارئ أن يجد متعة وسهولة فى الإطلاع على هذا المؤلف المتميز.

هذا وقد حاولت تقديم هذا البحث بإيجاز تاركة المزيد من التفاصيل للباحث، مع تمنياتى بمزيد من الاهتمام ومزيد من الدراسات من جانب المؤلف الباحث ومن جانب غيره من المتخصصين بأطفال مصر - مستقبل مصر

أ. د. سهير كامل أحمد
أستاذ علم النفس
وعميد كلية رياض الأطفال
بالقاهرة
١٩٩٨

تقديم

إن الطفل الذى يعيش بعيداً عن أسرته -أى الطفل الذى يتعرض للحرمان من الوالدين ومن جو الأسرة الطبيعى، يفقد كل الأمور والميزات التى يكتسبها من خلال الأسرة والجو الأسرى الطبيعى- فالطفل الذى يعيش فى أسرة أصابها التفكك أو يعيش محروماً بعيداً عن أسرته -كأطفال المؤسسات- هو طفل حرم من عائد نفسى كان المفروض أن يعود عليه من خلال وجود الأسرة وتأديتها لوظائفها الأساسية. وهنا نود أن نؤكد على أن الأسرة ليست هى مجموع أفرادها فقط، بل هى فى الأساس تفاعل ديناميكى بين بعضها البعض، فهى ليست ثنائيات منفصلة عن بعضها، بل هى ثنائيات تتجمع فى إطار الأسرة لتؤثر فى الطفل ونموه فى النهاية - فالطفل وأمه ثنائية، والطفل وأبيه ثنائية، والأم والأب ثنائية... جميعها تكون بمثابة تفاعلات تحدث داخل الأسرة لتؤثر فى الطفل والوالدين معاً.

ومن المحتم عند الحديث عن رعاية الأطفال الصغار أن تحتل الأم مركز الأهمية، فهى صاحبة الدور الرئيسى والهام فى عملية التنشئة المبكرة للطفل. فالطفل يتفاعل فى بداية حياته مع البيئة باستمرار وتكون الأم هى الممثلة الأولى لهذه البيئة. وعن أهمية دور الأم فى حياة الطفل يقرر «بولبى» أن ما يعتقد أنه ضرورى لضمان الصحة العقلية هو ضرورة ممارسة الطفل والحدث الصغير لنوع من العلاقة الدافئة القريبة المستمرة مع أمه أو من يحل محلها بصفة دائمة، والطفل يحتاج أن يشعر بإشباعات أمه لحاجاته، كما يحتاج إلى لمس وجهها ويدها ليستقبل من خلالها العالم الخارجى. وبذلك نجد أن للأم دورين مزدوجين: دوراً بيولوجياً وآخر وجدانياً، ويتحول الطفل عبر العلاقة بأمه من الدور البيولوجى إلى الدور الوجدانى، والذى يمثل أول علاقة اجتماعية ووجدانية بآخر -وهو أمه- ثم يتدرج منها إلى المرحلة التالية، حيث تتطور العلاقات الاجتماعية للطفل.

وهنا نود أن نشير إلى نقطة بالغة الأهمية، وهى أن توفر شخص راشد، الأم أو بديلتها، ليس هو العامل الهام والجوهرى فالمسألة لا تتعلق بوجود الأم بشكل مطلق -أى مجرد وجود الأم فقط- بل المسألة تتعلق هنا بنوعية الأمومة التى تمارسها الأم مع الطفل، فما يحتاجه الطفل أساساً هو عملية الأمومة أكثر منها أم بالذات. إن المطلوب هو ما يطلق عليه (وينيكوت) «بالأمومة الكافية الجيدة».

ومن ثم فإن الحرمان من العلاقة مع الأم فى مراحل النمو المبكرة يؤدى إلى عدم إنماء القدرة على إقامة علاقة الحب مع الناس الآخرين، ويوضح أثر الحرمان من الأم فى ضوء أن الأطفال المودعين بالمؤسسات والمقيمين بالمستشفيات وفى الأوضاع الأخرى غير الشخصية لا يجدون الفرصة لإقامة علاقة مستمرة وذات معنى وجدانى مع الأم -كما يظهرون أعراضاً مرضية متنوعة فى

السواء التالية- والعرص الأساسى لهذ الحرمان من ثم هو «انعدام العاطفة» أو التبلد

ويشير تراث التحليل النفسى الخاص بالعلاقة بالموضوع إلى أن اضطراب العلاقة بالأم يؤدى إلى اهتزاز العلاقة بالواقع، مما يؤدى إلى الذهان فى الطفولة، والذى تطلق عليه «مارجريت ماهلر» الذهان الذاتوى، وينتج من افتقاد الطفل للعلاقة الأولية المشبعة مع الأم وفقدان الطفل القدرة على حب الأم نظراً لصورتها غير المشبعة لديه، مما يجعل الطفل ينشأ ويقيم العلاقة مع الأشياء الجامدة، حيث أنه يلغى الإنسان الذى يمثل له فقدان الحب.

أما عن دور الأب فى حياة الطفل فيمكن إبرازه فى عدة أمور لعل أبرزها هو الدور الذى يلعبه الأب فى حياة الطفل النفسية، وخاصة فى نمو هوية الدور الجنسى الملائم، حيث أن التوحد مع الوالد من نفس الجنس يلعب دوراً هاماً فى التنميط الجنسى. كما أن الأطفال فى سن مبكرة يبدأون فى إدراك العلاقات بين الجنسين وتمييزها. والأب لا يسهم فقط فى بلورة الدور الجنسى للطفل الذكر، بل يسهم أيضاً فى شعور بناته بأدوارهن الجنسية

كما يلعب الأب دوراً هاماً فى تكوين الذات العليا والضمير للطفل بناءاً على درجة استدماجه لشخصية الأب وتوحده به. ولعل وجود الصورة الأبوية القوية هو شىء ضرورى للنمو الاجتماعى السعيد للطفل، ولا يمكن لهذه أن تعوضها أى مجهودات إضافية تعويضية من جانب الأم... فليس هناك امرأة فى العالم يمكن أن تكون لأطفالها بمثابة الأم والأب معاً.

ولهذا فقد بات من الواضح أن الحرمان من الأب له تأثيره السيئ على تكوين الهوية الجنسية الآمنة لكل من البنين والبنات معاً. حيث نجد خطورة لدى البنين تتمثل فى صورة انقلاب جنسى، ولدى البنات فى صورة عجز عن التفاعل بشكل ملائم مع الذكور.

كما أنه من المحتمل أن توحد البنات بأمهاتهم أكثر قوة، وأن ذلك يحميهن إلى حد ما، بيد أنهن يبدين فيما بعد مشكلات ومصاعب تفاعلية مع الذكور فى المراهقة. فبنات الأرامل اللائى لم تتزوج أمهاتهن مرة أخرى، يملن لأن يكن قلقات بصحبة الذكور وأكثر خجلاً وانسحاباً. وأحياناً يكن مكفوفات جنسياً.

وهكذا نجد أن التنشئة السوية تقتضى معايشة الطفل لوسط أسرى سليم التكوين تتوفر فيه الوالدية بقطبيها -الأم والأب- معاً، توافراً نفسياً وبيولوجياً مشبعاً مانحاً للحب والعطف الذى يعد بمثابة الزاد للطفل لكى ينشأ سوياً مع نفسه ومجتمعه، مكتسباً لأساليب وطرائق الدور الاجتماعى الذى عليه أن يؤديه فى مستقبل حياته ذكراً كان أم أنثى. أما أن يحرم الطفل من والديه فهو

بمثابة التصدع فى شخصيته والإطاحة بأمنه النفسى، الأمر الذى يجعله «مسخاً اجتماعياً» -إن جاز التعبير- لا هوية له ولا شخصية مميزة، طفل قد اختلت فكرته عن ذاته ومفهومه عن هذه الذات، فاختل معها سلوكه، فتفاقمت نزعاته العدوانية التدميرية ضد نفسه وضد مجتمعه.

وإذا لم يعن المجتمع بهؤلاء الأطفال المحرومين من الوالدين عناية سليمة قائمة على أسس علمية، فإن المجتمع يخسر مرتين:

الأولـى: عندما يخسر هؤلاء الأطفال كأفراد متوافقين -وهو ما يسمى بالفاقد البشرى-

والثانية: عندما يخسر المجتمع ويتحمل عبء الإنفاق على هؤلاء الأطفال -وهو ما يسمى بالفاقد المادى-

وأخيراً...

فإن هذا البحث الذى بين يدى القارئ هو دراسة جادة تدور حول الحرمان من الوالدين وتأثير ذلك على سلوك الطفل وعلى تصوره ومفهومه لذاته.. ما الذى يسم سلوك هؤلاء الأطفال المحرومين من الوالدين مقارنة بسلوك أقرانهم الذين يعيشون وسط دفء العائلة. ما الفرق بين أولئك وهؤلاء فى نظرتهم لأنفسهم؟؟

وقد كان هذا البحث هو رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث لكلية الآداب جامعة عين شمس وقد أجيزت الرسالة ونوقشت فى عام ١٩٩٤ - وحصل الباحث على تقدير مرتبة الشرف الأولى.. وينتهز الباحث الفرصة ليتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور / فرج أحمد فرج أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة عين شمس - والأستاذة الدكتورة / مايسة أنور المفتى أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة عين شمس. والأستاذة الدكتورة / سهير كامل أحمد أستاذ علم النفس وعميد كلية رياض الأطفال بالقاهرة - والتى تفضلت بتصدير هذا البحث.. لهم منى جميعاً شكر وعرفان بالجميل. وأخيراً أشكر أسرتى جميلة زوجتى، أحمد ابنى، أمانى ابنتى..

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل

دكتور
أنسى قاسم

القاهرة إبريل ١٩٩٨

فهرست الموضوعـــات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

فهرس الجداول

الفصل الأول

حجم المشكلة ودلالتها

الفصل الأول

حجم المشكلة ودلالتها

مقدمـــة :

لقد أجمعت الدراسات والبحوث على أن الطفل المحروم من الرعاية الوالدية يعانى الكثير من الاضطرابات فى شخصيته وغير متوافق مع مجتمعه، ويصل به الأمر فى بعض الأحيان إلى حد الموت الفيزيقى نظراً لظروف الحرمان الحسى والعاطفى الذى يعانيه الطفل. *(جون كونجر وآخرون : ١٩٧٠ ، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٧) ، (Owens ١٩٨٧، ٢٠٩).*

فهناك أهمية بالغة للروابط الانفعالية بين الطفل ووالديه – فخلال السنتين أو الثلاث الأولى من حياة الطفل ينمى الطفل سلسلة من الارتباطات أو التعلقات attachments ذات أهمية بالغة بالوالدين، حيث إنها تشكل الأساس للعلاقات المقبلة فيما بعد. أما الطفل الذى فشل فى إقامة علاقات آمنة فى طفولته المبكرة يميل لأن يكون عرضة لضرر إجتماعى ونفسى كبير حينما تتقدم به العمر – ووجود الروابط بين الطفل ووالديه ليس هاماً فقط من خلال دورهم فى نمو العلاقات المقبلة، ولكن كذلك من خلال تأثيرهم المباشر فى تقليل قلق الطفل فى المواقف الجديدة الضاغطة ... وبهذا فإن الأسرة تكون بمثابة أساس آمن Secure Base يستطيع الطفل من خلاله أن يجرب طرقًا جديدة للإستطلاع والإستجابة لبيئته. فالأطفال الذين وصفوا – كما لاحظ كل من " برودى واكسيلارد" Brody & Axelard ١٩٧٨ – بأنهم مرتبطون بشكل آمن حينما كانوا صغاراً من سن ٣– ٧ سنوات بوالديهم، وكانوا أكثر رضى، وأكثر قدرة على أن يكونوا منشغلين حينما يكونون بمفردهم، يملكون علاقات أفضل مع الناس وأكثر قدرة على السلوك الملائم لسنهم". *(Owens ، ١٩٨٧، ٣١٠) (Rutter، ١٩٨٤، ١٣٩) (Hurlock، ١٩٨٣، ٤٩٤) (Brody & Axlelard ، ١٩٧٨، ٢٤٣).*

وهذا التأكيد على القوة العظيمة للأسرة والارتباط بالوالدين يرجع بالدرجة الأولى إلى حقيقة أن الأسرة واعضاءها يمثلون أول احتكاكات الطفل الإجتماعية فى السنوات الأولى المبكرة والتى تعد بحق خطيرة الأثر فى النمو الإجتماعى والانفعالى والعقلى والجسمى له – فالاتجاهات الإجتماعية من ثقة بالناس وميل إليهم أو عدم الثقة بهم والشعور بالعداوة نحوهم تنشأ من علاقات الطفل بالآخرين فى مقتبل العمر، وخاصة الوالدين، فالتفاعلات والعلاقات الانفعالية بين الطفل الصغير ووالديه سوف تشكل توقعاته واستجاباته التالية فيما بعد نحو ذاته ونحو الآخرين. كما أن معتقدات وقيم واتجاهات الثقافة يتم ترشيحها وتقديمها بشكل انتقائى

للطفل من خلال الوالدين .. فسلوك الوالدين يحدد سلوك الطفل، وهما يساعدان علي تشكيل سلوك الطفل من خلال تشجيعهم أو عدم تشجيعهم لأنماط سلوكية معينة، وبواسطة تأديبهم للطفل، وبواسطة مقدار الحرية الممنوحة والمسموح بها للطفل، وكذلك من خلال تلقين الطفل وتلقيه نماذج سلوكية من الوالدين حينما يستجيبان لأفعاله المختلفة. (Rutter ، ١٩٨٤، ١٤٣) (Park, Hetherington ، ١٩٧٩، ٤١٩، ٤٢٠) (Perry، ١٩٨٢، ١٣٠) (Craig، ١٩٨٠، ١٢٣).

ومن ثم فإننا يمكن أن نقرر أن الخبرات الأولى التى يعايشها الطفل في مقتبل العمر، وخاصة علاقاته وخبراته مع والديه وأفراد أسرته، ترسخ علاقاته المستقبلية مع الآخرين – فالطفل الذى كانت خبراته الأولى مع والديه مضطربة وغير مشبعة، نجد ان علاقاته فيما بعد تتسم بعدم الأطمئنان وعدم الثقة فيمن حوله – بل قد تصبح علاقاته عدوانية انتقامية – فالأطفال الذين لم يخبروا العلاقات الأسرية الدافئة المانحة للأمن والاستقرار قد يصبحرن مصدراً دائماً لكثير من حالات الانحراف – فحرمان الطفل المادى قد يؤدى به الي اشباع حاجاته الأساسية بطرق غير مشروعة من المجتمع، كما يؤدى الحرمان العاطفى المتمثل فى فقدان الوالدين أو حتى النبذ والقسوة والإهمال الشديد من جانبهما إلى إطلاق الطاقات العدوانية أو تنمية الميول الانسحابية لدى الطفل.

ولهذا نجد أن البحوث التى أجريت فى ميدان علم النفس تؤكد على ما تحدثه الآثار العكسية للحرمان من الأسرة ومن حنان الأم وما يترتب على ذلك من إفتقاد الطفل لهذه المحبة والرعاية الأسرية، وذلك حينما تطرأ على الأسرة ظروف تمنعها من تحقيق وظائفها – وخاصة وظيفتها النفسية الخاصة بتبادل المحبة – ومن هنا فإننا نجد أن الأطفال المحرومين من الوالدين ، مثل أطفال المؤسسات، يتميزون بالتخلف فى جوانب شخصياتهم سواء عقلياً أو انفعاليا. (ب.م. فوس، ١٩٧٢، ٢٦٩ ، ٢٧٠).

وأصبح من الواضح أن الأطفال الذين حرموا الوالدية السوية فى طفولتهم المبكرة يبدون نمو شخصية سيئة أو غير متوافقة، وأصبح من الواضح فى هذا الموضوع أن الارتباط والاتصال بشخص ما راشد يعد عنصراً ضروريا فى النمو السوى. (Carson, et al ، ١٩٨٨، ١١٣)، ويرى بولبى Bowlby ١٩٥٣ أن تكوين واستمرار اتصال قوى مع صورة ثابتة ضرورى جداً للصحة العقلية للطفل، ويرى أن كثيراً من المشكلات السلوكية تميل لأن تحدث فيما بعد فى حياة الطفل إذا لم يكن قد تكون إتصالاً مشبعاً مع الأم أثناء الطفول الباكرة، أو أن الإتصال

قد قطع من خلال الانفصال عن الأم والحرمان منها. (Bremner، ١٩٨٨، ١٨٣).

وهنا نشير إلى أنه ليس من الضرورى أن يوجد الطفل فى بيئة ووسط يضم الوالدين البيولوجين فقط لكى ينشأ سوياً متوافقاً، ولكن الأهم من ذلك هو إعطاء الطفل الحنان والحب، ومنحه الثقة والطمأنينة التى تعينه على التوافق مع مجتمعه فيما بعد. فالرابطة بين الطفل ووالديه كما يرى "روتر Rulter " لا تحتاج أن تحدث فقط مع الوالد البيولوجى، بل يمكن أن تحدث مع الوالد البديل أو مع من يقوم على رعاية الطفل. وكما يرى "أويتون Upton ١٩٨٣" أنه لا الانفصال المستمر أو الانفصال عن الأم البيولوجية أو الأم البديلة الدائمة هى العوامل الاساسية، بل يبدو بالأحرى أن نوعية الرعاية أو الرعاية البديلة ذات الأهمية الأساسية.

(Charlton ، ١٩٨٩، ٢٥).

فهناك العديد من الأطفال معرضون للحرمان الوالدى، غير أنهم لم ينفصلوا عن والديهم، ولكنهم يعانون من رعاية ضحلة مشوهة داخل المنزل، وهنا نجد أن الوالدين يهملون الطفل أو يولونه اهتماماً ضئيلاً، وقد يكونوا نابذين للطفل بشكل عام، ومثل هذا النوع من الحرمان قد يكون مدمراً، فالنبذ وعدم الإكتراث والعقاب الشديد يسبب السلوك المتوتر والسلبى لدى الأطفال. ولعل ذلك هو ما حدا " ببريمنر Bremner ١٩٨٨ إلى تقرير " أن ما يبدو مهماً هو نوعية الاستثارة واستمرارها، وإذا كانت هذه الاستثارة تتوفر بواسطة العلاقة بالأم، فإن العلاقات مع الأفراد الآخرين داخل الأسرة وخارجها ذات أهمية كبيرة لا يمكن إغفالها بحال من الاحوال". (Bremner ، ١٩٨٨، ١٨٧)

ونجد تأييداً لهذه النظرة الواسعة للحرمان من الوالدين فى التراث فيما أورده "يارو Yarrow ١٩٦٤ فى تحديده لمفهوم الحرمان من الأم وتمييزه لأنماط أربعة من الانحراف عن رعاية الأمومة، وكذلك فيما تشير إليه "أنثورث" Ainsworth ١٩٧٩ فى تعريفها للحرمان من الأم والحالات التى يطبق فيها – وسيرد تفصيل ذلك فى مفاهيم البحث.

وعلى أية حال فإن الحرمان من الوالدين بشتى صوره، سواء كان حرماناً فعلياً بفقد الوالدين أو حرماناً من العلاقة المشبعة معهما له آثار شديدة الخطورة على الطفل وعلى نواحى نموه المختلفة – فيرى " بولبى " Bowlby أن الانفصال المبكر والطويل للأطفال الصغار عن أمهاتهم ووالديهم كان سبباً أولياً لنمو سمة الجناح delinquency واستمرار اضطراب السلوك behavior disorder ، وقد أستمد " بولبى " اقتناعه هذا من ملاحظاته على الأطفال المودعين

بالمؤسسات instituationalized والذين لم يفلح غالبيتهم فى أن ينمى علاقات شخصية وثيقة مستمرة مع من يقوم على رعايتهم – وهو ما قرره العديد من الباحثين من أن نقص الرابطة بين الطفل ووالديه فى الطفولة المبكرة يقود إلى العجز الاجتماعى والانفعالى والعقلى فيما بعد. (*Charlton*، ١٩٨٩، ٢٤- ٢٦)، (*Mussen*، ١٩٨٣، ٧٨١، ٧٨٢) وكذلك نجد أنه بدراسة التاريخ الأسرى للأطفال ذوى الاضطرابات السلوكية ومفاهيم وتقديرات الذات المنخفضة، وجد أنه تاريخ يتسم بالنزاع والشقاق، فهناك أنفصال متكرر وطلاق، بل إن الوالدين أنفسهم – فى حالة وجودهم- قد يمارسون تأديباً وتربية قاسية غير ثابتة وغير متسقة، ولقد وجد أن النماذج العدوانية من اضطرابات السلوك موجودة بين الأطفال الذين تم إيداعهم بالمؤسسات فى عمر مبكر. (*Owens*، ١٩٨٧، ٢٩٧) (*Hurlock*، ١٩٨٣، ٥٠٨) (*Lefton & Valvatne* ، ١٩٨٨، ٥٢٨).

ومن ثم قام الباحث بهذه الدراسة الحالية التى تحاول إبراز أثر غياب الرعاية الوالدية الطبيعية على الطفل وذلك من خلال دراسة مفهوم الذات والاضطرابات السلوكية لدى عينة من الأطفال لم تخبر أى علاقات أسرية طبيعية تماماً، فهم أطفال حرموا تماماً من الرعاية الوالدية والوسط الأسرى الطبيعى منذ نعومة أظفارهم، وأودعوا إما فى مؤسسات إيوائية، أو لدى أسر بديلة فى محاولة من المجتمع لتعويضهم عما أفتقدوه من وسط أسرى طبيعى.

أما فيما يتعلق بالسبب والمبرر لأختيار موضوع البحث فإنه يكمن فى عدة أمور نجملها فيما يلى :

- ان موضوع الحرمان الوالدى، وإن كان من الموضوعات التى حظيت باهتمام بالغ ومتزايد من جانب علماء النفس والباحثين الأجانب منذ زمن طويل، إلا أنه لم يحظ بالاهتمام الكافى فى مصر، فالدراسات التى أجريت فى هذا المجال تعد قليلة إلى حد ما- وإن بدأ نوعاً من الاهتمام منذ مطلع هذا العقد الأخير.
- أما عن دراسة هذا الموضوع لدى فئة الأطفال فى الطفولة المبكرة، فإن الباحث يرى أن هناك بعض الندرة فى تناول هذه المرحلة العمرية لدى هذه الفئة - فلا توجد على المستوى المحلى – فيما أتيح للباحث الإطلاع عليه – سوى أربع دراسات فقط. (محمد بيومى ١٩٨٠) وكانت عن الحرمان من الأم، *(ايمان القماح ١٩٨٣) (نيفين زيور ١٩٨٩) (عبدالمنعم حسيب ١٩٩٠)* . ودراسة أخرى قامت بها باحثة مصرية على الأطفال فى المجتمع السعودى (سهير كامل ١٩٨٧)- وبالتالى فإن هذه الفئة من الأطفال فى هذه المرحلة العمرية الحرجة لم تلق العناية الكافية من حيث الدراسات والبحوث التى تقوم حولها حتى

تكشف عن خصائصها وبالتالى الأساليب المناسبة لرعايتها، فهذه الفئة لا تستطع أن نقرر أنها قد وجدت السند العلمى والدليل البحثى الذى يوجه سلوك المجتمع وهيئاته نحو رعاية هذه الفئة فى هذا العمر والأخذ بيدها فى سياق نظام المجتمع حتى تكون فئة سوية متوافقه منتجة.

- أما فيما يتعلق باختيار مفهوم الذات واضطرابات السلوك موضوعاً للدراسة لدى هذه الفئة، فهو يكمن ببساطة فى ندرة الأبحاث العربية التى تناولت هذه الجوانب لدي هؤلاء الاطفال، وانعدامها لدى أطفال مرحلة ما قبل المدرسة أو الطفولة المبكرة – حيث لم يجد الباحث – فيما أتيح له – سوى دراستين تناولت مفهوم الذات لدى الاطفال المحرومين. (سميرة شند ١٩٨٣) (إحسان الدمرداش ١٩٧٦) ولم تكن الدراستان على أطفال مرحلة ما قبل المدرسة، وكانت الاخيرة تدور حول تأثير غياب الأب فقط.

ومن ناحية أخرى نظرية، يمكن أن نقرر أن هناك رابطة علمية منطقية بين مفهوم الذات والسلوك فى سوائه واضطرابه ... فكما يقرر " أوينز Owens ١٩٨٧ أنه مثلما تساعد التنشئة الإجتماعية على تشكيل مفهوم الذات، فإن مفهوم الذات فى المقابل يؤثر على التنشئة الاجتماعية، وبعبارة أخرى، فإن مفهوم الذات يصبح قوياً بدرجة كافية لتساعد فى إرشاد السلوك، وهو بذلك يصبح – بشكل ما – مصدراً للتنشئة الاجتماعية مثلما هو نتاج لها. (Owens ، ١٩٨٧، ص ٢٨٣) فهو – أى مفهوم الذات – يقوم بتنظيم عالم الخبرة المحيط بالفرد فى إطار متكامل، ومن ثم يكون بمثابة الطاقة الدافعة لسلوك الفرد وأوجه نشاطه المتعددة فى الحياة. (فيوليت فؤاد : ١٩٨٦، ٣٦٤) ولتوضيح ذلك، فإن الأطفال ذوى مفهوم الذات السلبى يبدو أنهم يريدون من الآخرين أن ينظروا إليهم بصورة سيئة مثلما يفعلون مع أنفسهم، فهم يحاولون أن يحدثوا الاستجابة التى يتوقعونها لدى الآخرين، وطبقاً لهذا التصور فإن الاطفال الذين يشعرون مثلاً بعدم الكفاءة الأكاديمية يرون أنفسهم غير قادرين على التحصيل، ومن ثم فإنهم يسلكون بالطريقة التى تجعلهم يفشلون فى تحقيق التفوق الأكاديمى. (Owens ، ١٩٨٧، ص ٢٨٣).

وهكذا فإن مفهوم الذات له أهمية هائلة لدرجة أنه يؤثر أدائياً فى كل شئ نفعله، وبالتالى مكننا أن نقرر مع " برونك Brunk ١٩٧٥" أن السؤال المتعلق بالتوافق أو سوء التوافق هو فى جوهره سؤال عن مفاهيم الذات التى يملكها الأفراد حيال أنفسهم، فهؤلاء الأفراد المتوافقون هم أولئك الذين يرون أنفسهم محبوبين مرغوبين، مقبولين وقادرين، أفراد ذوو كرامة واستقامة، هم

أولئك الافراد الذين يصبحون منسجمين مع المجتمع وفيه، إنهم سعداء يعملون بكفاءة وهمة ونادراً ما يسببون مشكلة فى المنزل أو فى المدرسة أو غير ذلك - أما هؤلاء الذين يسببون لنا المشاكل فهو أولئك الذين يرون أنفسهم غير محبوبين، غير مرغوبين وغير قادرين، وغير ذى اعتبار وبلا كرامة، وهؤلاء هم المحبطون، غير المتوافقون التعساء". (Brunk ، ١٩٧٥، ٢٩٨، ٢٩٩).

حجم المشكلة ودلالتها :

إن البداية المنطقية لتناول أى موضوع جديد هى بيان أهميته، وبقدر جدة الموضوع تزداد ضرورة التزام تلك البداية، ليس باعتبارها مدخلاً فحسب، بل بإعتبارها فى المقام الأول مبرراً وتفسيراً لأن يشغل الباحث نفسه، ويشغل معه الآخرين أو - على الأقل - يدعوهم لمشاركته الانشغال بذلك الموضوع - ويواجه الباحث في هذا الصدد منزلقاً خطيراً، فبقدر نجاحه فى إبراز ضخامة أهمية الموضوع تكون إستجابة الآخرين له واشتراكهم معه فى الأهتمام بموضوع بحثه، وعلى ذلك فإن حرص الباحث على الوصول بتلك الإستجابة إلى حدها الاقصى قد يدفعه الى التضخيم - بدرجة تزيد أو تقل - من أهمية موضوع بحثه، والى تصوير المشكلة التى يتصدى لها بالبحث كما لو كانت أهم مشاكل الكون والعصر جميعاً، أى أن الباحث سعياً وراء الحصول على ما يستهدفه من تقدير أدبى أو كسب مادى قد يضحى، بوعى أحياناً، وبدون وعى فى كثير من الأحيان - بقدر من موضوعيته فى عرض الظاهرة محل الدراسة، متجاوزاً عن وضعها فى حجمها الصحيح وفى مكانها الصحيح. (قدرى حفنى، ١٩٨٢، ٢٧٤) .

ومن ثم ، وسعياً لتجنب الانزلاق فى ذلك المأزق المتعلق بالتضخيم من أهمية موضوع البحث وبعداً عن التضحية بالموضوعية التى ينبغى أن يتحلى بها الباحث فى عرضه للظاهرة محل الدراسة ومحاولة لوضع هذه الظاهرة فى حجمها ومكانها الصحيح يطرح الباحث تساؤلاً بسيطاً مؤداه : ما الحجم الموضوعى لمشكلة البحث ؟.

وهنا يصبح المدخل المنطقى للإجابة على هذا التساؤل ولبيان حجم وأهمية موضوع البحث الحالى هو الإحصاءات التى توردها الجهات المختصة والتى تتعلق بعدد الأطفال فى مرحلة سن عينة البحث (الطفولة المبكرة) وعدد الأطفال المحرومين من الرعاية الوالدية فى جميع الأعمار ونسبة عدد الأطفال فى فئة عمر عينة الدراسة الحالية إلى عدد هؤلاء الأطفال والذين يصح أن نطلق عليهم الفاقد البشرى، وكذلك الإحصاءات المتعلقة بالتكاليف التى تتحملها

الميزانية لعامة للدولة نظير رعاية لهؤلاء الأطفال، والتى يمكن أن نطلق عليها الفاقد المادى. وبذا يكون الباحث قد وضع مشكلة البحث فى حجمها الموضوعى الصحيح دون التدخل الذاتى بالمبالغة فى حجم وأهمية الموضوع.

ويوضح الجدول رقم (١) إجمالى عدد الأطفال فى مرحلة الطفولة المبكرة ونسبتهم المئوية من إجمالى عدد سكان الجمهورية فى عام ١٩٩٤[*] وبعض السنوات السابقة.

السنــوات	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٩٤[**]
عدد السكان بالمليون	٤٥ر٩١٥ر٠٠٠	٤٧ر١٩١ر٠٠٠	٤٨ر٥٠٢ر٠٠٠	٤٩ر٦٠٩ر٠٠٠	٥٧ر٨٥١ر٠٠٠
عدد الأطفال فى مرحلة ٣ - ٦ سنوات	٥ر٠٦٧ر٠٠٠	٥ر٢٠٦ر٠٠٠	٥ر٢٥٢ر٠٠٠	٥ر٤٧٤ر٠٠٠	٦ر٢٠١ر٠٠٠
النسبة المئوية لعدد الاطفال ٪	١١ر٠٣٦	١١ر٠٣٢	١١ر٠٣٤	١١ر٠٣٤	١٠ر٧٢

ويتضح من الجدول السابق أن عدد الأطفال فى مرحلة ٣ - ٦ سنوات تمثل ما يزيد عن ١٠٪ من إجمالى عدد سكان الجمهورية حسب تقديرات عام ١٩٩٤، حيث بلغ عدد الأطفال فى هذه السن ٦ر٢٠١ر٠٠٠ طفل وطفلة، الأمر الذي يجعل هناك مبرراً ومدعاة للاهتمام بهذه الفئة من فئات السن التى أجمع علماء النفس والطب النفسى على أهميتها بالنسبة للطفل، فهى الفترة التى ترسى فيها الخطوط الأساسية لشخصية الطفل فى مستقبله، والتى تترك بصمات واضحة على البروفيل الشخصى للطفل فيما بعد، ولعل ذلك يكون مبرراً منطقياً لتناول الأطفال فى فئة السن هذه بالبحث والدراسة.

أما إذا انتقلنا إلى أهمية تناول الأطفال المحرومين من الوالدين، فإن ذلك يرجع إلى ارتفاع أعداد هؤلاء الأطفال فى السنوات الأخيرة، كما يتضح من الجدول رقم (٢) حيث أن هناك تزايداً مستمراً فى أعداد هؤلاء الأطفال.

(*) الوثيقة القومية للبيانات الاساسية للسكان والقوى العاملة وتقديراتها حتى عام ٢٠٠١

(**) حصل الباحث على عدد الأطفال فى العام الحالى فقط ١٩٩٤ ولم يستطع الحصول على سنوات سابقة، واستعان الباحث ببعض البيانات التى كانت متوفرة للباحث فى بحث سابق

ويوضح الجدول رقم (٢) تطور عدد الأطفال المحرومين من الوالدين

خلال السنوات الأخيرة (١٩٨٨- ١٩٩١)

السنــة	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
اجمالى عدد الأطفال بالمؤسسات(*)	٤٨٥٧	٤٩٥٧	٥١٨١	٥٤٨١

ويتضح من الجدول السابق أن هناك تزايداً مستمراً فى عدد الأطفال المحرومين من الوالدين، حيث بلغ هذا العدد عام ١٩٨٨ (٤٨٥٧) طفل وطفلة، ويرتفع هذا العدد سنوياً حتى يصل الى عام ١٩٩١ إلى (٥٤٨١) طفل وطفلة. ومن ناحية أخرى، ومن خلال دراسة حركة حالات الإيداع بهذه المؤسسات سنجد أن هناك مؤشرات تشير إلى إرتفاع عدد هؤلاء الاطفال عاماً بعد آخر.

جدول رقم (٣) يوضح عدد الأطفال الذين يودعون بمؤسسات رعاية

الأطفال المحرومين من الوالدين منذ عام ١٩٨٨- ١٩٩١

السنــة	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
عدد الأطفال الذين يودعون سنوياً	٨٨٤	٨٥٦	٨٥١	١١٢٠

ويتضح من الجدول السابق الخاص بحركة الحالات التى تودع بمؤسسات رعاية الأطفال المحرومين من الوالدين أن هناك أرتفاعاً فى عدد هؤلاء الأطفال، وإن كانت الإحصاءات الواردة فى الجدول تشير إلى تناقص عددهم عام ٨٩/ ٩٠ - وأرتفع فى عام ١٩٩١ ليصل الى (١١٢٠) طفل وطفلة، إلا أن الأمر هنا لا يتعلق بتناقص العدد بقدر ما يتعلق بحقيقة أن هناك حوالى أكثر من (١٠٠٠) طفل يحرمون سنوياً من والديهم ومن الوسط الأسرى الطبيعى سنوياً، وبالتالى يصبح لدينا (١٠٠٠) طفل معوق سنوياً، لا ترتبط إعاقتهم بإصابة جسدية أو عقلية، بل ترتبط بإصابة انفعالية واجتماعية فى صميم شخصية الطفل، ويصبح هذا العدد من الأطفال بمثابة فاقد بشرى يفقده المجتمع سنوياً

ولا يتوقف حجم المشكلة وأهميتها عند هذا الحد، خاصة إذا ما أخذنا فى الإعتبار أعداد هؤلاء الأطفال المحرومين من الوالدين ويدرجون فى مشروع الأسر البديلة، حيث نجد أن هناك

(*) يبلغ عدد المؤسسات (١٥٥)، مؤسسة على مستوى محافظات الجمهورية

تزايداً مستمراً أيضا فى أعداد هؤلاء الأطفال فى السنوات الأخيرة كما يتضح من الجدول رقم (٤).

جدول رقم (٤) يوضح عدد الأطفال فى الأسر البديلة وعددهم فى سن ٣ - ٦ سنوات خلال الأعوام ١٩٨٨- ١٩٩١

السنـة	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
إجمالى عدد الأطفال فى الأسر البديلة	٣٢٤١	٣٥٧٤	٣٩٦٩	٤١٦٦
عدد الأطفال فى سن ٣- ٦ سنوات	٨١٠	٩٠٢	١٠٣٦	١١٤٠

ونلاحظ كذلك أن هناك تزايداً مستمراً فى أعداد الأطفال المدرجين فى مشروع الأسر البديلة، حيث بلغ عددهم فى عام ١٩٨٨ (٣٢٤١) طفل وطفلة، يرتفع هذا العدد ليصل فى عام ١٩٩١ (٤١٦٦) طفل وطفلة.

فإذا ما أضفنا هذه الأعداد إلى أعداد الأطفال المودعين بالمؤسسات يتضح لنا حجم المشكلة. وفيما يتعلق بعدد هؤلاء الأطفال المحرومين فى فئة السن ٣ - ٦ سنوات فإنه يمكن إبرازها من خلال الجدول السابق كمؤشر على تزايد هؤلاء الأطفال عاماً بعد آخر- حيث أن عددهم داخل المؤسسات غير واضح وغير دقيق فى الإحصاءات الرسمية نظراً لأنه لا تدرج فيه الأنشطة الأهلية بشكل مفصل واضح .. ومن خلال الجدول السابق يتضح أن نسبة الأطفال فى فئة السن ٣ - ٦ سنوات تمثل نسبة ٢٧ر٣٦٪ من إجمالى عدد الأطفال فى الأسر البديلة. لعل ذلك يصبح مبرراً آخر ومدعاة لتناول هذه الفئة من الأطفال فى هذه الفئة العمرية بالبحث والدراسة.

وإذا كان ما سبق يمثل الفاقد البشرى، فإنه مما يزيد من حجم المشكلة ودلالتها هو بيان الفاقد المادى والذى يتمثل فيما تتكلفه الدولة من نفقات نظير رعاية هؤلاء الأطفال، ويمكن أن نتتبع مدى تزايد الإنفاق خلال السنوات الأخيرة لنقف على حجم الفاقد المادى والعبء الذى تتحمله المزانية العامة للدولة من جراء هذه المشكلة من خلال الجدول رقم (٥).

جدول رقم (٥) يوضح إجمالى ما ينفق نظير رعاية هؤلاء الأطفال المحرومين من الوالدين خلال الأعوام ١٩٨٩- ١٩٩١

السنـة	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
إجمالى النفقـات	٤ر٩٨٩ر٢٨٢	٥ر١٩ ر٤٥	٦ر٢٠٢ر٢٢١	٨ر٠٤٤ر٩١٦

ومن خلال الجدول السابق نستطيع أن نتبين مدى العبء الذى تتحمله ميزانية الدولة نظير رعاية هؤلاء الأطفال - وبمقارنة إجمالى النفقات خلال الأعوام الاخيرة نجد هناك تزايداً مستمراً فى هذه النفقات، ولنا أن نتصور مدى العبء على الميزانية العامة اذا ما أضفنا الى هذه النفقات التكاليف الآخري مقابل رعاية الأطفال المدرجين داخل الأسر البديلة والتى بلغت فى عام ١٩٩١ حوالي (١٣٧ر٢٨٧) جنيه. *(وزارة الشئون الاجتماعية،* ١٩٨٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٣٦، ٢٤٤، ٢٩٧، ٣٠٤) *(وزارة الشئون الاجتماعية،* ١٩٩٠، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٥، ١٤٧) *(وزارة الشئون الاجتماعية،* ١٩٩١، ١٣٣، ١٢٤، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٦، ١٤٨، ٢٥٢).

وهكذا يمكن القول بأن المجتمع إذا لم يعن بهؤلاء الأطفال عناية سليمة قائمة على أسس علمية، فإن المجتمع يخسر مرتين :

الأولى : عندما يخسر هؤلاء الأطفال كأفراد غير متوافقين (فاقد بشرى).

الثانية : عندما يخسر المجتمع ويتحمل عبء الإنفاق على هؤلاء الأطفال (فاقد مادى)

وإلى جانب ما تبرزه الاحصاءات السابقة من دلالات، فإن هذه الدراسة تتناول مرحلة عمرية لم تنل من الدراسة إلا اهتماماً قليلاً - خاصة في التراث العربى والمحلى - وهى مرحلة الطفولة المبكرة، حيث لم يجد الباحث فيما أتيح له من دراسات إلا دراسة " محمد بيومى " ١٩٨٠ وكانت تتناول الحرمان من الأم فقط وأثره على التكيف الشخصى والاجتماعى، دراسة "إيمان القماح" ١٩٨٣ عن أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسى، ودراسة "سهير كامل" ١٩٨٧ على أطفال المجتمع السعودي.

وهكذا فإن هذه الدراسة تتناول مرحلة تكاد تكون منسية رغم أهميتها وخطورتها، إلى جانب أن تناول الأطفال في هذه المرحلة المبكرة من العمر قد يساعد على فهم مجموعات مماثلة فى مراحل عمرية متقدمة، ويساعد على تدارك الأخطار المحيطة بالطفل المحروم من والديه قبل أن تتفاقم المشكلة وتتضخم وتزداد تعقيداً ويتحول الطفل إلى جانح منحرف، وقبل أن يصير هؤلاء الأطفال آباء وأمهات فى المستقبل تنقصهم القدرة على منح أطفالهم ما لم يُمنحوه هم وما لم يخبروه فى حياتهم كأطفال، فكما يقول "بولبى" ان الكثير من هؤلاء الراشدين الذين تنقصهم هذه القدرة هم عادة من هؤلاء الذين قاسوا الحرمان فى طفولتهم.

الفصل الثانى

الإطار النظرى للبحث ومفاهيمه

الفصل الثانى

(١) الإطار النظرى

اولا - دور الأسرة في حياة الطفل والحرمان منها :

إن المراحل الهامة فى نمو الشخصية تظهر فى التفاعل الدينامى المستمر بين الفرد والبيئة، أى فى المواقف الجماعية المتنوعة - ولما كان الفرد يقضى مع أسرته أولى سنوات حياته - وهى ذات أثر بالغ - فتعتبر الجماعة العائلية والأنماط التى تغرسها فى نفس الطفل أساس للعلاقات الفردية والجماعية المستقبلية . فالأسرة تهدف إلى نمو الطفل نمواً إجتماعياً وصبغ سلوكه بصبغة إجتماعية، ويتحقق هذا الهدف عن طريق التفاعل العائلى الذى يحدث داخل الأسرة والذى يلعب دوراً هاماً فى تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه، وهذا التفاعل والعلاقات الوجدانية التى تحدث بين الطفل ووالديه سوف تشكل توقعات الطفل واستجاباته فى العلاقات الإجتماعية التالية. *(سول شيدلنجر، ١٩٧٠، ٤٦)* ، *(Hurlock ، ١٩٨٣، ٤٩٤، ٤٩٥)* ، *(Hetherington & Park ، ١٩٧٩، ٤١٩)*، *(Perry & Perry ، ١٩٨٢، ١٣١)*، *(زيدان عبد الباقى، ١٩٨٠، ٥)*.

ولهذا نجد " أكرمان " يؤكد على مفهوم الأسرة باعتبارها جماعة ووحدة إجتماعية ووجدانية، وهو يرتأى أن هذه الجماعة فى كليتها أشد تأثيراً فى بناء الشخصية للطفل من علاقته بأى فرد من أفرادها، وليست الأسرة أولى خطوات الفرد نحو الأرتباط بالغير فحسب، ولكنها أيضاً نموذج للعلاقات الجماعية التالية - كما سبق القول - فالطفل ينقل إلى الجماعة التى يلعب معها اتجاهاته الشعورية واللاشعورية الهامة نحو نفسه والوالدين والأطفال الآخرين، وهى نفس الاتجاهات التى تكونت فى مجرى الحياة العائلية. والإشباع الأمثل لحاجات الفرد المبكرة يمكن الفرد من توسيع نطاق اتصالاته الاجتماعية توسيعاً مضطرداً، ويتعلم الأطفال أن يتكيفوا للحياة على أساس هذه الأسس الموضوعة حينما كانت البيئة محدودة بحياة الأسرة والمنزل فى مرحلة مبكرة جداً من العمر. *(سول شيدلنجر، ١٩٧٠، ٤٩)* ، *(Hurlock ، ١٩٨٣، ٤٩٤، ٤٩٥)* ويظل تأثير هذه البيئة قائماً حتى مرحلة متأخرة من العمر، بل وقد يظل واضحاً بشكل أو بأخر فى سلوك الفرد طيلة حياته، وإن كان يدخل على هذا التأثير كثيراً من التعديل والتغيير نتيجة لتعدد المؤثرات كلما تقدمت السن بالطفل. *(هدى قناوى، ١٩٨٣، ٥٦)*.

وهناك أهمية بالغة للروابط الانفعالية emotional bonds بين الطفل ووالديه، فخلال السنتين أو الثلاث الأولى من حياة الطفل، ينمى الطفل سلسلة من الارتباطات أو التعلقات attachments تكون إختيارية لدرجة أن بعض هذه العلاقات يكون أكثر أهمية للطفل من العلاقات الأخرى، والطفل الذى يفشل فى إقامة علاقات وتعلقات آمنة Secure attachments فى طفولته المبكرة يميل لأن يكون عرضة لضرر اجتماعى بالغ حينما تتقدم به العمر... فالطريقة التى يتفاعل بها الوالدين مع الطفل والمدى الذي يكونون إليه مستجيبين responsive للطفل وحاجاته سوف يحدد نوعية العلاقات المتشكلة خلال هذه السنوات المبكرة - كما أن وجود هذه الروابط بين الطفل ووالديه ليس هاماً فقط من خلال دورهم فى نمو العلاقات المقبلة، ولكن كذلك من خلال تأثيرهم المباشر فى تقليل قلق الطفل في المواقف الجديدة والضاغطة، وبهذا فإن الاسرة تكون بمثابة أساس آمن secure base يستطيع الطفل من خلاله أن يجرب طرقاً جديدة للاستطلاع والاستجابة لبيئته. (Rutter ، ١٩٨٤، ١٣٩) ولهذا نجد أن أفضل مكان ينمو فيه الطفل هو منزله خلال دائرة أسرته والتى تتكون من أمه وأبيه وأخوته وأعمامه وأجداده غير البعيدين عنه (Lee ، ١٩٨٤، ١٢٧) .

ويساعد الوالدان على تشكيل سلوك الطفل من خلال تشجيعهم أو عدم تشجيعهم لأنماط سلوكية معينة، ومن خلال تاديبهم للطفل، ومن خلال مقدار الحرية الممنوحة والمسموح بها للطفل... ففى السنوات الأولى من العمر فمن الأساسى للطفل أن يتعلم من الوالدين ما يفترض عمله، وما هى السلوكيات الممنوعة، ويتعلم ذلك من خلال تلقينه أو من خلال النماذج السلوكية التى يتلقاها من الوالدين، والتى يتم من خلالها ترشيح القيم والاتجاهات الخاصة بالثقافة. ولأن الوالدين يلعبان دوراً هاماً كنماذج للتقليد imitation والتوحد identification، ولأن التوحد بهما يبدأ مبكراً ، ولأن أغلب احتكاكات الطفل تكون محددة بالأسرة فى فترة الطفولة المبكرة، فإن دور الوالدين يكون حرجاً فى عملية التقليد والتوحد هذه. (Hetherington & prrk ، ١٩٧٩، ٤٢٨، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٦٦)، (Rutter ، ١٩٨٤، ١٤٣، ١٤٤). حيث يميل الأطفال إلى نسخ سلوك الآخرين، وعادة ما يقتدون ويتوحدون بهؤلاء الذين لهم معهم أوثق الروابط، وهم فى هذه الفترة الوالدان.

كما أن النمو النفسى للطفل يتم ويكتمل فى إطار الأسرة عن طريق التقليد والمشاركة لدور الأم والأب وذلك من خلال اعتماد الطفل على والديه اعتماداً وثيقاً على المستوى الوجدانى والنفسى فى إدراك الدور الذكرى والأنثوى والذى لا يتم إلا بالحب الأموى والأبوى والعلاقات

الوجدانية التى تجعل الطفل يستكمل الخروج من ذاته وتكمل نموه النفسى والاجتماعى- فالحياة العائلية بما فيها من أمومة وأبوة هى التى تؤدى إلى التطبيع المثالى للأحاسيس والطاقة الوجدانية للطفل وذلك بنمو الروح العائلى والعواطف الأسرية لدى الطفل من خلال شعوره بأنه طفل مرغوب فيه من والديه وإخوته، كدعامة أولى لتقوية الروابط الوجدانية بين الطفل والآخرين، مما يشكل أكبر الأثر فى تكيف الطفل مع نفسه ومع بيئته، وتكوين مشاعره نحو ذاته وعالمه فى حاضره ومستقبله. فالخبرات النفسية المناسبة التى يتلقاها الطفل فى الأسرة تعد أمراً ضرورياً لنمو شخصية متوافقة، فالطفل يواجه فى المنزل المواقف التى تثير التوتر، ويتعلم كذلك داخل المنزل كيفية مواجهة هذه المواقف وخفض التوتر، وذلك من خلال رعاية أسرية معتدلة - لا إفراط فيها ولا تفريط - حيث إن التدليل الزائد أو الإهمال والنبذ الشديد يعرض الطفل لمشاعر القلق وعدم الطمأنينة. *(كاميليا عبد الفتاح، ١٩٨٤، ٩-١١)، (سيد محمد غنيم، ١٩٧٥، ١١٦، ١١٧).*

وهكذا تعد الأسرة والوالدان مصدراً للأمن والروابط والعلاقات الوجدانية، ولهذه الروابط والعلاقات الوجدانية أهمية كبرى فى نمو الطفل - إذ تعتبر من أهم اسس الصحة النفسية للطفل. *(جون بولبى، ١٩٨٠، ٨)* وكلما اتسمت هذه العلاقات والروابط الأولى بالاستمرارية والاستقرار- علاوة على الدفء والمحبة - كلما كانت مصدراً لرضا وأمن كل من الطرفين- الطفل والوالدين - وبالطبع فإن هذا الاستقرار والاستمرارلهذه الروابط تهيؤهما الأسرة *(Rutter ، ١٩٨٤، ١٣٩)* وفى ظل هذا الشعور بالأمن والانتماء للوالدين والأسرة والإخوة ، يصبح المنزل هو المزرعة الأولى التى تنبت فيها بذور الشخصية الإنسانية. *(محمد مصطفى وآخر، ١٩٨٨٢، ١٠٥)* حيث أوضحت الدراسات الخاصة بالعلاقات الأسرية أن كل العلاقات الأسرية عوامل هامة فى نمو الفرد، فأثناء سنوات الطفولة المبكرة تكون علاقة الطفل بوالديه أكثر أهمية من أى وقت آخر .. فنجد مثلاً أن الطفل الذى نشأ فى مؤسسة إيداع وأصبح محروماً من الفرص الطبيعية لأن يخبر الحب - بالطبع من خلال علاقاته بوالديه- يصبح هادئاً، فاتر الهمة، غير مستجيب لنداء وابتسام الآخرين، كما يظهر أشكالاً عنيفة من المزاج بحيث يبدو كما لو كان يبحث عن الإهتمام والرعاية التى فقدها من قبل والديه، كما يعطي مظهراً عامًا غير سعيد. *(Hurlock ، ١٩٨٣، ٨١).*

ولهذا نجد أن البحوث التى أجريت فى ميدان علم النفس تؤكد على ما تحدثه الآثار العكسية للحرمان من الأسرة ومن حنان الأم والاب، وما يترتب عليه من إفتقاد الطفل لهذه

المحبة والرعاية الأسرية، وذلك حينما تطرأ على الاسرة ظروف تمنعها من تحقيق وظائفها - وخاصة وظيفتها النفسية الخاصة بتبادل المحبة - ومن هنا فإننا نجد أن الأطفال المحرومين من رعاية الوالدين مثل أطفال المؤسسات يتميزون بالتخلف فى جوانب شخصياتهم. *(ب.م. فوس، ١٩٧٢، ٢٦٩، ٢٧٠)* فيرى "بولبى" Bowlby ١٩٨٠ أنه بدون خبرات المنزل الأولية ووجود شخص مدرك لاحتياجات الطفل بصفة خاصة مشبع لها بدرجة كافية، وبدون شخص يحبه ويكرهه، فانه لا يمكن أن توضع أسس الصحة العقلية، أو أن يكتشف الطفل ما لا تستطع ميوله العدوانية أن تحطمه فعلاً - ومن ثم لا يستطع أن يفرق بين الوهم والواقع- فبدون أم وأب يعيشان معاً ويتحملان مسئولية مشتركة تجاهه لا يستطع الطفل تذوق طعم الراحة - ومن ثم فإن الطفل يحتاج حاجه مطلقة الى أسرة وإلى درجة من الوسط المناسب إذا ما أريد له أن ينمو في المراحل الأولى من حياته نمواً نفسياً وعقليا سليماً. *(جون بولبى، ١٩٨٠، ٢٤٦)* .

وتوضح "هارلوك" Hurlock ، ١٩٨٣ أنه إذا فقد الطفل الوالدين معاً، فإن الآثار الناتجة عن ذلك تكون مضاعفة وذات خطورة أشد، فإلى جانب أن ذلك يودى إلى تغييرات جذرية في نمط حياتهم، فإن الطفل قد يصل به الأمر إلى الجنوح والعدوانية الزائدة .. كما أنها توضح أن انفصال الطفل وحرمانه من الوالدين - من خلال الطلاق كشكل آخر - يكون أكثر خطورة على الطفل وذلك لأن فترة التكيف للانفصال بالطلاق أطول وأكثر صعوبة من التكيف للحرمان من الوالدين بالموت - هذا بالإضافة إلى أن الطلاق يجعل الطفل يختلف فى نظر جماعة الاقران. فإذا سئل الاطفال أين والدهم المفقود، أو لماذا يوجد والد جديد حل محل الوالد المفقود بالطلاق، فأنهم يصبحون محرجين وخجلين - كما أنهم يشعرون بالذنب إذا استمتعوا بالوقت الذي يقضونه مع الوالد المنفصل أو إذا فضلوا العيش معه بدلاً من الذى يتولى رعايتهم. *(Hurlock ،١٩٨٣، ٥٠٨)*.

وبالتالى فإن لغياب الوالدين وإفتقاد الأسرة أثره السيئ فى شعور الطفل بالأمن، ذلك أن وجود الوالدين يعنى للطفل تحقيق حاجاته وضمان إشباعها، فإذا غابا تضمن ذلك تهديداً لكيانه، قد يفسره هو بخياله المحدود على أنه إهمال لشأنه، وغضب عليه، وهذا معناه اضطراب العلاقة بينه وبين والديه، ثم بينه وبين الآخرين فيما بعد. *(Lee ، ١٩٨٤، ١٠١- ١٠٥)*. فالطفل الذي حرم من والديه هو طفل فاقد الفرصة للتشبع بشخص والتوحد به، ونظراً لغياب الصور الوالدية المحبوبة، فإن الصور المحبوبة لدى الطفل تصبح مهزوزة، إن لم تنعدم، ويترتب على ذلك غياب من يتمثل قيمهم وأساليبهم السلوكية (الذكرية والأنثوية) - مما يؤدى الى الشعور بعدم الأمن والاستقرار والخوف من المستقبل

وفى حالات الحرمان التام والانفصال الطويل المدى المستمر عن الوالدين قد يصل الاضطراب الى أقصى إضطراب انفعالى وهو حالة من اليأس والاكتئاب - وهنا يؤكد "فرويد" من خلال أبحاثه على وجود علاقة وارتباط بين الاكتئاب وفقدان الحب فى الطفولة المبكرة، ولقد أكدت بعض الدراسات الحديثة التى تناولت تاريخ مرض الاكتئاب لدى البالغين أنهم قد تعرضوا للحرمان من الوالدين فى طفولتهم المبكرة - كما أظهر الأطفال المحرمون انسحاباً اجتماعياً وعجزاً عن أن يحبوا وأن يُحبوا ويقيمون علاقات بالآخرين، فهم يوجهون كل الحب لأنفسهم ويصبون كل عدوانهم للخارج. *(سول شيدلنجر، ١٩٧٠، ٤٠)، (Smith ، ١٩٨٣، ٢٣٥- ٢٥٣)*. حيث يصبح الطفل ساخطاً على العالم، يصعب عليه أن يوفق بين حاجاته ومتطلبات المجتمع، وذلك لأن شعور الطفل بأنه ليس لديه أسرة ومحروم من والديه يخلق لديه شعوراً بعدم الاكتراث والأهمية لأحد، مما يؤدى إلى العديد من الاضطرابات السلوكية الناتجة عن شعوره بالضياع الاجتماعى والضياع النفسى، ويترتب على ذلك اصطدامه بالبيئة الاجتماعية لارتكابه الكثير من الانحرافات السلوكية - كالسرقة مثلاً، أو أن يصبح متمسكاً فى عناد بأنماط سلوكية طفلية كالتبول ومص الأصابع. *(مختار حمزة، ١٩٨٢، ٣٤٧- ٣٤٩)*

وإذا ما أضفنا إلى ذلك سوء المعاملة التى يمكن أن يتلقاها الطفل المحروم، كان من الطبيعى ألا يتكون لهذا الطفل ضمير خلقى إلا فى أضيق الحدود وفى أدنى المستويات، لذا وجد المحللون النفسيون أن الافتقاد للوالدين يرتبط فى الطفولة المبكرة بنمو الشخصية السيكوباتية والسيسوباتية - كما وجد ارتباط بين مرض الفصام والحرمان من الوالدين، كذلك الارتباط بين الشخصية الهستيرية وبين الحرمان الوالدى. *(Marion ، ١٩٦٩، ٢٢٥-٢٣٢)*

• هذا وتظهر أهمية الأسرة لسلوك الطفل ولنموه النفسى السليم ولجميع نواحى نموه إذا قارنا تكيف أطفال خبروا الحياة الأسرية بأطفال حرموا الحياة الأسرية - كما هو الحال فى أطفال المؤسسات - فمن الناحية الجسمية مثلاً وجد أنه يكثر بينهم مرض الهزال، بالإضافة إلى نقص التفاعل الاجتماعى وافتقاد العطف لدى أطفال المؤسسات الذين لا أسر لهم يعيشون فى كنف رعايتها وحنانها- حيث أوضحت بحوث عديدة أخرى كثيراً من الأعراض والآثار الناتجة عن الحرمان من الأسرة، فقد اتضح أن الأطفال الذين حرموا من العلاقات الأسرية يوصفون بما يسمى "بالشخصية المنعزلة" وتتسم بعدم القدرة على تبادل العطف مصحوباً بشدة بمحاولة جذب عطف الآخرين وانتباههم ومحبتهم، بالإضافة إلى ما يبديه أطفال المؤسسات من ميل إلى العدوان. *(هدى قناوى، ١٩٨٣، ٣٤٤ ، ٣٤٥)*

وكذلك ظهرت فى تجربة أبناء الكيبوتزات الإسرائيلية جميع آثار الحرمان الوالدى، حيث تعرض الأطفال خلال فترة تنشئتهم للحرمان من الوالدين بعد أربعة أيام من ميلادهم وانتقالهم إلى مربية أخرى، ويحدثنا عن هذه التجربة "سبيرو" Spiro ١٩٤٢ مشيراً من خلال دراسته إلى أن هؤلاء الأطفال يتصفون بسمات شخصية غير سوية، من أهمها العدوانية وكراهية الغرباء والإنطوائية والابتعاد عن الآخرين ويتطور نموهم أصبح البرود الانفعالى واللامبالاة من أهم سمات شخصياتهم، كما اتصف سلوكهم بالحقد فى تعاملهم مع الآخرين، والانسحاب العدائى كأسلوب دفاعى يعكس افتقادهم للشعور بالأمن، ووجد المحللون النفسيون أن هذه الآثار تنطبق ليس فقط على أبناء الكيبوتزات ولكن أيضا على الأطفال الذين تعرضوا للحرمان من الوالدين والأسرة. *(قدرى حفنى، ب ت ، ١٥٤– ١٦١)*

وهكذا نرى أن الطفل الذى يعيش بعيداً عن أسرته – أى الطفل الذى يتعرض للحرمان من الوالدين ومن جو الأسرة الطبيعى، يفقد كل الأمور والمميزات التى يكتسبها من خلال الأسرة والجو الأسرى الطبيعى.– فالطفل الذى يعيش فى أسرة أصابها التفكك أو يعيش محروماً بعيداً عن أسرته – كأطفال المؤسسات – هو طفل حرم من عائد نفسي كان المفروض أن يعود عليه من خلال وجود الأسرة وتأديتها لوظائفها الأساسية والتى سبق الحديث عنها، غير أن هذه الوظائف لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال التفاعل الأسرى بين مختلف أعضائها – فالأسرة ليست أفراد فقط، بل هى تفاعل ديناميكى بين بعضها البعض، فهى ليست ثنائيات منفصلة عن بعضها، بل هى ثنائيات تتجمع فى إطار الأسرة لتؤثر فى الطفل ونموه فى النهاية– فالطفل وأمه ثنائية، والطفل وأبيه ثنائية، والأم والأب ثنائية ... جميعها تكون بمثابة تفاعلات تحدث داخل الأسرة لتؤثر فى الطفل وفى الوالدين معاً.

وتلعب الأم دوراً هاماً وخطيراً، وتكون بمثابة المستقبل الأول له وبمثابة الموضوع الأول المحب والمحبوب معاً، وكذلك يلعب الأب دوراً خطيراً فى تشكيل هوية الطفل وشخصيته.. وهكذا فإن الأسرة بقطبيها الأم والأب، هى الإطار الحانى العاطفى الذى ينبغى أن ينمو خلاله كل طفل، وسبيلنا الآن هو تناول قطبى الاسرة – الأم والأب – كل على حدة لتوضيح دور كل منهما وأثر الحرمان منه على الطفل وأمنه واستقراره النفسى.

وهنا نؤكد على أن تناول دور كل من الأم والأب على حدة، لا يعنى أن أدوارهما تجاه الطفل منفصلة عن بعضها البعض – فدور الأم مستمد وقائم على أساس من دور الأب أيضاً،

فالأم لا تستطع أداء دورها إلا من خلال دور أبوى واضح يمدها هى أولاً بالعون والسند على أداء دورها ومكملاً لدورها ثانياً نحو الطفل .. والأب يمارس دوره أيضاً من خلال تفاعله مع الأم ومن خلال الأسس الأولى التى أرستها الأم فى رعاية الطفل بحيث لا يتعارض الدوران أو يعوق بعضهما البعض، بل هى أدوار مكتملة متوافقة متحدة على الرغبة فى الوصول بالطفل إلى النضج والتوافق.. وهذا الفصل فى دور كل من الأم والأب هو فصل مفتعل مقصده سهولة الفهم والتناول فقط، فهو فصل لا وجود له فى واقع الطفل.

(١) دور الأم فى حياة الطفل والحرمان منها

دور الأم في حياة الطفل :

من المحتم عند الحديث عن رعاية الأطفال الصغار أن تحتل الأم مركز الأهمية، فهى صاحبة الدور الرئيسى والهام فى عملية التنشئة المبكرة للطفل، فالأم كما يتضح من الدراسات النفسية والتربوية لها تأثيرها البالغ بدرجة أو بأخرى على نمو الطفل، فالطفل يتفاعل فى بداية حياته مع البيئة باستمرار وتكون الأم هى الممثلة الأولى لهذه البيئة، وهو بهذا التفاعل يحصل على ما يشبع حاجاته النفسية والبيولوجية، وتتحدد بهذا درجة نمو شخصيته .. بل وحتى درجة نموه اللفظى. فالطفل فى مطلع حياته يحتاج إلى الارتباط والتعلق التام بشخص، وبسبب دور الأم البيولوجى – أو حتى الأب أحياناً– فى إطعام الطفل ورعايته الجسمية، فمن المحتم أن تصبح هى ذلك الشخص الذى يتم الارتباط به. *(Smart ، ١٩٨١، ٣٩٢)*، *(Rayner ، ١٩٨٣، ١٩١)* وهنا نوضح أنه ليس مقصوداً بالأم – الأم البيولوجية فقط، بل قد تكون بديلة لها تقوم على رعاية الطفل والعناية به.

وعن أهمية دور الأم فى حياة الطفل يقرر "بولبى" Bowlby ١٩٨٠ أن ما يعتقد أنه ضرورى لضمان الصحة العقلية هو ضرورة ممارسة الطفل والحدث الصغير لنوع من العلاقة الدافئة القريبة المستمرة مع أمه أو من يحل محلها بصفة دائمة، وأن هذه العلاقات المتشابكة السخية المجزية التى تقوم بين الطفل وأمه فى سنوات حياته الأولي والتى تتنوع بطرق لا حصر لها باتصاله بأبيه وإخوته وأخواته هى التى تؤثر على نمو الطفل العقلى والخلقى. *(جون بولبى، ١٩٨٠، ٨ ، ٩)*.

ولهذا نجد "فرويد" ١٩٢٨ يؤكد على أن علاقة الطفل بأمه هى علاقة فريدة لا نظير لها، ويرى هو وأتباعه ان اللذة التى يشتقها الطفل من إطعامه تكون هى الأساس لنمو "العلاقة

الأولية بالموضوع" Primary object relation مع الأم. (Harris، ١٩٨٦، ٢٨٤)، (سول شيدلنجر، ١٩٧٠، ٣٥) فالطفل كما يرى "شبتز" Spitzيحتاج أن يشعر بإشباعات أمه لحاجاته، كما يحتاج إلى لمس وجهها ويدها ليتسقبل من خلالها العالم الخارجي، وبذلك نجد أن للأم دورين مزدوجين، دوراً بيولوجياً وآخر وجدانياً، ويتحول الطفل عبر العلاقة بأمه من الدور البيولوجي إلى الدور الوجداني، والذى يمثل أول علاقة اجتماعية ووجدانية بآخر – وهو أمه – ثم يتدرج منها الى المرحلة التالية، حيث تتطور العلاقات الاجتماعية للطفل. (Mahler ، ١٩٦١، ٣٣٢- ٣٤٩) فالطفل ينتقل بالتدريج من النرجسية الأولية الى الحب الموضوعى – حب الموضوع – حين ترتبط مشاعره بالأم أو ببديلة الأم، وهذا يؤلف أول أرتباط حقيقى بشخص آخر، ويكون مسبوقاً بتوحد مبكر بهذا الشخص.. وتري " أنا فرويد" "A. Freud ١٩٤٩ أن الإشباع المتكرر للحاجات البدنية المبكرة هو العامل الأساسى الذى يغرى الطفل بصرف اهتمامه اللبيدى عن جسده، وحينذاك يأخذ هذا الإهتمام فى التوجه الى من كان مسئولاً عن تهيئة هذه اللذة – ومثل هذا التطور من حالة مركزية الذات إلى العلاقة بموضوع معين ضرورى فى نمو الطفل نمواً انفعالياً سويا. (سول شيدلنجر، ١٩٧٠، ٣٤، ٣٥)

فالطفل الرضيع يشعر بوجوده على المستوى النفسى من خلال الرعاية الأموية والتى بدونها لا يكون الطفل طفلاً إنسانياً، حيث يشكل هو وأمه وحدة فى المرحلة الأولى التى لا يمكن للطفل أن يعبر فيها لفظياً، فتكون عاطفة الأمومة هى المعبرة اللفظية عما يريد أن يعبر عنه الطفل، وتكون – أى الأم – هى الأنا المساعدة التى تعمل على التكيف الضرورى لحماية وحفظ الحياة ورفع مستويات النمو وتطورها، ومن خلال هذا الحب الأموى يتمكن الطفل من تغليب الجوانب اللبيدية على الجوانب التدميرية الموجهة نحو الذات وعزلها خارج حدودها. (Winnicott ،١٩٦٨، ٥٨٥ - ٥٩٥)

فعلاقة الحب المستمرة مع الأم فى السنوات الأولى المبكرة ضرورية إذا ما أريد للطفل أن يصبح قادراً على تشكيل روابط ذات دلالة ومعنى مع الأفراد الاخرين - فنحن نحتاج الى تعلم الحب، ونستطيع أن نمارس ذلك فقط فى سياق العلاقة المطمئنة الآمنة مع شخص الأم ، ويرى بولبى" Bowlby ١٩٥١ أن السنتين ونصف السنة الأولى تشكل فترة حرجة ينبغى أن تتشكل فيها الرابطة بين الطفل والأم ، ولأى سبب من الأسباب، إذا لم يحدث ذلك فى هذه الفترة، فإن أى درجة من الأمومة الكافية فيما بعد لا يمكنها معالجة الموقف - فالطفل الذى حرم من الأم - أو بديلتها - فى مطلع حياته يصبح "متبلد الطبع affectionles character فنسبة كبيرة من

مجتمع الطفولة تتأثر بصدمة الانفصال عن الأم والتى جذب اليها "بولبى" الانظار. (Dunkin، ١٩٨١، ٢١٩) وأصبح من الواضح فى هذا المجال أن الارتباط والاتصال بشخص ما راشد، وخاصة الأم، يعد عنصراً ضروريا في النمو السوى. (Carson et al ، ١٩٨٨، ١١١) فارتباط الطفل بالأم - أو بديلتها - ارتباطاً وثيقا قوياً سوف يساعد على نمو مهارات الطفل الاجتماعية، وسوف ينعكس ذلك فى لعبه وتفاعله مع الأطفال الآخرين، الأمر الذى يسهل عليه عقد صداقات حميمة فيما بعد، ويحقق علاقات ودية أكثر نجاحاً مع الآخرين حينما يصل الى الرشد. (Bee، ١٩٨٤، ٢٨٨)، (Rutter ، ١٩٨٤، ١٤٣، ١٨٧) (Bremner ، ١٩٨٨، ١٨٣)، (Owens، ١٩٩٣، ٢٨١)، (Shaffer، ١٩٨٩، ٤٢٣).

وهنا نشير إلى نقطة بالغة الأهمية، وهى أن توفر شخص راشد، الأم أو بديلتها، ليس هو العامل الهام والجوهرى. (Carson et al ، ١٩٨٨، ١١٣)، (Charlton Kenneth ، ١٩٨٩، ٢٥)، (محمد شعلان، ج١، ١٩٧٧، ٥٠) ، (Shaffer ، ١٩٨٩، ٤٢٤)، (جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٢١٣، ٢١٤).

فالمسألة لا تتعلق بوجود الأم بشكل مطلق - أى مجرد وجود الأم فقط - بل المسألة تتعلق هنا بنوعية الأمومة التى تمارسها الأم مع الطفل حتى يحقق ارتباطاً وتعلقاً قوياً آمناً بها ومشبعاً له. فما يحتاجه الطفل أساساً هو عملية الأمومة أكثر منها أم بالذات ، إن المطلوب هو ما يطلق عليه "وينيكوت" Winnicott ١٩٧٦ "بالأمومة الكافية الجيدة" Good enough mothering أو درجة معقولة من الأمومة، واصفاً بذلك نوعية من الوالدية تستجيب لحاجات الأطفال الفسيولوجية والانفعالية بشكل مناسب وحساس. (Mack & Ablon ، ١٩٨٣، ١٦٣)

ولهذا نجد " أنثورث" Ainsworth ١٩٧٩ تؤكد على أن نوعية ارتباط الطفل وتعلقه بأمه يعتمد بشكل كبير على نوعية الأمومة التى يتلقاها - وتفترض أن أمهات الأطفال ذوى التعلق الآمن Securely attached يكن مستجيبات responsive، منذ البداية المبكرة لحياة الطفل، ويتمتعن بحساسية عالية لحاجات الطفل، معبرات انفعالياً، ويملن لأن يكن مشجعات لأطفالهن على الاستطلاع، ويستمتعن بالاتصال الوثيق مع أطفالهن، وتعتقد " أنثورث" أن الأطفال يتعلمون ما يتوقع من الناس الآخرين من خبراتهم المبكرة مع من قام على رعايتهم مبكراً، فحينما يكون من قام على رعاية الطفل فى مطلع حياته حساساً ومستجيباً لحاجات الطفل، فإن الطفل سوف يشتق الراحة والمتعة والإشباع من تفاعلاته مع الآخرين. (Shaffer ، ١٩٨٩، ٤١٤)

ومن ثم يقرر "تومبسون ولامب" Thompsoson & Lamb ١٩٨٣ أن الأطفال الذين يجدون سلوك أمهاتهم قابل للتنبؤ وثابت، مما يمدهم بأساس امن ينطلقون من خلاله نحو الاستطلاع، يمكن أن يكونوا أكثر قدرة على تطوير وإنماء علاقات إجتماعية فى حياتهم المقبلة (Doworetzky & David ، ١٩٨٩، ١٢٦). وهو ما وجده "باستور" Pastor ١٩٨١ فى دراسته لمجموعة من الأطفال، حيث وجد أن الأطفال الذين خبروا الارتباط والتعلق الآمن مع الأم فى عمر مبكر كانوا أكثر اجتماعية وأكثر توجه تجاه الأقران من الأطفال الذين لم يمروا بارتباط يتعلى أمن مع امهاتهم. (Bee ، ١٩٨٤، ٢٨٨).

ومن ثم، فإن الجدير بالإهمية فى هذا الموضوع ليس وجود الأم فى ذاته، بل هو استجابة الأم للطفل .. فمن المراحل النفسجنسية والنفس اجتماعية التى أفترضها "فرويد" و "إريكسون"، فإن هناك المرحلة الفمية Oral أو ما يطلق عليها "إريكسون" الثقة مقابل الشك Trust Vs. Mistrust وهى الفترة التى ينمى فيها الطفل الاتصال والتعلق الاساسى الأولى بمن يقوم على رعايته، ولكى يخرج الطفل من هذه المرحلة باحساس ثابت آمن من الثقة، فإن "اريكسون" يعتقد أنه يبغى على الأم أن تكون مستجيبة للطفل ومشبعة لحاجاته بشكل مستقر وثابت (Bee ، ١٩٨٤، ٢٢٨).

وهكذا يمكن القول بأن أساس علاقة الطفل و تـه بنفسه وبالعالم تنبع أساساً من نموه فى سنوات حياته الأولى ومن نوع العلاقة بأمه فى المرحلة الأولى من نموه، حيث أن أول وأهم أزمة فى حياة الإنسان هى أزمة الثقة كما سبق القول، فإذا لم توضع بذور هذه الثقة فى علاقة الطفل بالأم، فإن البداية تكون ضعيفة غير موفقة، ويتعذر بعد ذلك أن يثق الطفل بالآخرين، وهذه الثقة لا تنبع فقط من الاطمئنان الى أن ما يحتاجه سوف يصله، وإنما تنبع أيضاً من وجود الأم الثابت المتكرر مما يعطيه الاحساس بالثقة والأمان. فالأم لا تقدم الغذاء والوقاية فقط، بل تقدم معها بالضرورة العطف والحب والحنان، فإذا ما كان إهمال الغذاء والحماية كثيراً ما تؤدى بالطفل إلى الهلاك احياناً وإلى المرض احياناً أخرى، فإن إهمال الطفل وحرمانه من العطف والمحبة غالباً ما يهدد كيانه بالخطر، لأن الحرمان العاطفى كالجوع لا يمكن أن يتغلب عليه الطفل أو يتحمله دون أن يصيبه منه الضرر وخاصة فى سنواته الأولى (محمد شعلان، ج ١، ١٩٧٧، ٥٠، ٥١) (فوزية دياب، ب ت، ١٠٥)

الحرمان من الأم واستجابة الطفل له :

رأينا أن نوع العلاقة بالوالدين يحدد إنتقال الطفل السوى من اعتماده المطلق على الغير

إلى الاستقلال المتزايد والقدرة على إقامة العلاقات السوية بالموضوعات. فحين يغلب على سنى الطفولة الأولى إشباع حاجات الطفل، تقوى رغبة الطفل فى الخروج من ذاته والتقدم الى مراحل النمو الجديدة – وبالعكس، يبعث الحرمان المبكر المستمر فى نفس الطفل شعوراً بعداء العالم له وخلوه من اللذات. وقد تبين أن الأطفال يستجيبون بالمرض على ما يفرضه عليهم الوالدان من حرمان وصد فى مستهل حياتهم. هذه الاستجابات المرضية تتخذ صورة الانكماش عن العالم أو المعاندة والعدوان السافرين، ويعتقد كثير من أطباء النفس أن نمو الذات القادرة على القيام بوظائف التنسيق، يعتمد على ما تذاقه الأم فى نفس الطفل خلال الأشهر الأولى من صور ثابتة مطمئنة.

وترى "ريبل" Ribble أن الطفل الرضيع الذى لم تخصه أمه بقدر كاف من العناية والتدليل يظهر سورات من الغضب فى الأشهر الأولى من الحياة ، وإذا إستطال الحرمان أظهر الطفل اضطراباً بينا فى السلوك يستدعى عقاب الوالدين. وقد إتضح أن أمثال هذا الطفل يفقدون إحساسهم بالألم وبمواقف الخطر التى تثير الخوف فى الأطفال الأسوياء. وبتعبير أدق، كما تقول " أنا فرويد" فى المواقف التى لا تتوفر فيها عناية الأم لسبب ما، فانه لا يكتمل تحول اللبيدو النرجسى إلى لبيدو موضوعى، بل يبقى فى المستقبل ثمة ميل قوى لانسحاب اللبيدو من الموضوعات وارتداده الى الذات كلما أصبح عالم الموضوعات ممضاً. (*سول شيدلنجر*، ١٩٧٠، ٣٨، ٣٩).

ولهذا يؤكد " بولبى " Bowlby ١٩٥٣ على أن تكوين واستمرار تعلق قوى مع صورة ثابتة للأم ضرورى جداً للصحة العقلية، ويرى أن كثيراً من المشكلات السلوكية والشخصية تميل لأن تحدث فيما بعد فى حياة الطفل إذا لم يكن قد حقق اتصالاً مشبعاً مع الأم أثناء الطفولة المبكرة، أو أن الاتصال قد قطع من خلال الانفصال عن الأم والحرمان فيها. (*Bremner*، ١٩٨٨، ١٨٣). ونعنى هنا بالحرمان، الحرمان الكامل من الأم والذى نصادفه فى المؤسسات ودور الطفولة حيث تتعدد صور الأمومة، والتى لا ترتبط فيها أى صورة من الصور بالطفل برابطة حنان أوحب، بل تكون الرابطة مهنية فقط من جانب المشرفة، ولا يكون الطفل بالنسبة لها أكثر من مجرد "عهدة وظيفية" فقط إن جاز هذا التعبير.

وأوضح "بولبى" كذلك أن الحرمان من العلاقة مع الأم فى مراحل النمو المبكرة يؤدى الى عدم إنماء وتقدم القدرة على إقامة علاقة الحب مع الناس الآخرين. ويوضح أثر الحرمان من الأم

بأن الأطفال المودعين بالمؤسسات والمقيمين بالمستشفيات وفى الأوضاع الأخرى غير الشخصية لا يجدون الفرصة لإقامة علاقة مستمرة، وذات معنى وجدانى مع الأم - كما يظهرون أعراضاً مرضية متنوعة فى سنواتهم التالية .. ويرى أن العرض الأساسى لهذا الحرمان من الأم هو "انعدام العاطفة" affectionless أو التبلد، مشيراً به الى عدم القدرة على إقامة التواصل مع الآخرين، فالطفل يقيم فقط علاقات سطحية ضحلة جداً مع الآخرين، كما يصبح معرقلاً وعاجزاً عقلياً فى حياته نتيجة لافتقاده هذه الخبرة الحيوية مع الأم. (Dunkin ، ١٩٨١، ٢١٩) .

وفى سياق التناول للعوامل المؤثرة فى السلوك المشكل أو المضطرب نجد تأكيداً شديداً على تأثير الحرمان من الأم فى مطلع العمر . حيث يرى "بولبى" أن الانفصال المبكر والطويل للاطفال الصغار عن أمهاتهم كان سبباً أولياً لنمو سمة الجناح واستمرار سوء السلوك ، وقد استمد "بولبى" اقتناعه هذا من ملاحظاته للأطفال المودعين بالمؤسسات، وقد وجد فى دراسته الاكلينيكية لعدد (٤٤) لصاً، أن بعضهم تبدو لديه عدم القدرة على إقامة علاقات باقية دائمة، وهو ما يسمى "بانعدام المحبة السيكوباتي" Psychopath affectionless وقد أرتبط هذا العجز لديهم بتغيرات متعددة فى صورة الأم والمنزل فى طفولتهم المبكرة. (Hurlock ، ١٩٨٣، ٧٨٠)، (Charlton & Kenneth ، ١٩٨٩، ٢٤) . وكذلك قرر "بيرس" Peres فى دراسته لعينة من ٣٨ مراهقاً أودعوا بالمؤسسات ما بين عمر ٣ أسابيع، ٣ سنوات أن غالبيتهم قد تم تشخيصهم على أنهم ذهانيين ويعانون من اضطراب الخلق character disorder ، عصابيين ومتخلفين عقلياً. وكان السبب وراء ذلك هو إنقطاع الرابطة بين الأم والطفل فى عمر مبكر جداً. (Charlton & Kenneth ، ١٩٨٩، ٢٥) فالأم دائماً هى مصدر التنبيه الأول والاستثارة الأولى بالنسبة للطفل.

وقد انتهى "شبتز" Spitz ١٩٤٩ إلى أن انعدام التفاعل الاجتماعى والعاطفى بين الأم والطفل مسئول إلى حد كبير عن تأخر المهارات العقلية، كما انتهى الى أن انتظام ظهور الاستجابة الانفعالية، وكذلك تقدم النمو الجسمى والعقلى مرهون بحسن العلاقة بين الطفل وأمه - أما العلاقات غير السليمة بين الطفل وأمه، كتلك التى نجدها فى البيوت البديلة أو مؤسسات الإيداع فقد أدت إلى عدم إنتظام النمو وتقدمه فى النواحى الانفعالية وغيرها، وإلى ظهور استجابات غريبة مفاوقة للمألوف. فالقطيعة الطويلة فى العلاقة بين الطفل والأم فى السنوات الأولى تجعل الطفل يبدو منكمشاً منعزلاً عاطفياً يخفق فى ربط أواصر الصداقة مع غيره من الأطفال أو الكبار - كما أن الحرمان الطويل التام من الأم من شأنه أن يشكل الشخصية الجانحة للطفل المحروم من العطف والحب. (جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٢٠٧)

إن فقدان الأم والحرمان منها ينطوى على مخاطر شديدة على نواحى شخصية الطفل المختلفة – ففقدان الطفل لأمه فقداناً تامًا يجعل أمره يوكل إلى أقارب أودور رعاية يختلف فيها أسلوب رعاية الطفل عن أسلوب رعاية الأمهات لأطفالهن - حيث نجد أنه من النادر أن يمنح الطفل الاهتمام والمحبة التى يحصل عليها من أمه .. ليس ذلك فقط، بل أنه حتى الحرمان المؤقت، أو غياب الأم المؤقت قد يحرم الطفل إلى حد ما من مصدر دائم وثابت للرعاية – حيث نجد أن أطفال الأمهات العاملات يتلقون اهتماماً اقل ورعاية أقل من أطفال غير العاملات، وربما يرتبط هذا بجناح الأحداث، كما يرتبط بصعوبات فى العلاقات المدرسية وانخفاض مستوى التحصيل الدراسى ودرجات اختبارات الذكاء، وشعور منخفض بالحرية الشخصية، هذا بالإضافة إلى أن هذا الحرمان قد يحرم الطفل من عديد من المثيرات الذهنية والاجتماعية اللازمة لنموه. *(Hurlock* ، ١٩٨٣، ٥٠٨)، *(Hetherington & Park* ، ١٩٨٧، ٤٦٥) .

أما عن استجابة الطفل لحرمانه من الأم والانفصال عنها، فنجد أن الأطفال عند فقدهم للوالدين أو أحدهما يمرون بفترة من الحداد Mourning وهو بمثابة عملية نفسية تبدأ بالفقد لأحد الأفراد أو الموضوعات المحبوبة، والهدف منها هو التحلى عن الشخص المفقود، فالغرض منها هو مساعدة الأفراد الذين فى حالة الحداد Mourners على تقبل الحقيقة بأن شخصاً ما كانوا مرتبطين به قد رحل. *(Steinhauer* ، ١٩٨٣، ٧١) .

ولقد وصف " بولبى" Bowlbey ١٩٦٠ مراحل ثلاثة للحداد، أو أطوار ثلاثة يستجيب بها الطفل لحرمانه وانفصاله عن أمه، مرحلة الاحتجاج Protest stage ، مرحلة اليأس despair stage ومرحلة الانفصال detachment . *(Harris*، ١٩٨٦، ٢٨٩)، *(Ropalia & Wendkos*،١٩٧٩، ٢٠٤).

مرحلة الاحتجاج : ونجد أن الطفل في هذه المرحلة يبدى إضطرابات حادة وغالباً ما يبحث عن الأم، ويحاول استعادتها عن طريق الصراخ، أو بإلقاء نفسه على الأرض، أو المساومة، ويصبح سلوكه عاكساً لقلق الانفصال عن الأم Separation anxiaty ويتوقع باستمرار عودتها، ويسلك بأى طريقة تسبب عودة الغائب من وجهة نظره.

مرحلة اليأس : وبعد فترة يقود الاحتجاج إلى اليأس – فى حالة عدم عودة الأم – ويكون الطفل فاتر الهمة، غير مبالي، فى حالة سبات ومنسحباً ومنكمشاً، ويصبح هادئاً تماماً.. وغالباً ما يرى الراشدون ذلك على أنه دليل على أن الطفل قد فقد اهتمامه بالوالد المفقود، ولكن

الأمر ليس كذلك، ففقدان الأمل فى عودة الأم يجعل الطفل يتقبل الرعاية من الآخرين، ولكنه ليس مستعداً بعد لتقبل إعادة الاتصال الكامل مع بدلاء الوالدين، فهو لم يتقبل الموقف بعد بإيجابية.

مرحلة الانفصال : وفى هذه المرحلة يتقبل الأطفال الرعاية من الآخرين ويرغبون في تناول الطعام واللعب بالألعاب والابتسام ويكونون إجتماعيين، فالطفل يصبح أكثر نشاطا وإهتماماً بالبيئة .. ويتقبل الرعاية الجديدة ويبدى قليلا من الاعتراض - فهو يبدو على السطح وكأنه متكيف وعادى، إلا أنه فى الحقيقة فقد الاهتمام غالباً بأى شخص حوله، ولا يسر حتي ولو زارته أمه.

ويبدو أن نتيجة هذا الحرمان من الأم، أو اضطراب اتصال الطفل بها فى الطفولة، هو عدم القدرة على إقامة علاقات شخصية وثيقة وقوية فى الرشد، وتسير النتائج الى أبعد من ذلك، حيث وجد أن الأطفال الذين حرموا من أحد الوالدين أو كلاهما يبدون اكتئاباً أكثر. *(Harris ، ١٩٨٦، ٢٨٩) ، (Ropalia & Wendkos ، ١٩٧٩، ٢٠٤)، (Steinhauer ، ١٩٨٣، ٧٢، ٧٣)*
وهذا الاكتئاب يطلق عليه "شبتز" Spitz "الاكتئاب الكفلى Anaclytic depression حيث يستجيب الطفل المحروم من العلاقة الجيدة مع الأم بأعراض مماثلة لاكتئاب الراشدين. *(Marion ، ١٩٦٩، ٢٢٥-٢٣٢)*، وهو ما أوضحته كذلك " أنا فرويد" A. Freud فى عرضها لمسارات النمو والمتعلقة بمراحل تطور العلاقة بالموضوع - فترى أن الانفصال والحرمان من الأم فى المرحلة الثانية (مرحلة العلاقة بموضوع الحاجة) يقود إلى هذا الاكتئاب بأنه حالة من الهبوط والحزن وتحويل الاهتمام من الخارج إلى الداخل - ويأخذ التعبير عن هذا الاكتئاب لدي الأطفال صورة فقدان الشهية وهبوط فى الحركة وقئ وإمساك، وفقدان الرغبة فى التعامل مع الآخرين، وبكاء وحزن مستمر، وهذا ما أطلقت عليه "كلاين" Klein الموقف الاكتئابى *(محمد شعلان، ج ٢ ١٩٧٧، ٧٧، ٧٩)* .

كما يشير تراث التحليل النفسى الخاص بالعلاقة بالموضوع إلى أن اضطراب العلاقة بالأم يؤدى إلى اهتزاز العلاقة بالواقع، مما يؤدى بالطفل إلى الذهان في الطفولة، والذى تطلق عليه "مارجريت ماهلر Mahler "الذهان" الذاتوي autistic psychosis وينتج من افتقاد الطفل للعلاقة الأولية المشبعة مع الأم وفقدان الطفل القدرة على حب الأم نظراً لصورتها غير المشبعة لدية، مما يجعل الطفل ينشأ ويقيم العلاقة مع الأشياء الجامدة، حيث إنه يلغى الإنسان الذى يمثل له فقدان الحب، ومن الممكن أن تؤدى هذه الحالة الى موت الطفل لارتداد الدوافع

العدوانية نحو ذاته، فهو لم يجد المعاملة الأموية التى تحيد تلك الدوافع وتجعل السيطرة لغرائز الحياة. (Winnicott ، ١٩٦٨، ٢٨٥- ٢٩٥) فالأطفال المحرومون من الأم يظهرون اضطرابات عنيفة فى علاقاتهم بالموضوع وخاصة العلاقة بالكبار وذلك بداية من الرفض العدائى لهم الى الانسحاب الذاتوي، وهكذا يصل الحرمان الأموى بالطفل الى حد اضطراب شخصيته واضطراب تكوين الأنا الأعلى أو الضمير لديه، حيث أن الام هى المكونة الأولى للذات الشعورية للطفل، وفى حالة الانفصال عنها تضطرب هذه الصورة الذاتية مما ينعكس على تكوين شخصية الطفل بالاضطراب. (مصطفى فهمى ، ١٩٦٣، ٦٧) ، (Alpert ، ١٩٧٥، ١٧٠) .

هذا وقد يمتد خطر الحرمان من الأم على الهوية الجنسية والسلوك العاطفى للطفل فيما بعد - فالطفل الذكر قد يفسر هذا الغياب الأموى على أنه عدم حب من جانب الأم وإهمال لشأنه، الأمر الذى يجعله ينكص ويتمسك بأنماط سلوكية طفلية باحثاً عن الحب والاهتمام الذى فقده لدى الآخرين، أو يكبت خبرة الحرمان هذه بداخله مما يجعله متعثراً فى حياته وعلاقاته النسائية فيما بعد، حيث يتجنب إقامة أى علاقة بالنساء، فهن يصبحن لديه رمزاً لفقدان الحب، وبالنسبة للبنت نجد أن هذه الخبرة تحرمها من التوحد بالدور الأنثوى الذي يعد بمثابة عامل هام فى ترسيخ الهوية الجنسية لديها على أساس سليم.

(٢) دور الاب فى حياة الطفل والحرمان منه

دور الأب فى حياة الطفل :

رأينا فى العرض السابق كيف أن الأم تلعب الدور الأولى والهام فى عملية التنشئة الاجتماعية، فالمسئولية ابتداء تقع على عاتق الأم خاصة فى شهور وسنى الطفل الأولى .. وقد أدت هذه الأهمية لدور الأم بالبعض إلى النظر الى دور الأب - باعتباره ثانوياً - نظره يشوبها القصور والنقص، ومن ثم فقد أدت هذه النظرة القاصرة إلى دور الأب إلى تنوع بحثى واسع سواء على المستوى العالمى أو المستوى المحلى لدور الأم، وإلى إهتمام قليل إلى حد ما بدور الأب، وإن كان قد حدث بعض الاهتمام الحديث بهذا الدور

وكما يشير "يارو" Yarrow ١٩٦٤ إنه لعلى النقيض للإنتاج الوفير عن أهمية علاقة الأم بالطفل الرضيع والطفل الصغير فإنه يوجد نسبياً قليلا من الأبحاث على أهمية دور الأب على نمو الطفل وأنحصرت النظره فى أن غياب الأب وخاصة خلال السنوات الأولي له وقع عبر

مباشر على الطفل، بمعنى أن تأثير غياب الأب فى هذه السنوات يتركز حول مشاعر الأم تجاه غياب الأب، وحول دوره الاقتصادى المدعم لدور الأم فى ممارستها لوظيفة الأمومة. *(عادل عز الدين، ١٩٧٨، ٢١٩)* ، *(Yarrow ، ١٩٦٤، ١١٧– ١٢٠)*.

ولكن رغم ذلك نجد أن هناك أهمية بالغة لدور الأب فى حياة الطفل، فيؤكد "الكيند" Elkind ١٩٧٨ على هذا الدور بأن الأب ربما يأخذ العديد من المسئوليات فى رعاية الرضيع، لذا فإن الأطفال الصغار غالباً ما يرتبطون بأبيهم مثل ارتباطهم بأمهم – هذا ويشير كل من "لين وكروس" Lynn & Cross إلى أن الشخص المفضل لدى الأطفال الذكور والأناث فى سن الثانية الى الرابعة هو الأب، حيث يفضل هؤلاء الأطفال اللعب معه، وبسؤال الأطفال فى سن الخامسة الى العاشرة عن الشخصية التى يعجبون بها، فأجمعوا على الإعجاب بشخص الأب. هذا ويشير "بيلر" Biller إلى أن الأب يلعب دوراً هاماً فى نمو الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة، حيث وجد أن الأطفال فى هذه الفترة الذين لديهم أب يقظ منتبه يميلون الى تكوين مفهوم ايجابى للذات، وشعور بالرضى عن صورة الذات. ويعملون فى المواقف المستقبلية بنشاط وإنجاز أكبر من الأطفال الذين يعيشون مع الأم فقط. *(Elkind ، ١٩٧٨، ٢٦٣، ٢٦٤)*.

كذلك نجد أن الأب يلعب دوراً هاماً فى إمداد الطفل بمعلوماته الأولى عن الجنس الآخر، وبينما لا يعد ذلك ضرورياً لحفظ الحياة كما فى علاقة تعلق الطفل بالأم، إلا أنه يعد ضروريا للنمو السوى، وخاصة فى جانب العلاقات الإنسانية. فقد أوضحت دراسة تاريخ حياة الأفراد الذين يعانون صعوبة فى الارتباط بالجنس الآخر – مثلى الجنسية Homosexuals ومزدوجى الجنسية bi- sexuals – أوضحت أن غياب الصور الأبوية القوية فى مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة هو نمط متكرر الحدوث. فالأطفال فى حاجة إلى مثال لكل من الرجل والمرأة إذا ما أريد لهم أن ينمو بشكل متوافق فى الرشد – فالبنت تصوغ شخصيتها أو تنمذج نفسها على أمها، ولكنها تتعلم أن تفهم وتحب الرجال من خلال علاقتها بأبيها، فمن الواضح أن علاقتها بأبيها تساعدها فى حياة الرشد على اختيار زوجها، وبنفس الطريقة فإن الولد يجعل أمه، من خلال العلاقة بالأب هى الأنثى النموذجية. *(Rayner ، ١٩٨٣، ١٩١– ١٩٣)*.

كذلك نجد العديد من الأدلة على أهمية دور الأب فيما يتعلق بالنمو النفسى الجنسى للطفل، وخاصة فى نمو هوية الدور الجنسى الملائم appropriate sex role identity . *(Yarrow ، ١٩٦٤ ١١٨)*. حيث إن التوحد مع الوالد من نفس الجنس يلعب دوراً هاماً فى التنميط

الجنسى Sex- typing (Harris ، ١٩٨٦، ٤٠٨) حيث نجد أن الطفل فى مرحلة الصراع الأوديبى ونتائجه من الضرورى له أن يتوفر له والدان أثناء هذه الفترة حتى يمكن أن يحل الموقف بشكل ناجح.. فالإنجاز الناجح للأزمة الأوديبية والتوحد التام بالوالد من نفس الجنس يعد أمراً ضرورياً لنمو السلوك الملائم للدور الجنسى. (Bee ، ١٩٨٤، ٢٣١، ٢٣٢) فالأطفال فى سن مبكرة يبدءون فى الوقت نفسه فى إدراك العلاقات بين الجنسين وتمييزها، والأب لا يسهم فقط فى بلورة الدور الجنسى للطفل الذكر، بل يسهم أيضا فى شعور بناته بأدوارهن الجنسية، فهو يساعدهن على نمو مفهوم الذات الأنثوى الإيجابى. (Antoinetti ، ١٩٧٩، ١٥). *(فوزية دياب، ب.ت، ١٣٠).*

كذلك يلعب الأب دوراً هاماً فى تكوين الذات العليا أو الضمير للطفل بناءاً على درجة استدماجه لشخصية الأب وتوحده به .. وهنا نشير الى أن الذات العليا هى منتج من المنتجات الرئيسية لعملية التوحد.. فالطفل يسعى جاهداً ليجعل نفسه شبيهاً بوالده قدر الاستطاعة، وينظر الي سلوك الوالدين الخلقى ومحرماتهما نفس النظرة التى ينظر بها الى سائر سلوك الوالدين، فمن خلال عملية التوحد بالوالد، يكتسب الطفل ويتمثل فى نفسه اتجاهات إدانة كل من يخالف ذلك، ومن ثم يصبح الاقتداء بسلوك الأب شعورياً أو لا شعورياً عوناً كبيراً للطفل على التكيف مع المجتمع والتوافق مع الواقع الاجتماعى الذى يتمثل فى شخصية الأب – وهكذا فإن وجود الصورة الأبوية القوية ضروريا للنمو الاجتماعى السعيد للطفل، ولا يمكن لهذه الصورة أن تعوضها أى مجهودات إضافية تعويضية من جانب الأم – فكما يقول "Rayner" ١٩٨٣ أنه ليس هناك امرأة فى العالم يمكن أن تكون لأطفالها بمثابة الأم والأب معاً. *(جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٣٥٠ ، ٣٥١)، (أوجست ايكهورن، ب.ت، ١٣٦)، (رمزية الغريب، ب.ت، ٨٧)، (Rayner ، ١٩٨٣، ١٩٣).*

الحرمان من الأب وتأثيره على الطفل :

إذا كانت تلك هى أهم ملامح دور الأب في حياة الطفل ذكراً كان أم أنثى، فإننا نسارع بالقول بأن الحرمان من الأب لا يقل فى آثاره المدمرة عن خطر الحرمان من الأم على النمو النفسى للطفل وعلى توجيه سلوكه وتحديد دوره الجنسى. حيث يعتبر غياب الأب عن أبنائه فترة طويلة وسيلة هامة من وسائل عدم تحديد مكونات الشخصية للطفل وتدريبه على اتخاذ دوره فى المجتمع من خلال حرمانه من انتقال خبرات الأب إليه *(مختار حمزة، ١٩٨٢، ٣٤٧ – ٣٤٩).*

ونود أن نشير هنا إلى أن الدراسات المتعلقة بتأثير الحرمان والانفصال عن الأب تأتى من نوعين من الدراسات، الدراسات التى تتعلق بغياب الأب بشكل مؤقت مثل السفر للخارج أو الاشتغال بالعمل العسكرى (الجيش)، والدراسات المتعلقة بغياب الأب الدائم بسبب طلاق الوالدين أو الوفاة. وجميع هذه الدراسات تجمع على أن غياب الأب خلال فترة الطفولة المبكرة قد يؤدى إلى صعوبات عديدة لدى الطفل وفى مقدمتها صعوبة نمو هوية جنسية ملائمة، حيث هناك العديد من الأدلة على تأثير غياب الأب على نمو التوحد بالدور الجنسى Sex-role identification أثناء مرحلة ما قبل المدرسة والطفولة الوسطى. (*Yarrow* ، ١٩٦٤، ١١٧، ١١٨).

ولقد كان من الشائع أن فقدان الأب أكثر تأثيراً على الابن عنه على البنت، بيد أنه بات من الواضح الآن أن غياب الأب له تأثيرات شديدة على تكوين الهوية الجنسية الآمنة Secure sex identity لكل من البنات والبنين على السواء. (*Carson et al* ، ١٩٨٨، ١٢٤). فنجد فى تراث التحليل النفسى تأكيداً على خطورة غياب الأب والحرمان منه على الطفل، حيث يكون هناك نقصاً فى موضوع التوحد الملائم appropriate identification object فى الطفولة المبكرة، وتنشأ الخطورة هنا فى صورة "انقلاب جنسى" Sexual inversion لدى الأولاد. (*Yarrow*، ١٩٦٤، ١١٨). كما وجد "هيثرينجتون" Heatherington ١٩٧٨ أن تأثير غياب الأب على البنات يظهر فى أثناء المراهقة، فيظهرن أنفسهن كعاجزات عن التفاعل بشكل ملائم مع الذكور. (*Carson et al* ، ١٩٨٨، ١٢٤).

وعن تأثير غياب الأب على الذكور نجد أن ذلك يعمل على تدمير النمط الجنسى أو الهوية الجنسية للأولاد، وخاصة إذا حدث الانفصال قبل سن الخامسة، حيث نجد أن الأولاد يكونون أقل عدوانية وأكثر اعتمادية، كما أنهم أكثر امتلاكاً لمفاهيم الذات الأنثوية، ويبدون أنماطاً من اللعب والتفاعل الاجتماعى أكثر أنثوية (مثل تزايد العدوان اللفظى وانخفاض العدوان البدنى) وذلك على عكس الأطفال الذين لم يمروا بخبرات الانفصال المبكرة عن آبائهم. (*Harris*، ١٩٨٦، ٤٠٨).

كذلك نجد، وعلى عكس ما هو متوقع، لدى بعض الأولاد أنهم أحياناً ما يبدون صلابة أو قسوة مبالغ فيها وعدوانية وعنف، كما أنهم أكثر ميلا من الأولاد الآخرين للانغماس فى الأنشطة الجانحة. (*Mussen et al* ، ١٩٨١، ٢٤٤). ويوضح "الكيند" Elkind ١٩٧٨ ذلك بقوله: "أن الأطفال المحرومين من الأب سريعى التأثر والحساسية والتردد والالتباس في تحديد

أدوارهم الجنسية، حيث يظهر الأطفال الذكور فى مرحلة ما قبل المدرسة بعض الأساليب الأنثوية، وفى مرحلة الطفولة المتأخرة يتخذون أساليب ذكرية مبالغ فيها من عدوان وقسوة زائدة على الأطفال الأصغر منهم - ويعلل ذلك بأنه محاولة من جانب هؤلاء الذكور لتغطية الإحساس بالأنوثة والبحث عن الإحساس بالذكورة. *(Elkind ، ١٩٧٨، ٢٦٥)* .

وكذلك نجد فيما يتعلق بتأثير غياب الأب على البنات، فإن من المحتمل أن توحدهن بأمهاتهن أكثر قوه، وأن ذلك يحميهن إلى حد ما، بيد أنهن يبدين فيما بعد مشكلات ومصاعب تفاعليه مع الذكور فى المراهقة. *(Mussen et al ، ١٩٨١، ٢٤٥)*، *(Carson et al، ١٩٨٨، ١٢٤)*. فبنات الأرامل اللائى لم تتزوج أمهاتهن مرة أخرى، يملن لأن يكن قلقات بصحبة الذكور وأكثر خجلاً وانسحاباً، ويملن لعقد صداقات مع الجنس الآخر متأخراً، ويكن مكفوفات جنسياً. *(Mussen et al ، ١٩٨١، ٢٤٥)*، *(Carson et al ، ١٩٨٨، ١٢٤)*. بل قد نجد أن غياب الأب قد يزيد من ارتباط البنت الانفعالى بأمها ومن ثم تصبح حياتها الجنسية فى الرشد جنسية مثلية، وغالباً ما يفشلن فى نمو الإحساس بمعنى الأنوثة، كما يشعرن بعدم الأمان لدورهن الأنثوى، هذا إلى جانب أنه قد تنقطع العلاقات بالجنس الآخر، وهو ما أوضحه " كلاير" Claire ١٩٨٣ من قبل فى دراسته لحياة الأفراد مثلى الجنسية ومزدوجى الجنسية. *(Heatherington & Park ١٩٧٩، ٥٩٧)*، *(Rayner ، ١٩٨٣، ١٩١، ١٩٢)*، *(انجلش سيرجيون وآخر، ١٩٨٠، ١٠٥-١١٥)*.

هذا الى جانب أن غياب الأب يثير ضغوطاً شديدة إضافية تنشأ من الحياة مع الوالد من الجنس المخالف ومن الاختلافات فى الممارسات التأديبية، ومن توقعات الأطفال المتنوعة لسلوك والديهم. *(Santrock، ١٩٨٨، ٤٠٠)*، كما أن الأطفال الذين يعيشون مع الوالد من الجنس المخالف يبدون توافقاً اجتماعياً أفقر من الذين يعشون مع الوالد من نفس الجنس، ولعل ذلك يفسر لنا كيف أن الطلاق - كخبرة حرمان وانفصال - يقود الى مشكلات توافقية خطيرة للأولاد. *(Harris ، ١٩٨٦، ٤١٥)*. وتشير كذلك البحوث أن الأطفال فى الأسر الأموية يميلون لأن ينخفضوا في الأداء الأكاديمي، وخاصة فى الرياضيات، وقد يرجع ذلك إلى أن الآباء متغيبون، ليس فيزيقياً فقط، ولكن قد يكون الآباء غير متاحين لأطفالهم لانشغالهم الدائم أو لعدم إهتمامُهم ونقص أندماجهم مع الطفل، وفيها يعانى الاطفال كذلك من النقص فى التحصيل الدراسى، وذلك نظراً لأنهم يتلقون رعاية أقل واهتماماً وانتباهاً أقل من الأطفال الذين يعيشون فى أسر سليمة التكوين كذلك نجد أن الذكور أشد تأثراً بغياب الأب فى تحصيلهم الدراسي وخاصة الرياضيات ودلك نظراً لغياب صورة التوحد القادرة على مده بنموذج يحتذى

به فى تحصيله الدراسي الرياضى، وهذا ما توصل إليه "بيدرسون" Pedrson ١٩٧٩ من أن غياب الآباء فى الطفولة المبكرة يمكن أن يؤثر على القدرة العقلية والقدرة على التفاعل الاجتماعى للذكور. (Harris ، ١٩٨٦، ٤٠٧، ٤٠٨)، (Heatherington & Park ، ١٩٧٩، ٤٠٦)، (Pedrson ١٩٧٩، ٥١ – ٦١).

هذا إلى جانب أن غياب الأب قد يؤثر على سلوك الأمهات تجاه أبنائهن، الأمر الذى ينعكس على هؤلاء الأبناء بصورة سلبية، فلقد وجد "هيثرينجتون" Heatherington وزملائه ١٩٧٩ فى دراستهم للأسر المطلقة أن سلوك الأمهات تجاه الأولاد كان أكثر نقداً وأقل إيجابية من سلوكهن تجاه بناتهن. (Bee ، ١٩٨٤، ٢٢٣) ولعل ذلك يرجع الى أن الأمهات المطلقات ينظرن الى الأولاد على أنهن مثل الزوج المطلق المرفوض، هذا إلى جانب محاولة الأم تشويه صورة الوالد الآخر – كمحاولة للأنتقام – الأمر الذى يضع الطفل بين صورتين متناقضتين للأب، وهذا الأمر هو ما يفسر التأثر والتردد والحساسية والالتباس الذى يعانيه الطفل المحروم من أبيه وخاصة بالطلاق.

هذا وتشير العديد من الدراسات التى تناولت الجانحين، أن هناك أرتباطاً بين نمو السلوك المضاد للمجتمع، وغياب الضمير نظراً لغياب سلطة الأب والتأثير السلبى لذلك على نمو الخصائص الأخلاقية للأطفال وغياب نموذج التوحد الذكري الكفء أثناء الطفولة. (Yarrow ، ١٩٦٤، ١٢٠)، (سعد المغربي، ١٩٦٠، ١٠١– ١٠٥)، (Hoffman ، ١٩٧١، ٤٠٠– ٤٠٦).

وهكذا نرى أن التنشئة السوية تقتضي معايشة الطفل لوسط أسرى سليم التكوين تتوفر فيه الوالدية بقطبيها – الأم والأب – معاً، توفراً نفسياً، وبيولوجياً مشبعاً مانحاً للحب والعطف الذي يعد بمثابة الزاد للطفل لكى ينشأ سوياً مع نفسه ومجتمعه، مكتسباً لأساليب وطرائق الدور الاجتماعى الذى عليه أن يؤديه فى مستقبل حياته ذكراً كان أم أنثى – أما أن يحرم الطفل من والديه، فهو بمثابة التصدع فى شخصيته والإطاحة بأمنه النفسى، الأمر الذى يجعله "مسخاً اجتماعياً" – إن جاز التعبير – لا هوية له ولا شخصية مميزة، طفل قد اختلت فكرته عن ذاته ومفهومه عن هذه الذات فأختل معها سلوكه، فتفاقمت نزعاته العدوانية التدميرية ضد نفسه وضد مجتمعه.

محاولة تصنيفية للحرمان :

من الممكن أن نقوم الآن بمحاولة لتصنيف الحرمان من خلال استقراء التراث وذلك على النحو التالي :

أ - أنواع الحرمان من حيث درجته وتتضمن :

١ - حرمان جزئى

٢ - حرمان كلى.

ب - أنواع الحرمان من حيث أسبابه وتتضمن :

١ - حرمان بسبب موت الوالدين أو أحدهما.

٢ - حرمان بسبب انفصال الطفل عن والديه أو أحدهما نتيجة لطلاق الوالدين.

٣ - حرمان من الأم نتيجة تغيبها في الخارج للعمل فترات طويلة.

٤ - حرمان من الأب بسبب تغيبه بالسفر للخارج أو السجن... الخ.

٥ - حرمان بسبب الإيداع بالمستشفيات فترات طويلة.

٦ - حرمان ناتج عن نبذ الطفل وإهماله وانتهاكه رغم وجود الوالدين.

تلك هى العوامل الشائعة فى التراث والمرتبطة بحرمان الطفل، بيد أننا نستطيع ان نضيف بعض العوامل الأخرى التى لا يمكن إغفالها مثل الحرمان الاقتصادى والاجتماعى، حيث يؤثر انخفاض المستوى الاجتماعى الاقتصادى بدرجة كبيرة فى سد حاجات الأطفال الأوليه والاجتماعية، ومن ثم فإن انخفاض حالة المعيشة فى الأسرة إلى أقل من حد معين قد يؤثر على مستوى ومدى الخبرات التى يتعرض لها الطفل. فانخفاض دخل الأسرة وكثرة عدد الأولاد فى المنزل وانخفاض معدل التغذية والنظافة وأزدياد التعرض للأمراض، وكثرة المشاكل المادية والضغط الاقتصادي قد تكون عوامل سلبية التأثير على النمو السوى النفسى والعقلى والنضج الاجتماعى للطفل *(فاروق صادق، ١٩٨٢، ١٣١، ١٣٢)*.

ويجدر بنا أن نؤكد هنا أن هذا التصنيف مفتعل مقصده سهولة الفهم والتناول فقط، حيث إننا نجد أن كل من الحرمان الجزئى والكلى يتضمن أسبابه التى أدت إليه، ولهذا فاننا سوف نتناول أنواع الحرمان من حيث درجته وسنعرض أثناء هذا التناول لتلك الأسباب.

أنواع الحرمـــــان :

قبل أن نتناول أنواع الحرمان يجب أن نشير هنا إلى إنه فى كثير من التراث النظرى فإن الحرمان من الأم أو الوالدين يستخدم كمرادف للانفصال عنهما (*Yarrow*،١٩٦٤، ١٩٨٩، ٨٩). ويقسم العلماء الحرمان إلى أنواع مختلفة

فنجد " بولبى " Bowlby ١٩٨٠ يقسم الحرمان إلى -

أ - **حرمان جزئى** : وهو الذى نجده إذا ما كان الطفل يعيش فى منزله، ولا تستطع الأم الحقيقة أو البديلة منحه المحبة والعناية التى يحتاجها أو إذا كان الطفل بعيداً عن رعاية أمه لأى سبب من الأسباب، ويعد هذا الحرمان بسيطاً إذا وجد الطفل رعاية من شخص درج على الاتصال به والثقة فيه.

ب - **حرمان كلى تام** : وهو الذي نجده مألوفاً فى المؤسسات أو دور الحضانة الداخلية أو المصحات، حيث لا يجد الطفل عادة فرداً واحداً مخصصاً لرعايته بطريقة شخصية يشعر معه بالأمن والطمأنينة، ويشمل ذلك فقد الأم أو البديلة بسبب الموت أو المرض أو الهجرة أو الانفصال، وكذلك نقل الطفل من الأم أو البديلة الدائمة لها إلى أشخاص غرباء عنه بحكم قضائى أو بواسطة الهيئات الطبية والإجتماعية (*جون بولبى* ، ١٩٨٠، ٩).

ونجد أن هذا التقسيم الذى أخذ به "بولبى" يتفق إلى حد كبير مع التقسيم الذى تأخذ به "أنثورث" Ainsworth ١٩٧٩ فى معرض حديثها عن الحرمان، حيث تشير إلى عدة حالات مختلفة من الحرمان :-

أ - الحرمان الذى نجده عندما يعيش الرضيع أو الطفل الصغير مع أمه أو أم بديلة، ولكنه يتلقى رعاية غير كافية، وقصور فى التفاعل والتبادل الوجدانى بينهما

ب - الحرمان الذى يحدث عندما يعيش الطفل الصغير فى مؤسسة أو مستشفى حيث لا توجد أم بديلة وحيث يتلقى رعاية أموية غير كافية، وينتج عن ذلك نقص الفرص الملائمة للتفاعل مع صورة الأم.

ولعل هذه الحالات تشير وتتفق مع ما يسميه "بولبى" بالحرمان الجزئى والحرمان الكلى التام، غير أن "أنثورث" تضيف نمطاً آخر وهو :

جـ - الحرمان الذى يحدث عندما لا يستطع الطفل التفاعل مع صورة الأم، على الرغم من حقيقة أن هناك صورة للأم على استعداد لإعطاء الرعاية الكافية ، غير أن عدم القدرة على التفاعل يعد محصلة وعاقبة للانقطاع المتكرر للروابط مع صورة الأم أو خبرات الحرمان والانفصال السابقة (*Ainsworth* ١٩٧٩ ، ٩٧. نقلاً عن *ايمان القماح*، ١٩٨٣ ، ١٤)

وهذا البعد الثالث الذى أضافته " أنثورث" يؤكد على دور الانفصال المتكرر وخبرات الحرمان السابقة على حدوث الحرمان الكلى للطفل، مما يجعله قاصراً على التفاعل مع صورة الأم الموجودة فعلاً

ويقودنا هذا إلى التصنيف الذى تراه "هاريس" Harris ١٩٨٦ حيث تضع هذا التكرار لخبرات الانفصال موضع الإعتبار، ونجد له وجوداً فى تقسيمها لأنواع الحرمان والانفصال على النحو التالى :-

أ - **الانفصال قصير المدى المتكرر**: مثل خروج الأم لميدان العمل وترك الطفل عدة ساعات يومياً مع شخص آخر يقوم على رعايته والعناية به، غير أنه لا يرتبط بالطفل عاطفياً.

ب - **الانفصال قصير المدى غير المتكرر** : مثل الإيداع بالمستشفيات، حيث يتلقى الطفل رعاية بالمستشفى لمدة قصيرة أو يوضع مع راشدين يقومون على رعايته غير مألوفين له عدة أيام أو أسابيع قليلة.

جـ- **الانفصال طويل المدى المؤقت** : مثل انفصال الطفل عن أمه أو والديه لأسابيع أو شهور عديدة لأسباب مختلفة، وترك الطفل مع أشخاص آخرين، أو فى رعاية بديلة - وكما يرى "بولبى" Bowlloy ١٩٧٣ أن استجابات الأطفال لهذا الانفصال تقع فى ثلاث أطوار، الاحتجاج، اليأس، الانفصال - وقد سبق مناقشتها- وهذا النوع من خبرة الحرمان والانفصال - وخاصة فيما بين ٨ شهور، ٣ سنوات من العمر، يترك آثاره على شخصية الطفل فى الرشد إذا تكرر حدوثه.

د - **الانفصال الدائم (الموت والفقد)** : حيث يفقد الطفل والديه تماماً وبصفة دائمة ومستمرة لموتهما أو لفقدهما نهائياً. وهنا نجد أن الطفل يستجيب للغياب المستمر للشخص الذى كان يرعاه بالحنين اليه، ورفض متابعة الآخرين الذين حلوا محل الوالدين فى رعايته . (*Harris*، ١٩٨٦، ٢٨٧- ٢٩٠).

أما تقسيم "يارو" Yarrow ١٩٦٤ للحرمان فإنه أكثر تفصيلاً وشمولاً، فهو يقسم الحرمان والانفصال إلى عدة أنواع مختلفة

أ - **انفصال قصير المدى غير متكرر، ويتبعه اتصال بالوالدين ويشمل :**

(١) انفصال تام بدون أن تصاحبه ضغوط خارجية، مثلما يحدث عند ذهاب الوالدين فى رحلة مثلا ويتركون الطفل مع شخص مألوف يرعاه فى بيئة مألوفة.

(٢) انفصال تام تصاحبه ضغوط خارجية، مثلما يحدث عندما يدخل الطفل المستشفى لفترة قصيرة، أو يدخل أحد والديه المستشفى.

(٣) انفصال جزئى بدون أن تصاحبه ضغوط خارجية، مثلما يحدث عند الإيداع بالمستشفى مع الإبقاء والاحتفاظ بالاتصال مع الوالدين.

ب – انفصال قصير المدى متكرر مع الاتصال بالوالدين، ونميز فيه أربعة أنماط:

(١) انفصال تام متكرر لا تصاحبه ضغوط خارجية.

(٢) انفصال تام متكرر تصاحبه ضغوط خارجية.

(٣) انفصال جزئى متكرر لا تصاحبه ضغوط خارجية.

(٤) انفصال جزئى متكرر تصاحبه ضغوط خارجية.

وهذه الأنواع الأخيرة تتضمن نفس النوع من الخبرات الموجودة فى (أ)، بيد أنها تختلف فقط فى عنصر التكرار، ونستطيع أن نفترض إما زيادة الحساسية مع الخبرات المتراكمة، أو سلب الحساسية مع تكرار خبرات الانفصال غير الصادمة.

جـ- الانفصال طويل المدي غير المتكرر :

وهذا النمط من خبرة الانفصال يختلف عن النوعين السابقين فى كونه طويل المدي نسبياً – إنه عادة مرتبط بمصاحبة ضغوط من مصادر أخرى، مثل الإيداع بالمستشفيات للمرض المزمن، الأزمات العائلية الخطيرة أو لضرورة قومية مثل الانفصال وقت الحرب – وهنا يكون الاتصال مع الوالدين محتملاً أو غير محتمل.

د – الانفصال طويل المدى المتكرر :

وهذا النمط من خبرة الانفصال يحدث للأطفال فى الأسر التى تواجه أزمات مستمرة، وهو نمط من الخبرة مرتبط بإيداع الطفل أحد الهيئات الاجتماعية التى يوضع فيها مؤقتاً، مثل إيداع الطفل بأحد البيوت البديلة أو فى موسسة، ولكنه يبقى على شئ من الاتصال بأسرته، وتميل خبرات الانفصال المتكررة لصادمة أن تكون مرتبطة بزيادة الحساسية للانفصال (وهذا ما يفرق بين هذا النوع والنوع السابق الذى تسلب فيه الحساسية).

هـ- الانفصال الدائم غير المتكرر :

وينتج هذا النمط من الانفصال عادة عن موت أو عجز دائم للوالدين عقلياً وجسدياً، أو لعدم قدرة الوالدين على أمداد الطفل بالرعاية الكافية – وهنا يوضع الطفل بصفة دائمة فى بيت بديل أو أحد بيوت التبنى.

و – الانفصال الدائم المتكرر :

وهو أشد أنواع خبرة الانفصال خطورة، حيث نجد أن الطفل بعد أنفصاله الدائم عن الوالدين، فإنه قد يوضع فى مؤسسة أو منزل بديل، وهو عادة لا يمكث فى منزل واحد لمدة طويلة كافية لينمى تعلق أو اتصال بديل، ولكنه يخبر سلسلة من التغيرات فى المنازل البديلة أو المؤسسات.

وغالبية النتائج والآثار شديدة الخطورة والمدمرة للانفصال الأموى قد استمدت من هذا النمط من موقف الانفصال المتضمن تكرار خبرات الانفصال مع تغير متكرر فى الأمهات. فصدمة الانفصال الأولى عن الأم تعزز بخبرات انفصال متكررة، وغالباً ما تتضمن الخبرات التالية الحرمان والأنواع الأخرى من الصدمات. *(Yarrow*، ١٩٦٤، ٩١-٩٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأنواع والحالات المختلفة للحرمان لا تمثل عوامل متساوية التأثير على نواحى شخصية الطفل المختلفة، بل أن هذا يتوقف بطبيعة الحال على عديد من العوامل والظروف المحيطة بالحرمان والانفصال تسهم بشكل أو بآخر فى مدي تأثر الطفل بالحرمان من رعاية والديه أو أحدهما، وكذلك فى مدى إدراكه واستجابته لهذه الخبرة المؤلمة .. وهذه العوامل والظروف لا تمارس تأثيرها بمعزل عن بعضها البعض، بل هى عوامل متشابكة متفاعلة تعمل معاً. وسبيلنا الآن هو عرض هذه العوامل المؤثرة، زيادة أو تقليلاً فى الحرمان واستجابة الطفل له.

العوامل المؤثرة فى الحرمان واستجابة الطفل له :

هناك – كما قلنا – عدة عوامل مؤثرة فى الحرمان، وهى عوامل متشابكة متضامنة معاً، ولذا فإنه من شأنها أن تزيد أو تنقص من الآثار الضارة والمدمرة الناجمة عن الحرمان وهذه العوامل هى :

١ - عمر الطفل وقت حدوث الحرمان :

وهذا العامل من الأهمية بمكان، ولذا فإننا سوف نعرض له بشئ من التفصيل - حيث تشير البيانات من مصادر مختلفة عديدة أن عمر الطفل وقت الحرمان أو تصدع العلاقة مع الوالدين أو أحدهما قد تكون شديدة الدلالة فى علاقتها بالآثار المباشرة وفى الآثار التالية لنمو الشخصية.

إن رد الفعل تجاه الحرمان المؤقت أو الدائم قد يكون أقل حدة فى عمر مبكر جداً، قبل تأسيس وإقامة علاقة ورابطة ثابتة مع صورة الأم، مما يحدث فيما بعد أن تكون قد تشكلت العلاقة، وإذا ما أتبع الانفصال بتوفير رعاية عاجلة من صورة أموية كافية، فقد لا يكون هناك تأثير خطير سواء مباشر أو طويل المدى. أما إذا أتبع الانفصال بحرمان شديد مستمر لفترة طويلة ، فإن الأطفال، حتى أولئك الذين فى عمر مبكر، قد يتأثرون بشكل خطير.

إن الفترة الأكثر حساسية قد تكون الفترة التى فى أثنائها يكون الطفل فى عملية إقامة علاقات وجدانية ثابتة، ما بين ستة شهور وسنتين تقريباً، وأى تصدع فى العلاقة مع صورة الأم أثناء هذه الفترة قد يكون صدمى بشكل كبير. وإذا ما حدث الحرمان قبل أن تؤسس العلاقات وإذا لم تهيأ للطفل أبداً فرصة لأن يخبر علاقات شخصية حميمة أثناء هذه الفترة الحرجة، فإنه قد يكون عاجزاً بشكل دائم عن القدرة على إقامة أى علاقات، حيث توضح العديد من الدراسات أن كثيراً من الحالات الاكلينيكية ذات اضطرابات الخلق، أن عديد من هؤلاء الراشدين قد فصلوا عن أمهاتهم فى عمر مبكر جداً من الطفولة قبل أن يمتلكوا الفرصة لنمو علاقة ثابتة، ولم يتوفر لهم بديل أموى كافى أثناء فترة الطفولة. *(Yarrow،* ١٩٦٤، ١٢١- ١٢٣).

وعلى أية حال فإن الآثار السيئة للحرمان من الأم، كما يوضح "بولبى" Bowlby ١٩٨٠ تبدو منذ الأسابيع الأولى وحتى نهاية العام الأول على كثير من الأطفال - وتظهر هذه الآثار فى صورة عدم إستطاعة الطفل الابتسام لأى شخص، أو الاستجابة لندائه . وفقدانه الشهية ونقص وزنه. *(جون بولبى،* ١٩٨٠، ٢١، ٢٢) ولعل ذلك يرجع الى أن الأم فى هذه الفترة تشكل جزءاً من ذات الطفل، وبالتالى فإن فقدانها يخبره الطفل على أنه حرمان من بعض الأشياء السارة التى تشبعها الأم، ولهذا فإن استجابة الطفل للحرمان فى هذه الفترة لا تقم على معرفته بافتقاد الأم الحقيقية كموضوع، بل تقوم على إدراكه لتغير نوع الخبرات الحسية (نظراً لتعدد الأمهات لبديلات واختلاف كفاءتهن فى أداء دور الأمومة للطفل *(Nagera،* ١٩٧٦، ٣٦٨- ٣٦٩)

ومع نهاية النصف الثانى من العام الأول وبداية العام الثانى نجد أن الطفل المحروم تبدو عليه بعض الأعراض والآثار شديدة الخطورة، حيث يحدث له نوع من الاكتئاب يشبه إلى حد كبير حالة الاكتئاب التى تعترى البالغين - فانفعالاته تدل على الخوف والحزن، ويبعد نفسه عن كل ما حوله، ولا يميل إلى الاتصال بغريب عنه، ويكون بطيئاً في نشاطه ويجلس دائماً أو يرقد وهو جامد وفى حالة ذهول. *(جون بولبى،* ١٩٨٠، ٢٨، ٢٩) أما فى السنة الثالثة فنجد أن الطفل فى بداية هذه المرحلة يحقق قدراً من السيطرة على البيئة من حيث زيادة نمو قدراته المختلفة، ويصبح الطفل إلى حد ما أكثر فهماً، وإدراكاً لما يتضمنه معنى الانفصال الدائم - وهذا القدر من الفهم الذى يحصله الطفل بمعنى الانفصال يجعل الطفل شديد الحزن ويعانى من حالة اليأس والقلق والبكاء ورفض الطعام والنوم - ثم يصل إلى حالة من التبلد محاولاً إسترداد هدوئه وتطبيعه بالبيئة الغريبة عنه، ولكنه يقابل الأمهات البديلات غالباً بالرفض تماماً. *(Yarrow*، ١٩٦٤، ٩٦- ٩٧). ونجد كذلك أن الأطفال يظهرون عدوانية شديدة تتضح فى نوبات الغضب وتدمير الأشياء ورفس الأطفال الآخرين، كما تميزوا بالبرود الانفعالى، فكانوا منعزلين وذوى علاقات شخصية ضحلة. *(جون كونجر وآخرون،* ١٩٧٠، ٢١٤)

أما حرمان الطفل فيما بين الثالثة والخامسة من العمر، فهناك اتفاق بين كل من درس الحرمان على أن خطر الحرمان فى هذه الفترة ما يزال شديداً، ففى هذه الفترة لا يعيش الأطفال محصورين في حاضرهم فقط، بل إنهم يتخيلون فى غموض الوقت الذى ستعود فيه أمهاتهم، وهذا التخيل مستحيل بالنسبة للأطفال الأقل من سن الثالثة - كما أن طفل الثالثة تسمح له قدرته على التعبير اللفظى ببعض التفسيرات البسيطة وعلى تكوين علاقات جديدة، ومن ثم يتحمل إلى حين ابتعاده عن أمه متطلعاً إلى عودتها، ويصبح أكثر استعداداً لفهم الأم البديلة، غير أن ذلك لا ينطبق على جميع الأطفال فى هذه المرحلة، حيث نجد أن " أنا فرويد و دورثى برلنجهام " تشيران إلى أنهما لم تستطعا أن تمنعا الاطفال من النكوص والارتداد إلى مراحل النمو السابقة. *(جون بولبى،* ١٩٨٠، ٣٨) وعموماً فإن الشدة والضيق الانفعالى يبلغ أقصاه لدى الطفل المحروم ما بين ٦ شهور وأربع سنوات. *(Steinhauer*، ١٩٨٣، ٧٠).

٢ - **مدة خبرة الحرمان أو الانفصال :**

حيث نجد أنه مع حدة الانفصال وطوله يصبح الضغط والقلق أشد عنفاً. *(Steinhauer*، ١٩٨٣، ٧٠) فالأطفال فيما بين السنة والنصف والسنتين يعانون القلق الظاهر إذا ما زادت مده الحرمان عن يوم كامل، وبالطبع يختلف التأثير فى الانفصال والحرمان الطويل المدى

تحت ظروف جيدة من الرعاية البديلة، عن الانفصال الطويل فى بيئة محرومة من هذه الرعاية (Yarrow، ١٩٦٤، ١٢٦). هذا وترجع صدمة الحرمان إلى طول فترته، حيث إن هناك أدلة واضحة جداً تشير إلى أنه كلما طالت مدة الحرمان زاد تأخر نمو الطفل. (جون بولبى، ١٩٨٠، ٢٦، ٢٧، ٣٣). وبالتالى نستطيع أن نقرر أن أقصر فترات الانفصال هى أقلها خطورة فى تأثيرها - فقد أوضح "شبتز وولف" Spitz & Wolf ١٩٦٤ فى العلاقة بين مدة الحرمان من عطف الوالدين وسلوك الطفل أنه إذا ما أعيد الطفل لوالديه قبل انقضاء فترة ثلاثة شهور من الحرمان، فإن شفاء الطفل من آثار هذا الحرمان يصبح ممكناً. (Yarrow، ١٩٦٤، ١٢٥).

٣ - خبرات الانفصال والحرمان السابقة :

حيث أن خبرات الانفصال المتعددة تكون متراكمة لتكرارها، الأمر الذى يزيد من عدم قابلية الطفل للتكيف لخبرات الانفصال التالية. (Steinhauer، ١٩٨٣، ٧٠). فتكرار أنفصال الطفل عن أمه يجعل لديه نوعاً من التشوش والتذبذب فى علاقته بأمه أو الأم البديلة، لأن ثقة الطفل بالآخرين تنبع أساساً من ثقته التى إكتسبها من خلال علاقته بأمه من قبل، لهذا فإن خبرات الانفصال والحرمان السابقة والمتكرر تجعل حدة الانفصال الطويل شديدة الأثر خطيرة العواقب.

٤ - علاقة الطفل السابقة مع الوالدين :

فالآثار التى تنتج عن الحرمان تختلف تبعاً لنوعية العلاقة التى كانت تربط الطفل بأمه قبل إنفصاله عنها - ولقد أوضح "ستايون وانثورث" Stayon & ainsworth ١٩٨٣ أن ضغطاً قليل المدى يتبع إنفصال الأطفال الذين كانوا يتمتعون باتصال آمن وثيق مع الوالدين، وخاصة الأم، (Steinhauer، ١٩٨٣، ٧٠). ونجد كذلك أن الأطفال الذين كانت تربطهم روابط من السعادة والمحبة ويتمتعون بأعز وأسعد علاقة بأمهاتهم هم أكثر الأطفال تأثراً بالمتاعب، فنجد الطفل تدل انفعالاته على الخوف والحزن، وهو يبعد نفسه عن كل ما حوله، ولا يميل إلى الاتصال بغريب ولا يسر إذا ما أتصل ذلك الغريب به - ويكون بطيئاً فى نشاطه ويجلس دائماً أو يرقد جامداً وفى حالة ذهول .. إلخ فالقصور واضح فى نموه العام - ونؤكد هنا أن ذلك يحدث عادة للأطفال الذين كانت تربطهم بأمهاتهم روابط من السعادة حتى الشهر السادس الى التاسع من أعمارهم ثم فصلوا عنهن فجاة دون وجود بديل مناسب، أما أولئك الذين تربوا فى المؤسسات والذين لم يألفوا أماً واحدة بشكلها، فلا يظهرون هذا النوع من التصرف إطلاقاً، وذلك لأن حياتهم العاطفية قد تحطمت تماماً. (جون بولبى، ١٩٨٠، ٢٨، ٢٩، ٣١) .

ولكن رغم ذلك فإن توافق الأطفال الذين خبروا علاقات سارة آمنه مشبعة قبل الانفصال – رغم ما يعتريهم من أعراض – أفضل بكثير من توافق الأطفال الذين لم يخبروا هذه العلاقات السارة – لأن هذه العلاقة السارة القوية مع الأم تنمى فى الطفل الثقة فى أمه والاطمئنان إليها، وبالتالى تصبح لديه الثقة فى توقع الانضمام إليها مرة أخرى. لأن هؤلاء الأطفال قد يكونون أفضل استعداداً لتحمل الانفصال والحرمان وعلى إقامة علاقة ذات معنى مع الصورة البديلة، من الأطفال الذين لم يخبروا أبداً هذه العلاقة الحميمة مع الأم. (Yarrow، ١٩٦٤، ١٢٤)

٥ – الرعاية الأموية التى تعقب الحرمان :

فهناك تغيرات هامة ظاهرة تتضح فى أحوال الطفل تعقب إعادته لأمه – أو للأم البديلة المناسبة – ومما يدعو للدهشة سرعة اختفاء أمارات المرض عندما يوضع الطفل المبتلى فى بيت ممتاز، فهناك ينتعش بسرعة ويصبح أكثر استجابة، بل أنه حتى إذا كان يعانى من حمى فإنها تختفي، كما يزيد وزنه، أى أن حالته تتحسن بشكل ظاهر. (جون بولبى، ١٩٨٠، ٢٧) ولقد أظهرت الدراسات العديدة التى تناولت الأطفال المودعين بالمؤسسات أنه يمكن تجنب الإصابات العقلية والشخصية العميقة إذا ما كان هناك بعد الانفصال وجود للأم البديلة المناسبة التى توفر للطفل المثيرات والاستثارة الكافيه، أى الأم التى تنمى علاقة شخصية مع الطفل وتستجيب بحساسية لحاجات الطفل الفردية – وتؤكد هذه الدراسات أن توفير أمومة بديلة كافية بعد الانفصال عن الأم الحقيقية يخفف من الصدمة ويمنع تطور ونمو الاضطرابات الخطيرة – ولكن إذا ما أنتقل الطفل بعد الانفصال إلى علاقة أموية غير مشبعة، فإن الأثر الخطير للانفصال يكون أقوى وأشد. (Yarrow، ١٩٦٤، ١٢٤، ١٢٥)، (Steinhauer، ١٩٨٣، ٧٠، ٧١).

٦ – الخبرات التالية المعززة للحرمان :

إن لطبيعة الخبرات التالية للحرمان دلالة كبيرة بالنسبة للآثار طويلة المدى – حيث نجد أن الخبرات التى تعقب الحرمان قد تدعم وتعزز بدرجات متفاوته أو تحسن من الضغوط الناتجة عن الحرمان الأولى. ولقد وجدت الدراسات التى أكدت على العجز الدائم لوظيفة الطفل كنتيجة للخبرات الصدمية المبكرة، وجدت خبرات صدمية متكررة وحرماناً متكرراً أو مستمراً أثناء الطفولة والطفولة المبكرة، مثل تغيرات مستمرة فى البيوت البديلة، تحول وتغير مستمر فى الأشخاص داخل المؤسسة، وتشير الدراسات التتبعية للحالات التى حققت توافقاً كافياً فى حياتها فيما بعد إن الخبرات المعتدلة والإيجابية التى يتعرضون لها يمكن أن تعدل أو تزيل أثر

الضغط أو الحرمان المبكر. ومن ناحية أخرى فإن عدداً من الدراسات توضح أن الأطفال الذين خبروا الأنفصال يصبحوا حساسين لدرجة أن الخبرات المشابهة فيما بعد تميل لأن تكون صدمية بالنسبة لهم، لأن الأطفال الحساسين تجاه الأنفصال يكونون أكثر ميلاً للتحول من منزل بديل إلى آخر بسبب مشكلاتهم ومصاعبهم الأولية والأساسية فى التكيف. (Yarrow، ١٩٦٤، ١٢٦).

٧ - العلاقة مع الوالدين أثناء الانفصال المؤقت :

إذا كان الطفل فى الانفصال المؤقت قادراً على الاحتفاظ والإبقاء على علاقة بوالديه، فإن أثر الانفصال يكون أقل حدة عما إذا كان هناك قطع أو إنهاء فجائى وتام للعلاقة.. ولكن نؤكد أن هذه العلاقة مع الوالدين تكون غير ممكنة فى كثير من الأحيان فى حالة الرعاية المؤسسية طويلة المدى، إلا إذا كانت هناك زيارات متكررة من الوالدين - مثل الإيداع بالمستشفى لفترة حيث يكون هناك توقع للانضمام للوالدين، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن توافق الأطفال العام فى الرعاية البديلة يميل لأن يكون أفضل وكافياً فى حالة الابقاء على العلاقة مع الوالدين بتكرار الزيارات (Yarrow، ١٩٦٤، ١٢٥).

٨ - تأثير البيئة الغريبة :

حيث نجد أن ضغوط الانفصال والحرمان من الوالدين تكون قليلة نسبياً إذا ما ظل الطفل فى محيط مألوف وبيئة مألوفة له بعد أنفصاله عن والديه، بما فى ذلك أقرانه.. ويرجع ذلك نسبياً إلى وجود الآخرين الذين أرتبط وتعلق بهم الطفل. (Steinhauer، ١٩٨٣، ٧٠). أما انتقال الطفل إلى بيئة غريبة عنه وأشخاص غرباء بعد انفصاله وحرمانه من والديه يزيد من وطأة الحرمان عليه، كما فى أطفال المؤسسات

ولذا نجد أن آثار الحرمان تزداد خطورة وتدميراً للطفل عند إيداعه بأحد المؤسسات، حيث تضاف قسوة الحياة فى هذه المؤسسات إلى وطأة وقسوة الحرمان ذاته، ورغم ذلك نجد أن كثيراً من الباحثين لم يفصلوا بين الآثار الناتجة عن الحرمان والآثار الناجمة عن الإيداع بالمؤسسات مثل تعدد الأمهات البديلة وتغيرها باستمرار، والشعور بانعدام الفردية والتفرد، ولذلك فانه يجب أن نأخذ فى الاعتبار عند تناولنا لآثار الحرمان، تناول الآثار الناتجة أيضاً عن الإيداع بالمؤسسات

الإيداع بالمؤسسات : Instituationalization

لقد أوضحت العديد من الدراسات أن الأطفال الذين أودعوا بالمؤسسات وقضوا العام الأول من حياتهم فيها، وكانت هذه المؤسسات يكتنف جوها الحرمان الحسى والنفسى - هؤلاء الأطفال ظهرت عليهم علامات التأخر الواضح فى جوانب نموهم المختلفة - أما الأطفال الذين ينتمون الى مؤسسات إيداع تعمد إلى تنبيه الطفل ورعايته بقدر كاف معقول فلم تظهر عليهم علامات التأخر فى نموهم .. فالمؤسسات التى لا تعمد إلى العناية الفردية بالطفل ولا تقوم بعملية التنبيه الحسى والحركي للطفل، ويفتقد الطفل فيها الفرص السانحة للعب مع غيره من الأطفال وتناول الأشياء وامتلاكها وحرية الحركة والتنقل والحديث، هذا النوع من المؤسسات - وهو الشائع - وهذا النمط من التربية مسئول إلى حد كبير عن التأخر الواضح فى نمو الطفل فى جوانب كثيرة.

ففى المؤسسة ، مقارنة بالمنزل العادى، يكون هناك دفء واتصال فيزيقى بسيط واستثارة عقلية، وانفعالية واجتماعية أقل، وكذلك هناك نقص فى تشجيع ومساعدة الطفل على التعلم الإيجابى (Carson et al، ١٩٨٨، ١١٣). وقد قام " بروفينس وليبتون" Provence & Lipton ١٩٦٢ بمقارنة سلوك الأطفال الذين يعيشون في مؤسسات، بسلوك الأطفال الذين يعيشون مع عائلاتهم، وفى السنة الأولى من العمر أبدى الأطفال فى المؤسسات عجزاً تاماً فى علاقاتهم بالأفراد، فنادراً ما يلجأون إلى الراشدين طلباً للمساعدة، أو للمتعة، ولا يبدون علامات علي الاتصال والتعلق القوى بأى شخص، كما لوحظ تخلف واضح فى الكلام والنمو اللغوى، والتبلد الانفعالى وأنشطة لعب تكرارية فقيرة، وعلى العكس من أطفال الاسر، فقد فشل أطفال المؤسسات فى أن يبدون تمايز الشخصية والتعلم الذى يعتقد أنهما من إنجازات العام الأول من العمر للطفل، والأساس الذى يبنى عليه التعلم فيما بعد. (Provence & Ritvo، ١٩٧٥، ١٩٠، ١٩١).

فالإيداع بالمؤسسات ينطوى على مخاطر شديدة من الصعوبة بمكان التغلب عليها فيما بعد وذلك بسبب ما ينطوى عليه الإيداع من متغيرات مثل إنعدام التفاعل الشخصى الوثيق بين الطفل وشخصية أخرى تقوم مقام الأم - أو قلة الفرص المتاحة للتعلم الاجتماعى، ذلك أن النمو يتأثر تأثراً شديداً فى نواحيه المختلفة بظروف الإيداع التى تخلو إلى حد ملحوظ من تلك الخبرات التى تكون موجودة فى التفاعلات المركبة بين الأم والطفل فى الظروف الأسرية العادية

مثل التنبيه الحسى والإشباع المنظم للجوع والعطش والفرص المتاحة لتعلم الأنواع المعقدة من السلوك الاجتماعى والانفعالى والحركى المناسب، ولعل ذلك يرجع إلى عدم توفر العاملين المؤهلين تربوياً وعددياً لرعاية هؤلاء الأطفال، وعدم توفر سبل الاستثارة الحسية والاجتماعية للأطفال. *(جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٢١٥)، (Shaffer، ١٩٨٩، ٤٢٢، ٤٢٣)*. فكما يقرر "يارو" Yarrow ١٩٦٤ فإن البيئات المؤسسية تنحرف فى عديد من العناصر، مثل الانحراف فى كمية ونوعية وتنوع الاستثارة الحسية والاجتماعية، وفى أنواع ظروف التعلم المتاحة، فهناك قصور فيالتجهيزات المناسبة، كما أن ظروف التعلم والتدريب على مهارات جديدة محدودة، إن لم تنعدم، كما أن تغير القائمين على الطفل وصرامة روتين الرعاية، بالإضافة إلى أن ممارسات القائمين على رعاية الطفل تقوم على أساس من جداول محددة سلفاً وتكنيكات موضوعة بدلاً من أن تكون هذه الممارسات بمثابة استجابة لسلوك الطفل وحاجاته. *(Yarrow، ١٩٦٤، ٩٩-١٠٠)*.

وهكذا نرى أن الحرمان الشديد التام من الوالدين يؤدى إلى أعراض وآثار خطيرة بعيدة الغور فى شخصية الطفل وفى نواحى نموه المختلفة، ويؤثر على تكيف الطفل للوسط الذى يحيا فيه، وللمجتمع عامة، سواء وهو طفل أو سواء حينما تتقدم به السن ليصبح راشداً، فهذه الخبرة الصدمية تصاحبه آثارها لتلقى بظلالها القاتمة على سمات الشخصية لديه.

نظم الرعاية البديلة :

من المسلم به أن الأسرة هى البيئة الطبيعية لتنشئة الطفل ورعايته – ولما كانت هذه البيئة لا تتوفر لبعض الأطفال لسبب أو لآخر، فقد لجأ المجتمع إلى تهيئة بعض النظم وأساليب الرعاية البديلة لهؤلاء الاطفال – ومن النظم التى تقدمها وزارة الشئون الاجتماعية لفئات الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية المؤسسات الإيوائية – الأسر البديلة – وقرى الأطفال، وسوف نتعرض للنظامين الأولين فقط لارتباطهم بموضوع الدراسة.

أولاً - نظام المؤسسات الإيوائية :

يعتبر هذا النظام من أقدم الخدمات التى عرفت كأسلوب لرعاية الفئات المحرومة من الأطفال، وكانت تعرف بأسم "الملاجئ" وقد أنشئت عام ١٩٣٦ وكانت تتبع وزارة الداخلية أو المجالس البلدية وبعض الجمعيات الخيرية. *(وزارة الشئون الاجتماعية، ١٩٧٠، ١)* بيد أنه كان هناك اهتمام بمشكلة الأطفال غير الشرعيين فى مصر قبل ذلك التاريخ، تمثل فى قانون المواليد رقم ٢٣ لسنة ١٩١٢ والذى نص فى المادة رقم (١٠) على تنظيم مسألة العثور على طفل حديث الولادة، حيث يقوم العمدة أو الشيخ بتحرير محضر العثور على أى طفل حديث الولادة يبين به ظروف ومكان وزمان العثور على الطفل، وإسم من عثر عليه، ويرسل المحضر لقيد الطفل فى دفتر المواليد – وأجاز القانون للشخص أن يبقى الطفل عنده أو أن يرسله إلى أحد الملاجئ المختصة. *(علا أنور، ١٩٧٧، ١٠)* .

وعندما أنشئت وزارة الشئون الاجتماعية عام ١٩٣٩، وضعت تنظيما للعمل فى هذه المؤسسات حيث تضمن مرسوم إنشائها إختصاصها بالإشراف على الملاجئ، وأنشأت إدارة مختصة للملاجئ بأجهزتها ضمن مصلحة الخدمات الاجتماعية، وهى أحدى مصالح الوزارة الرئيسية التى كانت تشرف على هذه الملاجئ من حيث الإدارة والتمويل والقبول والرعاية عن طريق اخصائيين اجتماعيين. *(مصطفى السلمانى، ١٩٨٠، ١٢٠)*

وفى عام ١٩٤١ وجهت وزارة الداخلية إلى المحافظات والمديريات منشوراً تضمن بعض التعليمات التى تقضى بأن تقوم المستشفى أو مركز رعاية الطفل بالعناية باللقيط وتغذيته منذ العثور عليه، وإرسال اللقيط مع مرضعه فى ظرف ثلاثة أيام إلى ملجأ أطفال السيدة، إن كان من الأقاليم، أو مستشفى "أطفال المنيرة" إن كان من القاهرة أو ضواحيها.. ثم أولى القانون شهادات الميلاد الخاصة باللقطاء عناية كبيرة إذ كانت تصدر بها البيانات التالية :

مكان الميلاد : عثر عليه بالشارع
اسم الأب : لا يعلم
اسم الأم : لا يعلم (إذا كان لقيطاً)
اسم الطفل : كذا عبد الله
السكن : لا يعلم

وكان قد أصبح من المعروف لدى رجال الإدارة إلحاق لقب عبد الله بالاسم الذى يختاره لكل طفل لقيط من عام ١٩١٢ إلى عام ١٩٤٩ حتى صدر منشور وزارة الصحة بعدم ذكر لفظ "عبد الله" والداً للأطفال المجهولى النسب مع وجوب تنويع الأسماء. وقد صدر القرار الجمهورى رقم ٢٦٠ لسنة ١٩٦٠ والذى تضمنت مواده رقم ٢٣، ٢٤، ٢٥ الأحكام الخاصة بطريقة تسجيل اللقطاء واعطائهم اسماً كاملاً مع عدم ذكر أنه لقيط وترك خانة الوالدين خالية من أى اشارة إليهما إلا إذا تقدم أحد الوالدين بإقرار أبوته أو أمومته للمولود فتملأ الخانة الخاصة بذلك ... ثم صدار القانون رقم ١١ لسنة ١٩٦٥ المعدل للقانون رقم ٢٦٠ لسنة ١٩٦٠ فتعدلت المادة رقم ٢٣ الخاصة بقيد المواليد بما يحقق إعطاء هذه الفئة إسما ثلاثياً وذكر اسم ثلاثى للأب والأم على أن تسجل حقيقة أمرهم بسجل خاص، وقد بدأ العمل بهذا التعديل الجديد منذ أكتوبر ١٩٦٥. وقد تطورت أساليب رعاية الأطفال غير الشرعيين ومن فى مستواهم فى مصر حتى أستقرت على نظام الرعاية البديلة التى أرسى قواعدها القرار الوزارى رقم ١٧ لسنة ١٩٦٨. *(علا أنور، ١٩٧٧، ١٠، ١٥، ١٦)*

وينظم خدمات هذه المؤسسات القرار الوزارى رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٦ والذى تضمن شروط القبول من حيث السن وظروف الطفل والأسرة وإجراءات القبول وبرامج الرعاية التى تقدمها. *(عفت الكاتب، ١٩٨٨، ٢)* وقبل أن نتطرق إلى شروط القبول بالمؤسسة وإجراءات الإلتحاق بها، لابد من التعرض إلى الإجراءات التى تتبع نحو الأطفال حديثى الولادة المعثور عليهم ومن فى ظروفهم ، وتتمثل هذه الاجراءات فى :

- يسلم الرضيع المعثور عليه لمركز رعاية الامومة والطفولة بمعرفة قسم البوليس التابع له المركز والذى عثر فى حيزه على الطفل الرضيع، ويتم تسليمه بعد عمل المحضر اللازم لذلك بمعرفة البوليس.

- يتم إبلاغ أقرب مكتب صحة الذى يقع بدائرته محل العثور على الطفل لعمل اللازم نحو تقدير سن الطفل وتسميته ثلاثياً مع ذكر اسم ثلاثى، واتخاذ جميع الإجراءات الاخرى لاستخراج شهادة الميلاد عن طريق مكتب الصحة.
- يتم الكشف الطبى على الطفل وإثبات أى علامات مميزة به أو أى تشوهات، وتحرز ملابس الطفل وما يوجد بها من أشياء ويصرف له ملابس غيرها من مركز الرعاية.
- يتم تصوير الرضيع وتؤخذ بصمات قدميه بما فيها الأصابع وتحفظ فى ملف خاص ويعاد التصوير مرة كل سنة خلال السنتين الاولين.

- يحدث بعد ذلك أحد أمرين : إما تسليم الطفل إلى مرضعة يكون قد سبق الكشف عليها، أو أن يبقى الطفل بالقسم الداخلى لحين العثور على مرضعة مناسبة.

أما فيما يتعلق بالطفل الضال المعثور عليه :

- يقوم مندوب البوليس بتسليمه إلى مركز رعاية الأمومة والطفولة (الذي عثر عليه بدائرته) ومعه محضر العثور عليه.
- يسنن الطفل بمعرفة طبيب مكتب الصحة ويسمى باسم واحد إذا لم يتعرف هو على اسمه.
- يسلم الطفل إلى مرضعة .
- تستخرج له شهادة ميلاد.
- تسليم الطفل عن طريق الشرطة إلى ذوية فى حالة تواجدهم بعد عمل محضر التسليم.
- يجوز تسليم أى طفل ضال لثبوت النسب أو التربية بدون أجر.
- يعامل الطفل الضال نفس معاملة الأطفال المعثور عليهم حديثى الولادة، من حيث تسليم المرضع والملابس وخلافه، ثم يحول لمديرية الشئون الاجتماعية عند نهاية السنة الثانية من عمره.

شروط القبول بالمؤسسات :

١- ألا يقل سن الطفل عن ٦ سنوات ولا يزيد عن ١٨ سنة، مع جواز استمرار الأبن بعد سن ١٨ سنة إذا كان ملتحقاً بالتعليم العالى إلى أن يتم تخرجه وبشرط استمرار الظروف التى أدت إلى التحاقه بالمؤسسة واجتيازه مراحل التعليم بنجاح.

٢ - أن تنطبق عليه أحدى الحالات الآتية :

أ - أن يكون يتيم الأبوين أو أحدهما.

ب - أن يكون الأب والأم بمستشفى الأمراض العقلية أو مودعاً بأحد السجون.

جـ- أبناء الأسر المتصدعة بسبب الطلاق أو زواج الأب أو الأم أو كليهما بشرط عدم وجود كفيل لرعايته

د - ألا يكون حكم على الطفل فى تشرد أو جناية أو سبق إيداعه بمؤسسة رعاية الأحداث.

هـ- ألا يكون مصاباً بمرض عقلى أو عصبى أو مرض معدى.

إجراءات الإلتحـــاق :

- يتقدم ولى أمر الطفل بطلب التحاق إلى إدارة المؤسسة مرفقاً به شهادة الميلاد أو مستخرج رسمى منها وصورتان شمسيتان للطفل، وإقرار من ولى الأمر بموافقته على إلحاق الطفل بالمؤسسة وعلى تنفيذ جميع توجيهاتها وتعليماتها وجميع الأوراق التى تثبت توافر الشروط المبينة السابق ذكرها.
- تقوم المؤسسة بعمل بحث إجتماعى شامل لأسرة الطفل.
- يوقع الكشف الطبى على الطفل المراد إلحاقه بالمؤسسة.
- وبالنسبة للبنت يجب التأكد من أنها مازالت بكراً.
- تجرى اختبارات الذكاء للطفل قبل القبول للتأكد من أنه غير مصاب بتخلف عقلى.

(إتحاد هيئات رعاية الاسرة والطفولة، ١٩٩٠، ص ١٦)

وبعد أن يقضى الطفل عامه الثانى لدى المراضع يتم تسليمه - كما سبق - إلى أحد الحضانات الايوائية حتى يتم السادسة يحول بعدها إلى مؤسسة أخرى، أو أن يضم الطل إلى إحدى الأسر البديلة.

ثانياً - نظام الأسر البديلة :

هو أحد الأنظمة التى تقدمها وزارة الشئون الاجتماعية لرعاية الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية الطبيعية - وقد بدأت الوزارة الإشراف على هذا النظام إعتباراً من عام ١٩٥٩. ولقد بدأته كتجربة باختيار (٥٠) أسرة روعى فى اختيارهم توافر الشروط والمواصفات التى تبشر بصلاحية الأسر وحسن استعدادها لتقديم رعاية سليمة لهؤلاء الأطفال مع التأكد من عدم اتجاه هذه الأسر لإستغلال الأطفال فى أى أغراض خاصة. *(عفت الكاتب، ١٩٨٨، ص)* هذا وقد تضمنت الخطة الخمسية الأولى لوزارة الشئون الاجتماعية ١٩٦٠/١٩٦١- ١٩٦٤/١٩٦٥ تجربة نظام الأسر البديلة للأطفال اللقطاء والضالين ومن فى حكمهم، وقد صدر القرار الوزاري رقم ١٧ لسنة ١٩٦٨ لتنظيم أعمال الرعاية البديلة فى الأسر تحت إشراف الإدارة العامة للأسرة والطفولة. *(علا أنور ، ١٩٧٧، ٣، ٤)*

أما عن نظام العمل بالأسر البديلة فينظمه القرار الوزارى رقم ١٨١ لسنة ١٩٨٩ والذى يتضمن أهداف العمل بنظام الأسر البديلة ونطاقه وشروط الأسر البديلة. *(قرار وزيرة الشئون الاجتماعية رقم ١٨١/١٩٨٩)*

الفئات التى يخدمها نظام الأسر البديلة :

حسب ما جاء فى المادة (٣) من القرار السابق يخدم نظام الأسر البديلة الأطفال من الفئات الآتية :

- اللقطاء .
- الأبناء غير الشرعيين الذين يولدون خارج نطاق الزوجية ويتخلص منهم ذووهم.
- الضالون الذين لا يمكنهم الارشاد عن ذويهم وتعجز السلطات المختصة عن الإستدلال عن محال إقامة ذويهم.
- الأبناء الذين يثبت من البحث الاجتماعى استحالة رعايتهم في أسرهم الطبيعية مثل أبناء المسجونين وأبناء نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية والأبناء الذين لا يوجد من يرعاهم من ذوى قرباهم أو يشردون نتيجة لانفصال الأبوين.

المراحل العمرية التى يخدمها نظام الأسر البديلة :

وقد نظمتها المادة رقم (٤) من القرار الوزارى السابق وتشمل :

- الأطفال الرضع الذين توافق وزارة الصحة على قيام وزارة الشئون الاجتماعية برعايتهم، والأطفال من سن السنتين تكون رعايتهم لدى أسر بديلة أو دور الإيواء التابعة لوزارة الشئون الاجتماعية، وتستمر الرعاية حتى سن ٢١ سنة .
- يجوز الإستمرار فى رعاية من تجاوز سن الواحد والعشرين إذا كان ملتحقاً بالتعليم أو لم يستقر بعد بالعمل أو الزواج - وذلك بناء على تقرير اجتماعى دورى يقدم كل ستة شهور مشفوعاً بالمستندات اللازمة وموافقة لجنة الأسر البديلة بالمديرية على ذلك.

الجهات التى يتم استلام الأطفال منها :

تتسلم إدارة الأسرة والطفولة الأطفال من الجهات الاتية : -

- مراكز رعاية الأمومة والطفولة التابعة لوزارة الصحة.
- أقسام ومراكز الشرطة إذا كان الطفل يبلغ من العمر سنتان فأكثر.
- المؤسسات المعدة لإيداع الأطفال الضالين المحولين لها من أقسام الشرطة وذلك بعد مرور سنة دون أن يتعرف على ذويهم.
- الأسر التى تتقدم بطلبات لرعاية أبنائها مما لا تزيد سنهم عن السادسة وثبت من البحث الاجتماعى إستحالة رعايتهم فى أسرهم الطبيعية.

إجراءات الرعاية البديلة :

- على كل أسرة ترغب فى رعاية طفل أن تتقدم بطلب مدموغ إلى إدارة الأسرة والطفولة المختصة ، وعلى الإدارة المختصة قيد الطلبات فى سجل خاص.
- تقوم إدارة الأسرة والطفولة المختصة ببحث حالة الأسرة ويرفق بالبحث المستندات الدالة على صحة البيانات الواردة به.
- يتم تشكيل لجنة وفقا لما يلى : -
  - * مدير الشئون الاجتماعية بالمحافظة رئيساً.
  - * ممثل لمديرية الأمن بالمحافظة وشرطة الأحداث.
  - * ممثل لمديرية التربية والتعليم .
  - * ممثل للسجل المدنى بالمحافظة.
  - * ممثل للجمعية المسند إليها العمل.

  ويكونوا بمثابة أعضاء ، ثم مدير إدارة الأسرة والطفولة مقرراً للجنة.
- بعد قبول طلب الأسرة يتم تسليم الطفل للراغب فى رعايته بعد أن يوقع على عقد عاية الطفل طبقا للنموذج الصادر به القرار الوزارى.
- تلتزم الأسرة البديلة بإخطار إدارة الأسرة والطفولة المختصة فوراً عن كل تغييرفى حالتها الاجتماعية أو في محل الإقامة أو أى تغيير يطرأ على ظروف الطفل البديل ل تشغيله فى عمل أو إلحاقه بمدرسة أو تجنيده أو هروبه أو وفاته أو زواج الفتاة.

الشروط الواجب توافرها بالأسرة البديلة :

١ - أن تكون الأسرة من رعاية جمهورية مصر العربية وديانتها الإسلام.

٢ - أن تتكون من زوجين صالحين ناضجين أخلاقياً واجتماعياً ولا يقل سن كل منهما عن ٢٥ سنة ولا يزيد عن ٥٥ سنة.

٣ - أن يكون الزوجان صالحين للرعاية ومدركين لاحتياجات الطفل ومستجيبين لعاطفة الأبوة والأمومة.

٤ - ألا يزيد عدد الأطفال فى الأسرة عن أثنين إلا إذا كانوا قد وصلوا إلى مرحلة الاعتماد على النفس، ولا يسمح للأسرة برعاية أكثر من طفل إلا بعد موافقة مديرية الشئون الاجتماعية المختصة

٥ - أن يكون مقر الأسرة فى بيئة صالحة على الأخص من ناحية توافر المؤسسات التعليمية والدينية والطبية والرياضية وغيرها. كما يراعي توافر الشروط الصحية الأساسية فى

المسكن والمستوى الصحى المعقول لأفراد الأسرة

٦ - أن يكون دخل الأسرة كافياً لسد احتياجاتها بحيث لا يصبح بدل الرعاية هدفاً، بل عاملاً مساعداً للأسرة فى تحقيق رعاية الطفل.

٧ - أن تتعهد الأسرة بأن توفر للطفل كافة احتياجاته الخاصة شأنه فى ذلك شأن باقى أفراد الأسرة

٨ - أن تكون ظروف الأم البديلة ووقتها يسمحان لها برعاية الطفل البديل والعناية بالمنزل والأطفال الأصليين.

٩ - أن تقبل الأسر البديلة إشراف ممثلى إدارات الأسرة والطفولة بالشئون الاجتماعية، ويشمل هذا الاشراف زيارة منزل الأسرة ومقابلة الطفل البديل ومتابعته.

١٠- فى حالة ما إذا كان الطفل معلوم النسب لدى الأسرة البديلة فعليها أن تتعهد بأن يكون الإتصال فى شئون الطفل عن طريق إدارة الأسرة والطفولة دون الرجوع إلى أسرة الطفل، كما تتعهد على الأخص بأن لا تسلم الطفل ولو مؤقتاً لوالديه أو أحدهما أو إلى أى شخص أخر إلا عن طريق إدارة الأسرة والطفولة.

١١- أن تقبل الأسرة التعاون مع إدارة الأسرة والطفولة فى وضع الخطط لصالح الطفل البديل ويشمل ذلك عودته لأسرته أو نقله إلى بيت بديل أخر أو مؤسسة اجتماعية.

١٢- أن تتعهد الأسرة كتابة بعدم تغيير نسب الطفل.

١٣- ولمدير مديرية الشئون الاجتماعية المختص الإعفاء من بعض هذه الشروط طبقاً لما يسفر عنه البحث الإجتماعى وذلك فيما عدا شروط جنسية الأسرة البديلة وديانتها.

مقابل أوجه الرعايـة :

يصرف للأم البديلة مقابل رعاية من وقت إستلام الطفل فى الحالات والحدود الآتية

أ - بالنسبة للأم البديلة التى ترعى طفلاً عادياً

* عشرة جنيهات شهرياً منذ إستلام الطفل إلى أن يلتحق بالتعليم الابتدائى.
* اثنى عشرة جنيها شهرياً مدة إلتحاق الطفل بالتعليم الابتدائى.
* خمسة عشر جنيهاً شهرياً مدة الإلتحاق بالتعليم الاعدادى وما فى مستواه
* عشرون جنيهاً شهرياً مدة الالتحاق بالتعليم الثانوى وما فى مستواه
* خمسة وعشرون جنيهاً شهرياً مدة الإلتحاق بالتعليم العالى وما فى مستواه

ب - بالنسبة للأم البديلة التيترعى طفلاً معوقاً أو مصاباً بمرض مزمن يصرف لها مقابل رعاية من وقت استلامه وفقاً للإجراءات الآتية

* يتم تحديد نوع الاعاقة أو المرض المزمن ودرجة الإصابة وفقاً لتقرير طبى معتمد من الجهة الصحية المختصة.
* يقدم التقرير الطبى المشار إليه إلى لجنة الرعاية البديلة بمديرية الشئون الإجتماعية المختصة التى تقوم على ضوئه بتحديد قيمة ما يصرف للأم البديلة من مقابل رعاية شهرى حسب ظروف كل حالة.

وتصرف مبالغ الرعاية الشهرية المنصوص عليها فى البندين أ، ب بعد خصم نسبة تعادل ١٠٪ تودع لحساب الطفل فى صندوق التوفير.

جـ- يصرف لدار الحضانة الايوائية التى لا تحصل على إعانات مخصصة لهذا الغرض مبلغ وقدره ثلاثون جنيهاً شهرياً عن كل طفل يلحق بها.

ويجوز صرف اعانات للاسرة البديلة كمساهمة في التكاليف فى الحالات الآتية :

أ - مرض الأبن البديل مع تقديم المستندات المؤيدة لتكاليف العلاج.

ب - وفاة الأبن البديل وتكون المساهمة فى نفقات الدفن طبقاً لما تراه اللجنة مع تقديم شهادة الوفاة والمستندات الدالة على الصرف.

- ويجوز منح الأسرة البديلة إعانة فى الحالتين الآتيتين :

أ - زواج البنت البديلة ويكون ذلك في حدود ٥٠٠ جنيه بعد تقديم وثيقة الزواج. على أن يتم الصرف عن الزواج الأول فقط.

ب - إعداد مشروع تجارى أو مهنى للأبن والبنت ويكون ذلك في حدود ٤٠٠ جنيه

- يوقف صرف بدل الرعاية فى الحالات الآتية -

أ - زواج الأبن البديل.

ب - هروب الأبن البديل

جـ- وفاة الأبن البديل.

د - امتناع الأسرة البديلة عن تسليم الأبن البديل (فى ظروف معينة) خلال اسبوعين من تاريخ إخطارها بذلك.

وبعد هذا العرض الموجز لبعض نظم الرعاية البديلة، بقيت نقطة ذات أهمية فى هذا الموضوع تتعلق بالأسر البديلة وهى ما يسمى بثبوت النسب حيث وجد الباحث أثناء عمله الميدانى قيام بعض الأسر البديلة بما يسمى قضايا ثبوت النسب وذلك لاستصدار حكم

قضائى بنسب الطفل إلى والديه البدلاء بحيث يحمل اسمهما وتصبح له كافة الحقوق الشرعية عليهما من ميراث وخلافه

نظام ثبوت النسب :

رغم ما نص عليه القرار الوزارى رقم ١٨١ لسنة ١٩٨٩ فى مادته السادسة الخاصة بشروط الأسر البديلة (شرط ١٢) على أن تتعهد الأسرة كتابة بعدم تغيير نسب الطفل - رغم ذلك فقد قامت بعض الأسر بما يسمى "بقضايا ثبوت النسب"، وتسير الإجراءات حسب رواية بعض الأسر البديلة التى قابلها الباحث أثناء عمله الميدانى بأن تقوم الزوجة - الأم البديلة - (بالاتفاق مع زوجها) برفع قضية دعوى إثبات نسب للطفل من أبيه بعد أن أنكر أبوته للطفل أثناء خلاف وقع بينهما - ثم تقوم باستخراج شهادة ميلاد من مكتب الصحة بشكل أو بآخر (بمساعدة القابلة أو خطاب من أى مستشفى بأنها ولدت به) وأثناء نظر الدعوى يقرر الزوج أمام المحكمة أنه كان على خلاف مع زوجته وأثناء إحتدام الخلاف بينهما أنكر نسب الطفل إليه - ثم يقرر أن الطفل هو أبن له، ويتم بناءاً على ذلك - بعد تقديم المستندات والتى يكون أحد المحامين قد أعدها للزوجة من قبل - إستصدار حكم قضائى بثبوت نسب الطفل الى الوالدين، وهنا يقفل ملف الطفل رسمياً بمقتضى هذا الحكم بإدارة الشئون الاجتماعية ويسقط حقها فى متابعة الطفل والأسرة.. ونظراً لما فى الأمر من خطورة وشبهة "تبنى" حرمه الإسلام، فقد حاول الباحث الإطلاع على بعض المصادر التى تتعلق بهذا الشأن.

ويمكن تلخيص طرق إثبات النسب كما وردت فى الشرع والقانون على النحو التالى، وكما لخصها المستشار : محمد جمال حامد فى أحكام النسب :

أسباب ثبوت النسب : يثبت النسب بالنسبة للرجل بأحد الأسباب الآتية :

أ - الزواج الصحيح.

ب - الزواج الفاسد.

جـ- الدخول بشبهة

أما ثبوت النسب النسبة للمرأة فيثبت فى حقها بالولادة سواء كان مجئ الولد عن طريق مشروع أو غير مشروع.

طرق إثبات النسب : ومن طرق إثبات النسب

أ - الزواج الصحيح

ب الإقرار

والإقرار بالبنوة له شروط هى -

١ - أن يكون المقر له بالبنوة مجهول النسب

٢ - أن يكون المقر له ممن يولد مثله لمثله

٣ - أن يصدقه المقر له فى اقراره إن كان مميزاً، أما إذا كان غير مميز ثبت نسبه بالاقرار من غير حاجة إلى تصديق منه لأنه ليس أهلاً للتصديق

٤ - ألا يصرح المقر أن الولد أبنه من الزنا، لأن الزنا لا يصلح سبباً للنسب، إذ أن النسب نعمة فلا تنال بمحظور

* وقال الأحناف بأن المرأة تملك الإقرار بالنسب كالرجل - وإذا أقرت امرأة بأن هذا الولد أبنها، فأن لم تكن متزوجة ولا معتدة من زواج صحيح أو فاسد ثبت نسب الوالد منها إذا لم تكن له أم معروفة وكان مما يولد مثله لمثلها وصدقها فى إقرارها إن كان مميزاً *(المستشار محمد جمال حامد، ١٩٨٨، ١- ٦)*

ويقرر " أحمد عمر هاشم " ١٩٨٨ أنه قد حرم التبنى بمعنى أن ينسب شخص طفلاً إلى نفسه وهو يعرف أنه ولد غيره ويجعل له حقوق الأبن الشرعى فهذا غير جائز شرعاً ولا يصح أن ينسب إلى نفسه ولا أن يختلط بزوجته وبناته حين يكبر - وقد سرد الشروط السابقة فى الإقرار بالبنوة *(أحمد عمر هاشم، ١٩٨٨، ٥)*

وهنا يطرح الباحث تساؤلاً عن مدى شرعية عملية ثبوت النسب التى تقوم بها بعض الأسر على النحو السابق ذكره والتى تجعل الطفل أبناً رسمياً للأسرة وليس شرعياً ومن حيث شروط إثبات النسب يقرر الباحث أنه إذا كان الطفل مجهول النسب (الشرط الأول)، فإن المقر بنبوة الطفل ليس ممن يولد مثله لمثله - فى الأسر غير المنجبة فهو غير قادر على الإنجاب (الشرط الثانى)، وادعاء النسب لا يتم الا إذا كان وجود الطفل من مدعى النسب ممكناً كما قرر ذلك *(السيد سابق فى فقه السنة - المجلد الثالث ص ٢٤)*، ***هذا فى الأسر*** غير المنجبة

أما فى بعض الأسر المنجبة فكيف يقر الوالدان ببنوة ونسب طفل إليهما وهما يعلمان أنه ليس أبناً لهما [illegible] الأمر فى حاجة إلى [illegible] وفتوى واضحة تماماً من أهل الاختصاص فالباحث يرى فى حدود ما أطلع عليه أن ذلك نوع من [illegible]

ثانيا - مفهوم الذات

مقدمـــة :

لقد شهدت السنوات الأخيرة تسليماً متزايداً من جانب المشتغلين بعلم نفس الطفل بضرورة دراسة ملامح أو جوانب نمو الطفل فيما قبل المدرسة، مع اهتمام هؤلاء المشتغلين بالتفكير فى تحديد ما ينبغى أن يتوفر لأطفال هذه الشريحة العمرية من تربية تعويضية Compansatory education وبرامج للرعاية اليومية. وفى الوقت الذى يبدو فيه أن النمو المعرفى Cognitive development ما زال يحظى حتى الآن بالقسط الأكبر من تفكير واهتمام العاملين والباحثين فى هذا المجال، فقد أصبح من المسلم به لدى معظم خبراء الطفولة أن النمو الانفعالى (الوجدانى) Affective development ينبغى أن يحتل نفس المستوى من الأهمية، هذا إذا كان يراد للطفل أن يتمتع بقدر مناسب من التكيف أو التوافق، وإذا كان يراد للطفل أن يكتسب قدراً مناسباً من الكفاءة والإقتدار فى التعامل مع موضوعات وأشخاص البيئة التى يحتك بها ويعيش فيها ويمارس دوره من خلالها. ناهيك عما هو ثابت أو معروف من حيث إن العوامل الانفعالية تتفاعل مع المسلك المعرفى وتؤثر سلباً وإيجاباً فيما يمكن أن يكون عليه هذا المسلك من حيث الكفاءة والفعالية، الأمر الذى يترتب عليه ضرورة الاهتمام بالجانبين معاً.
(ابراهيم قشقوش، ١٩٨٣، ٣)

ومن أحد العوامل فى النمو الانفعالى هو مفهوم ذات الطفل self - concept ويصاغ مفهوم الذات بواسطة تفسير الطفل للتغذية المرتجعة (للأثر) على أدائه من الآخرين ذوى الدلالة والأهمية له مثل الوالدين، المدرسين، الأقران .. فالتغذية المرتجعة تلعب دوراً حيوياً للطفل فى تحديد إدراكه الذاتى لقدراته، ومن ثم، فإن نمو مفهوم الذات يبدأ من التغذية المرتجعة التى يستقبلها الطفل الصغير من والديه أثناء مرحلة ما قبل المدرسة، أو بتعبير "جلاسنر" Glasner ١٩٦١ إن مفهوم الذات لدى الطفل يتشكل أساساً "داخل رحم العلاقات الأسرية" حيث تلعب الاتجاهات الوالدية نحو الطفل والأساليب والممارسات الوالدية - وبخاصة الأم - فى رعايته وتدريبه وتنشئته دوراً كبيراً فى نمو مفهومه عن ذاته. وينمو أكثر من خلال خبرات المدرسة الإيجابية والسلبية. *(Charlton & Kenneth، ١٩٨٩، ٧٢)، (Santrock، ١٩٨٨، ٩٦)، (حليم شاى، طلعت منصور، ١٩٨١، ٦)* ويمكن القول بأن مشاعر الطفل وأحاسيسه تجاه ذاته ومشاعره وأحاسيسه تجاه الآخرين تكفل - إذا أمكن تحديد ماهيتها وقياسها- مؤشرات هامة يستدل منها على مدى إحساس الطفل بالكفاية والاقتدار *(ابراهيم قشقوش، ١٩٨٣، ٣، ٤)*

مفهوم الذات - الأهمية والوظيفة :

بداية نؤكد مع "كوللر" Coller ١٩٧٠ أنه ليس هناك مجتمع يهتم بأطفاله ويحرص على سلامة نموهم وتربيتهم ورعايتهم لم يذكر ايجابية مفهوم الذات ضمن الأهداف التربوية التى يسعى فى سبيل تحقيقها. *(ابراهيم قشقوش، ١٩٨٣، ٨)* ذلك أن ما يعتقده الطفل فى ذاته من الأهمية بمكان، فهو غالباً ما يؤثر على الأهداف التى يضعها لنفسه والسلوك الذى يعتبره ملائماً فهو – أى مفهوم الذات – يؤثر أدائياً فى كل شئ نفعله، بل إن نجاح الطفل فى المدرسة يعتمد إلى حد كبير على نوع مفاهيم الذات التي يملكها حيال ذاته ... ليس ذلك فحسب، بل يمكننا أن نذهب إلى ما يذهب اليه Brunk ، ١٩٧٥. من أن السؤال المتعلق بالتوافق أو سوء التوافق هو فى جوهره سؤال عن مفاهيم الذات التى يحملها الأفراد حيال أنفسهم كما سنرى فيما بعد. *(Brunk ، ١٩٧٥، ٢٩٢، ٢٩٨، ٢٩٩)* .

ويرى "فيتس" Fetes ١٩٨٥ أن مفهوم الفرد عن ذاته ذو تأثير كبير فى كثير من جوانب سلوكه، كما أنه متعلق بشكل مباشر بحالته العقلية وشخصيته بوجه عام. فيميل أولئك الذين يرون أنفسهم على أنهم غير مرغوبين ولا قيمة لهم أو سيئون إلى السلوك وفق هذه الصورة التى يرون أنفسهم عليها، كما يميل أصحاب المفهوم غير الواقعى عن أنفسهم إلى التعامل مع الحياة والناس بأساليب غير واقعية، كما يتجه من لديهم مفهوم منحرف أو شاذ عن أنفسهم الى السلوك بأساليب منحرفة أو شاذة. وعلى هذا تعد المعلومات الخاصة بكيفية إدراك الفرد لذاته مهمة إذا حاولنا القيام بدور فى مساعدة هذا الفرد أو محاولة الوصول إلى تقويمه. *(فيتس، ١٩٨٥، ١٦)* فالفرد يكشف من خلال مفهومه عن ذاته عن أبعاد شخصيته وسلوكه بأعتبار مفهوم الذات إستعداد أساسى لارتقاء وتطوير مفهوم واقعى وتوافقى عن الذات، فمفهوم الذات هو بمثابة المبدأ التنظيمى الهام للشخصية. *(صفوت فرج وآخرون، ١٩٨٦، ٣١)*، *(Santrock ، ١٩٨٨، ٣٢٧)*.

إن مفهوم الذات وكما يشير " دينكمير" Dinkmeyer هو نوع من الخريطة يستخدمها الفرد لإرشاد السلوك، وهذه الخريطة تقود الفرد فى المواقف المعينة بناء على فهمه لذاته. *(Santrok ، ١٩٨٨، ٩٥)*. ولذا فإن مفهوم الذات هو أول جانب للإنجاز المعرفى، ذلك الإنجاز الذى ينبغى أن يكون مرتبطاً بنمو المفاهيم الأساسية الأخرى عن العالم. فسلوكنا فى مجمله يعبر عن مفهومنا الراهن لذواتنا، ويتفق ذلك مع ما يذكره "بيم" Bem ١٩٧٢ من أن الفرد يحدد اتجاهه من خلال استدلالات يقوم بها من سلوكه. مفهوم الذات يعكس نسقاً إدراكياً مناسباً

تشكله تعاملاتنا مع الخبرة والواقع الخارجى، أو أن تعاملاتنا وسلوكنا يتحددان من خلال مفهومنا عن ذاتنا *(صفوت فرج وآخرون، ١٩٨٦، ٢٩)*، *(Bee & Mitchell، ١٩٨٩، ٢١١)*.

ولعل ذلك يبرز جانباً ذا أهمية في مفهوم الذات، وهو تأثيره فى عملية التنشئة الاجتماعية، فمثلما تساعد التنشئة الاجتماعية على تشكيل مفهوم الذات، فإن مفهوم الذات فى المقابل يؤثر في التنشئة الاجتماعية ويلعب دوراً هاماً فيها، وبعبارة أخرى ، فإن مفهوم الذات يصبح قوياً بدرجة كافية تساعد فى إرشاد السلوك، وهو بذلك يصبح - بشكل ما - مصدراً للتنشئة الاجتماعية مثلما هو نتاج لها. ولتوضيح ذلك فإن الأطفال ذوى مفهوم الذات السلبى Passive Self Concept يبدو أنهم يريدون من الآخرين أن ينظروا إليهم بصورة سيئة مثلما يفعلون مع أنفسهم، فهم يحاولون أن يحدثوا الاستجابة التى يتوقعونها لدى الآخرين. وطبقاً لهذا التصور، فإن الأطفال الذين يشعرون بعدم الكفاءة الأكاديمية مثلاً يرون أنفسهم غير قادرين على التحصيل، ومن ثم فإنهم يسلكون بالطريقة التى تجعلهم يفشلون فى تحقيق التفوق الأكاديمى. *(Owens، ١٩٨٧، ٢٨٣)*، *(Santrock، ١٩٨٨، ٩٥)*.

ومما يضاعف كذلك من أهمية مهوم الذات، أنه مكتسب ويمكن تغييره وتعديله، فمفهوم الذات رغم أنه ثابت إلى حد كبير، إلا أنه يمكن تعديله وتغييره تحت ظروف خاصة - كما فى "العلاج النفسى المتمركز حول العميل" مثلا لدى "روجرز" الذى يؤمن بأن أحسن طريقة لإحداث التغيير فى السلوك تكون بحدوث التغيير فى مفهوم الذات، فوظيفة مفهوم الذات هى وظيفة دافعية، تعمل على تكامل وتنظيم وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد فى وسطه، ولذا فإنه ينظم ويحدد السلوك. ويتفق ذلك مع ما يذهب إليه "كاتل" Cattle من أن الذات تسبغ السلوك الإنسانى بالإتزان والتنظيم والارتقاء السوى. *(حامد زهران، ١٩٩٠، ٢٩١)*، *(حامد زهران، ١٩٧٧، ٣٣)*.

كذلك نجد أن لمفهوم الذات أهمية قصوى فى المجال التربوى، فيرى " سيرز " R. sears ١٩٧٠ أن هناك علاقة وطيدة بين مفهوم الذات والتحصيل، وكلما كان مفهوم الذات موجباً ساعد ذلك على النجاح فى التحصيل. *(حامد زهران، ١٩٩٠، ٢٩٣)*، وكذلك أوضح " بروكوفير" Brookover ١٩٦٤ أن مفهوم الذات للفرد له علاقة بالأداء المعرفى له، وقد كشف عن فشل بعض الطلاب فى الاداء المعرفى، ليس بسبب إنخفاض القدرة العقلية، ولكن بسبب إنخفاض مفهوم الذات الإيجابى، وكذلك وجد "ستين" Stein ١٩٧١ أن قدرة الطفل على التعلم لا تعتمد

فحسب على التدريس الجيد، بل على تقييم التلاميذ لذواتهم بالإضافة إلى قيمهم. (مجدى عبدالكريم، ١٩٩١، ٢٢٨) وهذا ما أوضحته العديد من الدراسات من قبل مثل Bruck بروك ١٩٥٧، وكوبر سميث Cooper smith ١٩٥٩، وهاماشيك Hamachek ١٩٦٠. حيث أوضحت أن التلاميذ الذين يحصلون بشكل منخفض فى دراساتهم لديهم نظرة غير محببة للذات والتى تصاحب التحصيل الضحل تقام وتُنمى لدى عديد من الأطفال قبل دخولهم المدرسة – فقد أوضحت دراسة "واتينبرج" "وكليفورد" Wattenberg & Clifford ١٩٦٤ أن مشاعر طفل الروضة تجاه ذاته كما تتضح من خلال حديثه عن نفسه وعن رسمه لأسرته تعد مؤشراً قوياً على استعداده وتحصيله فى القراءة فيما بعد. (Jersild ، ١٩٦٩، ١٧٩). وهو نفس ما وجده كل من "شامبان وبورسما" Champen & Boersman ١٩٨٠ من أن الأطفال ذوى صعوبات التعلم قد نموا مجموعة مختلفة من السمات الانفعالية مقارنة بالأطفال ذوى التحصيل العادى، فهم لديهم مفهوم ذات منخفض وتوقعات منخفضة لذواتهم بالنسبة للأداء المستقبلى. (Charlton Charlton & Kenneth ، ١٩٨٩، ٧٣).

ولا تقف أهمية مفهوم الذات ووظيفته عند هذا الحد، بل إنه يعد مؤشراً هاماً على مدى التوافق والصحة النفسية للفرد. فتؤكد الدراسات والبحوث فى هذا المجال على العلاقة والارتباط القوى بين مفهوم الذات والتوافق النفسى، وأن سوء التوافق ينشأ عن إدراك تهديد الذات أو إدراك تهديد فى المجال الظاهرى أحدهما أو كلاهما، وأن الأفراد ذوى مفهوم الذات الموجب يكونون أحسن توافقاً من الأفراد ذوى مفهوم الذات السالب. (حامد زهران، ١٩٨٠، ٨٧) وقد أكدت بعض الدراسات حول العلاقة بين مفهوم الذات والقلق أن مفهوم الذات الإيجابى يرتبط بالتوافق السليم والعكس صحيح، وأوضحت هذه الدراسات كذلك العلاقة بين تقبل الذات والمرض النفسى، حيث أن المرض النفسي منشأه عدم القدرة على تقبل الذات والبيئة، وعدم تناسب الطموحات مع واقع القدرات. ولذلك فإن إدراك الفرد لذاته – فى العلاج الناجح – يخضع لعدة تغيرات تقوده إلى صورة أكثر واقعية عن ذاته، وتحرر الفرد ليعمل على تحقيق ذاته. ويرى " روجرز" Rogaresأن المرض النفسى ينشأ عندما تقل إمكانيات التوفيق بين الخبرات التى لا تتفق مع الذات، فتقل فرص تعديل الفكرة عن الذات، ويقع الفرد نهباً للتوتر نتيجة لهذه المعارضة المتزايدة بين الواقع والذات، ومن هنا يكون من وظائف العلاج أن يسمح للفرد بأن يدرك ويتقبل فى مفهومه عن ذاته الكثير من خبراته العضوية المصطرعة مع مفهوم الذات، بما يسمح له بالنمو الإيجابى. (مصطفى فهمى، ١٩٦٧، ١١٨، ١١٩)

فالفرد يميل لأن يسلك بالشكل الذى يتسق وينسجم مع فكرته عن ذاته وليس بالشكل الذى يتناقض معها. وينظر الفرد إلى كل خبرة لا تتسق مع فكرته عن ذاته على أنها تهديد له وتهديد لوحدة الذات التى يسعى لتحقيقها، ولذلك ينكر الفرد الإدراك الذى لا يتفق مع المفهوم الذى كونه عن ذاته، أو قد يحرف هذا الإدراك ويشوهه بحيث يمكنه قبوله، ذلك أن كسر الإحساس بالاتساق يكون مساوياً لفقدان شخصيتنا، وربما لصحة عقولنا، ومن ثم فإن الخبرات التى تتصارع مع صورتنا لما نكون عليه تهددنا، ويتم تشويه هذه الخبرات غالباً وتفسيرها بطريقة تقلل من التعارض الظاهر. (Critelli ، ١٩٨٧، ٧١، ٧٢) . وهذا ما يؤيده كل من "جولد شتاين " و "ألبورت " و "سوليفان" و "هورني" حيث يرجع المرض النفسى إلى كل ما يؤدى إلى الانحراف بمسار تحقيق الذات وثباته، وينمو كوسيلة للدفاع عنها تجنباً للقلق الذى يصيبها. *(ابراهيم أبو زيد، ١٩٧٧، ١٦)*

ولذا أصبح مفهوم الذات ذا أهمية بالغة ويحتل مكان القلب فى الارشاد والعلاج النفسى. فقد أجمع الكثيرون على أن أحد الأهداف الرئيسية للإرشاد النفسى والعلاجى هو تنمية مفهوم واقعى عن الذات، وأن معظم حالات سوء التوافق هى نتيجة الفشل فى تنمية مثل هذا المفهوم الواقعى. وبالتالى فإنه من الممكن إحداث تغيير وتعديل مفهوم الذات السالب إلى مفهوم موجب بدرجة معينة وذلك تحت ظروف خاصة، ومن ثم إمكانية إعادة التوازن أو التكيف النفسى للفرد المضطرب. *(حامد زهران، ١٩٨٠، ٨٢، ٨٧)*.

مفهوم الذات - آراء ونظريات :

إن الاهتمام بالذات ليس ظاهرة حديثة، فهى كمفهوم نظرى قد انساب مع تيارات الفكر الفلسفية والنفسية مذ القرن السابع عشر عندما ناقش الفيلسوف الفرنسى "ديكارت" لأول مرة "المدرك" أو الذات كجوهر مفكر. ثم خضعت الذات بعده للفحوص الفلسفية القوية لمفكرين مثل "ليبتز" Leibitz و "لوك" Locke و "هيوم" Hume و "بيركلى" Berkely، وعندما تطور علم النفس منفصلاً عن الفلسفة فقد تحركت الذات معه كتكوين متعلق به. *(ابراهيم أبو زيد، ١٩٨٧، ٣٦)*.

وقد مهد "وليام جيمس" W. James ١٨٩٠ الطريق للنظريات المعاصرة فى الذات وذلك بالفصل الشهير الذى كتبه عن الذات فى كتابه "مبادئ علم النفس" ، والكثير مما يكتب اليوم عن الذات والأنا مستمد مباشرة من "جيمس".

ويعرف "جيمس" الذات أو الأنا التجريبية Emperical Me في أكثر معانيها عمومية بأنها المجموع الكلى لكل ما يستطيع الإنسان أن يدعى أنه له - جسده، سماته، وقدراته، وممتلكاته المادية، أسرته، أصدقاؤه .. والكثير غير ذلك. ويناقش "جيمس" الذات تحت عناوين ثلاثة :-

١ - مكوناتها .
٢ - مشاعر الذات.
٣ - نشاط البحث عن الذات وحفظ الذات.

ومكونات الذات لدي "جيمس" هي :

- الذات المادية Material Self وتتكون من ممتلكات الفرد المادية.
- الذات الاجتماعية Social Self وتتكون من كيف ينظر زملاؤه له.
- الذات الروحية Spiritual Self وتتكون من ملكاته النفسية ونزعاته وميوله.
- الانا الخالصة Pure Ego وهى ما يكون إحساس المرء بهويته الشخصية أو الذات الداخلية لكل هذه الذوات. *(هول وليندزى، ١٩٧٨، ٥٩٩ - ٦٠٠)، (السيد محمد الحسينى ، محمد على، ١٩٦٧، ١٢٨- ١٢٩)*

الذات كفاعل مقابل الذات كموضوع : Self as Subject Vs. Self as Object

وكلمة الذات كما تستخدم فى علم النفس لها معنيان متميزان، فهى من ناحية تعرف باتجاهات الشخص ومشاعره عن نفسه، وهى ما تسمى بالذات كموضوع Object، حيث تعين اتجاهات الشخص ومشاعره ومدركاته وتقييمه لنفسه كموضوع، وبهذا المعنى تكون الذات هى فكرة الشخص عن نفسه. ومن ناحية أخرى تعتبر الذات مجموعة من العمليات السيكولوجية التى تحكم السلوك والتوافق، وهى ما يسمى بالذات كعملية Process، فالذات هى فاعل بمعنى أنها تتكون من مجموعة نشطة من العمليات كالتفكير والتذكر والإدراك. *(هول وليندزى، ١٩٧٨، ٦٠٠)*، (Harter ، ١٩٨٣، ٢٧٦) .

ويمكننا أن نوضح أن الذات تنقسم الي :

- الذات باعتبارها عارفة Self as knower أو فاعل Subject or doer وهى الذات المفردة (I).
- والذات باعتبارها معروفة أو موضوع Self as Known or object وهى الذات الاجتماعية (me)

والذات المفردة (I) كما أوضح "جيمس" هى ملاحظ نشط. أما الذات الاجتماعية (me)

فهى الملاحظ (ناتج عملية الملاحظة) عندما يركز الإهتمام على الذات. (Santrock ، ١٩٨٨، ٢٧٩)، (Mack & Abolon ، ١٩٨٣، ٥)، (Harter ، ١٩٨٣، ٢٧٧)، (Bukako & Daehler ، ١٩٩٢، ٤٥٨ - ٤٦٦)، (Jersild ، ١٩٦٩، ١٦٤-١٦٦).

هذا وقد صيغت تقسيمات مشابهة قام بها بعض الباحثين، فنجد "ديكستين" Dickestein ١٩٧٧ على سبيل المثال، قد قابل بين "الذات الدينامية" Dynamic Self ، التى تمتلك معنى الوسيط، الضبط، القوة الشخصية، والذات كموضوع لمعرفة وتقييم الفرد. (Harter ، ١٩٨٣، ٢٧٧)، هذا ويشير بعض الباحثين إلى الذات المفردة (I) باعتبارها الذات الوجودية Existential Self ، والى الذات الاجتماعية (Me) بإعتبارها الذات الصنفية Categorical Self (Owens ، ١٩٨٧، ٢٦٩)، (Harter ، ١٩٨٣، ٢٧٧). ويمكننا أن نؤكد أن محتوى نمو الذات هو التفاعل الاجتماعى مع الآخرين، كما أوضح "بالدوين" Baldwin " وكولى" Cooly " وميد" Mead .

الذات لدى "بالدوين" Baldwin (الذات ثنائية -القطب) : يرى "بالدوين" أن الذات الحقيقية real self هى ذات ثنائية القطب bipolar وهو ينظر إلى الذات بأعتبارها قطب واحد، مع الشخص الآخر (الآخر) alter باعتباره القطب المقابل، ويقول "بالدوين" أن إحساسى بذاتى ينمو بتقليدك، وإحساسى بذاتك ينمو من خلال إحساسى بذاتى.. فكل من الأنا ego والآخر alter هى بالضرورة اجتماعية، فكل منهما وحدة إجتماعية Socius ،وكل منهما ابتكار تقليدى imitative Creation. (Harter ، ١٩٨٣، ٢٧٧).

وتقد تتبع "بالدوين" ديالكتيك النمو الشخصى من خلال مراحل ثلاث :

- الإسقاطية Projective
- والذاتية Subjective
- والإخراجية ejective

ففى المرحلة الأولى يستجيب الطفل لإيحاءات الشخصية، ليصبح مجموعة من الخبرات غير المستقرة فى معناها التاريخي والتنبؤى، ثم يتقدم الطفل إلى المرحلة الذاتية عن طريق تقليد الأشخاص، وهنا تبدأ ذاته فى التميز عن ذوات الآخرين، وأخيراً ينتهى الطفل إلى المرحلة الإخراجية التى يشعر فيها أن للآخرين ذواتاً متميزة عن ذاته لها نفس الخصائص التى تميز ذاته، وهنا تظهر الذات الاجتماعية. *(السيد محمد الحسينى، محمد على،* ١٩٦٧، ١٢٩).

أما "كولى" Cooley فيرى أن دور الآخرين مشابه لمرآة إجتماعية Social mirror وهو يرى أن ما يصبح الذات هو ما نتخيل أن الآخرين يعتقدونه فينا، مظهرنا ، أهدافنا، أفعالنا، خلقنا وهكذا. إن الذات الاجتماعية من هذا النوع يمكن أن يطلق عليها "الذات المنعكسة" أو الذات المرآة reflecting or looking glass self. (*Harter*، ١٩٨٣، ٢٧٧). وعلى ذلك تصبح الذات الإجتماعية فكرة أو نسق من الأفكار يشتق وجوده من خلال التواصل بين الأفراد. ونعتبر تخيلنا للصورة التى نبدو بها أمام الآخرين أحد الجوانب الأساسية للذات الاجتماعية.

وبهذا المعنى فإن فكرة " مرآة الذات" لدى "كولى" تتضمن ثلاث عناصر أو مكونات أساسية هى :

١ - التخيل لمظهرنا بالنسبة لفرد آخر.
٢ - التخيل لأحكام هذا الفرد عن مظهرنا.
٣ - نوع ما من الشعور نحو الذات، مثل الإعجاب بالذات أو إهانتها وتحقيرها. (*Harter*، ١٩٨٣، ٢٠٩).

وعلى أساس هذه العناصر أو المكونات فقد ميز " كولى" بين ثلاثة أنواع من الوعى :

١ - الشعور بالذات Self Cons ciousness وهو يتضمن "فكرتى عن ذاتى".
٢ - الشعور الاجتماعى Social Consciousness وهو يعنى "فكرتى عن الآخرين".
٣ - الشعور العام Public Consciousness وهو ينطوى على النظرة الجمعية للذات والشعور الاجتماعى الذى يستغرق كل أعضاء الجماعة. (*السيد محمدالحسينى، محمد على*، ١٩٦٧، ١٣٠).

أما الذات عند "جورج ميد" Mead فهى موضوع للوعى أكثر منها نظام للعمليات. وفى البداية لا توجد ذات لأن الشخص لا يمكنه الدخول فى خبراته مباشرة، أى أنه لا يعى بذاته فطرياً، فهو يستطيع أن يخبر الناس كموضوعات ويقوم بذلك بالفعل، ولكنه لا يعتبر نفسه ابتداء موضوعاً، ولكن الآخرين يستجيبون له بوصفه موضوعاً، ونتيجة لهذه الخبرات فإنه يتعلم أن يعتبر نفسه موضوعاً وتنشأ لديه مشاعر واتجاهات عن نفسه فيستجيب الشخص لذاته كما يستجيب لها الآخرون - فالذات عند "ميد" هى ذات تكونت إجتماعياً، ولا يمكن أن تنشأ إلا فى ظروف إجتماعية، وحيث توجد إتصالات اجتماعية (*هول وليندرى*، ١٩٧٨، ٦٠٧، ٦٠٨)

وقد وصف "ميد" الوعى بالذات بقوله " أننا نبدو كذوات فى تصرفنا حينما نأخذ الاتجاه الذى يأخذه الآخرون نحونا، إننا نأخذ الدور لما يمكن أن يسمى بالمفهوم العام للآخرين (أو فكرة الفرد عن الآخرين) Generalized other . وبالقيام بهذه العملية فإننا نبدو كموضوعات إجتماعية، كذوات. (Harter ، ١٩٨٣، ٢٧٨). ويرى "ميد" أنه يمكن أن تنشأ عدة ذوات تمثل كل منها مجموعة من الاستجابات مكتسبة من مختلف الجماعات الاجتماعية.. فقد تنمو لدى الشخص ذات عائلية، وذات مدرسية... إلخ. (هول وليندزى، ١٩٧٨، ٦٠٨).

أما " لندهولم " Landholm ، فقد ميز بين "الذات الذاتية" Subjective Self والذات الموضوعية Objective Self وتتكون الأولى من تلك الرموز، الكلمات مثلاً التى يعى الفرد نفسه من خلالها، وتتكون الذات الموضوعية من تلك الرموز التى يصف الآخرون الشخص من خلالها. بعبارة أخري، فالذات الذاتية، هى ما أعتقده فى نفسى، والذات الموضوعية هى ما يعتقده الآخرون فى. (هول وليندزى، ١٩٧٨، ٦٠٣)

ولعلنا نلاحظ أن هذا التمييز الذى يأخذ به " لندهولم" يتفق إلى حد كبير مع ما يذهب إليه "وليام جيمس" حيث يرى أن الفرد يملك عدة ذوات، الذات كما يعتقد الفرد، وهى تقابل عند "لندهولم" "الذات الذاتية"، ثم الذات كما يعتقد أن الآخرين يرونها، وهى تقابل عند " لندهولم" الذات الموضوعية. وهو فى ذلك يتفق أيضاً إلى حد ما مع فكرة " كولى" عن مرآة الذات بعناصرها الثلاث والتى سبق تناولها.

أما "ساربين" Sarbin ، فانه يعتبر الذات بناءاً معرفياً يتكون من أفكار المرء عن مختلف نواحى وجوده . فقد يكون للمرء مفهوم عن جسده " الذات البدنية" وعن أعضاء الحس لديه وبنائه العضلى (الذات المستقبلة - الموردة) وعن سلوكه الاجتماعى (الذات الاجتماعية) . وتُكتسب هذه الذوات - التى تعتبر أبنية تحتية للبناء المعرفى الكلي - خلال الخبرة، وبالتالى يتحدث عنها "ساربين" بوصفها " ذوات تجريبية" - وهو يرى أن هذه الذوات تتبع نظاماً ارتقائياً فى بزوغها، فالذات البدنية أولاً، وفى النهاية الذات الاجتماعية. (هول وليندزى، ١٩٧٨، ٦٠٤)، (Harter ، ١٩٨٣، ٢٧٦)

ويتفق "ساربين" فى ذلك مع "ألبورت" Alport و " أتوفينخيل " من أن الذات أو الأنا فى المقام الأول ذات أو أنا جسمانى - ثم تظهر الذات الاجتماعية بعد ذلك .. كما سنرى فيما بعد.

أما "كارل روجرز" Carle Rogers، فقد صاغ نظرية فى الذات، وتتلخص التصورات الرئيسية المكونة لنظرية "روجرز" فيما يلى :

١ - الكائن العضوي أو الاورجانزم Organisim وهو الفرد بكليته .

٢ - المجال الظاهرى Phenomental أو عالم الخبرة وهو مجموع الخبرات الفردية أو الخبرة فى كليتها وليس فى جزئياتها.

٣ - الذات - أو مفهوم الذات - وهى الجزء الصامت من المجال الظاهرى (عالم الخبرة) وتتكون من نمط للادراكات والقيم الشعورية المتعلقة بالذات أو الأنا أو بالفرد كمصدر للخبرة والسلوك.

أما الذات وهى المفهوم النواة فى نظرية "روجرز" عن الشخصية فلها خصائص عديدة :-

- أنها تنمو من تفاعل الكائن من البيئة.
- أنها قد تمتص قيم الآخرين وتدركها بصورة مشوهة.
- تنزع الذات إلى الاتساق، بمعنى أن الكائن العضوى يتصرف بأساليب تكون موافقة مع تكوين الذات.
- ان الخبرات التى لا تتسق مع الذات تدرك بوصفها تهديدات للذات التى قد تتغير نتيجة للنضج والتعلم.

وبذلك يُعد مفهوم الذات وبناء على المفاهيم وخواص الذات في نظرية "روجرز" هو المحدد لكيفية إستجابة الفرد فيما يواجهه من مواقف، ويتضمن أيضاً الصورة التى يدرك بها ذاته من خلال إستجابات الآخرين الذين يتعامل معهم، ووفقاً لهذه النظرية، فإن مفهوم الذات يحدد كل صور السلوك، وأن معظم صور السلوك إنما تنتظم حول جهود هادفة للحفاظ على هذه الذات الظاهرية والعمل على إثرائها. وهكذا ينظر "روجرز" إلى مفهوم الذات كمفهوم متطور عن تفاعل الكائن الحى مع البيئة، ولذلك يكتشف الفرد من هو خلال خبراته مع الأشياء والأشخاص.

وقد لخص "روجرز" النتاج النهائى لوجهة نظره كالتالى :-

" تعد هذه النظرية ظواهرية الطابع فى أساسها وترتكن فى المقام الأول على الذات كمفهوم تفسيري، وهى تصور نقطة النهاية لارتقاء الشخصية بوصفها إتفاقاً أساسياً بين المجال الظواهرى للخبرة والبناء التصورى للذات - وذلك موقف إذا تحقق فإنه يمثل تحرراً من الإجهاد الداخلى والقلق، ومن الإجهاد المحتمل، وهذا هو حد الكمال فى التوافق الموجه واقعياً،

ومعناه إقامة نظام فردى للقيم وعلى جانب كبير من الاتفاق مع نظام القيم لأى إنسان أو له نفس القدر من التوافق السوى". *(هول وليندزى، ١٩٧٨، ٦١٢، ٦١٣، ٦٢٤، ٦٢٥)*، *(أنور الشرقاوى، ١٩٨٦، ٢٠٦)*، *(Santrock، ١٩٨٨، ٢٨٦، ٢٨٧)*، *(عزت اسماعيل وآخرون، ١٩٨٤، ٢٤٠، ٢٤١)*، *(مصطفى فهمى، ١٩٦٧، ١١٨، ١١٩)*.

أما نظرية "فرنون" ١٩٦٣، فإنه يذكر فيها أن هناك عدة مستويات للذات، وطبقاً لآرائه فإن كل فرد يشعر أنه يمتلك نواه حقيقية أو ذاتاً مركزية تختلف عن الموجودات الخارجية، وأن الذات المركزية معقدة ذات أجزاء كثيرة وهى فى صراع دائم مع بعضها. ولكنها تكون رغم ذلك موحدة بواسطة إحساس الذاتية، وأن مفهوم الذات يحتوى على دوافع تظهر أحياناً، أنها تعمل خارج ضبط وتحكم وإرادة الفرد – ويحتوى أيضا على المثاليات والأمانى والمستويات التى تختلف عن المستويات الأخرى، ويعتبر كلام "فرنون" عن مستويات الذات – والتى سنعرضها عند التعرض لأبعاد مفهوم الذات – مرحلة متقدمة فى تفسير محتوياتها. *(ابراهيم أبو زيد، ١٩٨٧، ٧٢)*، *(حامد زهران، ١٩٧٧، ٧٧)*.

أما " لويس و **بروكس جون**" Lewis & Brooks Jun ١٩٧٩ فيعالجان الذات تحت خطوتين نمائيتين هما، الذات الوجودية Existential self ، والذات الصنفية Categorical self فالذات كفاعل Subject لديهما هى أن ينمى الطفل الإدراك أو التحقق من أن الذات" وجودية" بمعنى أنها توجد باعتبارها منفصلة عن الآخرين فى العالم، أى الذات الوجودية.

أما الذات كموضوع Object فإنه يشار إليها باعتبارها الذات الصنفية، والتى فيها يجب أن ينمى الطفل الصغير فصائل أو فئات Categories يعرف نفسه بواسطتها مقابل العالم الخارجى. وهكذا فإن الطفلة الأنثى مثلاً عليها أن تتعلم ، على سبيل المثال أنها تنتمى لفئة من الأطفال، وليس الراشدين، وأنها بنت وليست ولد. ويتقدم النمو فى تتابع من "الذات الوجودية" إلى "الذات الصنفية"، من مفهوم "أننى أكون" I am أو أننى موجود I exist إلى من " أكون" Who I am . *(Harter ، ١٩٨٣، ٢٧٧)*، *(Bee & Mitchell ، ١٩٨٤، ٢١١، ٢١٢)*، *(Stipek ، ١٩٩٠، ٩٧٢ – ٩٧٧)*، *(Santrock ، ١٩٨٨، ٣٧٩)*.

ويقرر " لويس وبروكس" أن هذا التقدم يمثل حجراً نمائياً هاماً فى التعرف على الذات وتمييزها Self- recognition لأنه يأذن بظهور الذات الإجتماعية (Me) أو مفهوم الذات. فحينما

تظهر الذات كموضوع، فإن الأطفال ينمون تدريجياً نواح وجوانب يحددون بها أنفسهم فى مقابل البيئة الخارجية - وهذا الاكتساب يتطلب تقديراً لتلك الصفات أو الخصائص المميزة أو الفريدة للذات. (Owens ، ١٩٨٧، ٢٧٦) .

مفهوم الذات - التطور :

يستهل الطفل الحياة بتفرقة غير واضحة بين الذات واللاذات.. فالأطفال لم يتعلموا بعد الحدود التى تفصلهم عن الموضوعات أو الأفراد الآخرين - فالطفل ليست لديه بعد أية معرفة عن وجود ذات جسمية أو ذات إجتماعية - فالحدود الفاصلة بين ما هو جزء منه وما ليس جزءاً منه لم تتضح بعد - فالوليد عقب الولادة يمر بمرحلة العبرية Transvitism أى أنه لا يوجد تمايز بين ذاته وبين غيره، وإنما تتكون ذات الطفل وموضوعه تدريجياً أثناء السنة الأولى من العمر، وهو يدرك بيئته فى أول الأمر ككل ضئيل التمايز، ويدرك أصواته واستجاباته الحركية لا على أنها صادرة منه، بل على أنها من بين مقومات هذه البيئة.

فالبيئة وجسمه شئ واحد، وأن ما يحدث فى الداخل إنما هو شئ خارجى يأتى من الداخل - فالثدى الذى يوفر له الغذاء ويشبع حاجاته يدركه بوصفه جزءاً منه وينحصر إدراك الطفل لما فى داخله من مثيرات حشوية (الجوع والعطش...) فهو مدفوع إلى تحقيق اللذة والابتعاد عن الألم، وتقوم الأم بهذه العملية، فهى التى تعمل على إشباع حاجاته البيولوجية، كما تحاول جاهدة إبعاد كل ما يؤلمه.. فعندما تسمع بكائه تسرع بتقديم كافة الخدمات اللازمة لخفض التوتر الفسيولوجى عنده - وبما أن قدرة الوليد على الإدراك الحسى لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة تمكنه من التمييز بين عناصر البيئة، وأن الأم هى التى تقوم بإشباع حاجاته - فليس هناك ما يجعل الطفل يدرك التمايز بينه وبين العالم حوله، كما لا يستطع تحديد أسباب اللذة والألم، فهناك نوع من العلاقة التكافلية Symbiotic relation بين الأم والطفل، حيث يرتبط الاثنان وكأنهما شخص واحد. (Haber & Rynyon ، ١٩٨٤، ٥٧، ٥٨)، (سيد غنيم، ١٩٧٥، ١٨٤)، (نيفين زيور، ب.ت، ١٧- ٢٧)، (انتصار يونس، ١٩٨٦، ٢٧٢)، (Bee & Mitchell ، ١٩٨٤، ٢١١- ٢١٨) .

ومن خلال ما أسماه "سبيتز Spitz" الحوار أو الديالوج (التبادل المتعاقب من الفعل - الاستجابة - الفعل) ضمن إطار علاقة الأم - الطفل، يتمكن الطفل من تشييد صورة ذهنية عن عالمه. (نيفين زيور، ب.ت، ٢٧) وبالنسبة للطفل فإن الخطوة الأولى فى تنمية إحساسه أو مفهومه عن ذاته ينبغى أن تكون هى الفهم بأنه كيان منفصل ومميز.

ولقد أطلق "لويس وبروكس M.lewis & J.Brcoks ١٩٧٩ على هذه الخطوة " نمو الذات الوجودية" existential self – ولقد ناقشنا أن المدعمات الأساسية لهذا الإحساس بالانفصالية separationess فى التفاعلات التلقائية التى تقوم بين الطفل والمحيطين به. (Bee & Mitchell، ١٩٨٤، ٢١١– ٢١٨) .

فالطفل يولد كائناً اعتمادياً يتمتع بوجود بيولوجى قاصر يعطيه صفة الحضور بالقوة، ثم لا يلبث أن ينمو ويتفاعل مع البيئة من حوله يؤثر فيها ويتأثر بها حتى يكتسب صفة الحضور بالفعل . وبيئة الطفل فى ذلك الوقت – كما قلنا– هى المثيرات الصادرة من الجسم (الحشوية) والأم التى تعينه على الاستجابة لتلك المثيرات .. وبواسطتها وبواسطة معين الحب الذى لا ينضب والتى تكون هى منبعه ينمو الوليد ويتحول الوجود البيولوجى بالقوة، الغفل من المعنى، إلى وجود وحضور بالفعل ذى معنى ودلالة – حضور مستقل انسلخ من الاعتمادية التى نشأ متسماً بها– محققاً كياناً منفرداً مستقلاً. (فرج أحمد، ١٩٨٠، ٢٥).

وبصدد الانفصال عن الآخرين يرى "آرثر جيرسيلد A.T. Jersild ١٩٦٩ أن الطفل حينما يكبر فهو يملك خبرات تجعله تدريجياً واعياً بأنه فريد ومميز Unique – وهذا الوعى النامى – فيما يبدو– يحتاج جزئياً حالة من الإحباط – فحاجات الطفل كجنين كانت تشبع بواسطة تدفق العمليات النمائية Vegetative ، وبعد الميلاد فإن حاجاته الجسمية تحفز قدرته على الصراخ والتلوى، وإذا ما أحدثت صرخاته الإشباع أوتوماتيكياً، فهو لا يزال يسبح – بشكل ما – فى الترتيب أو النظام قبل الولادى الأشياء – ولكن شئ ما آخر يصبح متضمناً حينما يصرخ ولا يوجد تسكين آلى سريع لعدم إرتياحه ورغباته، فيواجه بعد ذلك بحقيقة أن هناك اختلافاً بين استفزازات جسده والراحة التى يتوق إليها جسده – وآجلاً أو عاجلاً فى وعيه البازغ توجد بقية لحالة سوف تكون مؤثرة عليه بمرور الوقت هى : ان حاجاته لا تمد بشكل أوتوماتيكى، فهناك إختلاف بنيه ككيان راغب والظروف التى تخدم وتشبع رغباته، فهو مركز الرغبة، ولكن الرغبة فى ذاتها لا تحمل الوعد بالإشباع، وهذا يضطره بمرور الوقت أن يصبح واعياً بأنه لكى يحصل على ما يريد فهو لا يستطيع أن يبقى سلبياً، ولكن يجب أن يؤكد بشكل فعال رغباته ويجاهد فى سبيل إشباعها. (Jersild، ١٩٦٩، ١٦٦)

ومن ثم نجد أن "مارجريت ماهلر" M. Mahler ترى أن للطفل نقطتين أساسيتين يحاول من خلالهما أن ينمى تشكيلاً لذاته **الأولى** هى أحاسيسه الداخلية، مكوناً الجوهر الأوائلى

للذات، والثانية هى إحساسه بمانح الرعاية والمتمثل فى الموضوع اللبيدى - الأم.
(منال شحاته، ١٩٨٩، ٤٤، ٤٥).

وهنا تؤكد نظرية التحليل النفسى على صورة الجسم Body image باعتبارها الركيزة الأولى فى إرساء قواعد الشعور بالذات، فيرى "فرويد" أن الأنا فى المقام الأول أنا جسمانى.

وأشار " أوتوفينخل Fenickel إلى أهمية تصور الطفل لجسمه والدور الذى تلعبه صورة الجسم فى تكوين الشعور بالذات، فيرى " أنه فى إرتقاء الواقع، يلعب تصور الطفل لبدنه دوراً جد خاص، ففى البداية يكون فقط إدراك التوتر، يكون إدراك " شئ فى الداخل". وفيما بعد، ومع الوعى بوجود موضوع يسكِّن هذا التوتر، يكون لدى الطفل "شى فى الخارج " ويدن الطفل هو هذا وذاك فى نفس الوقت - وبسبب حدوث كلا من المعطيات اللمسية الخارجية والحسية الداخلية فى نفس الوقت، يغدو البدن عند الطفل شيئاً منفصلاً عن بقية العالم، ومن ثم يصبح من الممكن تمييز الذات عن بقية العالم، ومن ثم يصبح من الممكن تمييز الذات عن اللاذات.
(أوتوفينخل، ج ١، ١٩٦٩، ٩٧)

ويتفق ألبورت Alport مع أوتوفينخل حيث يذهب إلى أن أول مظهر لفكرة الذات فى هذه المرحلة الأولى هو إحساس الطفل بأن له "جسماً " أى الاحساس "بالذات الجسمية "، أى أن هذا الجسم جسمه هو. فالطفل يستقبل سيلاً من الاحساسات العضوية الداخلية، كما أنه يتأثر أيضاً بالكثير من المثيرات العديدة الموجودة فى العالم الخارجى، بيد أن هذه الإحساسات الجسمية لا يكون لها بالطبع أى أثر فى تكوين الذات ما لم تكن متكررة - ومعرفة هذا التكرار للاستجابات البسيطة المتلاحقة. يتطلب نضجاً مناسباً فى اللحاء بشكل يسمح بالاحتفاظ بآثار الخبرات السابقة. وكما ينمو الإحساس بالذات الجسمية من الاحساسات العضوية المتكررة التى تصدر من العالم الخارجى، فالاحساس بالذات الجسمية هو فى نظر "ألبورت" وثيقة وجودنا، بمعنى أن إحساساتنا وحركتنا تمدنا بمعرفة ثابتة عن وجودنا - ولكن رغم ما للذات الجسمية من أهمية إلا أنها ليست كل شئ فى تكوين فكرة الذات عند الطفل فى هذه المرحلة الأولى من الحياة، فهناك أفكار أخرى لها أهميتها. *(سيد غنيم، ١٩٧٥، ١٨٥)*

ونؤكد هنا أن الطفل يصل إلى فكرة الشئ الخارجى الذى (ليس هو) قبل أن يتمكن من أن يدرك أن له ذاتاً متميزة عن هذا العالم الخارجى بوقت طويل - كما يدرك وجود الأشياء الخارجية قبل إدراكه لذاته ... فمعرفة الآخر تسبق معرفة الذات، فالطفل يتعلم أن يدرك " ماما-

بابا" قبل أن يدرك ذاته، وأن إدراكه لهذه الأوصاف يتعلم قبل أن يتعلم أسمه. فهو فى البداية قد تستثيره صورته فى المرآة ويحملق فيها ويحاول اللعب معها دون أن يدرك أن هذه الصورة التى يراها هى صورته هو – وهو فى العادة يميز صورة والديه فى المرآة قبل أن يستطيع أن يميز صورته هو. (سيد غنيم، ١٩٧٥، ١٨٤)، (Harter ، ١٩٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥) .

وأحد التكنيكات المستخدمة لاكتشاف الوعى المبكر بالذات استخدام مرآة – فيوضع الطفل أمام مرآة، حتى نرى كيف يسلك. فنجد أن معظم الأطفال فى حوالي ٩ إلى ١٢ شهر سوف ينظرون إلى صورهم ويحاولون التفاعل مع الطفل الموجود بالمرآة بشكل ما، وبعد السماح بهذا الاستطلاع الحر لمدة من الوقت، فإن المجرب أثناء التظاهر بمسح وجه الطفل بقطعة قماش، يضع بقعة من أحمر الشفاه على أنف الطفل، وبعد ذلك يترك الطفل ينظر فى المرآة. إن الاختبار الحاسم للتعرف على الذات، وكذلك الوعى بالذات، يكون هو ما إذا كان الطفل يصل إلى البقعة على أنفه هو وليس البقعة الموجودة على الوجه فى المرآة.

وفى دراسة من دراسات "لويس" M. Lewis ١٩٧٠ مستخدماً نفس الإجراء، أوضحت النتائج أن الأطفال فى سن الواحد والعشرين شهراً ، حوالي ثلاثة أرباع هؤلاء الأطفال قد أظهروا هذا المستوى من التعرف على الذات، وكذلك أتضح أن الأطفال يشيرون إلى أنفسهم بالاسم حينما تعرض عليهم صورة لهم عند سن سنتين. إن نتائج هذا البحث تشير إلى أنه من الواضح أن أغلب الأطفال فى سن ٢١ إلى ٢٤ شهر ينمون تصور واضحاً لانفصالهم عن الآخرين وأن لديهم فكرة ما عن مظهرهم. (Harter ، ١٩٨٣، ٢٨١)، (Bee & Mitchell ، ١٩٨٤، ٢١٤) .

وفى هذه السن ومن خلال التعرف على الذات مستقلة، يدرك الطفل دوام الذات وتصبح مبدأ تنظيمياً لمعرفة الأطفال للذات كفاعل Subject والذات كموضوع Object . فنمو الذات كفاعل قد يكون مرتبطاً بالمسألة العامة للدوام، والاستمرار والدوام يتعامل مع الاعتراف بأن الموضوعات والناس توجد حتى حينما تغيب عن الإدراك، ويبدأ الأطفال مع الإحساس المستفيض بدوام الموضوع فى بناء الذات كموضوع دائم. (Owens ، ١٩٨٧، ٢٧١– ٢٧٣) . ثم حين يبدأ ينتقل فى أرجاء البيت بالزحف من مكان لآخر، قد يصطدم بأشياء كثيرة تسبب له ألماً– أى يبدأ يدرك أن هناك أشياء خارجية عنه، وكما سبق يتعرف على الوجوه المألوفة فى البيت من الأبوين والإخوة – كما يتعرف على الغرباء في البيت .. وهذا التعرف على الغير يسبق أيضاً التعرف على الذات. (سيد غنيم، ١٩٧٥، ١٨٤)

ومن ثم يمكننا أن نذهب مع "فرج أحمد" ١٩٨٠ إلى أن الذات هى وعى بالوجود في العالم بشقيه البشرى (الآخر) والمادى (الطبيعة الفيزيقية). فالذات هى وعى دائم لا يتوقف بسلسلة من المشروعات (كما يقول سارتر) أو الأهداف والغايات التى تهدف فى مجملها إلى ما يسمى "تحقيق الذات" Self- actualization بوصفه الهدف الأعلى والأسمى للحياه النفسية، ذلك الهدف الذى يندرج تحت سلسلة من الأهداف والدوافع الأدنى كما يوضح لنا ذلك "ابراهام مازلو". *(فرج أحمد ، ١٩٨٠، ٢٥)*

ويتفق ذلك مع ما يذهب إليه "جولد شتين" Gold stein من أن الهدف الأعلى والأسمى للحياة النفسية هو تحقيق الذات، إنه الدافع الوحيد لدي الكائن العضوي، وما يبدو أنه محركات مختلفة كالجوع والجنس والقوة والإنجاز والميل إلى الاستطلاع ليس إلا مظاهر لغرض أسمى للحياة، هو تحقيق المرء لذاته. *(هول وليندزي، ١٩٧٨، ٢٩٨)*.

ويواصل "فرج أحمد" ١٩٨٠ أن الذات فى حقيقة الأمر هى تلك العلاقة التى لا تتوقف ما أستمرت الحياة بالآخر والتى يهدفها النهائى "الإعتراف" بحق الوجود. فهوية الذات انما تتشكل وتخلق من خلال الآخر وبه .. فالذات بدون الآخر وجود غفل، وتظل بلا وجود متعين متجدد- ولا يتحقق هذا الوجود بالفعل إلا من خلال الآخر وإيجابية العلاقة به .. ولكن يجب أن نفطن إلى أن الذات ليست صورة طبق الأصل من الآخر وإنما تتشكل من خلال علاقاتها به ومن خلال موقفه منها قبولاً أو رفضاً. *(فرج أحمد، ١٩٨٠، ٢٢- ٢٦)* ويبين كيف أن حب الام لطفلها يؤدى إلى حب الطفل لنفسه والرضا عن ذاته وقبولها - فصورة الذات انعكاس لموقف الأم من طفلها، وهى المرأة التى يرى فيها الطفل ذاته وعالم الآخرين، إن صفت صفى عالمه وإن عبست عبس العالم وأهتزت معالمه. أو أن فقدان الثقة - كما يرى اريكسون - في هذه المرحلة المبكرة يؤدى إلى الشخصية المضطربة فى الكبر - وأن أول عمل للأنا أو (الذات) هو إقامة أنماط ثابتة لحل الصراع الرئيسى للثقة فى مقابل فقدان الثقة، وأن مقدار الثقة المستمدة من الخبرة الطفلية المبكرة يتوقف على نوع العلاقة بين الطفل والأم ومدي الرعاية الحساسة لحاجات الطفل. (سيد غنيم، ١٩٧٦، ٦٦٧)

ويرى أصحاب المنظور الاجتماعى أن الذات هى نتاج اجتماعى وأنها تتشكل أصلا وفى المقام الأول نتيجة تفاعل الفرد فى البيئة الاجتماعية الأولى التى ينشأ فيها. وقد أكدت الدراسات التى عالجت نمو الألفاظ المعبرة عن الذات (أنا - لى إلخ) والتى تشير إلى وعى

الفرد بذاته صحة أن سلوك المحيطين بالفرد وتفاعلهم معه هو الذى يحدد اتجاهات تكوين ذات الفرد ويصبغ شخصيته – كما أكدت الدراسات أن الطفل يتعلم استخدام كلمة "أنا" التى تعبر عن الذات نتيجة لتفاعله مع غيره من الأفراد الذين يستخدمونها، وأن الكلمات التى تشير إلى الذات وتعبر عنها لا تأخذ معناها إلا من خلال المجال الاجتماعى الذى يتفاعل فيه الطفل.
(نجيب اسكندر، وآخرون، ب.ت، ١٥٧).

ولعل ذلك يتفق مع فكرة "كولى" Coley عن الذات، حيث يرى أن الذات لا تمنح للفرد منذ ولادته لأنها تتميز بالنمو الاجتماعى، وهى ترتبط دائماً ببعض المشاعر أو العواطف... ويبدأ الشعور بالذات فى الأسابيع الأولى من حياة الطفل، حيث يظهر لديه شعور مشخص ودوافع معينة نحو الاندماج الاجتماعى، ويبدو هذا الشعور غامضاً محدداً فى هذه الفترة، بحيث يقتصر على اللذة التى يحصل عليها نتيجة لخبراته الحسية كالبصر والسمع واللمس، ومن خلال التحول التدريجى والتميز تنمو لديه دوافع التو صل مع الأشخاص، فتبدأ بمحادثة بعض الرفاق أو تخيل محادثتهم – ولاشك أن هذا الضرب من السلوك يوضح المدي الذى يبلغه عقله من حيث اكتساب سمة الاجتماعية.

ويرى " كولى " أن الذات الاجتماعية هى فكرة أو نسق من الأفكار يشتق وجوده من خلال التواصل بين الأفراد.. فاكتساب الطفل لبعض الكلمات مثل "أنا" – كما قلنا– ومعناها مرتبط بتمييز الذات وتحددها، والطفل يكتسب هذه الصفة نتيجة احتكاكه واتصاله بالآخرين .. ونعتبر تخلينا للصورة التى نبدو بها أمام الآخرين أحد الجوانب الأساسية للذات الاجتماعية – وهو ما أسماه " كولى " مرآة الذات أو الذات المنعكسة Looking- glass self . *(السيد الحسينى وآخر، ١٩٦٧، ١٢٧– ١٢٩)*، والتى سبق الحديث عنها.

وتلعب اللغة دوراً هاماً فى هذا الصدد – فعندما يبدأ الطفل التحدث والتعبير عن رغباته يستخدم من الألفاظ ما يشير إلى حاجاته ورغباته، ثم إن اسم الطفل الذى يتردد على مسمعه فى اليوم الواحد مرات عديدة قد يساعده أيضا على أن يدرك ذاته كشئ متميز ومستقل. فمع الاسم تأتى المعرفة بالوضع المستقل، وأن له وجوداً مستقلاً عن وجود الآخرين يتمثل فى هذه الذات الجسمية التى بدأ يحس بوجودها – ولذا فإن الأسماء – كما يرى "كارين أونز" K.Owens ١٩٨٧ هى الجّزء الصامت من مفهوم الذات. *(سيد غنيم، ١٩٧٥، ١٨٦)*، *(Owens ، ١٩٨٧، ٢٧٩، ٢٨٠)*.

وعند نهاية العام الأول، نجد أن معظم الأطفال يبدون دلائل الاستقلال ويرغبون فى القيام بالأشياء بأنفسهم – وبين ما يقرب من الشهر الرابع عشر والثانى والعشرين من العمر، فإن معظم الأطفال يمرون بمرحلة المعارضة Oppositional stage فيجعلوننا نعرف أنهم يملكون عقلاً خاصاً بهم. *(Draper ، ١٩٨٨، ٩١، ٩٢)* . ولهذا نجد أن رغبة الطفل فى إثبات وجوده أو تقديره لذاته يلعب دوراً هاماً فى هذه المرحلة من مراحل تكوين فكرة الذات. فالطفل يحاول القيام ببعض الأشياء بنفسه أو تناول بعض الأشياء واللعب بنفسه وينتقل فى أرجاء البيت يستكشف ما فيه، ويجد لذة كبيرة فى القيام بمثل هذه الألوان من السلوك والتى إن أعيقت من جانب الكبار يشعر الطفل كأنها ضربة موجهة لتقديره لذاته، بمعنى أن الذات قد أحبطت وأعيقت، ونتج عن ذلك شعور بالضعف أو إحساس بالغضب – ويحس الطفل بذاته ويكون واعياً بها لدرجة كبيرة ويكون هذا السلوك واضحاً لدى طفل هذه المرحلة، حتى إن البعض يسميه "الحاجة إلى الاستقلال الذاتى" ، وهى سمة ملحوظة وبارزة فى فكرة الذاتية عند طفل الثانية أو الثالثة – وهذا ما يتجلى فى ثورة المعارضة التى يتميز بها طفل هذه الفترة بالنسبة للطعام والملابس وإطاعة الأوامر – وكل ما يريده الآباء عادة. فهو ينظر إلى أوامر الكبار كما لو كانت تهديداً يهدد تكامله ولذلك تتضح عنده ظاهرة الرفض كما لو كانت كلمة "لا" وسيلة لحماية الذات من كل ما يؤدى إلى تحقيرها. فكلمة لا كما أوضح "شبيتز" Spitz هى بمثابة مؤشر على مستوى جديد من الاستقلالية يصاحب وعى الطفل المتزايد بالآخر وبالذات. و هى تعنى نوعاً من تأكيد الذات. *(سيد غنيم، ١٩٧٥، ١٨٦)، (Stipek ، ١٩٩٠، ٩٦١)* .

وهذه المرحلة تقابل مرحلة الإحساس بالاستقلال مقابل الشعور بالخجل عند "اريكسون"، فهو يذكر أنه بعد أن توضع بذور الإحساس بالثقة فى المرحلة السابقة، يبدأ الطفل فى الانتقال الى المكون الثانى من مكونات الشخصية السليمة وذلك فى الفترة ما بين الاثنى عشر شهراً والخمسة عشر شهراً– وتنصرف معظم طاقة الطفل فى هذه المرحلة إلى توكيد ذاته من خلال الأفعال التى يقوم بها من حيث إنه إنسان له عقل وله إرادة خاصة.

وفي هذه المرحلة يجب أن يكون الضبط الخارجى من النوع الذى يعيد الطمأنينة للطفل مع قدر من الحزم. فالبيئة إذن يجب أن توجهه التوجيه السليم بحيث يستطيع أن يتمتع بكونه شخصاً مستقلاً وأن يمنح الاستقلال للآخرين – ويعتبر "اريكسون" هذه المرحلة من مراحل النمو النفسى الحاسمة في تكوين الفرد نظراً لما يوجد فيها من صراع الحب والكراهية، بين التعاون والعناد، بين حرية التعبير عن الذات وقمع الذات. فمن الإحساس بضبط النفس دون

فقدان التقدير للذات ينتج إحساس مستمر ودائم بالإرادة والاستقلال والزهو، على حين ينتج عن الإحساس بعدم القدرة على ضبط النفس وأن التحكم مصدره خارجي، إحساس مستمر ودائم بالشك والخجل. *(سيد غنيم، ١٩٧٦، ٦٦٩)، (محمد شعلان، ج ١، ١٩٧٧، ٥٤، ٥٥).*

وهذه المرحلة تقابل مرحلة ما قبل العمليات Preoperational عند "بياجيه" Piaget والتى تمتد من الثانية حتى السابعة من العمر- وفيها تنمو الصورة المعرفية الداخلية للطفل عن العالم الخارجي وقوانينه وعلاقاته الكثيرة – وقد ذكر "بياجيه" أن أهم ما يميز هذه المرحلة هو " مركزية الذات " فطفل هذه المرحلة يكون بالنسبة للتصورات – مركزى الذات، ولصفة التمركز الذاتى فى هذه المرحلة نتائج كثيرة من أهمها أن الطفل يكشف باستمرار عن عجز نسبى فى الأخذ بعين الاعتبار بوجهة نظر الغير – ونجد أن التفاعل الاجتماعى هو الذى يحطم مركزية الذات عند الطفل ومع ذلك فهذا التمركز حول الذات طور من أطوار النمو لابد أن يمر به طفل هذه المرحلة. *(سيد غنيم، ١٩٧٦، ٦٩١)*

وفى هذه المرحلة نجد هناك لدى الأطفال شعوراً بالأهمية – نتيجة لتمركزه حول ذاته، حيث يشعر كل منهم بأنه " محور الحياة " وتسيطر على الطفل عادة في هذه الفترة حاجاته الشخصية ودوافعه الخاصة لتوجه جميع أساليب سلوكه – على الرغم من أنه قد لا يستطع التعبير الصريح عن حاجاته الخاصة بأسلوب مفهوم .. ولكن تبدأ ملامح مفهوم الذات في الظهور من خلال حديث الطفل واستخدامه الدائم والمستمر للضمير المفرد " أنا " ولضمير الملكية فى حديثه عن لعبته – قطته – كتابه... الخ. *(سعدية بهادر، ١٩٨٣، ٤٣)*

فالطفل فى هذا العمر يزداد شعوره بفرديته وشخصيته ويعرف أن له شخصية وللآخرين شخصياتهم المختلفة ويزداد تمركزه "حول ذاته" ويجتهد فى بناء بنية ذاته – كل شئ له وملكه وتسمع منه دائماً " أنا ملكى " ثم بعد ذلك نسمع "نحن" ويعرف الطفل أن له دوافع بعضها يتحقق وبعضها لا يتحقق. *(حامد زهران، ١٩٩٠، ٢٩٢)* وفى هذه الفترة التى يطلق عليها مرحلة ما قبل المدرسة أو الطفولة المبكرة، سرعان ما يفقد فيها الطفل هويته ويختلط عنده الوهم بالحقيقة وتسيطر على ألعابه النوع المعروف باسم "اللعب الإيهامى" ... ونجد أن هذه المرحلة تتمير فى نظر "ألبورت" Allport بمظهرين هما : امتداد الذات واتساعها ، ثم صورة الذات.

فالذات فى نظر "ألبورت" فى هذه المرحلة تتسع لتشمل أشياء كثيرة - كما يلعب الإحساس بالملكية فى نفس الوقت دوراً هاماً، فهذه الكرة كرتى وهذه الدراجة دراجتى .. وكلها تصبح إمتداداً للذات وتشير أيضا إلى اتساعها لتشمل العديد من الأشياء، وبطبيعة الحال لا تتسع ذات الصغير فى هذه المرحلة لتشمل كل ما يحيط به فى دائرة عالمه الكبير على نحو ما نجد مثلاً بالنسبة للكبار، وإنما أساس هذا الاتساع الكبير الذى سوف يحدث فيما بعد يتم وضع بذوره فى هذه المرحلة حينما يحس الطفل بتملك أشياء كثيرة.

وبالإضافة إلى إمتداد الذات واتساعها تأخذ صورة الذات تتضح أكثر وأكثر - فعن طريق التفاعل المتبادل مع الكبار والوالدين يمكنه ان يقارن بين سلوكه الواقعى وبين ماهو متوقع منه، وصورة الذات هنا ليست نامية على نحو ما نجدها فى المراهقة ، وعلى العموم فبذور فكرة الذات كما هى وكما يريد أن تكون عليه تكون موجودة فى هذه المرحلة (سيد غنيم، ١٩٧٥، ١٨٧).

وتقابل هذه المرحلة عند "إريكسون" مرحلة الإحساس بالمبادأة مقابل الاحساس بالذنب. فطفل هذه المرحلة شغوف بعقد مقارنات بين الأشياء والأشخاص ولديه القدرة على الاستطلاع المستمر للفروق فى الحجم والنوع بعامة، والفروق فى الجنس والسن بخاصة، ويرى "اريكسون" أن تعلم الطفل فى هذه المرحلة هو إلى حد بعيد من النوع الإقحامى العنيف - ويرى أيضاً أنه فى هذه السن يكون الضمير قد نما وأصبح أعظم حاكم للمبادأة - فالطفل لم يعد موجهاً بأناس من الخارج فحسب، بل أصبح أيضاً يسمع " الصوت الداخلى" لملاحظة الذات وتوجيهها وعقابها- هذا الصوت الذى يعلق على أفعاله ويحذره ويهدده، وتلك هى بداية نشوء الأخلاق عند الطفل. (سيد غنيم، ١٩٧٦، ٦٧٠).

إن الطفل فى هذه المرحلة قد انتقل إلى ما يسمى "بالذات الصنفية" Categorical self - فالطفل بمجرد ما يفهم بوضوح أنه منفصل ومميز عن الآخرين، تبدأ عملية تحديد الذات تلك العملية التى تستمر خلال دورة الحياة، وكما سبق القول، فإن ذلك يشار إليه بالذات الصنفية، لأن التعريف يأخذ شكل وضع الذات فى مدى واسع من الفئات Categories ومثل بداية الإحساس بانفصال الذات عن الآخرين، فإن نمو الذات الصنفية يتطلب أن يقارن الطفل نفسه بالآخرين على طول مدى من الأبعاد، فإذا أعتقد الطفل أنه صغير، فهو يقارن نفسه بالأفراد الآخرين الذين هم أكبر منه، وإذا ظن الطفل أنه أخرق، فإنه يعارض سلوكه مع سلوك الآخرين المتآزر الماهر

ومن الأبعاد الأولى التى يبدو أن الأطفال الصغار يركزون عليها هى العمر/ الحجم - وهناك كذلك بعد آخر يعرف الأطفال أنفسهم عليه خلال هذه السنوات المبكرة هو الجنس Gender "هل أنا ولد أم بنت" ؟ هل الأمهات ذكور أم إناث ؟ وبمجرد ما يلاحظ الطفل الصغير الحجم، فانه يلاحظ أيضا الجنس لدى الآخرين - وهكذا يعرف جنسه أيضاً.

وهذا العنصر من مفهوم الذات له أهمية خاصة، لأنه يشكل الاساس لمفهوم عام أكثر لما هو مفترض أن يسلك البنين والبنات - وهكذا بمجرد أن يكتشف الأطفال أى صنف جنسى ينتمون إليه وأن الجنس مستقر فإنهم يبدءون فى أن يبدون إهتماماً جديداً وبادوار البنت والولد- ماذا يفل البنون - كيف تسلك البنات ؟ ما هى الألعاب والاتجاهات والمهارات الصبيانية والبناتية؟ ويطلق على هذا جميعه عادة " الدور الجنسى " Sex role .

ويبدو أن المفهوم الأساسى للجنس لدي الطفل ينمو فى أربع خطوات :-

* أن العلامة البصرية الأولى بأن الجنس هو جزء هام من الذات الصنفية للطفل الصغير هى الوعى البسيط بجنس الأطفال الآخرين.

  وقد لاحظ "لويس وجون" Lewis & Jun. ١٩٧٩ أن الأطفال فى عمر ١٢- ١٨ شهر ينظرون إلى بعضهم البعض، البنون ينظرون أكثر إلى البنين الآخرين والبنات كذلك .. وفي هذا العمر المبكر فإنه يبدو أن الأطفال يولون اهتماماً بشئ ما.

* الخطوة الثانية فى هذا التتابع هى وصف الجنس gender labeling ، وتكون واضحة في حوالى ٢٤ شهر، حينما نسمع الأطفال يصنفون أنفسهم والآخرين بشكل سليم بأنهم بنين أو بنات - ولقد وجد " تومبسون Thompson ١٩٧٥ أن حوالى نصف الأطفال فى دراسته في عمر سنتين كانوا يصفون أنفسهم بشكل صحيح، وأرتفع ذلك حتى نسبة ١٠٠٪ تقريباً فى جماعة من الأطفال فى عمر ٣ سنوات.

* الخطوة الثالثة هى ثبات الجنس gender stability الذى يتضمن الفهم بأن الفرد والآخرين يستمرون بنفس الجنس خلال الحياة.

* والخطوة النهائية هى نمو ثبات الجنس الحقيقى gender constancy، والذى ينمو بالنسبة لغالبية الأطفال فى حوالى ٥ ، ٦ سنوات ويتضمن ذلك التعرف بأن جنس الفرد يظل هو نفسه حتى ولو كانت هناك تغيرات فى النشاط، اللبس، المظهر

ويصبح المنطق الأساسى لهذا التتابع أوضح إذا عقدنا موازنة بين ثبات الجنس ومفهوم الثبات Conservation لدى بياجيه - حيث يتضمن ثبات الكتلة أو العدد أو الوزن التعرف على أن الموضوع يظل كما هو بطريقة أساسية حتى بالرغم من تغيره خارجياً فى بعض المظاهر. ولأن ثبات الجنس يتضمن التعرف علي أن الجنس يظل كما هو بالرغم من التغيرات الخارجية فى مظهر الشخص، فاننا نستطيع أن نعتبره كنوع من "ثبات الجنس"Conservation of gender وفى أحد الدراسات قام "دال ماركوس" و "ويلز أوفرتون" ١٩٧٨D. Marcus & W. overton بدراسة الروابط بين ثبات الجنس والأشكال الأخرى من الثبات، ووجدوا أن ثبات الجنس ينمو عادة بعد أن يتقن الطفل ثبات الكم Quantity consersation .

وبمجرد أن يحقق الطفل مفهوم كامل للجنس، بما فى ذلك ثبات الجنس، فإنه يولى إهتماماً أكثر بالطريقة التى يسلك بها الناس الآخرين من نفس الجنس. وبالتالى يهتم ويتعلم بما يفعله أبناء جنسه. (تعلم الدور) Learn the role . (Bee & Mitchell ، ١٩٨٤، ٢١٥-٢١٧). وعند دخول الطفل المدرسة يزداد إحساسه بهويته وبصورة ذاته وبقدرته على امتداد الذات، وسرعان ما يتعلم الطفل أن ما هو متوقع منه خارج المنزل يختلف عما هو متوقع منه داخل المنزل - فهو يحاول أن يدمج نفسه مع جماعات الرفاق، وأن يندمج مع الشلة فى عالم الواقع، كما يقل لعبه الإيهامى ..

وهنا يبدأ محتوى مفهوم ذات الطفل ليكون أكثر تعقيداً وأقل تركيزاً على الخصائص الخارجية - ولأن هذه الفترة فترة نمو عقلي وهى تتميز برغبته في المعرفة وحب الإستطلاع وكثرة الأسئلة - فإننا نجد بداية الإحساس بمظهر جديد من مظاهر نمو الذات، ألا وهو " الذات المنطقية العاقلة". وتستمر هذه العملية خلال المراهقة حينما يصبح مفهوم الذات أكثر تجريداً. (Bee & Mitchell ، ١٩٨٤، ٢١٩- ٢٢٠) .

مفهوم الذات - الإيجابية والسلبية :

إننا نتحدث عن مفهوم الذات كما لو لم تكن هناك قيم مرتبطة بالفئات التى نعرف بها نواتنا. بيد أن الأمر على خلاف ذلك، فلو نظرنا إلى وصف الطفل لنفسه سنجد أنه يتضمن أوصافاً سلبية أو أوصافاً إيجابية. وهذان البعدان لمفهوم الذات (الإيجابية - السلبية) يشار إليها عادة بما يسمى تقدير الذات Self - esteem. (*Bee & Mitchell*، ١٩٨٤، ٢٢٠- ٢٢١).

وهكذا يمكننا أن نري مفهوم الذات يمكن أن ينقسم إلى نوعين :-

أ - مفهوم الذات الإيجابى : Positive self- concept

إن بناء مفهوم ذات إيجابى هو مطلب نمائى للأطفال، وحقيقة إن مفاهيم ذات الأطفال ليست محددة فطرياً أو سابقة التحديد، تؤكد على أهمية مساعدة الأطفال علي نمو صور ايجابية لأنفسهم. (*Owens*، ١٩٨٧، ٢٩٥). ذلك أن تكوين مفهوم سوى للذات فى الطفولة يمهد السبيل للنمو الصحى لهذا المفهوم فى المراحل التالية على أسس سليمة . ففكرة الطفل عن ذاته إذا ما كانت سوية تعمل على إتساق الجوانب المختلفة لشخصيته وإكسابها طابعاً متميزاً. (*دالاس وبيرت، ب.ت* . ٣١- ٤٠)، (*Brunk*، ١٩٧٥، ٩ - ١٠).

ويتمثل مفهوم الذات الإيجابى فى تقبل الفرد لذاته ورضاه عنها، حيث تظهر لمن يتمتع بمفهوم ذات إيجابى صورة واضحة ومتبلورة للذات يلمسها كل من يتعامل مع الفرد أو يحتك به، ويكشف عنها أسلوب تعامله مع الآخرين، الذى يظهر فيه دائماً الرغبة فى إحترام الذات وتقديرها والمحافظة على مكانتها الاجتماعية ودورها وأهميتها، والثقة الواضحة بالنفس والتمسك بالكرامة والاستقلال الذاتى، مما يعبر عن تقبل الفرد لذاته ورضائه عنها، ومما يعبر كذلك عن تحمل الفرد المسئولية، وأنه يعتمد عليه، وأنه متفهم ومتفائل تجاه الحياة. (*سعدية بهادر*، ١٩٨٣، ٣٥)، (*Harris*، ١٩٨٦، ٦٥٢).

ولكن ما هى الأساليب والوسائل أو العوامل التى تسهم فى تنمية مفهوم إيجابى نحو الذات ؟.

وبداية نؤكد أن ذلك يمكن أن يحدث عن طريق التفاعل الطبيعى السوى مع الطفل، وبتمكينه من التعبير الصريح عن الرأى ومساعدته فى إتخاذ القرارات اللازمة وبتدريبه وتوجيهه فى ذلك، وبإتاحة الفرصة أمامه للتدخل والإيجابية وبتعزيز استجاباته الناجحة ومبادراته الصحيحة وبالعمل على إشعاره باستمرار الحب والعطف والحنان والاحترام والثقة المتبادلة،

وبتحديد دوره ومكانته فى الحياة وبتعريفه بوضعه وبإشعاره بأهميته بين أفراد أسرته ونويه سعدية بهادر، ١٩٨٣، ٣٦)، (Brunk ، ١٩٧٥، ١٣٩)، (Draper ، ١٩٨٨، ٩١)

ويقدم لنا "روبرت كيجان" R. Kegan ١٩٨٢ تصوره عن كيفية مساعدة الأطفال لاكتساب مفهوم إيجابى للذات وذلك من خلال تاكيده على ضرورة الإشباع للاشتياقات (الاحتياجات الأساسية) Basic Yearings فقد أوضح "كيجان" أن مفهوم الذات الإيجابى وتقدير الذات المرتفع High self- esteem يتحققان حينما يشبع اشتياقين أو احتياجين أساسيين للأطفال فى كل مرحلة من النمو الشوق الأساسى الأول أو الحاجة الأولى من أجل التضمن inclusion (أى أن يكون الطفل مرتبطاً، مسنداً، مرحبا به، جزء منه) أو بعبارة أخرى ، إشباع حاجة الطفل **إلى الارتباط. أما الشوق أو الحاجة الثانية فهى الاستقلالية، أو التميزية distinctiveness أو** الانفصال (اى أن يكون مستقلا بذاته autonomous غير معتمد، يختار أهداف ذاته بنفسه)

وتشبع حاجة الطفل للارتباط حينما تتكون روابط انفعالية emotional bonds **قوية بين** الطفل والقائمين على رعايته **(الوالدين أو غيرهما). فينبغى على القائمين على الطفل أن يمنحوه** باستمرار التأ ـ Confirmation **والأعتراف والتقدير بإشباع حاجاته الفيزيقية والنفسية. وفى** نفس الوقت ينبغى عليهم أن يساعدوا الطفل على نمو استقلاليته بواسطة إتاحة المجال أمامه "للانطلاق بحرية" Letting go . **وفى فترة الطفولة ينبغى على الوالدين أن يساعدوا فى عملية** التمايز differentiation ليس بإشباع كل حاجات الطفل، بل من خلال الاعتراف بحق الطفل فى إظهار استقلاليته، وبمساعدته على رؤية نفسه كعضو منفصل مسبب وفعال. فالحاجة إلى الاستقلالية تستدعى احترام خصوصية الطفل وإتاحة المجال فى المنزل ، ومنحه التحكم فى أفعاله، ومنحه الأذن، بل ومنحه حق الاختيار حتى لملابسه وبإشباع حاجات الطفل للأرتباط والاستقلال يستطيع الراشدون أن يمدوا الطفل بالتدعيم النفسى الذى يحتاجه لإنعاش وتعزيز احساسه بذاته في كل مراحل نموه. (Owens ، ١٩٨٧، ٢٩٧ - ٢٩٨)، (Draper ١٩٨٨ ، ٩٢)

كما أن كمية ونوعية القبول الذى يبديه الوالدان والاستحسان، يحدد إلى حد كبير صور الأطفال عن أنفسهم، فالأطفال يميلون الى إدراك استحسان الوالدين واهتمامهم كمؤشرات على أهميتهم ودلالاتهم وباستمتاعهم بهذه الدلائل على أهميتهم الشخصية فإنهم يعلمون التفكير والاعتقاد فى أنفسهم بطريقة إيجابية فالاهتمام الوالدي يرتبط بشكل إيجابى بمفهوم الذات لدى الأطفال. وهذه النتيجة المتعلقة بإيجابية العلاقة بين التدعيم والمحبة الوالدية

ومفهوم ذات الطفل هى أحد النتائج الأكثر اتساقاً مع بحث تأثير الأسرة على تكوين مفهوم الذات. (Owens ، ١٩٨٧، ٢٩٥)

فقد وجد "سوميرلين" summerline ١٩٧٩ فى دراسته حول الاتجاهات الوالدية نحو التقبل ومفهوم الذات على عينة من الأطفال ووالديهم، واستخدم فيها مقياس للاتجاهات الوالدية نحو تقبل الأبناء وإختبار مفهوم الذات للأبناء - وانتهى إلى أن هناك علاقة موجبة بين اتجاهات الوالدين نحو التقبل ومفهوم الذات الإيجابى لدى الأطفال، وخاصة مفهوم الذات الاجتماعية. (يوسف عبد الفتاح، ١٩٩٠، ١٥٠)

هذا وتوضح دراسات أخرى عديدة الأهمية والدلالة للرابطة الحميمة، علاقة الطفل بالوالدين، وتقبل الوالدين للطفل واتجاهاتهم نحوه، ليس فقط فى تنمية مفهوم وتقدير ذات إيجابى ومرتفع، بل وفى تمكين الأطفال من نتائج شخصية سوية فى الرشد وهو ما توصل إليه كوبر سميث C. Smith ١٩٨١، وهيمز Himes ١٩٨٠ وكواش وزملاؤه Kawash et al ١٩٨٤. (يوسف عبد الفتاح، ١٩٩٠، ١٥٠)، (Owens ، ١٩٨٧، ٢٩٦)

ب - مفهوم الذات السلبى : negative self- concept

وكما أن الحب والتقبل الوالدى يرفع من مفهوم وتقدير الذات للأطفال، فإن الوالدين النابذين وغير المحبين يحبطون ويعطلون نمو نظام صحى للذات. فإذا نشأ الأطفال فى بيئة يبدون فيها، وتنكر حريتهم فى استطلاع بيئتهم، ولا يستطيعون التوحد بوالدين مدعمين، فانهم سوف يبدءون فى عمر مبكر ينمون نوعا من السلوك نجده لدى الأطفال الذين يدركون أنفسهم غير ذى قيمة، سوف يشعرون بالعداء ويسقطون عداءهم على الآخرين. (Owens ، ١٩٨٧، ٢٩١). ولذا نجد أن مفهوم الذات السلبى ينطبق على مظاهر الانحرافات السلوكية والأنماط المضادة أو المناقضة مع أساليب الحياة العادية للأفراد والتى تخرجهم عن الأنماط السلوكية العادية المتوقعة من الأفراد العاديين فى المجتمع، والتى تجعلنا نحكم على من تصدر عنه بسوء التكيف الاجتماعى أو النفسى فتضعه فى فئة غير الأسوياء. (سعدية بهادر، ١٩٨٣، ٣٤) هذا ويمكن أن نقترح أسباباً ثلاثة شائعة للمشاعر التى تعكس مفهوم الذات السلبى هى : الحماية الزائدة Overprotection، السيطرة domination، الاهمال neg (Owens ، ١٩٨٧، ٢٩٧) (Beum ، ١٩٧٥، ٣٠٥- ٣٠٦)، (سعدية بهادر ١٩٨٣، ٣٥) (Domowitz & David ، ١٩٨٩، ٢) (Santrock ، ١٩٨٨، ٩٧)

الحماية الزائدة : Over protection

فالأم تتفاعل مع طفلها مئات المرات يومياً، فإذا ما قامت بأداء الأشياء له باستمرار، تلك الأسياء التى يستطيع أن يؤديها لنفسه وبنفسه، إطعامه، إلباسه، التفكير واتخاذ القرار له ... إن هذا الطفل يمتلك بمرور الوقت الآف المؤشرات والدلائل بأنه عديم الحيلة وغير قادر. وفي الواقع، وحتي قبل أن يدخل المدرسة، فإن هذا الطفل قد صبغ ولقن مفهوم ذات سلبى – فالوفرة الكثيرة من التدخل الشديد، وسلسلة الفشل، والمطالب التى تؤكد على طلب الكمال، والمقارنات غير المفضلة، جميعها تقود الى مفاهيم ذات سلبية وتقدير ذات منخفض .. بل إنه حتى محاصرة الطفل داخل دائرة محبة الأم المطلقة لا يسهل انطلاقته لاقامة علاقات حميمة أخري، ويعرقل تحقيق الذات وتنمية الاستقلالية والثقة بالنفس. *(Brunk ، ١٩٧٥، ٣٠٥- ٣٠٦)، (Owens ١٩٨٧، ٢٩٧)، (فايز قنطار، ١٩٩٢، ١٧٩)*.

السيطرة : domination

وتشبه إلى حد بعيد الحماية الزائدة ولكنها أبعد اتجاهاً أو فى اتجاه أخر. فالسيطرة على الطفل بدرجة أن لا يستطع معها أن يتخذ قراراته لنفسه تحت دعوى أنه ليس قادراً أو غير أهل لذلك تؤثر بشكل سلبى على مفهوم الطفل عن ذاته، فالوالدان الذين لا يثقون فى أطفالهم، يمتلئ أطفالهم بمشاعر السلبية تجاه أنفسهم، كما أنهم لا يستطيعون تعلم الثقة فى أنفسهم بأنهم فى الواقع كائنات قادرة حقاً.

وهنا نجد أن الأطفال يشعرون بالضآلة وبأنهم غير كفء، وغير مرغوب فيهم، وبأنهم أغنياء – وهنا يمكن أن نقرر بأن لديهم مفهوم ذات سلبى، وعادة ما يشعرون بنوعين من السلبية : الشعور بعدم القدرة على التعامل مع العالم، والشعور بكونهم غير قابلين لأن يحبوا. وحينما يتحدث هؤلاء الأطفال عن أنفسهم، فإنهم غالباً ما يبدون مفاهيم سلبية للذات بصورة لافته للنظر. *(سعدية بهادر، ١٩٨٣، ٣٤)، (Brunk ، ١٩٧٥، ٣٠٤- ٣٠٦)*.

الإهمـــال : neglect

ويحدث الإهمال حينما تكون مشغوليات الوالدين أكثر أهمية من الطفل. فحينما ينصرف الوالدان، وينشغلون دوماً عن الطفل، فإن الطفل يستنتج بسهولة أنه غير جدير باعتبار واهتمام الوالدين، ويظهر ذلك فى نمط من المشاعر السلبية التى تجعل الطفل يفكر فى نفسه بأنه غير محبوب. أن هذه التفاعلات السببية قد تعطى الطفل شعوراً بالنبد الشخصى أو التحقير

humiliation فالأطفال الذين يهملون وينتهكون بشدة غالباً ما يميلون لأن يرون أنفسهم كأفراد سيئين وغالباً ما يفترضون أن سلوكهم يستحق شرعاً مثل هذا الانتهاك abeuse . (Brunk ، ١٩٧٥، ٣٠٥، ٣٠٦)، (Doworetzky & David ، ١٩٨٩، ٢٠٥)، (Drarer ، ١٩٨٨، ٩١).

وهناك عامل آخر يمكن أن نضيفه إلى هذه العوامل السابقة وهو " الأوصاف السلبية negative lables . فالأوصاف والنعوت السلبية تدمج فى صور ذات الأطفال وتساعد على تعزيز النظرة السلبية للذات وتقود إلى سلوك غير توافقى إلى حد كبير. فإذا ما ألصقت كلمة أو صفة بالأطفال لمدة طويلة جداً فإنهم يميلون لأن يصبحوا هذا النوع من الشخص الذى وصف بالصفة المعينة، وتثبت هذه الأوصاف بأن يسلك الأطفال هذا السلوك الذي يتلاءم مع الصفة. (Owens ، ١٩٨٧، ٢٩٩).

وهكذا نجد أن تهديد قيمة الطفل وجدارته أو كفاءته هو تهديد لنمو مفهوم ذات للطفل بشكل إيجابى سوى، وكنتيجة لذلك، فإن الطفل قد يضع مجموعة من ميكانيزمات الدفاع صممت لحمايته من الهجوم عليه أو من الدونية inferiority . وقد يحاول الطفل تقويه (تعزيز) خصائص سلبية مفسراً إياها باعتبارها فضائل virtues تخدم أغراضه. (Santrock ، ١٩٨٨، ٨٧).

وقد وجد " جرايبل " Graybill ١٩٧٨ أن الاطفال ذوى مفهوم وتقدير الذات المرتفع يبدون توافقاً بين سلوكهم وسلوك أمهاتهم، من حيث إنها تفهمهم وتحبهم أيضاً، كما أن أمهاتهم لا يستخدمن وسائل عقاب شديدة للتحكم فيهم. أما الأطفال ذوو تقدير ومفهوم الذات المنخفض فكانت أمهاتهم يستخدمن وسائل الضغوط المادية والنفسية المختلفة. (مجدى عبد الكريم، ١٩٩١، ٢٢٨).

ثالثا - اضطرابات السلوك

Behavior disorders

مقدمـــة : -

إن الخط الفاصل بين السلوك السوى وغير السوى لم يتم تحديده بشكل قاطع، فهو يتأرجح بين أوضاع ثقافية واجتماعية مختلفة - ولذلك فإن سلوك أى فرد سوياً كان أو غير سوى محدود داخل حدود ثقافته - ولعل ذلك قد يوضح لنا أحد الصعاب فى الوصول الى تعريف شائع متفق عليه لاضطراب السلوك بين الباحثين كما سنرى فيما بعد عند تناولنا للمفهوم بالتعريف.

ويصبح تحديد هذا الخط الفاصل بين السلوك السوى وغير السوى أكثر صعوبة في فترة الطفولة - فجميع الأطفال أسوياء أو مضطربين يقومون بنفس السلوكيات تقريباً - فالصراخ ونوبات الغضب والنشاط الزائد والتشاجر والتبول ... إلخ جميعها سلوكيات يمكن توقعها من الأطفال الأسوياء شأنهم شأن الأطفال المضطربين - فالاختلاف بين السلوك السوى والسلوك المضطرب هو إختلاف في الدرجة وليس فى النوع ... وهنا يطرح التساؤل نفسه "كيف إذن يمكن الحكم على سلوك ما بالاضطراب ؟ ".

ويصبح الإجابة على هذا التساؤل يمكننا أن نذهب مع " هيوارد وأورلانسكى" ١٩٩٢ M . Orlansky & W. Heward فيما يقرراه من أنه ربما تكون الوسيلة العملية للنظر إلى اضطراب السلوك هى أن نصف كيف يتصرف الأطفال الذين يعانون من اضطراب سلوكى، وما هى مظاهر سلوكياتهم التى تختلف عن نظرائهم الطبيعيين - ويمكننا أن نحلل أو نقيس عدة أبعاد للسلوك وهى النسبة أو المعدل، والفترة، والطبوغرافيا، والحجم أو شدة السلوك. (*Heward & Orlansky* ، ١٩٩٢، ١٩٧- ١٩٨).

ولقد أجمع غالبية الباحثين في هذا المجال على أن هناك بعض الملامح الموضوعية التى ينبغى أن يتصف بها السلوك حتى يمكن الحكم عليه بالاضطراب - ونستطيع من خلال التعريفات المختلفة للاضطرابات السلوكية أن نقرر أن هناك مجموعة من العوامل الشائعة تظهر فى هذه التعريفات، أو هناك إجماع حولها باعتبارها عوامل فارقة للسلوك السوى عن السلوك المضطرب، يمكن اعتبارها على حد ما يذهب إليه "روتر" Rutter ١٩٨٤ بمثابة نوع من المحكات ينبغى الاستعانه بها فى وصف السلوك بالاضطراب (*Rutter* ١٩٨٤، ٢)

الاضطرابات السلوكية – المعايير والمحكات :

وبصفة عامة يمكننا أن نلخص هذه العوامل أو المعايير كما أجمع عليها الباحثون وكما تظهر فى تعريفاتهم المختلفة على النحو التالى :

- الملائمة للسن والجنس Age & sex appropriatness
- شدة السلوك وتكراره Magnitude (intensity) & frequency
- الإزمان (مزمن) أو الاستمرارية (الفترة) Chronicity or duration
- السياق Context
- إتساع الاضطراب وامتداده .
- معاماة الطفل والآخرين.
- الطبوغرافيا Topography. (*Rutter* ، ١٩٨٤، ١٨-٢١)، (*Lyuch & Levis* ، ١٩٨٨، ٤١٢-٤١٣)، (*stone* ، ١٩٩٠، ٣٩)، (*Lilly* ، ١٩٧٩، ٦٧)، (*Witt et al* ، ١٩٨٨، ٣٠٨-٣٠٩)، (*Paton et al* ، ١٩٩١، ٣٤- ٣٥)، (*Montgomery* ، ١٩٩٠، ٣)، (*Paul & Epanchin*، ١٩٨٢، ٨)، (*ريتشارد سوين*، ١٩٧٩، ١٩٧، ١٩٨)، (*Kirk* ، ١٩٧٠، ٢٨٩).

ويمكننا أن نتناول هذه العوامل بشئ من الإيضاح .

١ – الملاءمة للسن والجنس :

لقد أجمع عديد من الباحثين على أن مدى ملاءمة السلوك لما هو متوقع وفقاً لمعيار عمر الطفل وجنسه من العوامل الهامة والشائعة فى الحكم على السلوك. فنجد "كيرك" S. Kirk ١٩٧٢ " وجراوبارد" Graubard ١٩٧٣ ، (*Lilly* ، ١٩٧٩، ٦٧)، "ونلسون" Nelson ١٩٨١، (*Lynch & Levis* ، ١٩٨٨، ٤١٣). و "روتر" Rutter ١٩٨٤. (*Rutter* ، ١٩٨٤، ٢٠). وغيرهم من العلماء يتفقون على أن السلوك يحكم عليه بالاضطراب إذا ما أنحرف عن درجة السلوكيات الملائمة لعمر الطفل وجنسه والتى يراها الراشدون القائمون على الطفل انها غير سوية وتتداخل بشكل دال مع نضج الطفل ونموه.

حيث نجد أن عديداً من السلوكيات تكون سوية فى سن وغير ذلك فى سن آخر – فكل صغار الأطفال مثلا يبللون أنفسهم Wetting وهذا شائع، ولكنه يعد عرضاً غير شائع فى سن الرابعة أو السادسة مثلاً، ومن ثم يعتبر سلوكاً مضطرباً – كذلك نجد هناك تداخلاً كبيراً فى السلوكيات التى يبديها الأولاد والتى يبديها البنات، فمعظم الأولاد يبدون سمات أنثوية Feminine وكثير من البنات يبدين سمات ذكرية masculine ويعد ذلك أمراً طبيعياً تماماً، ولكن

من النادر - بل من الشاذ بالنسبة للولد أن يبدى كل سمات الأنوثة وإلا سيعد ذلك اضطراباً وشذوذاً - ومن ثم فإن إنتهاك الطفل لمعايير السن والجنس المتفق عليها يعد من العوامل الفارقة بين السلوك المضطرب والسلوك السوي.

٢ - شدة السلوك وتكراره :

فالسلوك المضطرب هو سلوك لا يختلف عن السلوك الطبيعي إلا في درجة شدته وتكراره. (*Bee* ، ١٩٨١، ٤٢٦)، (*Heward & Orlansky* ، ١٩٩٢، ١٩٧- ١٩٨)، **حيث يعتبر أن هناك اضطراباً إذا ما صدر عن الطفل سلوك ينحرف في درجة شدته وتكراره عن المعايير** الاجتماعية النسبية التى يترك تقديرها للفرد بحسب الموقف وإذا اعتبر الكبار القائمون على الطفل فى البيئة أن مثل هذا السلوك كان أكثر أو أقل مما هو متوقع فى الموقف. (*Ross* ، ١٩٧٤، ١٣). فالأطفال المضطربون يتصرفون بشكل متطرف extreme . فالاضطرابات المعتدلة وغير المتكررة أكثر شيوعاً بكثير من الاضطرابات الشديدة والمتكررة. فحينما يقال إن الطفل يعانى كوابيس الليل nightmars أو من نوبات الغضب tamper Tantrums أو اللزمات Tics أو أى أعراض أخرى، فمن الضرورى أن نحدد كيف تحدث وأن نحصل على وصف واضح لما يحدث بالضبط - **هل نوبات الغضب مثلاً تتكون من الصراخ لمدة دقيقتين، أو إنها تشتمل على الرقاد على الأرض فى صخب وصياح لمدة نصف ساعة ؟ وهل هذه الأعراض تحدث كل يوم أم أكثر من مرة فى اليوم أم مرة كل أسبوع أو كل شهر.. فالاختلاف الأولى بين الأطفال المضطربين سلوكياً والأطفال الأسوياء هو المعدل rate الذى تحدث به السلوكيات أو الأنشطة غير المرغوبة.**

وفيما يتعلق بشدة السلوك فإنه ينبغى أن نؤكد على أن الشدة قد تأخذ اتجاهاً معيناً - فقد تكون فى صورة تطرفات excesses أو نقائص deficits عالية جداً أو منخفضة جداً.. فهذه الشدة تتراوح من الهدوء الزائد Too Soft إلى الشكل الحاد من السلوك Too hard "مثل صفق الباب بشدة" فهناك نوع من التطرف فى السلوك - من حيث الشدة أو التكرار- ومن ثم فقد أجمع الكثير من العلماء والباحثين على أن شدة السلوك ومعدل حدوثه أو تكراره هى التى تنأى بسلوك الطفل أو المراهق عن السواء وتضعه فى نطاق الاضطراب. (*Rutter*، ١٩٨٤، ١٣)، (*Kauffman* ، ١٩٨٥، ١٩)، (*Lynch & Levis* ، ١٩٨٨، ٤٢١)، (*Paul & Epanchin*، ١٩٨٢، ٨)، (*Stone* ، ١٩٩٠، ٣٩)، (*Lilly*، ١٩٧٩، ٦٧)، (*Witt et al*، ١٩٨٨، ٣٠٨- ٣٠٩)، (*Patton*، ١٩٩١، ٣٤- ٣٥)، (*Heward & Orlansky* ، ١٩٩٢، ١٩٧- ١٩٨)

٣ - الإزمان (مزمن) أو استمرارية السلوك : Chroicity or Duration

ووثيق الصلة بالتكرار، الفترة Period أو duration فالفترة هى مقياس لدى انغماس الطفل فى نشاط معين .. فنظراً لأن السلوك المعيارى normative behavior مفهوم إحصائى، وبالتالى فإن بعض التباين أو الانحراف قد يتوقع ويقبل، فإننا نجد أن انتهاك الأطفال أو انغماسهم فى سلوكيات غير ملائمة أو غير متوقعة لأعمارهم الزمنية أو لجنسهم أو بمعدل أكبر قد لا يكون بمثابة المحك الحاسم وحده للتفرقة بين السلوك السوى والسلوك المضطرب.. بل لابد إلى جانب معدل الحدوث أو تردده أن يمتد هذا السلوك ويستمر خلال فترة زمنية أطول.. فالسلوكيات المنتهكة لمعايير العمر والجنس بشكل شديد متطرف تمتد خلال فترة زمنية طويلة وليس لمجرد فترة قصيرة - وهو ما يجعل هناك نوعاً من الإزمان للسلوك، فالمشكلة لابد أن توجد لمدة طويلة بدلاً من أن تكون عابرة أو مؤقتة.

فإذا ما أجرينا مسحاً فى وقت ما، فإننا سنجد أن العديد من الأطفال يبدون مخاوفاً fears أو نوبات غضب Tantrums أو أنواعاً أخرى من السلوك المضطرب، ولكن من غير الشائع تماماً لهذه السلوكيات أن تدوم لفترة طويلة - فكل طفل مثلا يمر بفترة يتردد فى الذهاب الى المدرسة وقد يكون ذلك مجرد يوم أو قد يكون شيئاً ما يستمر لأسبوع - ولكن أن يدوم هذا السلوك، أو يكون له نوع من المداومة والاستمرارية لشهور عديدة أو سنة فإنه يعد أمراً نادراً ومن ثم يصبح مدعاة للاهتمام.

ويجدر بنا أن نوضح أن مسألة الفترة هنا تتميز أيضا بنوع من التطرف، سواء بالطول أو القصر، فقد تكون نوبات الغضب لدى الطفل المضطرب كسلوك تتميز بنوع من الاستمرارية لمدة طويلة - ولكن فى سلوك آخر مثل " الاحتفاظ بالانتباه Paying attention يكون الاضطراب فى الفترة القصيرة التى يستبقى الطفل فيها انتباهه. ولعل ذلك هو ما دعا كثيراً من الباحثين أمثال "ويت" Witt ١٩٨٨ ، "ستون" Stone، ١٩٩٠، "باتون وكوفمان" Patton & Kauffman ١٩٩١، " وهيوارد" Heward ١٩٩٢ وغيرهم أن يقرروا أن مسألة أو عامل الإزمان أو الفترة الزمنية التى يستغرقها السلوك من أهم وأخطر العوامل فى تحديد السلوك المضطرب وخطورته.

وهكذا يمكننا أن نؤكد على أهمية تقييم خصائص موضوعية للسلوك مثل التكرار، الشدة، الاستمرارية وهى محكات شديدة الأهمية فى الحكم على السلوك، كما أجمع غالبية الباحثين فى المجال. (*Lynck & Levis* ؛ ١٩٨٨، ٤١٢- ٤١٣). (*Rutter* ، ١٩٨٤، ١٩)، (*Paul & Epanchin* ،

١٩٨٢، ٨)، (Stone ، ١٩٩٠، ٣٩)، (Lilly ، ١٩٧٩، ٦٧)، (Witt et al ، ١٩٨٨، ٣٠٨- ٣٠٩)، (Patton et al ، ١٩٩١، ٣٤، ٣٥)، (Heward & Orlansky ، ١٩٩٢، ١٩٧).

والى جانب هذه العوامل أو المحكات نجد هناك محكات آخرى يمكن الاستعانة بها فى الحكم على السلوك منها :

٤ - السياق : Context

فالأطفال المضطربون سلوكياً يميلون كما يوضح "باتون وكوفمان وآخرون" ١٩٩١. (Patton Et al ، ١٩٩١، ٣٤- ٣٥) . إلى إظهار سلوكياتهم فى سياقات غريبة. فليس هناك شئ خطأ فيما يفعلونه من وجهة نظرهم فى أى سياق أو موقف اجتماعى - والسياق هنا قد يكون زمنياً أو مكانياً أو حتى آدمياً. وهذا المحك هو ما أطلق عليه "هيوارد وأورلانسكي Hewaro Orlansky ١٩٩٢ أسم "ضبط المثير للاستجابة Stimulus Control ، فالأطفال المضطربون لديهم صعوبة شديدة فى التمييز متى وأين When and Where تكون سلوكيات معينة ملائمة، على إعتبار أن تعلم ضبط اللمثير للاستجابة هو مطلب نمائى أساسى. (Heward & Orlansky ، ١٩٩٢، ١٩٨).

إن معظم السلوك الذي ينسب إلى الاطفال المشكلين هو سلوك طبيعي، على الأقل طبيعي إذا ما اعتبرنا أن الأطفال العاديين قد يمارسوا الكذب أو ضرب الأطفال الاخرين فى بعض الاحيان، بيد أن ما يجعل هذا السلوك غير طبيعي أو يشذ عن الطبيعي، ويجعلنا ننظر إلى الطفل الذى يمارسه باعتباره يعانى من مشكلة، هو أن هذا السلوك يأتيه الطفل فى المكان غير المناسب والوقت غير المناسب، وفى حضور الأشخاص غير المناسبين وبدرجة غير مناسبة.

فالمشكلة أو السلوك الذى يظهر فى كل المواقف أو السياقات من المحتمل أنه يعكس اضطراباً أساسيا أكثر من السلوك فى موقف واحد فقط. وبالتالى فالسياق أو الموقف ونوعيته يعد مؤشراً هاماً من حيث ما يلقيه من أضواء على ديناميات مشكلات الطفل فى التفاعل مع الناس الآخرين. (Rutter ، ١٩٨٤، ٢١). فنشاط اللعب مثلا وما يصاحبه من كثرة حركة وصياح نشاط عادى بالنسبة لجميع الأطفال، ولكن هذا النشاط يختلف داخل المنزل in -door عنه خارج المنزل Out- door بل إن النشاط داخل المنزل فى عدم حضور بعض الاغراب قد يختلف عنه أثناء تواجدهم. كما إنه قد يختلف ليلاً عنه أثناء النهار... وهكذا .. وبالتالى فإن سلوكيات معينة قد تعتبر ملائمة فى بعض المواقف أو الأوضاع، ونفس السلوكيات قد ينظر

إليها على أنها غير ملائمة وبالتالى فهى مشكلة أو مضطربة فى أوضاع أخرى - ومن ثم فلابد ن وضع نوعية الموقف أو الموقف النوعى situation - specificity فى الاعتبار عند الحكم على السلوك.

٥ - إتساع الاضطراب وامتداده :

أى أن الاضطراب يتضمن جوانب عديدة من السلوك، فالأعراض المنفصلة أكثر شيوعاً بكثير من الوجود المتزامن لإعراض عديدة، وبالتالى فلابد أن نولى اهتماماً أكبر للطفل ذى البنود العديدة للاضطراب السلوكى، وخصوصاً إذا ما أمتدت هذه الأعراض الى جوانب مختلفة عديدة للوظيفة النفسية - فمعظم الأطفال كما يرى "مونتجوميرى" D.Montgomery . (*Montgomery* ، ١٩٩٠، ٣). يسلكون بشكل سئ فى بعض الأوقات، وهذا السلوك السئ لا يمكن اعتباره سلوكاً مضطرباً أو مشكلاً إذا ما كان حدثاً منعزلاً، بل ينبغى أن يحدث بشكل متكرر ويشمل جوانب أو مناطق عديدة للنشاط ويسبب المعاناة للآخرين والطفل ذاته.
(*Rutter* ، ١٩٨٤، ٢٠).

فالطفل المضطرب سلوكياً هو طفل لا يستطع التعامل مع كل أو معظم جوانب وعناصر حياته، فهو لا يستجيب للنظم، ولا يشارك في أي واجبات مثل الآخرين، لا يتقبل العطف والاهتمام من الآخرين.. وقد يمتد الاضطراب ليشمل الوظيفة التعليمية لدى الطفل، فنجد لديه عدم القدرة على التحصيل فى المدرسة لا يمكن تفسيره بعوامل حسية أو صحية كما يشير "بور" Bower ١٩٨٢. (*Patton et al* ، ١٩٩١، ٣٥). إلى جانب عدم القدرة على إقامة أو الاحتفاظ بعلاقات بين شخصية مشبعة ومرضية مع الأقران والراشدين - وميل الى تنمية أعراض فيزيقية .. باختصار، فإن هناك تأثيراً للسلوك على وظيفة الفرد، ادائه الأكاديمى، تعلمه، إشباعه الشخصى وتفاعلاته مع الآخرين. (*Lynch & Levis* ، ١٩٨٨، ٤١٢)، (*Patton et al* ، ١٩٩١، ٣٥).

معاناة الطفل والآخرين :

فكما سبق القول فى الفقرة السابقة إن الاضطراب قد يمتد مثيراً للمتاعب والمعاناة للطفل وللآخرين - فالسلوك المشكل أو المضطرب كما يرى "كيرك" Kirk هو سلوك له أثر معوق على نمو الطفل وتوافقه"أو يعرقل ويتدخل فى حياة الآخرين أو كلاهما معاً. (*Kirk* ، ١٩٧٠، ٢٣).

فأحد المحكات أو المعايير الهامة فى الحكم على السلوك هو ما يتعلق بمدى الضرر الذى يترتب على ذلك السلوك ومدى ما يعانيه الطفل من جرائه - ويتراوح الضرر الذى يلحق بالطفل من الضرر النفسى والمعاناة إلى عرقلة العلاقات الاجتماعية إلى تعويق مسار النمو وقدرة الطفل على ضبط بيئته، هذا إلى جانب أثر هذا السلوك على الآخرين أطفالاً وراشدين. (Rutter، ١٩٨٤، ٢١- ٢٤). وإلى جانب ذلك يمكن النظر إلى طبوغرافية السلوك Topograpy أى الشكل العضوى أو الشكل الذى يأخذه السلوك - مثل نتف الشعر - تدمير الملتكات الخاصة أو الغيرية - المشاكسة وضرب الآخرين - العدوانية... الخ. (Heward & Orlansky، ١٩٩٢، ١٩٩).

الاضطرابات السلوكية - توجهات نظرية :

هناك نظريات ومدارس سيكولوجية عديدة تناولت الاضطرابات السلوكية، وكل منها يعرض تفسيراً وشرحاً للسلوك ويقترح ما يمكن عمله لتغيير السلوك فى حالة إعتلاله وإضطرابه.. وكل نظرية تتبنى مصطلحاتها وتعاريفها الخاصة بها. وسوف نقوم بعرض موجز لهذه النماذج التصورية أو النظريات بغرض الإلمام بوجهات النظر المختلفة - كما أن الحياة النفسية وسلوك الفرد ليس من البساطة بحيث يمكن القول ان إعتلاله وسوائه رهن بعامل واحد - فسلوك الطفل ما هو إلا محصلة وجماع لعديد من العوامل والمواقف المختلفة التى تسهم في تشكيل سلوك الطفل ...

ونظراً لأن هذه النماذج النظرية تنظر إلى السلوك المضطرب فى مستويات مختلفة، ولأن حياة الأفراد - كما قلنا - متشكلة من عديد من النواحي، فإن نموذج أو أسلوب واحد قد لا يكون كافياً لتقديم تفسيراً كاملاً لسلوك الفرد المضطرب. (Feldman ، ١٩٨٩، ٤٠٤- ٤٠٥). أما محاولة الإقتصار على نظرية بعينها فحسب، فإنه قد يؤدى إلى ما أطلق عليه البعض Micro since العلم المختزل .. ومن ثم فسوف نقدم عرضاً مختصراً لهذه النماذج النظرية.

١ - النظرية البيولوجية : Biological theory

وتعالج هذه النظرية تحت مسميات مختلفة - فأحياناً ما تسمى بالنموذج البيولوجى، وأحياناً ما تسمى بالنموذج البيوجينى biogenic وأحيانا آخرى تسمى بالنموذج الطبى Medical Model - وتفترض النظريات البيولوجية أن هناك أسباباً فطرية أو بيوكيميائية للعديد من إضطرابات السلوك. فالسبب الجذرى لإضطراب السلوك من وجهة النظر البيولوجية يكمن

فى فحص عنصراً ما فيزيقياً للفرد، مثل عدم التوازن الهرمونى، أو خلل كيمائى أو جرح لجزء ما من الجسم، ولإيجاد الدعم لهذا الاتجاه، فقد فحص العلماء أنماط حدوث الاضطرابات فى الأسر لإظهار العلاقات الوراثية، أو يدرسون أمخاخ أو الكيمياء الحيوية للأفراد المضطربين، مستخدمين فى ذلك تكنولوجية فحص المخ والعقاقير لإظهار الاختلافات البيولوجية.

وهكذا يرى أصحاب هذه النظريات أن الفرد لا يمكنه التصرف دون تأثير خصائصه التشريحية الفسيولوجية – وهم يرون أن اضطرابات من قبيل الأوتوسية [الذاتوية] Autism أو الفرط الحركى hyperactivity أو العدوان المفرط hyperaggression على سبيل المثال هى بمثابة مظاهر للإصابة الجينية gentic damage أو قصور وظيفة المخ brain dusfunction أو عدم التوازن البيوكيمائى biochemical imbalance . وهى اضطرابات شديدة الاستجابة أو شديدة القابلية للتحسن بسهولة باستخدام الكيماويات.

وتبعاً لهذه النظريات، فإن العلاج الناجح لاضطرابات السلوك ينبغى أن يتناول المشكلة البيولوجية الداخلية، وبالتالى فإن هذه النظريات تقترح تدخلات من قبيل العلاج بالعقاقير، الضبط الغذائى، الرياضة، الجراحة ... إلخ... وهذا المنظور أو هذه النظريات تساعد على تحقيق النموذج الطبى بالبحث عن الأساس الفسيولوجى لاضطرابات السلوك، وكذلك تقديم الدعم للأساليب البيولوجية لعلاج الاضطرابات السلوكية، وهى تمثل تقدماً أساسيا فى تفسيرات السلوك المضطرب القائمة على الخرافات. (*Huffman*، ١٩٨٧، ٥٤١)، (*Kauffman*، ١٩٨٥، ٣٠)، (*Carson et al*، ١٩٨٨، ٥٤ – ٥٦)، (*Feldman*، ١٩٨٩، ٤٠٠).

٢ – النظرية السيكودينامية: Psychodynamic

بينما يرى النموذج الطبى أو البيولوجى السابق أن الأسباب الفسيولوجية هى بمثابة الجذر للشذوذ الذى يبديه الأفراد، نجد أن النموذج السيكودينامى يرى أن اضطراب السلوك وشذوذه ينتج عن أسباب داخلية كامنه وراء ما يبديه الطفل من أعراض سلوكية ظاهرة، وبالتالى يكون التركيز الأساسى ليس فقط لتحديد وتعيين الأعراض السلوكية، ولكن على عدم التوازن المرضى pathological imblance بين الجوانب الدينامية للشخصية، فسلوك الطفل المضطرب هو مجرد عرض لمرض تحتانى.

فالعالم النفسى الداخلى ليس منفتحاً بسهولة للتفكير الواعى، ولكنه يمارس تأثيراً قوياً على مشاعرنا وسلوكنا، ونعرف أن كثيراً من محتويات اللاشعور، الذى يمثل ملمحاً مركزياً فى

هذا المنهج، يفترض أنها تكبت لأنها مرتبطة بمشاعر الإثم والصراع أو القلق، وهى مؤلمة لدرجة أن لا تبق على المستوى الشعورى، وإذا ما أصبح هذا الصراع أو الألم الداخلى غير محتمل بالنسبة للفرد، فإنها يمكن أن تظهر كسلوك غير مقبول أو أحيانا سلوك ضعيف ... غير أنه فى حالة الأطفال فى هذه السن المبكرة، فإن الطفل يعانى من توتر شديد، ولكنه يميل الى إخراج هذا التوتر فى صورة فعل موجه الى العالم الخارجى، أى أنه يميل إلى التفعيل acting- Out فيظهر اضطرابه فى صورة اضطراب فى السلوك – ولعل هذه الصفة تكثر فى الأطفال لأن قدراتهم على تحمل التوتر وتحويل الصراع إلى الداخل، علاوة على قدراتهم اللغوية المحدودة، مما تجعلنا نشاهد بعض هذه الاضطرابات السلوكية فى أغلب اضطرابات الأطفال النفسية.

وهكذا فإن السلوك المضطرب الظاهر يكون فى جوهره عرضاً Symptom للصراع الداخلى، ومن ثم فإن التركيز على إزالة أو قمع العرض دون معالجة المشكلة الداخلية يمكن أن يكون فى أحسن الأحوال نو قيمة محدودة. ولهذا فإن أهداف العديد من الإجراءات السيكودينامية فى التعليم والعلاج هى الاهتمام بشكل أساسى بتوفير الفرصة لمخارج Outlets مقبولة للضغوط الداخلية بالإضافة إلى إيجاد الراحة والتخفف، فإنه من الأهمية بمكان تحقيق الفهم لبعض أسباب الضغوط والمشكلات الداخلية. (*Feldman* ، ١٩٨٩، ٤٠١)، (*Lilly* ، ١٩٧٩، ٧٠)، (*Kauffman* ، ١٩٨٥، ٣٠)، (*Huffman*، ١٩٨٧، ٥٤١). (*Charlton & David* ، ١٩٨٩، ٥٠)، (محمد شعلان، ج ١٩٧٧[ا]، ١٠٤) ، (*Carson et al* ، ١٩٨٨، ٥٨ – ٦٧).

(٣) النماذج السلوكية : Behavior Models

يشار إلى هذه النماذج بتعديل السلوك behavior Modification أو نظرية التعلم أو النموذج السلوكى . ورغم أن هذا النموذج قد استمد أصوله من معامل علماء النفس التجريبية من خلال العمل مع الحيوانات، إلا أنه قد أصبح له تأثير كبير بالنسبة للعمل مع الأفراد، ويشار إليه فى هذا السياق باسم نظرية التعلم الاجتماعى Social learning . أما التكنيكات الاكلينيكية المستخدمة تعرف باسم تعديل السلوك.

وبينما نجد أن هناك حداً مشتركاً بين النموذج الطبى ونموذج التحليل النفسى فى رؤية السلوك المضطرب، فكلاهما ينظر إلى السلوكيات الشاذة المضطربة كأعراض لمشكلة داخلية.. على النقيض من ذلك نجد أن النموذج السلوكى ينظر إلى السلوك ذاته كمشكلة. ويرفض صحاب هذا الاتجاه كل محاولات رؤية السلوك المضطرب كتعبير رمزى للصراعات الخفية

ويفضلون أن يستخدموا مصطلح " السلوك اللاتوافقى" Maladaptive behavior للإشارة إلى السلوكيات التى تخلق مشكلات للفرد لأن كلمة "عرض" هى جزء من النموذج الطبى الذى يرفضه أصحاب نظرية التعلم.. وبدلاً من ذلك، فانهم يركزون على طرق تعلم السلوكيات اللاتوافقية مثل أن القلق المفرط أو الاكتئاب أو العدوانية يمكن أن تتعلم من خلال عمليات الإشراط Conditipning والنمذجة Modeling فالفرد يمكن أن يكتسب السلوك اللاتوافقى بتقليد الافراد الآخرين الذين يعانون الاضطراب، وفي حالات أخرى يمكن أن يكون السلوك المضطرب نتيجة للتدعيم reinforcement أو آثار للعقاب. فأصحاب هذا الاتجاه ينظرون الى كل من السلوك الشاذ وغير الشاذ على أنه استجابات responses لمجموعة من المثيرات Stimuli، استجابات قد عُلمت من خلال الخبرة السابقة ووجهت فى الوقت الحاضر وعززت بواسطة المثيرات التى يجدها الفرد فى البيئة - فالمبدأ الجوهرى لهذا الاتجاه هو أن السلوك الذي يعزز سواء عرضاً أو عن قصد يميل لأن يتكرر أو يزداد قوة.. بينما السلوك الذى لا يعزز يميل لأن يختفى.

وبالتالى يرفض هذا الاتجاه الادعاء بانه من الأهمية أن نفهم ما يفكر فيه الفرد - إن المهم فى هذا الاتجاه هو تحليل كيف تم تعلم السلوك الشاذ وملاحظة الظروف التى يبدى فيها هذا السلوك لكى نشرح ونفسر لماذا يحدث مثل هذا السلوك. وبعبارة أخرى يصبح اهتمام السلوكى أولا هو القيام "بتحليل سلوكى " يكون بمثابة وصف دقيق ومفصل وتحليل للسلوك الذي يثير الاهتمام - كيف يفصح السلوك عن نفسه - ما هى الظروف التى تسبقه وتصاحبه.. أما المرحلة الثانية للتحليل فهى تحليل المعززات التى تعزز السلوك - والمرحلة الثالثة هى البحث عن وسائل تغيير الموقف حتى لا يعزز السلوك المضطرب، أو لكى يعزز نمطاً من السلوك أكثر تقبلاً - وهكذا نجد أن السلوك القابل للملاحظة هو موضع الاهتمام وإحداث تغييرات إيجابية فى أداء الطفل. والأساليب السلوكية للتربية هى على حد تعبير "كيرك" ١٩٧٢Kirk هى "الأطروحة المضادة" antithesis للمناهج التحليلية النفسية.

ولقد لاقى النموذج السلوكى حظه من النقد، فهو شانه شأن النموذج الطبى والتحليلى يميل إلى أن ينظر إلى السلوك الفردى على أنه مُسبب بواسطة عوامل خارجية تماماً عن تحكم الفرد، وبالرغم من إختلاف الأسباب ... وعلاوة على ذلك ، فإن الفرد لا يستطع أن يتغاضي عن الحقيقة الواقعية تماماً بأن لدى الأفراد أفكاراً معقدة غير ملحوظة تؤثر فى سلوكهم .. ولعل ذلك قاد بعضاً من أنصار هذا المنحى الى تعديل أوضاعهم واتجاهاتهم إلى مناخ معرفية

Cognitive ، وقد توسع النموذج السلوكى بواسطة إضافات مثل هذه الأساليب المعرفية - فنجد هناك ما يسمى "التعديل السلوكى المعرفى Cognitive behavior Modification وتقوم نظرية تعديل السلوك المعرفى ونظرية التعلم الاجتماعى على تغيير السلوك الظاهرى القابل للقياس. (Kauffman ، ١٩٨٥، ٣١)، (Feldman، ١٩٨٩، ٤٠١)، (Charlton & kenneth ، ١٩٨٩، ٥٠)، (Huffman et al ، ١٩٨٧. ٥٤١ -٥٤٢). (Davison & Neale، ١٩٨٢، ٤٦٨)، (Lilly، ١٩٧٩، ٧٠)، (Carson et al ، ١٩٨٨، ٦٧- ٧٣)،

٤ - النماذج الانسانية : Humanistic Models

لعلنا يمكن أن نتساءل إذا ما كان هناك نموذج للسلوك الشاذ يمكن أن ينظر إلى الفرد على أن له سيطرة وتحكماً تاماً فى سلوكه .. وفي الحقيقة فإن هذا السؤال منطقى فى ضوء النماذج الثلاث السابقة - ففى كل منها يرى الفرد، بدرجة تزيد أو تقل، على أنه شئ ما يشبه قطعة الشطرنج، محاصر بمشكلات فسيولوجية ، صراعات لا شعورية، أو مثيرات بيئية توجه وتدفع سلوكه.

وهنا وعلى النقيض، نجد أن أصحاب النموذج الإنسانى يؤكدون على السيطرة والمسئولية التى يملكها الأفراد تجاه سلوكهم - حتى حينما يكون هذا السلوك شاذاً - فالنموذج الانسانى يركز على تفرد الفرد والنظر إليه باعتباره منطقيا rational ، موجهاً تجاه عالم إجتماعى، ومدفوعاً ليظل مع الآخرين - ولهذا فإن هذا النموذج يمثل رد فعل مضاد لوضعية العلوم الامبريقية - ولهذا فهو يرفض التفسيرات الميكانيكية للسلوك الانسانى أو التعميمات القائمة على العمليات السببية.

فالأساليب الإنسانية فى تناولها للسلوك فى سوائه أو اضطرابه تركز على علاقة الفرد بالعالم، على الطريقة التى ينظر بها الأفراد إلى أنفسهم فى علاقتهم بالآخرين. فالأفراد حينما ينمون مشاعر من إنعدام القوة والإحباط بدلاً من المسئولية وتقدير الذات Self - esteem، فإنهم غالباً ما ينغمسون فى سلوكيات لا توافقية مضطربه، ومن ثم فإن ما يسمى بالسلوك المضطرب هو أساساً علامة على عدم قدرة الفرد على تحقيق وإشباع الحاجات والقدرات الإنسانية - ويصبح علاج هؤلاء الأفراد الذين يعانون من السلوكيات اللاتوافقية المضطربة هو مساعدتهم على أن يشعروا بشكل مختلف نحو أنفسهم، مما يقودهم إلى تحقيق إعتبارها وتقديرها.

ولعل ذلك يتفق مع ما يقرره "كيرك" Kirk ١٩٧٢ من أن إضطرابات السلوك ومشكلات التعلم هى نتيجة لما أسماه "الحلقة المفرغة Vicious cycle والتى فيها يؤدى الأداء السلوكى والتعليمى الضعيف إلى انخفاض في مفهوم الذات والذى يقود بدوره الى أداء أضعف وهكذا ..

ويشير "جوبيل" Gobell ١٩٨٠ ، "ورستير وبيرد" Worster & Bird ١٩٨٠ إلى أن هناك عدة نقاط أساسية فى هذا المنحى الإنسانى تعد بمثابة تطبيقات عملية لهذا المنحى. فهناك تركيز على قيمة العمل فى مجموعات صغيرة فى موقف جماعى للرعاية وتطوير المهارات البين - شخصية interpersonal للاستماع والمشاركة، ويشيرون إلى أن فوائد مثل هذه الأنشطة فوائد معرفية وعاطفية، والموضوعية التامة هنا هى تشجيع إحترام ادراكات الآخرين - إحترام وجهات نظر ومشاعر الآخرين. ومن خلال ذلك كله، فإن الأفراد يحققون الاحترام لإدراكاتهم ووجهات نظرهم ... إلخ بسبب التغذية المرتجعة الإيجابية Positive Feed back التى يحصلون عليها من أعضاء الجماعة الأخري، وهكذا، فإن صورة الذات لديهم تتحسن وينعكس ذلك على سلوكهم وأداءهم المدرسى.

وهكذا، فإن النموذج الانسانى بدلاً من إفتراض أن هناك شيئاً ما خطأ داخل الفرد ، فإن السلوك المضطرب يري باعتباره رد فعل منطقى للظروف التى يعيشها الفرد وتوجد فى حياته اليومية، ويرى أن الأفراد لديهم درجة عالية نسبياً من التحكم فى حياتهم ويستطيعون أن يمارسوا اختيارات منطقية للتغلب على مصاعبهم إذا ما شعروا بأن سلوكهم يحتاج لبعض التصحيح والتعديل، والطريقة التى يحققون بها مثل هذا التعديل هى إستطلاع طرق للبحث عن مستويات أخرى من تحقيق الذات.. وبذلك يعمل هذا الاتجاه - لا على مساعدة الأفراد ذوى المشكلات فحسب - بل يعمل على الوقاية ومنع المشكلات باستثارة وحفز مفهوم الصحة العقلية المثالية. (Feldman ، ١٩٨٩، ٤٠٢- ٤٠٣)، (Kauffman ، ١٩٨٥، ٣١)، (Charlton & David ، ١٩٨٩، ٥٢)، (Huffman ، ١٩٨٧، ٥٤٢)، (Kirk ، ١٩٧٠، ٤٠٨- ٤١٠)، (Carson et al ، ١٩٨٨، ٧٣- ٧٧) .

منهج النظم : Systems approach

يسمى هذا المنهج أحياناً بالنموذج الايكولوجى Ecological ويسمى أحياناً أخري بالنموذج الاجتماعى الثقافى Sociocultural وقد شاع هذا المنهج فى مشروع "إعادة التعليم" Re- Ed وهو برنامج علاجى إقامى قصيرالمدى بدأ فى " تينيسى" Tennessee فى منتصف عام ١٩٦٠، ويؤكد هذا المنهج على أن اضطراب السلوك ليس ظروف خاصة بالأطفال، بل بالأحرى

ظروفاً خاصة بالأطفال فى تفاعلهم مع بيئاتهم – ولهذا يؤكد على التغيير فى كل من الأطفال وبيئاتهم، أو تغيير وتعديل سلوك الطفل وتعديل الآخرين الموجودين فى بيئته (الوالدين – الأقران – المدرسين... إلخ) .

وهكذا يرى هذا النموذج أن كل طفل فردى مطمور فى عدد من النظم خصوصاً الأسرة والمدرسة، وأن السلوك الفردى يمكن أن ينظر إليه نظرة ذات معنى فى هذا النوع من السياق– فالطفل واقع فى نظام اجتماعى معقد كمرسل ومستقبل كمثير ومستجيب، فى تفاعلات اجتماعية مع الاطفال والراشدين الآخرين، وفى أدوار وأوضاع متباينة. وسلوك الطفل المضطرب وغير المضطرب، يتشكل بواسطة نوع النظم أو الجماعات – الأسرة، المجتمع، الثقافة... التى يعيش فيها الطفل. فنحن جميعاً جزء من الشبكة الاجتماعية للأسرة، الأصدقاء، وحتى الغرباء، وأن أنواع العلاقات التى تنتشر مع الآخرين قد تدعم السلوكيات الشاذة وتجعلها تحدث. فأنواع الضغوط والصراعات التى يخبرها الطفل – كجزء من التفاعلات اليومية مع شبكة العلاقات الاجتماعية أو مع النظم المحيطة به – يمكن أن تثير وتحفز وتستبقى السلوك الشاذ المضطرب.

ولهذا فإن هذه النظرية – نظرية النظم – ترى ضرورة تفسير السلوك فى ضوء هذا السياق – وهناك بعض العناصر من هذه النظرة في النماذج التى تناولناها، فمن وجهة النظر السيكودينامية فإن السياق تاريخى، بالرغم من أن الحالة الداخلية الراهنة هى محط الاهتمام. وعلي الجانب الآخر يهتم السلوكى بالسياق المباشر immediate context والمعززات reinforcers ...إلخ ، أما عالم النفس الإنسانى ربما يبتعد عن هذا الوضع لحد أن يرفض أى تصور عن أن الفرد أسير أي نظام خارج ذاته، ومع ذلك، فإن نموذج النظم هو صرخة بعيدة عن هذه المناظير الأخري، والجوهر المركزى لهذا المنهج بسيط، فالإنسان حيوان اجتماعى وسلوكه اجتماعى وسلوكه يعرف بالضرورة فى اصطلاحات اجتماعية، ومن ثم فإذا ما كان سلوك الطفل سبباً لأى اهتمام، فانه يكون شديد الميل لأن يكون مرتبطاً بطريقة ما بمصفوفة من العلاقات حوله.

فهناك عديد من الظروف الأخري حيث يمكن أن يرى السلوك بوضوح على أنه مرتبط بشكل مباشر بعامل خارجي، حتى فى الحالات التى يمكن تحديد أصل المشكلة فيها على أنها حالات طبية محدودة، فإن الطريقة التى تعلن بها المشكلة عن نفسها، وردود أفعال الاخرين تجاهها ورد فعل الطفل لهذه الردود غالباً ما تتأثر بالعلاقات السابقة الوجود فى نظام معين،

وعلاوة على ذلك، فإن النظم الموجودة كالأسرة والمدرسة وجماعة الأقران... يرتبط كل منها بالآخر بطرق قد تكون هامة فى فهم مشكلة الطفل الفردى. (Lilly، ١٩٧٩، ٧٢). (Kauffman، ١٩٨٥، ٣١)، (Charlton & Kenneth، ١٩٨٩، ٥٤)، (Feldman، ١٩٧٩، ٤٠٣).

٦ - نظرية الوصف " المسميات " Lablling theory

إن النموذج النهائى الذى الذى يشارك نظرية أو منهج النظم فى رفض الفكرة بأن السلوك الفردى أو المشكلات يمكن أن ينظر إليها بشكل هادف خارج السياق، هو نظرية الوصف - ويمضى هذا النموذج الأخير بشكل أبعد فى معارضة وتحدى المفهوم المتطرف للانحراف الفردي. وتنسب هذه النظرية عادة إلى السوسيولوجى الأمريكي "بيكر" Becker ١٩٦٣ وهو يرى أن الانحراف ليس شيئاً داخلياً أصيلاً فى الفرد، بل هو يخلق بواسطة المجتمع - وهكذا، فإن النظام الاجتماعى يضع قواعد معينة أو له توقعات معينة من الأفراد، وحينما تكسر هذه القواعد أو ترتبك هذه التوقعات، يحدث الإنحراف. أما المفهوم الآخر أو المصطلح الذى يشكل جانباً من هذا النموذج هو الوصف Lalxelling (ومن ثم نظرية الوصف).

وتمثل نظرية الوصف شأنها شأن النظريات الإنسانية، رفضاً للحتمية ووضعية العلم التجريبى التقليدى - ويبرز "هارجريفز وآخرون : Hargreaves et al ١٩٧٥ الاختلاف بين أنواع الأسئلة المصطنعة بواسطة العلماء التجريبين وعلماء نظرية الوصف، فقد أنطلق التجريبيون ليضعوا محكات قابلة للقياس يمكن بواسطتها تحديد وتصنيف مشكلة السلوك، ومن ثم فهم يسألون عن العوامل السببية والعلاقات المرتبطة، وأخيراً فهم يبحثون عن إكتشاف كيفية التنبؤ والوقاية والشفاء للحالة. وعلى الجانب الآخر، يتساءل علماء نظرية الوصف عن الظروف أو الحالات التى تؤدى إلى أن يصنف الفرد بأعتباره مضطرباً أو مشكل السلوك - كيف تغيرت اتجاهات الأفراد الآخرين وأفعالهم كنتيجة لهذا التصنيف ؟ كيف استجاب الفرد لكونه مرفوضاً فى هذا الدور ... وهكذا.

وفى السياقات التعليمية يسمى هذا النموذج أحياناً بالمنهج التفاعلي interactionist فهذا النموذج يؤدى بمن يزال المهنة إلى أن يسأل عما إذا كان الطفل مشكلاً طيلة الوقت ومع جميع المدرسين، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فإن الأخصائى يستكشف بشكل أكبر طبيعة التفاعلات التى كانت تمثل المشكلة - كذلك قد يكون متيقظاً خصوصاً للتأكد بقدر الإستطاعة من أن الصفة المجردة للوصف لم تكن نفسها تؤثر فى الموقف بشكل غير ملائم. (Charlton & Kenneth، ١٩٨٩، ٥٥، ٥٦)

واخيراً وبعد هذا العرض لهذه النظريات فانه يمكن القول بأن النتائج التى تدعم أسلوباً أو نموذجاً من هذه النماذج النظرية لا تجعل من النماذج الأخرى خطأ بشكل آلى، فكل منها يركز إلى حد ما على عناصر مختلفة من السلوك والحياة ... ويمكننا أن نذهب مع ما يذهب إليه "دافيى" Davie ١٩٨٦ من أن السنوات الأخيرة، وخصوصاً فى مجال سلوك الأطفال والنمو، تمثل حركة من المنظور السيكولوجى الضيق إلى أسلوب أو منهج أوسع، سياقى Contextualised ، اجتماعى أحياناً، إنها فترة يمكن أن توصف بأنها حركة من المنهج المفرد indiridualized إلى منهج النظم، من الذرية atomistic إلى الكلية holistic وأخيراً من الصغير micro إلى الكبير macro . (*Charlton & Kenneth*، ١٩٨٩، ٤٨) .

الاضطرابات السلوكية - الأهداف :

إن اضطرابات السلوك فى غالبيتها هى - بشكل من الأشكال - رد فعل لما يعانيه الطفل فى بيئته، وبخاصة حرمانه من والديه أو عدائهما له، أو حرمانه من إشباع مطالبه ورفضه ونبذه، عقابه وتكليفه بمهام لا تستطع قدراته النامية أن تنهض بها، فيلجأ الطفل إلى أنواع من السلوك تتلخص فى محاولة التغلب على بيئته وارغامها على إشباع حاجاته الأساسية المختلفة.

فالطفل يمكن أن يسلك بالطريقة التى يعتقد أنها ستمكنه من الحصول على ما يريد حتى ولو لم ينل هذا السلوك استحسان وقبول الآخرين، أو حتى لو كان سلوكه هذا مؤذ - فهناك بعض الحاجات والرغبات التى يخبرها جميع الأطفال، وهذه الحاجات تعطى مؤشراً عن سببية اضطراب السلوك لدى الطفل وعن الدافعية التى تحفز الطفل نحو هدفه.

فالطفل يريد أن يشعر بالأهمية فى نظر نفسه، كما أنه يحتاج إلى تلقى الاهتمام والتقدير من الآخرين، كما أنه يبحث عن الطرق والوسائل التى يبرهن بها على قدراته أو لتعويض ضعفه وفشله... وهكذا.. هذا وقد صاغ "رودلف دريكورز Rudolph Dreikurs أربعة أهداف يسعى الطفل إلى تحقيقها من خلال سلوكه المضطرب، وهذه الأهداف تلقى بعضاً من الضوء على الغرض من اضطراب السلوك:-

الاهتمـــام : attention

فالرغبة فى الحصول على الاهتمام والانتباه ليست هدفاً لصغار الأطفال فحسب، بل هى أحد الأهداف التى يسعى لها الراشدون كذلك، فبعض الراشدين يسلكون بشكل سئ لكى يحصلوا على الاهتمام والانتباه. فالدافعية للشعور بالدلالة والأهمية ولتلقى التقدير والاهتمام من الآخرين تكون من القوة بحيث أن بعض الأطفال يستخدمون أية وسائل يستطيعونها لينجحوا فى ذلك، حتى ولو كانت وسائل غير ملائمة .. وهناك وسائل عديدة يمكن أن يستخدمها الطفل لتعويض مشاعر الدونية. وهو – أى الطفل – قد ينشغل بعملية تدبير الحصول على الاهتمام والانتباه بادئاً بأفعال بسيطة من سوء السلوك مثل التصرف بحمق، التذمر من الآخرين، الإزعاج ... وإذا لم يحصل على الاهتمام بهذه الأفعال البسيطة فإنه قد يلجأ إلى أساليب أقل مناسبة وشديدة مثل نوبات الغضب – الضرب – الصياح – التشاجر وتدمير الاشياء. (Draper & Draper ، ١٩٧٩، ٢٥٥– ٢٥٦).

القـــوة : Power

هناك غرض آخر يكمن وراء السلوك المضطرب، وهو أن الطفل قد تكون لديه الرغبة فى الحصول على القوة، فحتى صغار الأطفال يخبرون حاجة للشعور بأنهم فى موقع السيادة والسيطرة من حين لآخر. (Draper & Draper ، ١٩٧٩، ٢٥٦). ويستفيد الأطفال من الأنشطة التى تمكنهم من تجريب وممارسة القيادة والمسئولية وتحقق وتجلب لهم التقدير والاعتراف على التصرف المسئول.

وهنا نشير إلى أن الطفل فى سبيل إشباع هذه الحاجة قد يصطدم بغضب الراشدين واستيائهم ، الأمر الذى يجعلهم يضطرون الطفل إلى كف سلوكه هذا عن طريق العقاب والتوبيخ، ويدخل الطفل فى صراع القوة مع الراشدين، وقد ينتهى الأمر بأن يقوم الطفل بنوع من الطاعة الفورية، ولكنها غير ذى جدوى – فالطفل سيصبح أكثر ميلاً من ذى قبل إلى التصرف بسوء إذا ما سنحت الفرصة لإشباع ذلك، أو قد يتمثل أساليب الكبار فى التعامل مع الآخرين وخاصة مع صغار الأطفال الذين هم أصغر منه – كما أن التدابير القاسية والعقاب الذى يستخدم مع الطفل لتخويفه قد يؤدى إلى الإضرار بتقدير ذات الطفل self- esteem أو بعلاقاته مع الراشدين.

وأحياناً ما يشعر الطفل بالنجاح فى الصراع من أجل القوة بمجرد ملاحظة أن الراشد قد فقد التحكم والسيطرة على ذاته... وإذا ما عوقب الطفل كنتيجة لصراع القوة هذا، فإنه قد يخبر راحة وتخففاً سريعاً من الإثم giult على سلوكه السئ من خلال إحساسه بأنه دفع الثمن (من خلال العقاب) وبالتالى قد يعتبر الطفل أن العواقب ليست جدية وخطيرة بدرجة كافية لمنع السلوكيات المشابهة فيما بعد وبالتالى ينغمس فيها أكثر. (*Draper & Draper* ، ١٩٧٩، ٢٥٦-٢٥٧).

الانتقام (الثأر) : Revenge

إن الأطفال الذين يعتقدون أنه لا أحد يحبهم أو يشعرون بسوء المعاملة قد يبحثون عن الانتقام أو الثأر، وتلك مشكلة خطيرة لاضطراب وسوء السلوك. فالأطفال الذين يعارضون أولا يسمح لهم مثلاً بالاستكشاف أو التعبير عن أنفسهم بحرية، قد يشعرون برغبة فى الانتقام من الراشدين القائمين عليهم.

وقد تنتج الدافعية للبحث عن الثأر من صراع القوة، وخاصة اذا ما أجبر الطفل على أن يكون مطيعاً، ويأخذ الثأر أشكالاً عديدة مثل التعليقات غير المهذبة، الكذب، رفض التعاون... وقد يلجأ الطفل إلى أفعال مثل الضرب والعض والمشاغبة وتمزيق الأشياء وتدميرها. وإذا ما نجح الطفل فى السلوك الانتقامى فإن هذا السلوك سوف يميل للحدوث مرة أخرى ، وقد يكون الثأر لدى بعض الأطفال وسيلة للحصول على الإعتراف والتقدير. وعامة فهو بمثابة الرغبة لدى الطفل لإيذاء شخص ما سرق جزءاً من روحه، أو أن يحصل على بعض البدائل عن الحب الأولى (الفهم - الاحترام - التقدير) الذي أنكر عليه وحرم منه. (*Brunk* ، ١٩٧٥، ٣٠٧)، (*Draper & Draper* ، ١٩٧٩، ٢٥٧).

عدم القدرة (العجز) disability

فالطفل الذى يسلك بشكل سيئ ولكنه غير قادر على تحقيق الإعتراف والقوة والتقدير الذى يسعى إليه قد يلجأ إلى إظهار العجز وعدم القدرة، وهذا السلوك غالباً ما يطبع الراشدين بمشاعر من التعاطف الشديد نحو الطفل أو يأس مطلق تاركين الطفل يفعل ما يريد - ويركن الطفل عمداً إلى الفشل كطريقة لتحقيق هذا الهدف "أستطيع أن أكون ناجحاً كفاشل". فالطفل لا يزال يشغل مكاناً فى العالم، بالرغم من أنه فاشل. وهذا الطفل قد يكون نشطاً، وبالتالى قد يصبح مدمراً وعنيفاً ، وقد يكون سلبياً وبالتالى يقلع ويرفض أن يقبل أى شئ وينسحب من

الآخرين ويجد الإشباع فى كونه غير قابل للحركة وغير متعاون ، شارد غير منتبه. (Draper & Draper ، ١٩٧٩، ٢٥٧). وقد يكون عدم القدرة هذا ناتجاً عن الشعور بعدم الكفاءة والدونية الناتجة عن التغذية المرتجعة من خلال العلاقة بالكبار، وبالتالى يصبح العجز هو وسيلة يحقق من خلالها الطفل الثأر والاهتمام معاً. (Brunk ، ١٩٧٥، ٣٠٨). أو يصبح العجز هو الانعكاس لصورة الطفل عن ذاته فالطفل ما دام عاجزاً وطالما تلقى تغذية مرتجعة باعتباره عاجزاً، فإنه سوف يسلك وفقاً لهذه الصورة التى يحملها تجاه ذاته ويحملها له الآخرين. ويرتبط بهذا الأمر مسألة غاية فى الأهمية وهى :

المطالب غير الواقعية :

حيث يضع الوالدان أو القائمون على الطفل توقعات ومطالب لا تناسب قدراته كطفل أو لا تتمشى مع مراحل النمو الخاصة به، حيث يطلب من الطفل أن يكون ناضجاً قبل الأوان أو أن يطلب منه أن يكون لديه نوع من "الكمال" ... وهنا نجد أن الطفل غير قادر على الارتقاء إلى توقعات ومطالب الوالدين – فلا شئ مما يفعله الطفل يبدو حسناً بدرجة كافية. إن هؤلاء الوالدين الذين يستثيرون لدى الطفل مشاعر الفشل بمطالبهم المتطرفة يميلون كذلك إلى عدم تشجيع جهد أكثر فى دور الطفل.. إن مثل هذا الطفل يأتى فى النهاية ليشعر "بأنه لا يستطع القيام بذلك، فلماذا يحاول إذن" ؟ (Carson et al ، ١٩٨٨، ١١٧). وهنا لابد أن نشير إلى أن الطفل سوف يشعر بذاته بشكل سلبى ويعانى من مشاعر الدونية وعدم الكفاءة وعدم الاقتدار – ولكن إذا ما أقيمت حوله المحددات والمطالب التى تمكنه من الاستجابة بسلوك أكثر إيجابية فانه سوف يشعر بذاته بشكل إيجابى وتصبح لديه الكفاءة والاقتدار. (Santrock ، ١٩٨٨، ٩٦).

الاضطرابات السلوكية - التصنيف :

إن الهدف من التصنيف هو تخفيض الظواهر المتعددة إلى ظواهر محدودة على أساس خواص عامة ومشتركة بين مفردات الصنف الواحد، بحيث يصبح من الميسور إخضاع الظواهر المنفردة لقوانين عامة تسهل فهمها والتعامل معها – وفي الوقت ذاته يجب أن يسمح التصنيف بدرجة من التفصيل يسمح بالفصل بين الأصناف المختلفة. (محمد شعلان، ج ٢، ١٩٧٧، ٢٣).

ولا يعنى التصنيف أو التقسيم أن هناك حداً فاصلاً بين مشكلات الطفولة المختلفة - كما أن أسلوب أو نظام التصنيف يخدم فى جمع الاضطرابات السلوكية فقط ولا يمثل تصنيفات شاملة متبادلة نظراً لأن الاضطرابات السلوكية لم تحدد تماماً بشكل خاص - فليس هناك

أطفال يملكون كل السلوكيات المجمعة في هذه التصنيفات، بل يملكون فقط بعضاً من هذه السلوكيات بدرجة مختلفة. فالتصنيف يقوم على خصائص المشكلة بصرف النظر عن السببية الحقيقية أو المفترضة للاضطراب. (Rutter ، ١٩٨٤، ٣٠)، (Smith ، ١٩٨٣، ٣٢٥).

وتتراوح مشكلات الأطفال – من حيث شدتها – من كونها مجرد مشكلات أو اضطرابات طارئة سرعان ما تزول من تلقاء نفسها، إلى كونها أنماطاً ثابتة من السلوك المشكل، إلى كونها مشكلات عنيفة قادرة يطلق عليها أمراضاً نفسيه تؤثر على علاقات الطفل بالعالم الخارجي إلى درجة تجعل العلاقات الطبيعية مستحيلة مثل " الأاتوية Autism" ، وفي هذه الحالة فإن الطفل يصبح في حاجة للعون دائما فيما يتعلق بشئون حياته اليومية ، أما في حالة المشكلات الأقل حدة، فالطفل يحتاج للمساعدة للتغلب على مخاوفه مثلاً أو مساعدته في التخلص من سلوكه العدواني. (Bee ، ١٩٨١، ٤٣٧)، (Patton et al ، ١٩٩١، ٣٥)، (Heward & Orlamky ، ١٩٩٢، ٢٠٥).

وعموماً فإن مشكلات الأطفال تنقسم إلى اضطرابات أو مشكلات أنفعالية emotional disorders ونجد فيها الخوف والحزن والخجل والقلق واضطرابات أو مشكلات السلوك Behavior disorders ونجد فيها السلوكيات التي تثير استهجان المجتمع مثل التخريب، كثرة الشجار، المشاغبة، الكذب ... الخ). (Wolf، ١٩٨١، ٣٦).

وهو نفس التقسيم الذى يذهب إليه "روتر" Rutter ١٩٨٤ فى تقسيمه لاضطرابات الأطفال إلى : –

- اضطرابات انفعالية وفيها تقع المشكلة الأساسية فى الانفعالات.
- اضطرابات السلوك والتى يكون الملمح الأساسى فيها هو السلوك الشاذ الذي يثير الاستهجان الاجتماعى.

ولا يعنى هذا أن هناك – كما قلنا – حداً فاصلاً بين مشكلات الأطفال– فهناك العديد من الأطفال الذين يعانون من مشكلات سلوكية لديهم مشكلات انفعالية أيضاً .. ولهذا نجد "روتر" Rutter يضع تصنيفاً أو تقسيماً أخر يطلق عليه "مشكلات مختلطة" Mixed dis orders باعتبار أن هؤلاء الأطفال لديهم اضطرابات لها خصائص كل من الاضطرابات السلوكية والانفعالية معاً، وهى أكثر شيوعاً لدى الأطفال ذوى الاضطرابات السلوكية (Rutter ، ١٩٨٤، ٢٨– ٣٠).

وفى محاولة لتجنب اختلاف المسميات التى يطلقها الباحثون على تصنيفاتهم لمشكلات الأطفال يرى " كسلر" Kessler ١٩٦٦ أنه من الأفضل أن نري من الذى يعانى من جراء السلوك المضطرب، ويقرر أنه فى حالة مشكلات السلوك أو أضطراب السلوك فإن رغبات الطفل ونزواته يتم تحقيقها والتعبير عنها ويعانى المجتمع من جراء ذلك - أما فى حالة المشكلات الانفعالية فإن هذه النزوات والرغبات يتم كبحها وكفها (سواء عن طريق الفرد أو عن طريق المجتمع) ويعانى الطفل من جراء ذلك. *(Kessler* ، ١٩٦٦، ٣٥).

وتتفق هذه النظرة مع ما أسماه البعض "فاروق صادق" ١٩٨٥ بعامل سوء التكيف الإجتماعى مقابل عامل سوء التكيف الشخصى - فعامل سوء التكيف الإجتماعى فإنه يمثل بعداً عاماً نحو الخارج يؤدى إلى إيذاء الآخرين أو ضد المجتمع، أو أنه يحتوى على الإنحرافات السلوكية الظاهرة فى السلوك - أما عامل سوء التكيف الشخصى فإنه يمثل البعد الخاص " أو الداخلى لسوء التكيف، على النقيض من عامل سوء التكيف الاجتماعى المتجه نحو الخارج. *(فاروق صادق، ١٩٨٥، ١٩)*.

ولعل هذه النظرة تتفق مع ما أسماه "توماس وايدلبروك Thomas & Edelbrock ١٩٨١ فى دراستهما من أن هناك بعدين فى اضطرابات الأطفال السلوكية، الأول وهو ما يسمى بالإظهار أو التخريج externalizing والثانى وهو ما يسمى بالإدخال أو التضمين internalizing. *(Kauffman* ، ١٩٨٥، ٧٣).

أما " كواى " Quay et al وآخرون ١٩٨٠ فإنه يضع تصنيفاً آخر معروفاً تماماً وهو تصنيف كواى الاحصائى Quay's statistical Classification وأحياناً ما يسمى هذا التصنيف "بالتصنيف السلوكى Behavioral classification ، ولقد وجد "كواى " وآخرون بعده من خلال تحليل بيانات مئات من الأطفال المضطربين سلوكياً أن إضطرابات الأطفال السلوكية تميل لأن تظهر فى مجموعات groups أو تجمعات Clusters- وقد سمى "كواى " أربعة أنماط أو أبعاد وهى : اضطراب المسلك Conduct disorder - وأضطراب الشخصية personality Dis. وعدم النضج inmaturity وأخيراً العدوان المطبع إجتماعياً socialized aggression . (*Heward & Orlansky* ، ١٩٩٢، ٢٠٢)، *(Kauffman* ، ١٩٨٥، ٧٣).

ونجد أن عامل "الإظهار" externalizing الذى قال به " توماس وايدلبروك" يشبه اضطراب المسلك والعدوان المطبع اجتماعياً لدى "كواى". كما أن عامل "الإدخال" internalizing يشبه الانسحاب الناشئ عن القلق anxiety- withdrawal أو ما يسمى "باضطراب الشخصية وأحياناً عدم النضج. (Kauffman، ١٩٨٥، ٧٣) .

وهناك تصنيفات وتقسيمات أخرى لاضطرابات السلوك يطورها الباحثون حسب منطلقاتهم الفكرية – مثل تصنيف "هويت وزملائه" Hewett et al ١٩٨٠. الذى يقوم على مستويات الكفاءة التعليمية Levels of learning competence والتصنيف حسب شدة السلوك من اضطرابات معتدلة mild ومتوسطة moderate وحادة Sever. (Heward & Orlancky، ١٩٩٢، ٢٠٢- ٢٠٣).

(٢) مفاهيم الدراسة

مقدمــــة :

هناك عدة مفاهيم سيرد ذكرها فى البحث الحالى، وسيقوم الباحث بعرض للتعريفات المختلفة لهذه المفاهيم، ثم يقوم بوضع تعريفاً إجرائيا لكل منها يلتزم به فى دراسته، ولكن قبل التعرض للتعريفات المختلفة لهذه المفاهيم يجدر بنا أن نشير إلى بعض النقاط :

أولاً –ليس التعريف فى النهاية سوى موافقة وإتفاق – موافقة لفظ معين لمعنى معين تندرج تحته مجموعة محددة متمايزة من الوقائع – وإتفاق المعنيين بالأمر على صواب هذه الموافقة، أو بعبارة أخرى اصطلاحهم على أن هذا اللفظ يحمل ذلك المعنى الذى تندرج تحته تلك المجموعة المحددة من الوقائع التى يمكن دراستها فى سياق معين ويسهم بالتالى فى تحديد طبيعة مناهج الدراسة وأدواتها. *(قدرى حفنى، ١٩٧٨، ٤٤)*

ثانياً– إن العلماء يستخدمون فى تعريفهم للظواهر تعريفات مختلفة، والتعرف الناجح فى علم النفس كما يرى "كركشانك" Cruickshank ١٩٦٣ وكما يرى "بول وإيبانشين" Paul & Epanchin ١٩٨٢ هو الذى يتصف بالصفات الآتية :

١ – أن يكون موجزاً بقدر الإمكان

٢ - أن يصاغ بصورة تسمح بالملاحظة والتجريب (أى أن يكون إجرائياً)

٣ - أن يتيح - كلما أمكن ذلك - الفرصة لربط العلاقة بين المتغيرات في الظاهرة موضوع الدراسة

٤ - أن يستخدم مصطلحات متفقاً عليها أو يمكن أن يتفق عليها بين العاملين في الميدان.

٥ - أن يفسر العموميات وليس الحالات الخاصة. *(فاروق صادق، ١٩٨٥، ٦)*، *(Paul & Epanchin ، ١٩٨٢، ٧)*.

وهذا ما سيحاول الباحث وضعه في الإعتبار عند صياغته لتعريفاته الاجرائية لمفاهيم الدراسة الحالية.

ثالثا- سيقوم الباحث بعرض للتعريفات المختلفة لكل مفهوم من المفاهيم وذلك لدى بعض الباحثين، والتي أتيح للباحث الإطلاع عليها- وسوف يلتزم الباحث في عرضه لهذه التعريفات بالتسلسل الزمني لها وذلك خلال السنوات الأخيرة

(١) مفهوم الذات :

إذا كانت مشكلة التعريف في مجال العلوم الإنسانية عامة ، وعلم النفس خاصة من الصعوبة بمكان، فإنها تبدو أكثر صعوبة عند التعرض لمفهوم الذات - إذ على الرغم من أن هناك مجموعة من التعريفات التي صيغت للمفهوم إلا أنها تستخدم بمعان متعددة لدي مختلف الباحثين.

ومن أبرز المشاكل التي تواجه الباحث في هذا المجال، هي نقص التماثل بين ما يمكن أن نطلق عليه التعريفات المفهومية Conceptual التي يعتمد عليها المنظرون في كتاباتهم ومؤلفاتهم من ناحية، وبين ما نطلق عليه التعريفات الإجرائية Operational التي تقوم عليها إجراءا ت القياس التي نستخدمها في دراساتنا الواقعية من ناحية أخرى.

ومن ثم نجد أن الباحثين ينتحون في تعريفهم لمفهوم الذات مناح متعددة بحيث يتعذر القول بوجود تعريف محدد لهذا المفهوم يحظى باتفاق جميع العاملين في مجال علم النفس.

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات والمشكلات المتعلقة بالمفهوم والتي تمثل إثراء له، وعقبات في تناوله السيكومترى في نفس الوقت، إلا أنه قد حظى باهتمام بالغ، حيث قدم كثير من العلماء العديد من الآراء والنظريات، وبالرغم من أن معاني مفهوم الذات قد تغيرت من نظرية لأخرى، إلا أنها في غالبيتها قد اعتبرت مفهوم الذات هو النواة التي تقوم عليها الشخصية

كوحدة مركبة دينامية، وأنه المعنى المجرد لإدراكنا لأنفسنا جسمياً وعقلياً وإجتماعياً فى ضوء علاقاتنا بالآخرين. (حزم على، ١٩٧٩، ١٧).

فنجد تعريف "جيرسيلد" Jersild ١٩٦٣ الذى يرى أن مفهوم الذات هو "مفهوم افتراضى شامل يتضمن جميع الأفكار والمشاعر عند الفرد التى تعبر عن خصائص جسمية وعقلية وشخصية، ويشمل ذلك معتقدات الفرد وقيمه، إلى جانب خبراته السابقة وتطلعاته القادمة" . (Jersild ، ١٩٦٣، ٢٩).

ونرى أن "جيرسيلد" يؤكد على أن مفهوم الذات مفهوم إفتراضي وليس واقعياً عيانياً، وهذا ما يجعل البعض يرون أنه إذا كان الهدف وراء إستخدام مفهوم الذات هو ضبط السلوك والتنبؤ به، فإنه لا تصبح هناك حاجة كبيرة إليه، وبالتالى لا يرون أية قيمة فى افتراض مفهوم للذات، فهو بالنسبة لهم "تكوين" غير ضرورى، بل ومعوق للدراسة المنهجية المكرسة للتنبؤ بالسلوك وضبطه – فكل ما يستطيع الأفراد التعامل به هو مفهومهم عن الواقع وليس الواقع نفسه، أما ما يسمى مفهوم الذات فعبارة عن تكوين فرضى وليس واقعياً عيانياً، وهو يناسب فقط بوصفه مفهوماً تفسيرياً". (صفوت فرج وآخرون، ١٩٨٦، ٤ ، ٥).

وينظر هذا التعريف إلى مفهوم الذات بوصفه كياناً أو وعاء يتضمن جميع خصائص الفرد المختلفة الجسمية والعقلية والشخصية والخبرات والطموحات، وهكذا ينظر تعريف "جيرسيلد" إلى مفهوم الذات باعتباره موضوعاً ، مشيراً به الى تلك الخصائص والسمات التى تشير إلى الذات (Me) باعتبارها الفرد المُلاحظ ليس بواسطة شخص آخر ولكن بواسطة الفرد نفسه. (Bukako & Daehler ، ١٩٩٢، ٤٥٨).

ويرى "حامد زهران" ١٩٧٢ أن مفهوم الذات هو " تجمع فريد ومنظم ومتعلم من الإدراكات والمفاهيم والتقييمات الشعورية للفرد عن ذاته. (حزم وافى، ١٩٧٩، ١٩) . أو كما يعرضه فى موقف آخر "تكوين معرفى منظم متعلم للمدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره تعريفاً نفسياً لذاته، ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الأبعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية أو الخارجية، وهو يرى أن وظيفة هذا المفهوم وظيفة دافعية تعمل على تكامل وتنظيم وبلورة عالم الخبرة المتغير الذى يوجد الفرد وسطه (حامد زهران، ١٩٧٧، ٧٣)

ونلمح فى هذا التعريف عدة جوانب أهمها التأكيد على أن مفهوم الذات مكتسب ومتعلم من البيئة، وبالتالى فهو نتيجة للعلاقات الاجتماعية المتبادلة، ويتناول التعريف وظيفة مفهوم الذات بوصفه يعمل بمثابة الخلفية المباشرة لسلوكنا أو بمثابة الميكانيزم المنظم والموجه للسلوك - وبهذا المعنى فهو يلعب دور القوة الدافعة لكل سلوك الفرد. *(صفوت فرج، سهير كامل، ١٩٨٩، ٣، ٤)*

ولعل ذلك يتفق مع ما يذهب إليه "روجرز" Rogras من أن مفهوم الذات مفهوم متصور عن تفاعل الكائن الحى مع البيئة، ولذلك يكتشف الفرد من خلال خبراته مع الأشياء والأشخاص من هو. كما أن الفرد يمكن أن يتمثل قيم الآخرين فى ذاته أو تدركها ذاته بطريقة مضطربة، ويذهب إلى أن الذات تبحث عن اتساق لها، فيتصرف الكائن الحى بطريقة متسقة أو ثابتة مع مفهوم الذات، وتمثل الخبرات غير المتسقة مع مفهوم الذات تهديدات له وقد تؤدى إلى الاضطراب الانفعالى للفرد. *(مصطفى فهمى، ١٩٦٧، ١١٨)*.

ويعرف "جود" Good ١٩٧٢ مفهوم الذات بأنه : إدراك الفرد لنفسه كشخص مستقل، له كيان منفصل عن غيره ويتمتع بقدرات إنسانية محددة، ومواصفات جسمية خاصة، ومستوى محدد من الأداء ويقوم بدور معين فى الحياة". *(سعدية بهادر، ١٩٨٣، ٢١)*

فإدراك الفرد لانفصاله واستقلاليته، وإدراكه لقدراته وخصائصه المختلفة يعنى إكتسابه وتمتعه بقدر مناسب من الكفاءة والإقتدار فى التعامل مع ذاته ومع موضوعات وأشخاص البيئة التى يحتك بها ويعيش فيها ويمارس دوره من خلالها.. ومن ثم فإن هذا التعريف يشير الى ما يطلق عليه "بومرند" Baumrind ١٩٧٢ الكفاية أو الإقتدار الوسيلى Instrumental Competence حيث أن مشاعر الطفل وأحاسيسه تجاه ذاته بالاستقلالية ، وتمكنه وأدائه لدوره وشعوره بالود واتجاهاته نحو ذاته والآخرين.. وهى مقومات أساسية لتقدير الطفل لذاته، تكفل إذا أمكن تحديد ماهيتها وقياسها، مؤشرات هامة يستدل منها على مدى إحساس الطفل بالكفاية والإقتدار". *(ابراهيم قشقوش، ١٩٨٣، ٣، ٤)*.

وهناك تعريفات أخر تنظر فى مجملها الى مفهوم الذات باعتباره على حد تعبير "ياماموتو" Yamamoto ١٩٧٢ بمثابة مركب يتضمن جميع الأوصاف - اللفظية والرمزية - التى تدور حول ضمير "الأنا" أو تتصل به *(ابراهيم قشقوش، ١٩٨٣، ٥)*.

ومن هذه التعريفات تعريف "جاجيز" Gages ١٩٧٥ بأن مفهوم الذات هو ما يستجيب به الفرد عن سؤال من أنا ؟ وما يتضمنه هذا السؤال من تفاصيل كثيرة تتعلق بمكانة الفرد ووضعه الإجتماعى وبالدور الذي يقوم به فى المجموعة التى يعيش فيها وينتمى إليها، وبانطباعاته الخاصة عن مظهره العام وشكله وعما يحبه ويكرهه وعن تصرفاته وأساليب تعامله مع الآخرين".

وهذا التعريف يشبه الى حد كبير ذلك التعريف الذى قدمه "كلاوسملير" Klausmler ١٩٧٥ بأن مفهوم الذات هو "ما يعبر عنه الفرد عادة بالضمير "أنا" أو اللفظ نفسى أو شخصى أو كيانى ... إلخ ليقصد به ذلك الوصف الكامل والدقيق للذات فى وقت معين كما يدركها الفرد نفسه". *(سعدية بهادر، ١٩٨٣، ٣١، ٣٢)* .

ويعرف "ماك كاندلز" Mc Candles ١٩٧٦ مفهوم الذات بأنه : " مجموعة متناسقة أو متآلفة فيما بينها من التوقعات أو التقييمات الخاصة بمجالات أو أنواع معينة من السلوك، يتبنى الفرد بشأنها هذه التوقعات وتلك التقييمات". وهو ينظر إلى مفهوم الذات على أنه مفهوم متعلم ، ويعتبره دالة أو نتاجاً لتقييمات يتبناها الفرد بخصوص ذاته فى مختلف المجالات التى تتألف منها هذه الذات أو تسلك فيها على هذا النحو أو ذاك. *(ابراهيم قشقوش، ١٩٨٣، ٥)*

ويقدم "جولدنسون" Goldenson ١٩٨٤ تعريفاً لمفهوم الذات مؤداه : " أنه إدراك الفرد لنفسه وتقييمه لها، ويتضمن قيمه وقدراته وأهدافه الشخصية، ويسمى أيضا تقدير الذات أو تقييمها". *(Goldenson ، ١٩٨٤، ٦٦٢)*.

ونجد فى هذا التعريف تأكيداً على الجانب التقييمى evaluative حيث يرى أن مفهوم الذات هو ذلك التقييم الذى يتوصل إليه الفرد ويتبناه عادة فيما يتعلق بذاته، وبالتالى يعبر عن اتجاه موافقة أو عدم موافقة من جانب الفرد تجاه ذاته، أو ما يعبر عنه Bruno برنو ١٩٨٦ فى تعريفه لمفهوم الذات السلبى والإيجابى.

فيرى "برونو" Bruno ١٩٨٦ أن مفهوم الذات هو " تقييم شامل عام للفرد عن شخصيته، وهو مستمد من التقييم الموضوعى عن طبيعة سلوكنا، وبالتالى فإن مفهوم الذات إما أن يكون سلبياً أو إيجابياً". *(Bruno ، ١٩٨٦، ٢٠٨)*

ونجد ذلك الجانب الحكمي أو التقييمى لمفهوم الذات أيضا فى ذلك التعريف الذى قدمه "سانتروك" Santrock ١٩٨٨ حيث يرى أنه "يشير إلى حكم الأفراد على أنفسهم، مقدرتهم وكفاءتهم فى نواحي معينة، وهو يستخدم مفهوم الذات وصورة الذات وتقدير الذات بمعنى واحد. (Santrock ، ١٩٨٨، ٥٢٥)

ومن خلال التعريفات السابقة لمفهوم الذات نجد أنه :

- مفهوم متعلم ومكتسب من خلال الخبرات، ومن ثم فهو ينشأ نتيجة لعلاقات الإجتماعية.
- ويعمل على تنظيم سلوك الفرد وتوجيهه.
- وبالتالي يحافظ على إتزان الفرد ويعمل على إبعاده عن كل ما يهدد إتساقه وتكامله.
- ولهذا فإن اضطراب مفهوم الذات يؤدى إلى إضطراب سلوك الفرد.
- وهو يتضمن جوانب إيجابية وسلبية.
- تجاه جوانب الشخصية الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية.

ويمكن أن نصوغ من خلال التعريفات السابقة تعريفاً لمفهوم الذات كما يستخدم في الدراسة الحالية نعنى به :

" ادراك الطفل لنفسه ووصفه لها - إيجاباً وسلباً - من خلال مجموعة من الأفكار والمعتقدات يعبر من خلالها عن خصائصه الجسمية ومظهره العام وعن مدى كفاءته ونظرته لعلاقاته بالآخرين - رفاقاً وراشدين - وعن انفعالاته الداخلية تجاه ذاته - وهو ما يقيسه الاختبار المستخدم فى الدراسة"

(٢) مفهوم الاضطرابات السلوكية :

إن التعريفات فى مجال الاضطرابات السلوكية تخدم الأغراض المختلفة للمؤسسات الإجتماعية التى تستخدمها، وتخدم كذلك فيما نرى الأغراض المختلفة للأفراد سواء فى مجال البحوث أو غيرها- فكل مؤسسة تستخدم - وتستند إلى - محكات مختلفة فى تعريفها لمفهوم ما، فنجد مثلاً أن المحاكم تولى إهتماماً بالسلوك المنتهك للقانون Law Voilating أما المدارس فتولى إهتماماً بالفشل الأكاديمى والاجتماعى، أما العيادات فهى تولى إهتماماً بالأسباب من أجل التحويل العلاجي، أما الأسر فتولى الاهتمام بالسلوك المنتهك لسلطاتها وقواعدها ويفوق تحملها .. وهكذا

وبالتالى نستطيع أن نقرر أنه من الصعوبة بمكان أن نصوغ تعريفاً واحداً يكون ذا فائدة لكل وكالات التطبيع الإجتماعى المسئولة عن الطفل وسلوكه (Kauffman ، ١٩٨٥، ١٧) .

وبالتالى يمكننا أن نقرر مع "بول وإيبانشين" Paul & Epanchin ١٩٨٢ أنه ليس هناك تعريف واحد – رغم تعدد التعريفات – يعد كافياً وافياً بأهداف وأغراض كل أولئك الذين يعملون مع الأطفال. (Paul & Epanchin، ١٩٨٢، ٥) .

وإضافة لما سبق، فهناك عدة أسباب لعدم وجود تعريف واحد محدد لاضطراب السلوك مقبول بشكل شائع وتم الاتفاق عليه لدى المتخصصين، وهذه الأسباب هى أنه :

- هناك مشاكل قياسية.
- ليس هناك اتفاق واضح حول ما يشكل الصحة العقلية الطيبة.
- هناك نظريات مختلفة عن الاضطرابات الانفعالية والسلوكية، وكل نظرية تستخدم مصطلحاتها وتعاريفها الخاصة بها.

كما أن التأثير الثقافى هو مشكلة أخري، فتوقعات ومعايير السلوك المناسب غالباً ما تكون مختلفة بين الجماعات الثقافية والعرقية، وهناك كذلك تردد حدوث الاضطرابات، وهذا يشكل مشكلة أخري، فكل الأطفال يتصرفون بطريقة غير مناسبة فى أوقات معينة، وأخيراً فإن السلوك المضطرب أحياناً ما يحدث مرتبطاً بظروف أخرى معوقة تجعل من الصعب أن نحدد ما إذا كانت أحدى الحالات هى سبب أو نتيجة لحالة أخري. (Lunch & Levis ، ١٩٨٨، ٤١٢) ، (Heward & Orlansky ، ١٩٩٢، ١٨٨)، (Paul & Epanchin ، ١٩٨٢، ٥)، (Kauffman ، ١٩٨٥، ١٦- ٢٠، ٢٣)، (Sauders ، ١٩٧٩، ٦- ٧) .

إن عدم الإتفاق أو نقصه في التعريفات العديدة للإضطرابات السلوكية يرجع بالدرجة الأولى – فيما نري – إلى اختلاف التوجهات النظرية للمتخصصين الذين يطورون هذه التعريفات ... فنجد على سبيل المثال أن أولئك الذين يعتقدون أن السبب الأساسى فى إضطراب السلوك يتضمن تحديد العوامل البيولوجية التى تسهم في مشكلة السلوك، نقول إن هؤلاء سوف يملكون رأياً مختلفاً للتعريف المقبول عن أصحاب المنظور السيكوديناميى الذى يربط الاضطرابات السلوكية بالأسباب النفسية أو الانفعالية التحتانية، ونجد أن أصحاب المنظور السلوكى يعتبرون السلوك المضطرب بمثابة إستجابة متعلمة لموقف خاص ويهتمون بمجموعة مختلفة من العوامل البيئية وهكذا". (Lynch & Levis ، ٤١٢- ٤١٤)، (Paul & Epanchin ، ١٩٨٢، ٧) .

بيد أننا نستطيع أن نقرر أن ذلك لا يعكس، فيما نعتقد، خلافاً بقدر ما يعكس تنوعاً نظرياً وتعدد وجهات نظر تثرى المفهوم وتطوره، وتثرى وتطور كذلك أشكال القياس، ولا يصبح الأمر هنا مقتصراً على أى التعريفات أفضل بقدر ما يصبح أى التعريفات يفى بغرض وهدف بحث معين، فالأمر هنا هو اختيار التعريف المفيد والملائم.

وهنا يمكن أن نذهب مع "فيلدمان" Feldman ١٩٨٩ بأن اختيار تعريف معين أو تبنى نظرية معينة لا يعنى بالضرورة وبشكل آلى خطأ التعريفات أو النماذج الأخري، فكل منها – كما سبق القول – يركز على عناصر من السلوك والحياة، ونظراً لأن هذه النماذج النظرية تنظر إلى السلوك المضطرب فى مستويات مختلفة، ولأن حياة الأفراد متشكلة من عديد من النواحى، فإن نموذج أو أسلوب واحد قد لا يكون كافياً لتقديم تفسير كامل لسلوك الفرد المضطرب.

(Feldman ، ١٩٨٩، ٤٠٤ – ٤٠٥)

وفيما يتعلق بمفهوم الإضطرابات السلوكية، فكثيراص ما كانت تستخدم مصطلحات من قبيل الاضطرابات الانفعالية emotioal disorders والاضطرابات السلوكية Behavior disorders بالتبادل أو الترادف – فقد كان المصطلح الأول (Ed) وهو المستخدم فى التراث المبكر، وخاصة فى مجال التربية الخاصة، وكان يستخدم ليشير إلى كل الأفراد والطلاب ذوى المشكلات الانفعالية والسلوكية – وخاصة عندما أجيز القانون العام ١٤٢/٩٤ (قانون تعليم الاطفال المعوقين لسنة ١٩٧٥). The education of all handicapped children act of 1975 . ونجد ذلك واضحا فى الاصطلاحات المستخدمة فى وصف السلوك الاجتماعى المنحرف، والتى ورد ذكرها فى التعديل الخاص بالقانون ١٤٢/٩٤ الذي أجيز فى سنة ١٩٨٣ – وهناك صورة من هذه الاصطلاحات فى كتاب "كوفمان" Kauffman ١٩٨٥. *(Kauffman ، ١٩٨٥، ٥)* .

إلا أن هذا المصطلح – الاضطراب الانفعالى – قد اختفى ورفض، فهناك العديد من المتخصصين يرون أن اضطراب السلوك قد يكون وصفاً أكثر دقة لغالبية مشكلات التنشئة الاجتماعية للأطفال، كما أنه مصطلح أقل وصماً. ويرون كذلك أن اضطراب السلوك أكثر ملاءمة ليغطى مدى واسع من السلوكيات المعتدلة mild والمتوسطة Moderate والشديدة أو الحادة Sever *(Lynch & Levis ، ١٩٨٨، ٤٠٨)*، *(Heward & Orlansky ، ١٩٩٢، ١٩٠)*. بينما يشير مصطلح "الأطفال المضطربين انفعالياً" الى هؤلاء الذين يعانون من توترات داخلية inner tension ويبدون العصابية أو السلوك الذهانى هذا ولا يعتبر سلوك العديد من الأطفال

المضطربين انفعالياً بالضرورة غير متوافق إجتماعياً. (Kirk ، ١٩٧٠، ٣٣١)، (Paul & Epanchin، ١٩٨٢، ٨- ٩) . فعادة لا تكون مشكلة هؤلاء الأطفال الأساسية هى انتهاك القواعد الاجتماعية أو الأعراف أو الأساليب الشائعة لدى الأفراد في الثقافة، إنهم أطفال غير سعداء عادة . وفى المقابل نجد أن إضطراب السلوك يشير إلى عدم التوافق الاجتماعى الذى يتضمن سلوكاً ينتهك القواعد. (Smith ، ١٩٨٣، ٣٢٦) .

ولعل ذلك هو ما دفع "جروسينيك وهانتز " Grosenick & Huntze ١٩٨٠ إلى تقرير ضرورة استبدال مصطلح "الاضطراب الانفعالى" بمصطلح "الاضطراب السلوكى، ويناقشان ذلك بأن مصطلح اضطراب السلوك يتضمن مفهوم عدم التوافق الاجتماعى، ويتجنب التأثير الواصم Stigma-zing impact الخاص بالوصف، وبصعوبات تصورية مرتبطة بتعريفات الاضطراب الانفعالى. (Paul & Epanchin ، ١٩٨٢، ٩)

علاوة على ذلك، فإن مفهوم الإضطرابات السلوكية يفترض أنه من الملائم أكثر أن نتعامل مع سلوكيات الفرد القابلة للملاحظة والقياس، من أن نحاول تقييم الاضطرابات فى الانفعالات الكافية أو العمليات الفكرية.. إن نقص الأدوات المناسبة والكافية للقياس الموضوعى للانفعالات والإستخدام المتزايد للأساليب السلوكية الموجهة نحو تقييم وتعديل السلوكيات القابلة للملاحظة تدعم وتعزز إستخدام "مصطلح الاضطرابات السلوكية" لكل من الأطفال والراشدين.. ومن ثم فإن هذا المصطلح سوف يستخدم ليصف الأفراد ذوى الدرجات المتنوعة من مشكلات السلوك. (Lynch & Lewis ، ١٩٨٨، ٤٠٨) .

رغم أن هناك العديد من المحاولات والجهود التى بذلت لتعريف الإضطرابات السلوكية، إلا أنه وفى ضوء ما أتيح للباحث، نجد أن هناك بعض التعريفات التى تتصف بالعمومية الشديدة التى يصعب معها إيجاد نوع من التماثل بينهما، مثل التعريفات التى يمكن ان نطلق عليها تعريفات مفهومية Conceptual أو قاموسية نظرية - إن جاز التعبير - وبين ما نطلق عليه التعريفات الاجرائية التى ننطلق منها فى دراستنا الواقعية.

فنجد "برات" Pratt ١٩٧٥ يقدم تعريفاً للاضطرابات السلوكية مؤداه أن الاضطراب السلوكي هو " أى تصرف غير سوى بدرجة كافية بحيث يستحق المساعدة من اخصائى نفسى و اجتماعى " (Pratt ، ١٩٧٥، ٣٢٣)

وهذا التعريف يشبه إلى حد كبير تعريفاً أسبق قدمه لنا "ولمان" Walman ١٩٧٣ يرى فيه أن مصطلح الاضطراب السلوكى يمكن أن يستخدم مرادفاً للاضطراب العقلى والسلوك الشاذ، وعلم نفس الشواذ، وعلم النفس المرضى وهو ما ورد نصاً فى تعريفه. (Wolman ، ١٩٧٣، ٤١) . ويمكن أن نرى أن هذه التعريفات تدخل ضمن فئة التعريفات القاموسية والتى تتسم بالإتساع وعدم التحديد الإجرائي لدرجة يصعب معها تناول المفهوم بشكل إجرائى قابل للقياس الموضوعى.

وهناك تعريف " كوفمان" Kauffman ١٩٧٧ للاضطرابات السلوكية يرى فيه أن الأطفال المضطربين سلوكياً " هؤلاء الذين يستجيبون بطريقة ملحوظة لبيئتهم بأساليب غير مقبولة إجتماعياً وغير مرضية شخصياً، ولكن يمكن أن يتعلموا كيف يسلكون بطريقة مقبولة إجتماعياً ومرضية شخصياً (Howard & Orlansky ، ١٩٨٤، ١٥٢ ١٥٣)

ويمكننا أن نجد نوعاً من التطور في هذا التعريف حيث أشار الى عدم التوافق أو المقبولية الاجتماعية، وهو الأمر الذى يمكن أن يفرق مفهوم الاضطراب السلوكي عن الاضطراب الانفعالى، وهو ما سبق تناوله فى مستهل هذا الجزء. بيد أنه أغفل عديداً من المحكات والعوامل الأساسية فى تحديد السلوك المضطرب كعواملالشدة والتكرار والإزمان... إلى أخر هذه المحكات التى سبق تناولها – الفصل الثانى – وأكتفى "كوفمان" بعبارة "بطريقة ملحوظة" وهي لا تعنى بالضرورة معدل أو شدة السلوك

كما نلحظ فى التعريف جانباً من الأهمية بمكان وهو إمكانية تغيير السلوك أو إمكانية اكتساب أساليب سلوكية متوافقة، ويشرح ذلك بأن هناك عديداً من الاضطرابات السلوكية تنمو من التفاعلات الإجتماعية، فهى متعلمة من خلال النمذجة modeling، والتعزيز reinforcement والانطفاء extinction والعقاب أى عمليات التعلم التى تشكل وتستبقى كثيراً من سلوكنا – ويرى أن الراشدين والأطفال الأخرين فى البيئة قد يساهمون بلا قصد فى الظروف التى تنمي وتدعم الاستجابات غير المناسبة أو غير المرغوبة - ويرى أن الطفل قد يسلك بشكل مختلف تماماً إذا ما غير هؤلاء الراشدون سلوكهم فى علاقتهم بالطفل وبسلوكه، أو إذاوضع الطفل فى بيئة مختلفة ويقول "كوفمان" ومن ثم فليس بمستغرب أن نجد أن المنظور الأيكولوجى (البيئى) ecological فى مشكلة السلوك المضطرب قد اكتسب شيوعاً، حيث يأخذ هذا المنظور فى حسبانه العلاقات المتبادلة بين الطفل والعناصر المختلفة للبيئة (Kauffam ، ١٩٨٥، ٣-٥).

ثم نجد أن هناك بعض التطور قد حدث فى تعريف المفهوم تمثل فى تحديد بعض المحكات الموضوعية التى يمكن من خلالها الحكم على السلوك بالاضطراب، وهذا ما سنجده فى التعريف التالى وغيره من التعريفات الأخرى.

فترى "سعدية بهادر" ١٩٧٩ الاضطرابات السلوكية باعتبارها:"جميع الأفعال والتصرفات التى تصدر عن الطفل بصفة متكررة أثناء تفاعله مع البيئة والمدرسة، والتى لا تتمشى مع معايير السلوك السوى المتعارف عليها والمعمول بها فى البيئة، والتى تشكل خروجاً ظاهراً عن السلوك المتوقع من الفرد العادى، والتى تصف من تصدر عنه بالانحراف وعدم السواء". (سعدية بهادر ، ١٩٧٩،) .

ويؤكد هذا التعريف على محك هام وهو التكرار Frequency ، فكل السلوكيات التى يبديها الأطفال المضطربون يبديها الأطفال غير المضطربين، ولكنهم – أى غير المضطربين – لا يبدونها بنفس المعدل أو التكرار ... فالاختلاف بين السلوك السوى والسلوك المضطرب هو فرق فى الدرجة وليس فى النوع. (*Kauffman* ، ١٩٨٥، ١٩) .

كما يركز هذا التعريف على جانب آخر وهو انتهاك هذا السلوك للمعايير والقواعد الخاصة بالبيئة، وهو جانب شديد الأهمية لدرجة أن البعض أمثال "ليفتون وفالفاتن" Lefton & Valvatne ١٩٨٣ يعرفان الاضطرابات السلوكية بأنها " انتهاك الحقوق الأساسية للآخرين أو إنتهاك المعايير الخاصة بالمجتمع " وهو ما أكدت عليه تعريفات أخري. (*Lefton & Valvatne* ، ١٩٨٣، ٥٢٧)، (*Erickson* ، ١٩٨٢، ٢٢٣) ، (*Chamberlain & Steinhauer* ، ١٩٨٣، ٢٥٨) .

ثم نجد العديد من محكات الحكم علي السلوك واضحة فى ذلك التعريف الذى قدمه "نلسون" Nelson ١٩٨١ فيرى أن السلوك يحكم عليه بالاضطراب إذا

- إذا انحرف السلوك عن درجة السلوكيات الملائمة لعمر الطفل وجنسه.
- إذا كان يحدث باستمرار أو شديد جداً.
- إذا كان يحدث خلال فترة ممتدة من الزمن. (*Lynch & Levis* ، ١٩٨٨، ٤١٣).

وتقدم "ممدوحة سلامة" ١٩٨٤ التعريف التالى للاضطرابات السلوكية " سلوك متكرر الحدوث غير مرغوب فيه، يثير استهجان البيئة الاجتماعية، ولا يتفق ومرحلة النمو التى وصل

إليها الطفل، ويجدر تغييره لتدخله فى كفاءة الطفل الاجتماعية أو النفسية أو كلاهما، ولما له من آثار تنعكس على قبول الفرد إجتماعياً وعلى سعادته ورفاهيته قبوله لنفسه – ويظهر فى صورة عرض أو عدة أعراض سلوكية متصلة ظاهرة ويمكن ملاحظتها مثل السرقة، الكذب والتدمير، التشاجر وغيرها". (ممدوحة سلامة، ١٩٨٤، ٨).

وأول ما نلاحظه فى هذا التعريف هو تأكيده على تكرارية السلوك غير المرغوب، وهو كما سبق القول أحد المحكات الهامة فى الحكم على السلوك، مما يعنى أن هناك إستمرارية ودوام لهذا السلوك – كذلك مدى ملاءمة السلوك للمرحلة العمرية ومرحلة النمو التى وصل إليها الطفل، ثم يتقدم التعريف خطوة أكثر حين يحدد بعض أعراض هذه الانحرافات السلوكية، وهى ما يمكن أن نطلق عليه "طبوغرافية السلوك " أو الشكل العضوى الذى يأخذه السلوك المضطرب مثل الكذب، والتدمير والعدوانية... إلخ.

ثم نجد وضوحاً تاماً إلى حد كبير لهذه المحكات الموضوعية التى تمكن من التناول الإجرائى للمفهوم وذلك فى التعريف الذى "قدمه" وايت Witt ١٩٨٨ "يوجد الاضطراب السلوكى حينما يبدى الطفل أو المراهق تطرفات أو نقائص سلوكية، أو سلوكيات غير ملاءمة موقفياً يحكم عليها الراشدون ذوو السلطة بأنها عالية جداً أو منخفضة جداً، وهذه السلوكيات تعتبر شاذة لأن تكرارها وشدتها واستمرارها ينحرف عن المعيار الاجتماعى النسبى، وأن هذه التطرفات أو النقائص التى تكون الاضطراب السلوكى يمكن أن يعبر عنها من خلال واحد أو كل النظم السلوكية أو حصيلة المعرفة السابقة (معرفية لفظية، حركية، ظاهرة أو فسيولوجية – انفعالية) وتحدث خلال أوضاع، مواقف وزمن. (*Witt et al*، ١٩٨٨، ٣٠٨، ٣٠٩) .

إن هذا التعريف قد يعد طويلاً نسبياً، بيد أننا يمكن أن نلاحظ فى هذا التعريف عدة عناصر أساسية : العنصر الأول أن هذا التعريف باستخدامه لمصطلحات تطرفات excesses أو نقائص deficits فإنه قد حدد إتجاه تغير السلوك. وهو فى ذلك يتفق مع "كوفمان" Kauffman ١٩٨٥. (*Kauffman*، ١٩٨٥، ٥).

كما أنه يقرر أيضاً أن بعض مشكلات السلوك قد لا تكون بالضرورة متطرفة أو ناقصة، ولكنها بالأحرى غير ملائمة موقفياً، ومن ثم فبينما تعتبر سلوكيات معينة ملائمة فى بعض المواقف أو الأوضاع، فإن نفس السلوكيات قد ينظر إليها على أنها غير ملائمة ومن ثم فهى

مشكلة أو مضطربة فى أوضاع أخرى، وهذا ما أشار إليه العديد من الباحثين. (Witt et al ، ١٩٨٨، ٣٠٩)، (Kauffman، ١٩٨٥، ٣)، (Smith ، ١٩٨٣، ٣٢٤، ٣٢٥)، (Warde & Tovris ، ١٩٨٧، ٥٧٥). وكذلك نجد أن التعريف بإشارته إلى أن الطفل المضطرب سلوكياً قد تكون لديه سلوكيات متطرفة أو ناقصة أو غير ملائمة موقفياً فإنه يمكن من تحديد أهداف متعددة للتدخل intervension .

والعنصر الثانى الهام في هذا التعريف هو أنه يركز على أهمية تقييم ملامح موضوعية لمشكلات السلوك مثل التكرار، والشدة، والديمومة (الاستمرار)، وهى من أهم محكات الحكم على السلوك بالاضطراب والتى أجمع عليها عديد من الباحثين كما رأينا – فيما سبق – . كما يرى هذا التعريف أن هذه الملامح يمكن أن يعبر عنها من خلال واحد أو كل نظم الإستجابة أو من خلال حصيلة الخبرة السابقة أو من خلال قنوات سلوكية – فعلى سبيل المثال، فإن السلوكيات التى توصف بالقلق أو الخوف يمكن أن يعبر عنها من خلال حصيلة الخبرة المعرفية اللفظية (أنا خائف، أو أشعر بالضيق) أو من خلال حصيلة الخبرة الحركية الظاهرة (تجنب الطفل الأوضاع والمواقف المخيفة) أو من خلال حصيلة الخبرة الفسيولوجية الانفعالية (الإرتعاش، العرق، الصراخ، القئ وما شابه ذلك).

وهكذا وبعد هذا العرض لما أتيح للباحث من تعريفات لمفهوم الاضطرابات السلوكية، فإنه يمكن القول أن ما نجده من إفتقار بعض هذه التعريفات الى بعض الملامح الموضوعية التى تمكن من تناول السلوك إجرائياً وقياسه، نجده مستكملاً فى اتفاق مجموع هذه التعريفات حول هذه الملامح أو المعايير التى تمكن من الحكم على السلوك، وبالتالى لا يصبح الأمر هنا أى هذه التعريفات أدق أو أصح، بقدر ما يصبح أى التعريفات يفى بغرض وهدف بحث معين، فالأمر هنا هو إختيار أو وضع التعريف الملائم.

ومن ثم يمكننا ومن خلال إستقراء التعريفات السابقة أن نصوغ تعريفاً اجرائياً للاضطرابات السلوكية مؤداه :

" تصرفات أو أفعال متكررة الحدوث، تحدث بشكل مستمر وتتميز بنوع من الشدة فتثير استهجان القائمين على الطفل نظراً لتجاوزها معايير السلوك المتعارف عليها داخل البيئة، وتبدو فى شكل أعراض قابلة للملاحظة يرصدها القائمون على الطفل من خلال التفاعل اليومى معه، وهى ما تقيسه قائمة السلوك المستخدمة فى الدراسة"

(٣) مفهوم الحرمان من الوالدين :

نظراً لأن مفهوم الحرمان من الوالدين أو من الرعاية الوالدية من المفاهيم التى أستقرت فى علم النفس، فإننا لا نجد هناك خلافاً حول تعريف هذا المفهوم، حيث نلحظ اتفاقاً وإجماعاً حول جوهر الحرمان من الوالدين وإن إختلفت أسباب هذا الحرمان وتباينت ظروفه من باحث لآخر- وكما سنرى عند عرض هذه التعريفات المستخدمة فإن هذه الأسباب والظروف التى يعد فيها الطفل محروماً تتدرج من إنعدام وجود الأم لأى سببٍ من الأسباب، كالوفاة، الطلاق، العمل، السفر.. وانعدام وجود الأم البديلة الدائمة، إلى قصور وفشل الأم فى إشباع حاجات الطفل المختلفة، إلى عجز الظروف البيئية الأسرية عن أن تفى بحاجات الطفل المختلفة المادية والنفسية، إلى إنعدام وجود الوالدين معاً لأى سبب من الأسباب (سواء بالفقد أو الموت..) أو عجزهم التام عن القيام بأعباء رعاية الطفل نظراً لمرضهم العقلى أو ظروفهم الاقتصادية السيئة مما يؤدى الى إيداع الطفل بأحد دور الرعاية أو المؤسسات أو ضمه لأحد الأسر البديلة.

وتعرف "آنا فرويد و دورثى برلنجام ١٩٤٤" الأطفال المحرومين من الوالدين بأنهم :-

" أطفال بلا مأوى ، لا عائل لهم، أنفصلوا عن أسرهم بسبب ظروف قاهرة وحرموا الاتصال الوجدانى الدائم بوالديهم، ومن ثم فقدان الأثر التكوينى الخاص الذى يستتبعه الرباط العائلى. أطفال قد ألحقوا بدور الحضانة أو مؤسسات الطفولة كالملاجئ، وهؤلاء الأطفال أسرهم رقيقة الحال، فهى من الناحية الأدبية أو المالية أشد عجزاً من أن تعنى بهم، أو أن أمهاتهم قد عجزت عن الاتصال بهم خلال الحرب، وبالتالى أصبحت عودتهم إلى الحياة الطبيعية موقوفة على زواج الأب مرة أخري، أو أن الغارات الجوية قد أطاحت بالوالدين معاً. *(آنا فرويد ، دورثى برلنجهام، ب.ت، ٥، ٦)*.

وهذا التعريف يتفق مع ما يذهب اليه "بولبى " Bowlby ١٩٨٠ من أن هناك حالات تصبح مصدراً لحرمان الطفل منها :-

- جماعة منزلية لم تتكون قط (غير شرعية).
- جماعة منزلية طبيعية صحيحة ولكنها عاجزة عن تأدية وظيفتها بسبب أحوال اقتصادية، وهذا ما أشار إليه التعريف السابق بالعجز المادى والأدبى.
- جماعة منزلية منهارة، ولذا لا تؤدى وظائفها بسبب :-

* كارثة إجتماعية، حرب أو مجاعة.
* موت أحد الوالدين
* الانفصال أو الطلاق. *(جون بولبى، ١٩٨٠، ١١٣، ١١٤)*

ويقودنا ذلك إلى طرح تعريف "بولبى" للحرمان ووجهة نظره، فهو يرى أن هناك أوضاعاً مختلفة يحرم فيها الطفل من العلاقة بالأم ويطلق عليها "الحرمان الأموى" ويرى أنه :

- قد يكون الطفل محروماً مع أنه يعيش فى منزله، إذا ما كانت أمه الحقيقية أو بديلة الأم غير قادرة على منحه المحبة والعناية التى يحتاجها الأطفال الصغار.
- كما يعتبر الطفل محروماً إذا كان بعيداً عن رعاية أمه لأى سبب من الأسباب. ويعد هذا الحرمان بسيطاً إذا وجد الطفل رعاية من شخص درج على الاتصال به والثقة فيه - ولكنه قد يكون ذا أثر خطير إذا ما كانت المربية غريبة عنه، حتى ولو كانت تحبه - فكل هذه التدابير ولو أنها تمنح الطفل بعد الرضى إلا أنها تعتبر أمثلة للحرمان الجزئي الذى يختلف عن الحرمان التام الذى لا يزال مألوفاً فى المؤسسات أو دور الحضانة الداخلية والمصحات، حيث لا يجد الطفل عادة فرداً واحداً مخصصاً لرعايته بطريقة شخصية بحيث يشعر معه بالأمن والطمانينة.

ومن ثم فإن "بولبى" يرى أن هناك ثلاث حالات متداخله يقاسى فيها الطفل الحرمان يمكن ابرازها فيما يلى : -

أ - الحرمان الجزئى من العيش مع الأم أو البديلة الدائمة لها - ويشمل ذلك إحدى القريبات التى يكون موقفها من الطفل غير مرغوب فيه.

ب - الحرمان الكلي بفقد الأم أو الأم البديلة بسبب الموت أو المرض أو الهجرة، وعدم وجود أحد الأقارب العاديين للعناية به.

جـ- الحرمان الكلى بنقل الطفل من الأم أو الأم البديلة الدائمة إلى أشخاص غرباء عنه بحكم قضائى أو بواسطة الهيئات الطبية أو الاجتماعية. *(جون بولبى، ١٩٨٠، ٨، ٩، ١٠٨، ١٠٩)*.

وبالتالى يمكننا تعريف الحرمان الوالدى كما يحدده "بولبى" بأنه : عدم وجود شخص واحد مخصص لرعاية الطفل بصفة مستمرة وبطريقة شخصية بحيث يشعر الطفل معه بالأمن والطمأنينة والثقة، وغالبا ما تكون الأم هى ذلك الشخص".

ويعرف "يارو" Yarrow ١٩٦١ الحرمان من الوالدين بقوله " يعنى الحرمان من الوالدين الحرمان من سبل الحياه الأسرية الطبيعية بما ينطوى عليه من إنقطاع العلاقات والتبادل الوجدانى الدائم بالوالدين، ومن ثم فإن الانفصال يفضى إلى خبرة الحرمان الذى يحدث عندما يعهد بالطفل إلى أسرة بديلة أو مؤسسة إجتماعية حيث لا يلق الطفل رعاية أموية وأبوية كافية تتيح له فرص التعامل مع الصور الوالدية البديلة على نحو سليم. (Yarrow ، ١٩٦١، ٤٥٩-٤٦٩) .

وفى هذا الصدد نجد "يارو" Yarrow ١٩٦٤ فى موضع آخر يرى أنه من الأفضل أن نحدد مفهوم الحرمان من الأم بالحالات التى ترتبط بفقدان شخص إكتسب معنى متميزاً وذو دلالة وأهمية لدى الطفل، وهو يرى كذلك أن الحرمان من الرعاية الأموية هو النقص فى الإحساس اللمسى والمداعبة والأنواع الأخرى من الإثارة العادية التى يحصل عليها الطفل من خلال صورة الأم، ونقص الإحساس بالتفرد ونقص الإشباع لاحتياجات الطفل المتكررة. (Yarrow ، ١٩٦٤، ٩٠)

وكذلك نجد "يارو" ١٩٦٤ فى معرض حديثه عن أنواع الحرمان، يعرف لنا الانفصال الدائم عن الوالدين بأنه "الانفصال الذى ينتج عن موت أو عجز عقلى أو مرض دائم للوالدين، أو لأن الوالدين غير قادرين على أن يمدا الطفل برعاية كافية - وهنا يوضع الطفل فى منزل بديل بشكل دائم أو منزل للتبني"، وفى هذا الشكل نجد أن الطفل لا يمكث فى المنزل البديل كثيراً حتي ينتقل الى منزل آخر للتبنى .. وهنا يؤكد "يارو" أن ذلك يعد نوعاً من خبرة الانفصال والحرمان الدائم المتكرر شديد الخطورة وأشد وطأة على الطفل، فنظراً لعدم مكث الطفل فى منزل واحد طويلاً، وانتقاله من منزل لآخر أو مؤسسة لأخرى، فإن الطفل لا يمكنه أن ينمي تعلقاً أو أرتباطا بديلاً. (Yarrow ، ١٩٦٤، ٩٢) .

ونجد فى هذا التعريف نوعاً من التأكيد على مدى كفاية الرعاية الوالدية ومدى إشباعها لحاجات الطفل المختلفة - فالحرمان من الوالدين أو عدمه قد لا يعد عاملاً حاسماً فى هذا الموضوع، فهناك أطفال لابد وأن يحرموا بالضرورة من الوالدين، بوفاتهما .. وبالتالى فعلينا أن نتوخى الحذر والدقة فى إرجاع كل مظاهر معاناة الطفل إلى مجرد الحرمان فحسب، بل يجب أن نضع فى الاعتبار نوعية الرعاية التى يتلقاها الطفل سواء قبل الحرمان أو بعده - فالحرمان قد لا يرجع إلى فقدان الوالدين فقط، بل قد ينتج الحرمان من جراء نقص فرص اشباع حاجات الطفل المختلفة حتى فى ظل وجود الوالدين

ونجد هذه النظرة واضحة فى تعريف "لونج ماير" Longmeir ١٩٧٥ حيث يعرف الحرمان بأنه "الظروف السيكولوجية الناتجة عن مواقف الحياة التى يكون فيها الفرد محروماً من فرص إشباع بعض أو معظم الحاجات السيكولوجية بصورة كافية وعلى مدى زمنى كبير مما يؤدى إلى تشوه نمو الفرد" . *(بدرية محمد، ١٩٨٨، ١٠)*

وهكذا فالحرمان لا يقتصر فهمه على فقد الوالدين بالمعنى التقليدى، اليتم الوالدى، بل يمكن أن يحدث نوع من "اليتم النفسى أو العاطفى " إن جاز هذا التعبير فى ظل وجود اسرة ووالدين.

ولعل ذلك يقودنا إلى التعريف الذى تطرحه "أنثورث" Ainsworth ١٩٧٩، حيث توضح أن اصطلاح الحرمان من الأم يستخدم فى عدة حالات مختلفة، قد توجد كل حالة على حدة، أو قد تكون متحدة، والحالات الثلاثة الأساسية التى كشفت عنها البحوث هى

أ - الحرمان الذى يحدث عندما يعيش الطفل الصغير فى مؤسسة أو مستشفى حيث لا توجد بديلة للأم، وحيث يتلقى رعاية غير كافية، ويترتب على ذلك نقص الفرص الملائمة للتفاعل مع صورة الأم.

ب - الحرمان الذى يحدث عندما يعيش الرضيع أو الطفل الصغير مع أمه أو مع بديله، حيث يتلقى رعاية غير كافية ويكون هناك قصور فى التفاعل والتبادل الوجدانى بينهما.

جـ- يحدث الحرمان عندما لا يستطع الطفل التفاعل مع صورة الأم، على الرغم من حقيقة أن هناك صورة للأم على استعداد لإعطاء الرعاية الكافية، وعدم القدرة على التفاعل يعد عاقبة ومحصلة للإنقطاع المتكرر للروابط مع صورة الأم أو خبرات حرمان سابقة.

وفى كل هذه الحالات فإن مضمون التعريف هو " أن الحرمان من الأم هو قصور فى التفاعل بين الطفل وصورة الأم . وترى "أنثورث" أن اصطلاح الحرمان من الأم يجب تحديده للعلاقات غير الكافية من الناحية الكمية دون الرجوع إلى الخلق. *(إيمان القماح، ١٩٨٣، ١٤)*.

وكذلك نجد بعض الباحثين مثل "أرنوف ويتينج " ١٩٧٧ يشير إلى الحرمان بأنه : انخفاض مستوى الاستثارة وفرص التعلم بصورة كبيرة عن المستوى العادى " *(أرنوف ويتينج، ١٩٧٧، ٦١)*.

وكذلك يعرف " كارسون" Carson ١٩٨٨ مفهوم الحرمان من الوالدين بأنه : "يشير إلى غياب الرعاية والتفاعل الكافى مع الوالدين أو الوالدين البدلاء أثناء سنوات التشكيل، ويستطرد "كارسون" بأنه يمكن أن يحدث الحرمان حتى فى الأسر السليمة حيث – بسبب أو لآخر– يكون الوالدان غير قادرين (مثلا بسبب الاضطراب العقلى) أو غير راغبين فى إشباع حاجات الطفل للارتباط والاتصال الإنسانى الحميم والدائم ، وترى مظاهرة عادة بين أطفال الملاجئ أو المتخلى عنهم الذين يودعون بالمؤسسات أو فى بيوت بديلة متعددة غير صحية. (Careson et al ، ١٩٩٨٨، ١١٢) . وهو ما سنراه فى بحث "سهير كامل" ١٩٩٢ .

ونجد أن الحرمان يعالج بلغة التحليل النفسى تحت مصطلح "فقدان الموضوع" على أساس أن العلاقة بالأم أو من يقوم مقامها يقابلها "العلاقة بالموضوع" بلغة التحليل النفسى ومصطلحاته – وبالتالى فالحرمان أو فقدان الموضوع قد يكون فقداناً فعلياً بالموت أو انقطاع علاقة وثيقة متبادلة مع الموضوع – وهذا الإنقطاع ناجم عن ابتعاد الموضوع أو اختفائه.

ولهذا نجد "دافيد ستات" Statt ١٩٨٢ يعرف فقدان الموضوع بأنه " فقدان الحب من موضوع خارجى ذى قيمة وأهمية" (Statt ، ١٩٨٢، ٨٨)

وبعد هذا العرض لمفهوم الحرمان من الوالدين من خلال التعريفات السابقة فانه يمكن للباحث أن يستخلص من خلالها تعريفاً للحرمان من الوالدين يلتزم به الباحث فى بحثه وفى اختياره لعينة البحث مؤداه

" الحرمان من الوالدين هو فقد الطفل لوالديه – الأم والأب معاً – منذ ولادته وانعدام توفر دائل شخصية ثابتة له، الأمر الذى يفقد الطفل شكل الحياة الأسرية الطبيعية، مما يؤدى إلى يداعه بأحد المؤسسات"

(٤) مفهوم أطفال الأسر البديلة :

بداية يجدر بنا أن نفرق بين الأسرة البديلة، أو المنزل البديل، وبين مفهوم الرعاية البديلة – فالأخير أعم وأشمل من مفهوم الأسرة البديلة، فهو يشتمل على أشكال عدة من الرعاية البديلة:-

- الرعاية داخل بيوت التبني
- الرعاية المؤسسية

وأيضا الرعاية فى أسر بديله

والشكلان الاخيران هما الشائعان فى مجتمعنا، حيث أن الشكل الأول شائع فى ثقافات أخري تبيح التبنى، وهناك أشكال أخرى من الرعاية البديلة ولكنها غير معروفة فى ثقافتنا.

أما الأسر البديلة فهى أحد الأنظمة التى تقدمها وزارة الشئون الاجتماعية، كشكل من أشكال الرعاية البديلة لرعاية الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية الطبيعية – ويهدف هذا النظام إلى توفير الرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية والمهنية للأطفال الذين حرموا من النشأة داخل أسرهم الطبيعية". *(عفت الكاتب، ١٩٨٨، ٤، ٥)* أو بعبارة أخرى فإن الأسرة البديلة هى "الأسرة التى تقدم الرعاية للطفل الذى لا يتناول حقوقه الأسرية المكفولة للأبناء فى أسرهم الطبيعية من حضانة ورعاية ونفقة وتنشئة .. وغيرها. *(سامية فهمي، ١٩٨٢، ١٨)* .

هذا ويقصد بأطفال الأسر البديلة فى الدراسة الحالية أولئك الأطفال الذين حرموا من الوالدين منذ ميلادهم، وتم ضمها إلى أحد الأسر بعد مضى عامان من ميلادهم سواء عن طريق مكاتب الصحة أو عن طريق وزارة الشئون الاجتماعية ".

الفصل الثالث

الدراسات السابقة والفروض

الفصل الثالث

الدراسات السابقة والفروض

أولاً - الدراسات السابقة :

مقدمـــة :

رأينا عند تناولنا السابق لتراث الحرمان الأسرى ومفاهيمه أن هناك عدة صور مختلفة لهذا الحرمان، يمكن إجمالها كما وردت فى التراث على النحو التالى :

أ - الحرمان من الأم فقط .

ب - الحرمان من الأب فقط.

حـ- الحرمان من الوالدين معاً .

وما دامت تلك هى الصورة، فإن ذلك يجعل لزاماً على الباحث أن يقوم فى هذا الفصل الخاص بالدراسات السابقة بنوع من التصنيف لهذه الدراسات، يكون على صلة وارتباط بتراث هذا الموضوع.. والتصنيف هنا يعنى " تقييم الوحدات فى مجال معين فى مجموعات متمايزة وفقاً لمعيار معين أو خاصية محددة ". *(قدرى حفنى، ١٩٨٢، ١٦)*

ومن ثم فإن الباحث سوف يلتزم فى عرضه لهذه الدراسات بنوع من التصنيف يعكس تلك الصور من الحرمان الوالدى لتصبح هناك :

أ - دراسات تناولت الحرمان من الأم .

ب - دراسات تناولت الحرمان من الأب

جـ- دراسات تناولت الحرمان من الوالدين معاً .

وقبل التعرض لهذه الدراسات وما أسفرت عنه من نتائج نود أن نؤكد على بعض النقاط:-

أولا - على الرغم من كم الدراسات التى قام الباحث بالإطلاع عليها فى مجال الحرمان الأسرى، إلا أن الباحث يرى أن هناك ندرة للدراسات المحلية التى تناولت الأطفال المحرومين من الوالدين فى مرحلة الطفولة المبكرة، رغم إجماع العلماء على أهميتها وخطورتها، فلم نجد سوى ثلاث دراسات على المستوى المحلى. *(ايمان القماح ١٩٨٣)*،

(عبدالمنعم حسيب، ١٩٩٠)، (نيفين زيور ١٩٨٩) - ودراسة عربية قامت بها باحثة مصرية على أطفال المجتمع السعودى. (سهير كامل ١٩٨٧) .

ولعل ذلك يبرز إسهام البحث الحالى، حيث يتناول بالدراسة فئة عمرية لم تلق العناية الكافية من حيث الدراسات والبحوث التى تقوم حولها حتي تكشف عن خصائصها، وبالتالى الأساليب المناسبة لرعايتها - فهى فئة لم تجد بعد السند العلمى والدليل البحثى الذى يوجه سلوك المجتمع وهيئاته نحو رعاية هذه الفئة ذات الظروف الخاصة والأخذ بيدها فى سياق نظام المجتمع حتى تكون فئة سوية منتجة.

ثانيا- يتجلى إسهام البحث الحالى كذلك فيما يتعلق بموضوع البحث، حيث أن الباحث لم يجد إلا عدة دراسات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة تناولت مفهوم الذات والاضطرابات السلوكية لدى الأطفال المحرومين من الوالدين ولم نجد بين هذه الدراسات دراسة واحدة تناولت هذا الموضوع لدى أطفال مرحلة الطفولة المبكرة.

ثالثا- لقد درج كثير من الباحثين عند عرضهم للدراسات السابقة على تقسيم هذه الدراسات إلى دراسات أجنبية وأخرى عربية - ونرى أن هذا التقسيم أو التصنيف إلى أجنبى وعربي وإن كان يحقق نوعاً من الفائدة - خاصة فى الدراسات عبر - حضارية - إلا أنه يجعل الباحث فى حالة التزامه بنوع من التصنيف يلجأ إلى تكرار هذا التصنيف تارة فى الدراسات الأجنبية وتارة أخرى فى الدراسات العربية دون أى فائدة، ولذا فإن الباحث سوف يقوم بعرض هذه الدراسات السابقة دون الفصل بين ما هو أجنبى وما هو عربي فى فئة مستقلة. هذا من جانب.

رابعاً- جانب أخر، حيث نجد أن الدراسات التى تندرج تحت ما يسمى بالدراسات العربية هى فى غالبيتها دراسات محلية - ولا تحو إلا فى القليل النادر من البحوث دراسات عربية فى بلدان أخرى - وهذا ما تيسر للباحث من الاطلاع على بعض من الدراسات التى اجريت فى بلدان عربية خارج مصر، دون فصلها فى تصنيف خاص كما سبق القول.

خامساً- سوف يقوم الباحث بترتيب هذه الدراسات ترتيباً زمنياً تصاعدياً من الأقدم إلى الأحدث في نصف القرن الأخير .. وهنا يشير الباحث إلى أنه قد حاول أن يضمن

دراساته السابقة تلك البحوث التى قام بها الرواد الأوائل فى هذا المجال مع الاستعانة بأحدث الدراسات فى حدود ما أتيح له الاطلاع عليه .

سادساً- سوف يقوم الباحث "بمحاولة اجتهادية" لعرض هذه الداراسات محاولاً جمع النتائج المتناثرة فى مجمل تركيبى وفقاً لمجموعة من الخصائص أو الفئات التصنيفية .. وفى نهاية الفصل سيقوم الباحث بتعليق عام على هذه الدراسات السابقة.

أولاً - الدراسات الخاصة بالحرمان من الأم :

سوف يستعرض الباحث فى هذا الجزء عدداً من الدراسات التى أجريت حول تأثير غياب الأم والحرمان منها على الطفل خلال نصف القرن الأخير، وذلك فى حدود ما أتيح للباحث الاطلاع عليه.. وبصدد العلاقة بين الأم والحرمان من هذه العلاقة نجد هناك بعض المحاولات التى سبقت "ما قام به "هارلو وزيميرمان Harlow & Zimmerman ١٩٥٩ والتى كانت على القردة حديثة الولادة فى جامعة ويسكونسن، بعضها كان بمثابة تأملات نظرية وانطباعات شخصية وجدت أسانيد من التجارب المنهجية المضبوطة فيما بعد، مثل ما قامت به "مرجريت ريبل" M. Ribble ١٩٤٤، والبعض الآخر كان بمثابة تجارب منهجية مضبوطة مثل ما قام به "شبيتز" Spitz ١٩٤٦، ورainجولد Rheingold ١٩٥٦ وغيرهم .

فقد قامت "ريبل " Ribble ١٩٤٤ بدراسة كيفية تكوين العلاقة الأولية بين الأم والطفل وأهمية هذه العلاقة بالنسبة لنمو حياته الاجتماعية والوجدانية والجسمية فيما بعد، كما أرادت التعرف على استجابات الطفل التى قد ترتبط باضطرابات الشخصية فيما بعد، وكذلك ملاحظة النزعات النكوصية أو الانسحاب والنزعات إلى السلبية والاستجابات الزائدة للإحباط... وكانت عينة الدراسة عبارة عن مجموعة من الأطفال (٦٠٠) طفل ولدوا فى مستشفيات ثلاث للولادة تختلف فيها أساليب رعاية الطفل... بالإضافة إلى مجموعة من الأطفال ولدوا فى بيوتهم.

وكان منهج "ريبل" فى هذه الدراسة هو ملاحظة التتابعات فى نمو علاقة الطفل بالأم خلال فترة طويلة من الزمن.. وأوضحت النتائج أن كثيراً من صفات شخصية الطفل وثباتها يتوقف على الارتباط الوجدانى بالأم - وأشارت إلى وجود ثلاثة أنماط من الخبرة الحسية ذات التأثير فى تكوين هذه العلاقة وهى الخبرة اللمسية، والحركية، والإحساس بوضع الجسم والصوت وكذلك وجدت "ريبل" أن الأمهات المضطربات انفعالياً واللائى يرفضن الطفل

شعورياً أو لا شعورياً غير قادرات على القيام بدور الأمومة. ومن الملاحظ أن صغار الأطفال الذين لا يجدون رعاية مناسبة أو الذين لا يجدون رعاية مناسبة أو الذين يفتقدون فجأة هذه الرعاية، إما أن يصبحوا سلبيين أو تبدو عليهم أعراض الاكتئاب - وقد تظهر هذه السلبية حتى عند صغار الأطفال فى صورة رفض الرضاعة أو فقد الشهية للطعام، وكذلك رفض مشاركة الآخرين نشاطهم. (سيد غنيم، ١٩٧٥، ١١٤ - ١١٦)

وتتفق هذه النتائج مع ما توصل إليه "شبيتز" Spitz ١٩٤٦ من أن تأثير الحرمان من الأم يمتد ليشمل كافة جوانب شخصية الطفل، ويصيبه بالتدهور فى مختلف هذه الجوانب، ويصل إلى أقصى درجة من الاضطراب الانفعالى حيث يصاب الطفل بالاكتئاب، ففي البحث الذى أجراه كل من "شبيتز وولف" Spitz & Wolf ١٩٤٦ عن الاكتئاب الكفلى لدى الأطفال Analytic depression والذين قاما فيه بدراسة سلوك مجموعة من الأطفال ذكوراً وإناثاً خلال العام الأول من حياتهم بعد انفصالهم عن الأم بعد أربعين يوماً من ميلادهم، وأودعوا داراً للرعاية حتى نهاية العام الأول، وبعضهم حتى سن السنة والنصف. وتلقوا جميعاً رعاية واحدة داخل المؤسسة، وكانت الأم تأتى لزيارة الطفل خلال فترة تواجده بالمؤسسة، وبملاحظة سلوك هؤلاء الأطفال وجد الباحثان أنه قد ظهر عليهم سلوك البكاء، ثم الانسحاب من المواقف ورفض المحيطين بهم، كما أن البعض منهم قد فقد الكثير من الوزن خلال فترة الانفصال وأصبحوا يعانون من الأرق، وأظهروا قابلية كبيرة للإصابة بنزلات البرد والأكزيما وانحرافات فى النمو وبطء فى الحركة - وذلك خلال النصف الثانى من العام الأول - وفى الشهور الثلاثة التالية عبر هؤلاء الأطفال عن غضب وعدوان، ثم أصبحت عيونهم غير معبرة، ووجوههم ثابتة خالية من الانفعالات، وتعبيراتهم أشبه بالذهول وغير مستقبلة لما يحدث حولهم فى البيئة، وصاحب هذا أنشطة شبقية واكتئاب وحزن، وكان الأطفال الذكور أكثر اكتئاباً من الإناث - وعند إعادة هؤلاء الأطفال لأمهاتهم فقد قوبلن بالرفض من جانب الأطفال. (Spitz ، ١٩٧٥، ٣١٣- ٣٤٢).

ونجد أن نتائج هذه الدراسة تتفق مع ما قرره "بولبى" Bowlby فيما بعد من أن هناك ثلاث أطوار متتالية يستجيب بها الطفل لانفصاله عن أمه وهى الاحتجاج Protest واليأس despair والانفصال detachment ، والتى سبق تناولها بالتفصيل فى الفصل السابق... حيث وجد أن الأطفال الذين يحرمون من الأم يبدون اكتئاباً أشد، وهو ما أسماه "شبتز" Spitz بالاكتئاب الكفلى، حيث يستجيب الطفل المحروم من العلاقة الجيدة مع الأم بأعراض مماثلة لاكتئاب الراشدين. (Marion ، ١٩٦٩، ٢٢٥- ٢٣٢) أو ما تسميه "كلاين" M Klein " بالموقف الاكتئابى". (محمد شعلان، ١٩٧٧، ٧٧، ٧٩)

إن التنبيه الحسى وإشباع الجوع والعطش، وفرص التعليم التى تنطوى عليها ألوان التفاعل السوى بين الرضيع وأمه أو من يقوم مقامها، تؤثر تأثيراً دالاً على مجرى نموه الاجتماعى والانفعالى والعقلى. *(جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٢٠٥)*. وهو ما توصلت اليه العديد من الدراسات والبحوث.

فقد قامت "راينجولد" H. Rheingold بدراسة استجابات الطفل الاجتماعية التى يتعلمها نتيجة للتفاعل بينه وبين أمه أو من يقوم مقامها – وذلك على (١٦) رضيعاً فى الشهر السادس من العمر كانوا يعيشون فى مؤسسة فيها عدد كبير من المتطوعات لرعاية الرضع والعناية بهم – وقسمتهم الباحثة إلى ثمانية من الرضع لعبت لهم الباحثة دور الأم بنفسها لمدة ثمانى ساعات يومياً، لمدة خمسة أيام أسبوعياً ولمدة ثمانية أسابيع – وفى خلال تلك الفترة قامت الباحثة بإعطاء الحمامات للرضع وتغيير ملابسهم واللعب معهم والابتسام فى وجوههم، وحاولت أن تجعل من نفسها أحسن بديل ممكن للأم الحقيقية – وثمانية أطفال آخرين (كمجموعة ضابطة) كانت تعنى بهم المتطوعات على النسق الذى يجرى فى المؤسسة عموماً من غير أن يختص الرضيع الواحد بأم واحدة – وبحيث تجرى هذه المهام والواجبات للرضيع بالأسلوب الروتينى العادى – وقامت الباحثة بإجراء الاختبارات على الرضع فى كل أسبوع من هذه الأسابيع الثمانية، وخلال أربعة أسابيع أخرى إضافية – وكانت الاختبارات تضم اختبارات للاستجابة الاجتماعية لثلاث من الناس : المجربة، ومختبر آخر كان يجرى عليهم اختبارات أخرى، وشخص ثالث غريب تعرضوا له بعد انقضاء الأسابيع الثمانية – وكذلك اختبارات للنمو تقوم على أساس قدرة الطفل على التحكم فى وضع جسمه واختبار للنمو يستخدم فيه تناول المكعبات.

وأوضحت النتائج أن الرضع الثمانية الذين قامت برعايتهم الأم (الباحثة) أظهروا قدراً أكبر من الاستجابة الاجتماعية للمجربة والمختبر والشخص الغريب. هذا لأن هؤلاء الأشخاص كانوا يبتسمون للرضع أو يتكلمون إليهم، ولذا فكان أفراد المجموعة التجريبية يظهرون قدراً أكبر من الابتسام بتعبيرات الوجه أكثر مما يفعل أطفال المجموعة الضابطة + وأن هذا التأثير كان أوضح عندما يستجيب الرضيع للباحثة نفسها. *(Rapalia & Wendkos، ١٩٧٩، ٢٠٥)*.

إن نتائج هذا البحث توضح أن الأفعال الاجتماعية التى يتعلمها الطفل كاستجابة لمن يقوم على رعايته وتنبيهه تنبيهاً اجتماعياً تتعرض لنوع من التعميم، أي أن الطفل يعود

فيستجيب لغير الأم من الأشخاص. وإذا كانت الأم هى المكونة الأولى للذات الشعورية للطفل، فإنه في حالة الانفصال والحرمان منها تضطرب هذه الصورة، مما ينعكس بالاضطراب على شخصية الطفل إلى حد أنه يتم فى بعض الأحيان تشخيص هؤلاء الأطفال المحرومين من الأم على أنهم فصاميين. فهم يظهرون اضطرابات عنيفة فى علاقاتهم بالموضوع وخاصة العلاقة بالكبار، بداية من الرفض العدائى لهم إلى الانسحاب الذاتوى. *(مصطفى فهمى، ١٩٦٢، ٦٧)*، *(Alpert،* ١٩٧٥، ١٧٠).

وهذا ما توصلت إليه "جروس" Gross ١٩٦٣ فى دراستها على مجموعة من الأطفال فيما بين ٥ - ١١ سنة - وكان الأطفال جميعاً قد فصلوا عن الأم فى سن مبكرة وتم إيداعهم بأحد بيوت التبنى، وقد قسمت هذه المجموعة إلى ثلاث مجموعات فرعية. (٥ - ٦) (٧- ٨) (٩-١١) سنة.

ووضعت المجموعة الأولى مؤقتاً فى أحد مراكز الاستقبال للأطفال، والثانية والثالثة وضعت فى دار للتبنى بصفة دائمة - واستخدم الباحث اختبار وكسلر لقياس ذكاء الأطفال، واختبارات إسقاطية مثل "الكات"، "والروشاخ" للكشف عن الجوانب المختلفة فى شخصية هؤلاء الأطفال.

وتوصلت الدراسة إلى أن هناك فروقاً دالة بين المجموعتين فى كم وكيف الجرح النفسى الناتج عن الانفصال عن الأم - فقد أظهر الأطفال المضطربون (المجموعة الثانية) مشاكل خطيرة نسبياً جعلتهم غير متوافقين فى بيوت التبنى، ويفسر الباحث ذلك استناداً إلى التاريخ الطويل من العلاقات الشخصية غير السوية مع هؤلاء الأطفال، وبالتالي تم وصفهم بأنهم محرومون بشدة، وقد استنتج الباحث من خلال استجابات الأطفال على الاختبارات اضطراباً فى شخصية الطفل من خلال علامات ثلاثة هى : انخفاض إستخدام الألوان فى اختبار الرورشاخ، زيادة درجات المقياس العملى فى اختبار وكسلر مقارنة بالمقياس اللفظى ، وأخيراً نوعية القصص على اختبار الكات. *(Gross،* ١٩٦٣، ٦١- ٦٦).

ثم نجد هناك بحوثاً أخرى تناولت نوعاً آخر من الحرمان الأموى، يطلق عليه الحرمان الجزئى المتكرر نتيجة خروج الأم للعمل... وهذا النوع من الحرمان قد يكون له تأثيره الضار على الطفل... ويرجع هذا الضرر كما تقرر "أنثورث" Ainsowrth ١٩٧٣ إلى أن أنشغال الأم بمطالب البقاء قد يجعلها تفشل فى أن تكون لطفلها بمثابة قاعدة أمن وأمان، أو كما يقرر

"بولبى" Bowlbey ١٩٧٧ أن انشغال الأم قد يؤثر فى مدى تجاوبها مع حاجات طفلها ومدي تواجدها معه، الأمر الذى يجعله عرضه للاضطرابات النفسية بما فى ذلك الاكتئاب. *(ممدوحة سلامة، ١٩٨٧، ٨٥)*

ومن هذه البحوث تلك الدراسة التى قامت بها "بثينة قنديل" ١٩٦٤ عن أثر غياب الأم اليومى بسبب العمل على شخصية الأبناء من حيث توافقهم النفسى والاجتماعى - وكان سن الأطفال ما بين ٩ - ١٢ سنة، واستخدمت الباحثة اختبار كاليفورنيا، واختبار روجرز للشخصية، واختبار الاتجاهات العائلية وكذلك تقدير المدرس للتلميذ، وأوضحت نتائج الدراسة أن تكيف أبناء المشتغلات أقل بوجه عام من تكيف أبناء غير المشتغلات - كذلك اتضح انغماس أبناء المشتغلات فى أحلام اليقظة، ويتضح ذلك فى ميلهم الواضح للانفراد، وفيما يتعلق بالخطر والعدوان غير الاجتماعى الذى يهدد أمن وطمأنينة الطفل، فقد تبين أن أبناء المشتغلات يذكرون قصصاً تدل على أخطار وعدوان خارجى أكثر من أبناء غير المشتغلات، كما ظهرت عليهم أعراض من قبيل قضم الأظافر والصداع وآلام المعدة والعين. *(بثينة قنديل، ١٩٦٤)*

ومع التسليم بأهمية دور الأم للطفل، إلا أننا يجب أن نضع في الاعتبار أن نتائج من قبيل البحث السابق لا يكمن وراءها غياب الأم فى ذاته كعامل سببى وحيد، بل هناك كذلك تأثير شخصية الأم العامة واتجاهاتها نحو أبنائها من تقبل ورفض، وكذلك سن الطفل عند خروجها للعمل، ومدى توفر الرعاية البديلة فى فترة غيابها .. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لابد من وضع تفسير الأبناء - وخاصة كبار السن كما في البحث السابق - لخروج الأم للعمل ونظرتهم إليها فى الاعتبار، وهذا عامل شديد الأهمية قد يفسر لنا جانباً كبيراً من النتائج السابقة.

وبهذا الصدد نجد أحد الأبحاث الحديثة "نبيلة أبو زيد" ١٩٨٧ عن مفهوم الأمومة الواقعية والمثالية .. اتهم الأبناء الأم العاملة بالعنف والعصبية الزائدة فى تنشئتهم، فهى ليست لديها الوقت الكافى لتلبية جميع مطالبهم، وأنها مضطرة لعمل أولويات، وبطبيعة الحال ستقوم بالأعمال المنزلية الأساسية وتلبية حاجاتهم الضرورية فقط، فالتعب والإرهاق الجسمى والنفسى تختفى معه المشاركات الاجتماعية مع الأبناء، والمشاركة فى اهتماماتهم وحل مشاكلهم المتعددة، وبالتالى فهم ينظرون نظرة سلبية إلى عمل الأم، الأمر الذى يؤثر على مدى توافقهم الشخصى والاجتماعى. *(نبيلة أبو زيد، ١٩٨٧، ١٢٥- ١٢٦)* .

فالحرمان من الأم هنا يمثل نوعاً من الحرمان النفسى منها وليس حرماناً بيولوجياً، وعلى حد تعبير "جيرسيلد" T.Jersild ١٩٦٩ حرمان من الأمومة mothering وليس من الأم mother ... فالحرمان من الأمومة له من سئ الأثر ما قد يصل إلى حد موت الطفل فى بعض الأحيان... وبهذا الصدد فإننا نتذكر تلك المحاولة التى قام بها منذ زمن بعيد "فردريك الثانى" حيث أراد التعرف على نوع وأسلوب الكلام الذى ينطبق به الأطفال إذا هم نشأوا من غير أن يتحدث إليهم أحد – وقام بإعداد نمط رعاية معين – يتسم بالحرمان النفسى الشديد، وهو أن تقوم المرضات والمشرفات العاملات بالمؤسسة بإرضاع مجموعة من صغار الأطفال وتنظيفهم والعناية بهم دون أن يتحدثن إليهم ... وكانت النتيجة من وراء هذا النمط القاسى من التربية التى يكتنفها الحرمان النفسى والاجتماعى هى أن الأطفال جميعاً وبلا أستثناء قد ماتوا بعد مضى فترة من هذا النمط التربوى المصطنع شديد القسوة شديد الحرمان. *(جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٢٠٥)* .

إن هذه الدراسة رغم ما تثيره من قضايا جدلية حول مشروعية تدخل الباحث بالتأثير فى مجتمع الدراسة إلى هذا الحد، وهو ما يتنافى وأخلاقيات وحدود البحث العلمى عامة والنفسى خاصة، إلا أنها توضح أهمية العلاقة بالأم، لا من حيث هى وجود بيولوجى فحسب، أو مصدر لإشباع الحاجات الجسمية، بل من حيث هى فى المقام الأول وجود نفسى ومصدر أساسى لإشباع حاجات الطفل النفسية كالحب والعطف والأمن، تلك الحاجات التى يؤدى عدم إشباعها إما إلى موت الطفل كما فى الدراسة السابقة، وهو ما توصلت إليه كذلك "سنية عبد الوهاب" ١٩٨٩ فى دراسة اجتماعية عن المشاكل التى تواجه الأسرة بعد وفاة الأم، والتى أتضح فى جانب من نتائجها وفاة بعض الأطفال صغار السن بعد وفاة الأم. *(سنية عبد الوهاب، ١٩٨٩، ٢١ - ٢٦)* .

أو قد يؤدى إلى نوع من " إنعدام المحبة السيكوباتى" Affectionless psychopathy والذى تناوله "ولكيند" Wolkind ١٩٧٤ فى دراسة له على مجموعة من الأطفال المودعين بالمؤسسات تتراوح أعمارهم من ٥ - ١٢ سنة – حيث قام بإجراء مقابلات مع الأطفال ومع الوالدين بالمؤسسات، وتم إجراء تشخيص سيكاترى من خلال تجميع نتائج المقابلتين – وبعد صياغة التشخيص كان يتم جمع معلومات وبيانات عن الطفل وعن التاريخ السابق وعن الأسرة وعن خبرات الرعاية ... إلخ .. وقد أوضحت النتائج أن التشخيص السيكاترى للأطفال هو اضطراب مختلط Mix disorder من الملامح والسمات غير الاجتماعية (المضادة للمجتمع) والعصابية – وكذلك أبدى بعض الأطفال فرطاً حركياً، وبعضهم الآخر أبدى اضطرابات نمائية

(عدم التحكم فى البول والبراز). وأوضحت الدراسة كذلك تأثير الحرمان الأموى والانفصال المبكر عن الأم كعامل سببى لانعدام المحبة السيكوباتى .

كما أتضح أن هؤلاء الأطفال - كما قرر القائمين عليهم - يعانون من السلوك المضاد للمجتمع، وصعوبات بالغة فى إقامة علاقات مستمرة مع الراشدين... وقد أرجع الباحث هذه المشكلات إلى حرمان الطفل من والديه وخاصة الأم، فهناك نوع من الجوع العاطفى الذى يعانيه الطفل، حتى وإن كان الوالدان موجودين، أو هناك بديل يقوم مقامهما، ولكنهما لا يمثلان الوالدية النفسية للطفل. (Wolkind ، ١٩٧٤، ٢١٥- ٢٢٠).

إن السنوات الأولى من عمر الطفل تشكل فترة حرجة ينبغى أن تتشكل فيها الرابطة والعلاقة مع الأم، وينبغى أن تكون هذه العلاقة بمثابة قاعدة أمن وأمان ينطلق منها الطفل بعد ذلك نحو العالم الخارجى، وتصبح بمثابة درع واق له أمام أى خبرات انفصال قد يتعرض لها فيما بعد.. وكما يقرر "بولبى" Bowlby أنه إذا لم يوضع فى الاعتبار ضرورة وأهمية هذه العلاقة مع الأم في هذه السنوات المبكرة، فإن أى درجة من الأمومة الكافية فيما بعد لا يمكنها معالجة الموقف. (Dunkin ، ١٩٨١، ٢١٨-٢١٩).

إن اطمئنان الطفل وثقته فى الأم وإشباع حاجاته من خلال ذلك لا يقيه من خطر الانفصال فيما بعد فحسب، بل قد يدفعه هو نفسه إلى الانفصال عنها دونما أى عوارض من الخوف والقلق، مستنداً إلى ثقته واطمئنانه فى الأم - ومستنداً إلى رصيد سابق من الإشباع - وينساق الطفل وراء استطلاعيته واستكشافه - فهو قد يبادر بالانفصال عن الأم دون خوف - وهذا ما توصل إليه "كورتير" C. Cortter ١٩٧٦ فى دراسته عن طبيعة غياب الأم واستجابة الطفل للانفصال قصير المدى فى لسن ٥ر٩ شهرا إلى ١١ شهر... وقد آثرنا عدم عرضها تفصيلاً لأنها تتناول الانفصال عن الأم بمعنى الغياب عن مرمى نظر الطفل وتأثير ذلك عليه - وكان الهدف منها هو كيفية مبادرة الطفل بالانفصال عن الأم ومتى يحدث. (Corter; ، ١٩٧٦، ٤٢٨- ٤٣٤).

وعن استجابة الأطفال لموت الأم وتأثير الحرمان منها عليهم فى مرحلة ما قبل المدرسة، قام "بارنيس" Barnes ١٩٧٦ بدراسة على عينة من طفلتين شقيقتين، الكبرى فى الثالثة والنصف والصغرى تبلغ عاماً ونصف عند حدوث الوفاة، واستخدم الباحث أسلوب التتبع

والملاحظة لاستجابة كل من الطفلتين لموت الأم لمدة عام كامل - وأوضحت النتائج أن الطفلة الكبرى قد ظهر عليها أعراض مرضية عضوية من قبيل عدم أنتظام التنفس، وفقدان الشهية، واضطرابات في النوم. بالإضافة إلى أنها عبرت عن كراهيتها لغياب الأم من خلال شعور يحمل الثنائية الوجدانية تجاه الأم من حب وكراهية لها، وتعبير عن رغبتها فى عدم عودتها ثانياً، ثم أظهرت فى فترة لاحقة بعض التخيلات التى تحمل شكل الرغبة فى عودة الأم إلى الحياة، وإنكار الموت كنهاية للحياة، كما أظهرت قلقاً من المرضى وخوفاً من أن يؤدى المرض إلى الموت - وفسرت كل غياب على أنه موت ... بينما ظهرت على الطفلة الصغرى بعض الأمراض العضوية ذات الأصل النفسى مثل فقدان الشهية ونقص الوزن والبوال.. وكان من الشائع استخدام الميكانيزم الدفاعى "الإنكار" القوى للموت - ولقد استخدمت هذه الطفلة شقيقتها الكبرى كأم بديلة لها ... وبعد انقضاء عام كامل ظهر تحسن على سلوك الطفلتين، حيث أظهرتا تقدماً فى نموهم وقدرة على فهم الموت كنهاية للحياة، وعبرتا عن حزنهما الواضح لفقدان الأم بدلا من استخدام الإنكار لموتها - وأصبح لديهما القدرة على التعبير عن شعورهما المرتبط بالموت للآخرين، وتغلبت الطفلة الكبرى على صعوبات النوم وتخييلات عودة الأم. (Barnes ، ١٩٧٦، ٣٣٤-٣٥٧).

وتوضح نتائج هذه الدراسة ما سبق أن تحدث عنه "جون بولبى " Bowlby عن عملية الحداد لدى الأطفال mourning والتى تمر بأطوار ثلاثة سبق تناولها كما توضح أن الإنكار كميكانيزم دفاعى يحمى الطفل من الشعور بالقلق من جراء أن يموت هو نفسه .. ولكن الإنكار لا يمنع ظهور بعض الأعراض المرضية لدى الأطفال، والتى تحتفظ فى طابعها بأسبابها النفسية ، ولذا فهى تظهر فى صورة جسمية كما رأينا من نتائج البحث السابق.

وهكذا نجد أن تأثير الحرمان من الأم يمتد لينال من توافق الطفل الشخصى والاجتماعى وفى هذا الصدد قام "طلعت عبد الرحيم" ١٩٧٨ بدراسة على مجموعة من الأطفال المحرومين من الأم، ومجموعة أخرى من غير المحرومين (٥٦ طفلاً فى كل مجموعة) فى نفس الصف الدراسى (الرابع الابتدائى) ونفس مستوى الذكاء - وقام الباحث باستخدام اختبار الشخصية للأطفال، وأسفرت الدراسة عن أن الأطفال المحرومين من الأم قد تميزت علاقاتهم بالعزلة والانطواء وضعف العلاقات الاجتماعية بالقياس إلى أقرانهم غير المحرومين من الأم.
(طلعت حسن، ١٩٧٨ ٧ - ٢٧)

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج "بثينة قنديل" ١٩٦٤ السابق عرضها، وكذلك بحث "محمد بيومي" ١٩٨٠، "وإيمان فوزى" ١٩٨٥ والتى سوف نعرض لهما فيما بعد. فإذا كانت الأم هى بمثابة أول علاقة ورباط اجتماعى بآخر، فإن أى حرمان من هذه العلاقة وما يصاحبه من حرمان من إشباع لحاجات الطفل يجعل الطفل يقوم بنوع من التعميم لهذه الخبرة السيئة على مواقف وعلاقات الحياة الأخرى ... وعلى حد تعبير "مونتاجو" Montagu أنه نظراً لافتقاد الطفل أول أرتباط اجتماعى له – وهو ارتباطه بأمه وأسرته – ينقله إلى أرتباط وحب للآخرين، فإنه لا يكون هنا وجود لمسلك اجتماعى سليم ولا شعور بالأمن والتضامن مع أى ارتباط اجتماعى آخر يكونه الطفل. *(سول شيدلنجر، ١٩٧٠، ٤٥)* .

وهناك نوع آخر من الانفصال عن الأم والحرمان منها شديد الأثر خطير العواقب، وهو الانفصال عن الأم نتيجة الطلاق والخلافات الأسرية .. ومن الدراسات المحلية التى أجريت بهذا الشأن دراسة " محمد بيومى" ١٩٧٨٠- وقد تناول تأثير نوعين من الحرمان الأموى، الحرمان التام بالوفاة، والحرمان بالانفصال بالطلاق، على بعض نواحى التكيف الشخصى والاجتماعى لدى مجموعة من الأطفال محرومين من الأم بالوفاة (٢٠ طفل وطفلة) ممن يعيشون مع أسرهم، وتراوحت أعمارهم من ٢– ٥ سنوات. واستخدم الباحث مقياس ملاحظة سلوك الأطفال لتقدير توافقهم الشخصى والاجتماعى ، وأسفرت النتائج عن وجود أرتباط سالب بين درجة الحرمان من الأم ودرجة التكيف الشخصى والاجتماعى للطفل، بمعنى أنه كلما زادت درجة الحرمان من الأم، كلما قلت درجة التكيف لديه ... ومن ثم يصبح الحرمان بالوفاة ، وهو حرمان كلى تام، أشد وطأة على الطفل ودرجة تكيفه من الحرمان الجزئى منها بالطلاق، ووجد ذلك لدى كل من الجنسين. *(محمد بيومى، ١٩٨٠)*

ونسارع بالقول إن نتائج هذا البحث تختلف عن نتائج أخرى حول مقدار الخطر من جراء الحرمان بالطلاق، والذى أجمعت بحوث كثيرة على خطورته أكثر من الحرمان بالموت "هيثرنجتون" Heatherington ١٩٧٩، وكذلك ما توصلت إليه "هارلوك" E. Hurlock. ١٩٨٣ فحرمان الطفل من الموضوع المحبوب بالوفاة يجعله يمر بفترة حداد – كما رأينا فى دراسة "بارنيس" Barnes ١٩٧٦ السابقة – يستعيد بعدها توافقه واتزانه النفسى شأنه شأن الراشدين فى ذلك.

أما خبرة انفصال الطفل عن أحد والديه نتيجة الطلاق تكون أشد وطأة على الطفل نظراً لأن خلافات الطلاق تكون غير خافية عليه، هذا بالإضافة إلى ما ينال الطفل من جراء تشويه الصور الوالدية نتيجة أن كل طرف من الوالدين يحاول تشويه صورة الوالد الآخر جذباً لود الطفل – هذا بالإضافة إلى أن خطورة الحرمان بالطلاق ترجع كما توضح "هارلوك" ١٩٨٣ إلى أن فترة التكيف للانفصال والحرمان من الوالدين بالطلاق أطول وأكثر صعوبة من التكيف للحرمان بالموت.. هذا إلى جانب ما يتعرض له الطفل من خجل وإحراج إذا ما سئل عن والده المفقود، أو عن الوالد الجديد الموجود (فى حالة زواج الأم أو الأب مرة أخرى) كما يشعرون بالذنب إذا ما استمتعوا بالوقت الذى يقضونه مع الوالد الآخر أو إذا فضلوا المعيشة مع الوالد المنفصل بدلاً من الذى يتولى رعايتهم. (Hurlock ١٩٨٣، ٥٠٨).

وقد يرجع اختلاف نتائج هذه الدراسة عما هو شائع فى هذا المجال إلى صغر سن العينة المدروسة، الأمر الذى يجعل غياب الأم بشكل كامل تام شديد الوقع على الطفل، وكذلك نظراً لأن من تقوم مقام الأم فى هذه السن الصغيرة - إذا وجدت - لن تكون لديها الطاقة والدافعية مثل الأم الحقيقية فى إشباع حاجات الطفل المتنوعة والمختلفة فى هذه السن الصغيرة.. هذا إلى جانب صغر حجم العينة المدروسة الأمر الذى لا يبرز بجلاء تأثير كل من النوعين من الحرمان الأموى.

وإذا كانت النتائج السابقة تتعلق بالحرمان من الأم سواء بالوفاة، أو بالانفصال بالطلاق، أو بخروجها للعمل (كحرمان جزئى متكرر) – فإن هناك نوعاً آخر من الحرمان لا يتعلق بغياب الأم – فالأم أو البديلة الدائمة لها متاحة للطفل، ولكن هناك نوعاً من القصور فى العلاقة بين الأم والطفل ونقص فى الرعاية الأموية.

فقد قام "جوليا" T. Julia ١٩٨٠ بدراسة هدف منها التعرف على أثر نقص الرعاية الأموية على أطفال المؤسسات الأقل من ثلاث سنوات – وقد قارن الباحث بين مجموعتين من الأطفال – مجموعة تجريبية (٩٤) طفلاً خبروا الانفصال عن الأم وقضوا فترة الانفصال عنها فى مؤسسة لرعاية الأطفال لمدة تتراوح ما بين ٧ – ٣٠ يوماً حيث تعرضوا لعلاقات غير مشبعة مع الأمهات البديلات – المشرفات – بينما تكونت المجموعة الضابطة من ٧٩ طفلاً فى نفس المرحلة العمرية لم يخبروا الانفصال عن الأم – واستخدم الباحث الملاحظة والمقابلة واختبار نمو الأطفال وحساب معايير معدلات النمو وتوصلت النتائج إلى أن نقص الرعاية الأموية داخل المؤسسة له بالغ الضرر على نمو الأطفال. حيث انخفض معدل النمو الاجتماعى، وأبدوا

انسحاباً من المواقف وتأخراً فى النمو العقلى، هذا بالإضافة إلى التدهور فى النمو الجسمى. (*Julia*، ١٩٨٠، ٦٦٢٢٩).

ولعل هذه النتائج تتفق إلى حد كبير مع ما يقرره "شبتز" Spitz ١٩٤٩ من أن انعدام التفاعل الاجتماعى العاطفى بين الأم والطفل مسئول إلى حد كبير عن تأخر المهارات العقلية، كما انتهى إلى أن انتظام ظهور الاستجابة الانفعالية وكذلك تقدم النمو الجسمى والعقلى مرهون بحسن العلاقة بين الطفل وأمه، أما فى البيوت البديلة، فقد أدت إلى عدم انتظام النمو وتقدمه فى النواحى الانفعالية وغيرها. (*جون كونجر وآخرون*، ١٩٧٠، ٢٠٧) .

وهذا ما توصلت إليه "تراوس" Traus ١٩٨١ حيث قامت بدراسة على مجموعتين من الأطفال، الأولى (١٤) طفلا أعمارهم ما بين سنة وثلاث سنوات ونصف السنة، انفصلوا عن أمهاتهم لمدة تتراوح من يومين إلى ستة أيام، وذلك أثناء وضع الأم لطفلها الثانى، ولم يسمح لهم بزيارة الأم، والمجموعة الثانية (١٧) طفلا انفصلوا عن أمهاتهم أيضا ولكن سمح لهم بزيارة الأم لمدة يوم واحد أثناء الانفصال - وقامت الباحثة بتسجيل سلوك الأطفال فى المنزل لمدة أسبوعين بعد ولادة الطفل الجديد وعودة الأم، بالإضافة إلى أسلوب الملاحظة مقارنة بسلوكهم فى فترة ما قبل الولادة أو الانفصال عن الأم وذلك لمدة أسبوعين إلى أربعة أسابيع .. وأوضحت النتائج أن فترة الانفصال عن الأم أدت إلى زيادة الثورات الانفعالية الحادة، وزيادة ملحوظة فى النشاط والحركة - إلى جانب أن الأطفال فى المجموعتين قد أظهروا اضطراباً فى النوم وأظهرت المجموعة التى سمح لها بزيارة الأم أثناء الانفصال تجاوباً واضحاً مع الأم بعد عودتها إلى المنزل. (*Traus*، ١٩٨١، ١٠٦٣).

وتتفق هذه النتائج مع ما يقوله "بولبى" Bowlby من أن الطفل يتأثر تأثراً سيئاً بانفصاله عن أمه، ويبدو ذلك بوضوح فيما بعد الأسبوع الرابع من عمره، وفى غضون بضعة أيام من انفصاله عن أمه - فيتضاءل نشاطه وتفتر اهتماماته، بل وتقل ابتساماته لمرأى الوجه البشرى. (*مصطفى سويف*، ١٩٨١، ١٧٧).

وعن ابتسام الطفل كخبرة متعلقة بشدة بوجود الأم ومطالعة وجهها، نجد هناك دراسة قام بها "جيورتز" L. Geurtz ١٩٨١ حاول فيها التعرف على الابتسام والعمر الذى يبدأ فيه لدى مجموعات مختلفة من الأطفال فى إسرائيل يعيشون فى بيئات مختلفة، وكانت العينة عبارة

عن مجموعات ثلاثة : الأولى من الأطفال المودعين بأحد المؤسسات نادراً ما يرون والديهم ويتلقون رعاية روتينية نمطية فى المؤسسة، والثانية مجموعة أطفال الكيبوتز (الذين يعيشون فى معسكرات جماعية) تتم تربيتهم فى بيوت واسعة مع مربيات مهنيات، غير أنهم أطعموا خلال العام الأول من عمرهم بواسطة أمهاتهم، والثالثة هى مجموعة الأطفال الذين يعيشون مع أمهاتهم، واستخدم الباحث أسلوب الملاحظة للأطفال لمدة طويلة وبصفة متتابعة، وقد أوضحت النتائج أن قمة (ذروة) عمر الابتسام كان متأخراً لدى الأطفال الذين تربوا بالمؤسسات مقارنة بأطفال المعسكرات وأطفال العائلات. (Mussen et al، ١٩٨١، ١٠١).

ولعل تعليل هذه النتيجة هو أن خبرة الابتسام تتأثر بالخبرة مع وجه الأم، وهذه الخبرة لم تتوفر لأطفال المؤسسات - هذا إلى جانب ما يذكره "بولبى" Bowlby من أن الحرمان من تجربة "الوجه الثابت والعناية الشخصية المتصلة "فى سنوات العمر المبكرة من شأنه أن يحرم الطفل من أول مظهر وأول وسيلة للتنظيم فى الحياة، مما يعطل كثير من القدرات لديه، ويتسرب إلى كثير من قدراته الاجتماعية ومنها الابتسام. (مصطفى سويف، ١٩٨١، ١٧٨)

أما عن رد فعل الطفل تجاه غياب الأم ثم عودتها، فقد وضع فى الاعتبار وذلك فى الدراسة التى قام بها "أدورد Edward ١٩٨٢ والتى هدفت التعرف على ردود فعل الأطفال تجاه غياب الأم، وذلك على أربعين طفلاً مقسمين إلى مجموعتين : الأولى (٢٠) طفلاً فى سن السنة والنصف، والثانية (٢٠) طفلاً فى سن خمس سنوات، واستخدم الباحث الملاحظة لسلوك الاطفال أثناء غياب الأم عن طفلها ثم بعد عودة الأم إلى الطفل - وأوضحت النتائج أن أطفال المجموعة الأولى أظهروا احتجاجاً على غياب الأم - وأظهرت المجموعتان احتجاجاً وعنفاً فى حالة رجوع الأم ثانياً، إلى جانب بعض المظاهر السلوكية السلبية مثل البكاء والصراخ. (Edward، ١٩٨٢، ٤٥).

ويمتد تأثير الحرمان من الأم فى مطلع العمر ليلقى بظلاله القاتمة على مراحل العمر التالية فى صورة توافق نفسى سيئ ، وهذا ما تناولته "إيمان فوزى" ١٩٨٥ فى دراسة لها عن تأثير الحرمان من الأم بوفاتها على التوافق النفسى للأبناء، وقد حاولت التعرف على الفروق بين الجنسين فى مدي تأثر التوافق النفسى بهذا الفقد - وقد أجريت الدراسة على مجموعتين من الأطفال : الأولى (١٢ ذكراً ، ١٢ أنثى) فى سن ٩ - ١٥ سنة ، توفيت أمهاتهم وهم فى سن تتراوح من ٢- ٧ سنوات، والمجموعة الثانية (١٢ ذكراً ، ١٢ أنثى) لم يمروا بهذه الخبرة،

واستخدمت الباحثة اختبار الشخصية للأطفال، استمارة دراسة الحالة، اختبار رسم الأسرة المتحركة واختباري الكات والتات وفقاً لسن الحالة المدروسة، وقد أوضحت الدراسة العديد من النتائج تتعلق بان الأطفال فاقدي الأم قد أظهروا مستوى توافق أقل من الأطفال الذين يعيشون في أسر مكتملة – كما أظهر الإناث مستوى توافق أقل من الذكور، كما أبدى الذكور ما يدل على معاناتهم من مشاعر الذنب في صورة تهديد بالعقوبة الشديدة التي بلغت حد التهديد بالموت، إلا أن مشاعر الذنب لدى الإناث فاقت مثيلتها لدى الذكور حتى إنها كانت محوراً للعديد من المظاهر اللاتوافقية الأخرى من دفاعات مولدة للمرض، وصراعات أساسية ومخاوف أيضاً.

كذلك أظهر الإناث قدراً عظيماً من مشاعر الوحدة والكآبة نتيجة لفقدان موضوع الحب، إلى جانب مشاعر الهجر والنبذ، وصلت إلى حد إدراك الأبنة الأنثى هجر أمها لها على أنه قطع لصلات النسب من جانب الأم. كذلك اتضح أثر غياب الأم من المثلث الأوديبي على مدى قدرة الطفل على تخطي الأوديب بنجاح والاتجاه في صورة سوية إلى موضوع جنسي غير بديل، فقد أظهر الأبناء الإناث والذكور اضطرابات مختلفة تتعلق بتصفية الأوديب، وإن كانت جميعها ظهرت في صورة أعراض عن الجنسية، وقد أظهرت أحد حالات الذكور اضطراباً يتمثل في صورة ميول جنسية مثلية قوية. *(إيمان فوزي، ١٩٨٥)* .

وهكذا نجد أن الحرمان من الأم يعمل على زيادة الاضطرابات الانفعالية لدى الطفل، الأمر الذي يعوق توافقه بشكل واضح – وهو ما أوضحه البحث السابق – وأوضحه كذلك البحث الذي قام "مرزوق عبد المجيد" ١٩٩٠ عن تأثير غياب الأم – جزئياً – بالعمل على السلوك الانفعالي للأبناء في مرحلة الطفولة – وقد أجري على عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية (٩– ١٢ سنة) مقسمين إلى تلاميذ من أبناء الأمهات العاملات، وتلاميذ من أبناء غير العاملات – واستخدم الباحث مقياساً للسلوك الانفعالي يتضمن عدة أبعاد مثل الحب والمودة، الثقة بالنفس، الاتزان الانفعالي، الحزن، الغيرة ، الاضطراب والقلق– وقد أسفر البحث عن أن السلوك الانفعالي للبنين والبنات من أبناء الأمهات غير العاملات أفضل بكثير من البنين والبنات من أبناء الأمهات العاملات، وقد كان البنات أفضل في سلوكهم الانفعالي من الذكور سواء من بنات الأمهات العاملات أو غير العاملات. *(مرزوق عبد المجيد، ١٩٩٠، ٨٦٩ – ٩٠٦)*

تعقيب على الدراسات الخاصة بالحرمان من الأم :

باستعراض الدراسات الخاصة بالحرمان من الأم وتأثيره على نمو الطفل نجد هناك اهتماماً متزايداً من جانب الباحثين بهذا الموضوع منذ ثلاثينيات هذا القرن - وإن كان الأمر على خلاف ذلك فيما يتعلق بالدراسات المحلية. فأول ما يستلفت النظر فيها هو قلة عددها بشكل كبير، فلم تجر سوى خمس دراسات فقط فى هذا المجال. *(بثينة قنديل ١٩٦٤)*، *(طلعت عبد الرحيم ١٩٧٨)*، *(محمد بيومى ١٩٨٠)*، *(ايمان فوزى ١٩٨٥)* ، *(مرزوق عبد المجيد ، ١٩٩٠)* . مما يعنى أن هناك قصوراً شديداً فى الدراسات المحلية الخاصة بالحرمان من الأم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، نجد أنه بالرغم من إجمال العلماء على أهمية وخطورة سنوات ما قبل المدرسة أو الطفولة المبكرة فى إرساء دعائم الشخصية، فلم نجد على المستوى المحلى سوى دراسة واحدة فقط. *(محمد بيومى ١٩٨٠)* . مما يعنى أن هناك نوعاً من الإغفال لهذه المرحلة العمرية الحرجة حيث أهتمت غالبية هذه الدراسات بتأثير الحرمان من الأم فى مراحل متأخرة من العمر، ولم يكن هناك اهتماماً بنفس القدر بمرحلة ما قبل المدرسة .

كذلك نجد أن هذه الدراسات - وخاصة المحلية - قد ركزت جل اهتمامها على تأثير الحرمان من الأم على بعض نواحى التكيف الشخصى والاجتماعى للطفل ، وهو ما يمثل إغفالاً شديداً لجوانب أخرى من شخصية الطفل تتأثر بهذا الحرمان مثل النمو العقلى، والانفعالى واللغوى... إلخ.

أما فيما يتعلق بالأدوات التى استخدمت فى هذه الدراسات فقد غلب عليها أسلوب الملاحظة المباشرة ، وخاصة فى عينات العمر المبكر، إلى جانب استخدام الاستبيانات والاختبارات النفسية والاختبارات الإسقاطية فى الأعمار المتقدمة.- غير أنه وإن كان أسلوب الملاحظة المباشرة للطفل هو ما يتناسب مع الأطفال وخاصة فى الأعمار الصغيرة، إلا أنه لا يعطى إحاطة شاملة بسلوك الطفل ولا يتيح وقوفاً فعلياً ومعرفة حقيقية بسلوك الطفل الدائم والمتكرر، نظراً لأن الملاحظة تكون لمدة محدودة، كأن تكون ساعة أو ساعتين يومياً، أو يوماً أو بعض يوم أسبوعياً فقط، ومن ثم فلابد من الاعتماد - إلى جانب الملاحظة المباشرة - على الملاحظة التى تقوم بها الأم - المشرفة - فهى المقيمة والملاحظة الدائمة لسلوك الطفل، وبالتالى يمكن الاعتماد عليها كمصدر للمعلومات.

وإن جاز للباحث أن يبدى وجهة نظر، فهو يرى أن ندرة بحوث الحرمان من الأم - وخاصة محلياً - قد ترجع إلى أن دراسات الحرمان من الأم تستدعى نوعاً من التثبيت والتحييد لتدخل عديد من العوامل والمتغيرات حتى يمكن دراسة أثر الحرمان من الأم خالصاً، مثل توفر البديل الأموى، أو زواج الأب مرة أخرى، والمستوى الاقتصادى والاجتماعى للأسرة - والتحاق الطفل بدور الحضانة .... ومتغيرات أخرى عديدة، الأمر الذى قد يخرج عن نطاق قدرة الباحث وجهده.

هذا إلى جانب أن إغفال مرحلة الطفولة المبكرة أو ماقبل المدرسة، قد يرجع إلى عدم توفر الأدوات الموضوعية الكافية والمناسبة للأطفال فى هذه السن .. وإذا كانت الملاحظة هى أكثر الأدوات ملائمة فى هذه الحالة، فإن الأمر يزداد صعوبة أمام الباحثين، نظراً لأن عينات هذه الدراسات فى هذه السن يتم اختيارها فى أغلب الأحوال من داخل الأسر أو من دور الحضانة والمدارس الأمر الذى يجعل إمكانية استخدام الملاحظة شديد الصعوبة وغير كاف

وعموماً فإن هذه الدراسات قد تناولت كافة أشكال الحرمان من الأم بدءاً من قصور العلاقة بين الأم والطفل، وخروجها للعمل إلى الحرمان منها بالانفصال بالطلاق أو بالوفاة - الأمر الذى يعطى إحاطة شاملة بشتى صور الحرمان الأموى والنتائج المترتبة عليه.

وأخيراً فقد كشفت لنا هذه الدراسات عن بعض جوانب النمو التى تتأثر بالحرمان من الأم لدى الطفل، ويمكننا أن نخرج من هذه الدراسات بأهم السمات والملامح التى يتميز بها هؤلاء الأطفال والتى تتمثل فى الانسحاب ورفض الآخرين (حتى الأم بعد عودتها) والأرق والعدوانية، والإصابات الجسمية كنزلات البرد والإكزيما- وكذلك القلق والتبول اللاإرادى وفقدان الشهية والاكتئاب - وثورات الغضب والنشاط الزائد واضطرابات النوم والسلبية والاحتجاج.

ثانياً - الدراسات الخاصة بالحرمان من الأب:

يقول "يارو" Yarrow ١٩٦٤ إنه لعلى النقيض من الإنتاج الوفير عن أهمية علاقة الأم بالطفل، فإنه يوجد قليل من الأبحاث نسبياً عن أهمية دور الأب على نمو الطفل، وكان من نتائج ذلك أن أنحصرت النظرة فى أن غياب الأب خلال السنوات الأولى له وقع غير مباشر على الطفل، بمعنى أن تأثير غياب الأب فى هذه السنوات يتركز حول مشاعر الأم تجاه غياب الأب، ودوره الاقتصادى المدعم لدور الأم فى ممارستها لوظيفة الأمومة (Yarrow . ١٩٦٤، ١١٧- ١١٨).

بيد أن الأمر على خلاف ذلك، فكما يقرر "لامب" M.Lambe ١٩٨١ أن كثير من الأطفال

يشكلون ارتباطات أو تعلقات قوية مع آبائهم خلال الربع الثالث من العام الأول، وخاصة إذا ما كان الآباء يقضون بعضاً من الوقت مع أطفالهم. كذلك لوحظ أن بعض الآباء قد يكونون أكثر ميلاً من بعض الأمهات في توفير الاستثارة للطفل والمبادرة بإمداده وممارسة ألعاب غير معتادة وغير متوقعة تعمل على إمتاع الطفل وإشباعه - إلى جانب تمتع كثير من الآباء بما لدى الأمهات من مهارات العناية والرعاية بالطفل. (Shaffer، ١٩٨٩، ٤١٦).

ولعل ذلك يفسر لنا كيف أن الاهتمام بغياب الأب هو اهتمام حديث نسبياً- ولم يعد الأمر كما كان عليه من قبل - فكانت هناك دراسات عديدة أوضحت نتائجها خطورة وأهمية دور الأب بالنسبة للطفل ، والذى لايقل أهمية عن دور الأم - وكانت هذه البحوث ونتائجها وراء الاهتمام بمحاولة التعرف على تأثير غياب الأب على الطفل وخاصة فيما يتعلق بالهوية الجنسية أو الدور الجنسي ومفهوم الذات لديه.

ففي دراسة قام بها "بادنيس" Badames ١٩٧٦ هدفت التعرف على التوحد والتقليد وأداء الدور الجنسي لدى الأطفال المحرومين من الأب مقارنة بالذين يعيشون مع آبائهم، وذلك على عينة من (٥٢) طفلاً ذكراً ينقسمون إلى مجموعتين، الأولى (٢٦) طفلاً من سلالة الزنوج، والثانية (٢٦) طفلاً من سلالة الأوربيون - وقسمت كل مجموعة إلى أطفال حرموا من الأب وأطفال لم يحرموا من الأب - وكانت أعمارهم في السابعة - وكانوا من أسر متوسطة اقتصادياً- وكانت الأدوات المستخدمة هي مقياس تفضيل الدور الجنسي، ومقياس تقليد النموذج الذكري والأنثوي- وأوضحت النتائج أن الأطفال غير المحرومين من الأب كانوا أكثر رتفاعاً في درجات مقياس الدور الجنسي الذكري من الأطفال المحرومين من الأب أي أن الأطفال حاضري الأب كانوا أكثر تقليداً للنموذج الذكري عن النموذج الأنثوي، بينما أبدى الأطفال غائبي الأب دلالة مرتفعة على مقياس تقليد النموذج الأنثوي. (Antoinetti، ١٩٧٩، ١٥-٢٤). إن تفضيل الدور الأنثوي لدى الطفل الذكر المحروم من الأب قد يعني تشويهاً لصورة الذات لديه، الأمر الذي يدفعه إلى رفض هذه الذات الذكرية مفضلاً عليها الصورة أو الذات الأنثوية - مادام أن النموذج المتاح لديه هو صورة الأم وعليه أن يتوحد بها ويقوم بتقمص وتقليد دورها .. ويصبح ذلك أكثر وضوحاً ومنطقية إذا ما علمنا - وكما سبق القول في الفصل الثاني- أن مفهوم الجنس أو الدور الجنسي هو أحد عناصر مفهوم الذات وأحد الأبعاد التي يعرف الأطفال أنفسهم عليها في سنوات العمر المبكرة فنتيجة لملاحظة وتقليد سلوك الذكور والإناث يبدأ الأطفال ينمون أفكارهم المتعلقة بكيف يسلك الرجال والنساء، ويتعلمون تدريجياً

الدور المرتبط بجنسهم والدور الخاص بالجنس المخالف *(Bee & Mitchell، ١٩٨٩، ٢١٨)*. وبالتالى يبلورون مفهوماً لذواتهم يتلاءم وهذه الأدوار، وعليه . فالحرمان من الأب قد ينعكس على مفهوم الذات فى صورة رفض للذات وعدم تقبل ا وعدم تقبل الآخرين كذلك.

وهذا ما أوضحته دراسة "إحسان الدمرداش" ١٩٧٦ والتى كانت تهدف التعرف على مفهوم الذات لدى الأطفال المحرومين من الأب، وكانت الدراسة على عينة قوامها (٢٠٠) تلميذاً من تلاميذ الصف الرابع الابتدائى تتراوح أعمارهم ما بين ١٠- ١١ سنة - وقسمت إلى فئتين: فئة الذكور غير المحرومين من الأب وعددهم (٥٠) تلميذاً - وفئة التلاميذ الذكور المحرومين من الأب وعددهم (١٥٠) تلميذاً يمثلون أنواعاً ثلاثة من الحرمان الأبوى مجموعة الحرمان التام من الأب بالوفاة، ومجموعة الحرمان من الأب بالانفصال بالطلاق، ومجموعة الحرمان من الأب بالسفر للعمل بالخارج، وقد مر الأطفال جميعاً بخبرة الحرمان من الأب بعد سن الخامسة من العمر - واستخدمت الباحثة أختبار مفهوم الذات للأطفال، واختبار الذكاء المصور، واستمارة المستوى الاقتصادى الاجتماعى

وقد أسفر البحث عن مجموعة من النتائج تمثلت فى أن هناك فروقاً دالة بين الأطفال غير المحرومين من الأب والأطفال المحرومين من الأب بالطلاق فى مقياس التباعد من اختبار مفهوم الذات - وكذلك بين المحرومين بالوفاة وغير المحرومين فى بعد تقبل الذات، ولم توجد فروق دالة بين الأطفال المحرومين من الأب بالسفر وغير المحرومين فى هذا البعد، وفيما يتعلق بتقبل الطفل للآخرين وجدت فروق دالة بين غير المحرومين من الأب والمحرومين منه بالانفصال وبالوفاة - ولم توجد فروق بين غير المحرومين والمحرومين من الأب بالسفر للخارج فى هذا البعد .. وفيما يتعلق بسمات الشخصية وجد أن مجموعة الحرمان من الأب بالسفر للعمل فى الخارج هى أقرب مجموعة لسمات شخصية مجموعة الأطفال غير المحرومين، ثم تليها مجموعة الحرمان بالوفاة - أما مجموعة الحرمان بالانفصال فكانت أكثر المجموعات بعداً عن سمات شخصية الأطفال غير المحرومين وذلك لما تعانيه من الكثير من الصعوبات النفسية والسلوك العصابى *(إحسان الدمرداش، ١٩٧٦)*

إن نتائج هذه الدراسة تتفق مع عديد من نتائج الدراسات الأخرى فى أن الحرمان من الأب بالانفصال - شأنه شأن الحرمان من الأم بالانفصال بالطلاق يمثل للطفل على حد تعبير جرسيلد Jersild ١٩٦٩" خبرة قاصمة" Shuttering experiance *(Jersild، ١٩٦٩، ٤ ١)*

تجعل الطفل مشدوداً إلى ناحيتين متقابلتين، والد حاضن للطفل يحاول تشويه صورة الوالد المنفصل، صورة حاضرة محبوبة وصورة غائبة مشوهة، مما يجعل الطفل مشوشاً مضطرباً فيما يتعلق بالصور الوالدية التى يدركها، مما يجعل هذه الخبرة أشد وطأة على الطفل.

أما فيما يتعلق بعدم تأثر الطفل بغياب الأب بالسفر للعمل بالخارج، فهو قد يكون راجعاً إلى صورة يكونها الطفل، خاصة فى ثقافتنا، عن والده الغائب وقد عاد من السفر محملاً بالهدايا واللعب للطفل، الأمر الذى لا يجعل من هذه الخبرة بمثابة تهديد لأمن الطفل النفسى، بل على العكس قد تكون مبعثاً ومصدراً للسعادة والأمل، ولعل ذلك كان وراء نتائج البحث السابق.

وتلقى الدراسة السابقة تأييداً وتزداد نتائجها منطقية فى ضوء تلك الدراسة التى أجراها جوزيف" Josef ١٩٧٨ والتى حاول فيها التعرف على الاتجاهات الانفعالية للأطفال تجاه غياب الأب بالسفر للعمل لمدة تتراوح ما بين ٨ ، ٩ شهور سنوياً وذلك لمدة خمس سنوات متتالية – وذلك على عينة من الأطفال قوامها (٣٨ أنثى، ٤٢ ذكر) حرموا من الأب بالسفر للخارج، وكذلك (٨٠) طفلا وطفلة لم يخبروا الحرمان من الأب، وكانت أعمارهم ما بين السابعة والثامنة من العمر. وكانت الأدوات المستخدمة فى هذه الدراسة هى اختبار العلاقات العائلية، وملاحظة الاتجاهات الانفعالية للأطفال تجاه غياب الأب، وكشفت النتائج عن عدم وجود فروق ذات دلالة فى الحالة الانفعالية بين الأطفال حاضرى الأب والأطفال المحرومين منه – فلم يكن هناك تأثير لغياب الأب بالسفر على الأطفال – فقد كان الأب يستقبل بعد رجوعه بمجموعة من الاستجابات والتعبيرات الانفعالية الإيجابية. (*Josef*، ١٩٧٨، ٢٤١).

هذا فيما يتعلق بتأثير غياب الأب بالسفر، أما فيما يتعلق بتأثير غياب الأب بالانفصال بالطلاق فإننا نجد أن الدراسة السابقة . (إحسان الدمرداش ١٩٧٦) تلقى التأييد والاتفاق كذلك فيما أورده "باريش" Barish ١٩٧٩ فى دراسته لمفهوم الذات للأطفال الذين حرموا من الأب بالطلاق، وذلك على عينة من الأطفال بلغت (٢٠٤ ذكراً ، ٢٠٢ أنثى) تم تقسيمهم إلى مجموعتين : الأولى ، فئة الأطفال الذين أنفصلوا عن أبائهم ولم تتزوج أمهاتهم ثانياً، والثانية، فقدوا الأب بالطلاق وتزوجت أمهاتهم مرة أخرى، ومجموعة أخرى بلغت (٣٤٧) طفلاً لم يخبروا الحرمان من الأب كمجموعة ضابطة – وتراوحت أعمار الأطفال فيما بين ٩ – ١٥ سنة – واستخدم فى هذه الدراسة اختبار مفهوم الذات، وبطارية سمات الشخصية، وانتهت النتائج إلى أن الأطفال الذين أنفصلوا عن الأب، سواء الذين تزوجت أمهاتهم أو لم تتزوج أظهروا نقصاً فى

مفهوم الذات عن الأطفال المقيمين مع آبائهم - ولقد وجدت هذه النتائج عبر المراحل العمرية المختلفة للعينة ولدى كل من الجنسين، حيث كان تأثير غياب الأب ضاراً على مفهوم الذات لدى الجنسين. (Barish ، ١٩٧٩، ٢٤٢).

إن الدراسة السابقة قد حاولت وضع الصورة الأبوية البديلة موضع الإهتمام وذلك فى عينة الأطفال الذين تزوجت أمهاتهم مرة أخرى كنوع من الأبوة البديلة للطفل قد يكون لها تأثير إيجابى على الطفل... بيد أن النتائج لم تسفر عن أثر لوجود هذا البديل الأبوى... ويمكننا أن نفسر ذلك فى ضوء أن زوج الأم فى الغالب قد يكون غير مبال بالطفل من الأم ولا يوليه ما يحتاجه من عناية وإهتمام، بل قد ينبذ الطفل وينعته بأوصاف سلبية تقلل من مفهومه عن ذاته، كما أنه - أى الأب البديل - لا يعنيه فى قليل أو كثير نجاحات الطفل وإنجازاته، الأمر الذى ينعكس على مفهوم ذات الطفل فى صورة سلبية... وهكذا نستطيع أن نؤكد أن الأمر لا يتعلق بوجود الأب فى ذاته، بل الضرورى هو صورة الأب أو الأبوة المعطاءة القادرة على منح الطفل الثقة والحب والأهتمام والتشجيع اللازم لنمو مفهوم ذات إيجابى لدى الطفل.

وبصدد الحديث عن تأثير الحرمان من الأب بالطلاق نجد دراسة أخرى تتفق تماماً فى نتائجها مع نتائج الدراسات السابقة، وهى دراسة "هيثرينجتون" Heatherington ١٩٧٩ والتى أجريت على (٣٦ ذكراً، ٣٦ أنثى) من مدرسة حضانة ووالديهم المطلقين - وكانت حضانة الطفل Custody مع الأم. وكانت هناك مجموعة ضابطة من نفس العدد من الأطفال والوالدين من الأسر المتماسكة. واستخدمت فى الدراسة بطارية اختبارات واستبيانات وملاحظات وذلك خلال السنة الأولى والثانية التالية للطلاق.. وكان الأطفال من الأسر المطلقة يؤدون وظائفهم بكفاءة أقل من الأطفال فى الأسر كثيرة الخلاف، والذين أظهروا فى المقابل مشكلات أكثر من الأسر قليلة الخلاف - بالإضافة إلى ذلك فقد أبدى الأطفال الذكور فى الأسر المطلقة سلوكاً عدوانيا مشاكساً واعتمادية واندفاعية. وكذلك يخلص البحث أنه يبدو أن الطلاق أكثر نفاذاً وأطول استمراراً بالنسبة للأولاد عن البنات - فلم يظهر البنات اختلافاً فى تفضيلهم للدور الجنسى، فقد حصل الأولاد على درجات أقل مما حصلوا عليه من قبل فى تفضيل الدور الذكرى، وحصلوا على درجات أعلى على اختبارات تفضيل الدور الأنثوى، وكذلك وجد هناك لدى كل من الذكور والإناث مقاطعات (إعاقات) فى كل من علاقات اللعب والعلاقات الاجتماعية. وأظهر الأطفال قصوراً وجموداً فى لعبهم التخيلى - وبعد مضى عام من طلاق الوالدين فقد أظهر البنات والأولاد معاً معدلات كبيرة من الاعتمادية، البحث عن المساعدة، وسلوك عدم الشكوى. (

(Steinhauer et al، ١٩٨٣، ٥٧٤)

ونجد هناك اهتماماً بنوع جديد من الحرمان من الأب، وهو غياب الأب أو الحرمان منه بالحبس وتأثير ذلك على الأطفال، وذلك فى الدراسة التى قام بها "ريتشارد-جون" J Ritchard ١٩٧٩ وكان الغرض منها التعرف على تأثير غياب الأب والحرمان منه نتيجة حبس الأب على النمو الاجتماعى للأطفال الذكور والإناث، وذلك بمقارنة عشرين طفلاً حبس آباءهم وعشرين طفلاً حبست أمهاتهم، وأيضا عشرين طفلاً مقيمين مع والديهم - وقسمت كل مجموعة مناصفة بين الذكور والإناث، وقد تراوحت أعمار الأطفال ما بين ٦ - ١١ سنة، وكانت الأدوات المستخدمة هى ملاحظة سلوك الأطفال أثناء تفاعلهم مع الوالد الموجود فى أسر المجموعات الثلاثة، وقد تمت الملاحظة من خلال شاشة الفيديو وتوصلت النتائج إلى أن الأطفال الذين يعيشون مع الوالد من الجنس المخالف للطفل كانوا أقل توافقاً فى السلوك الاجتماعى من الأطفال الذين يعيشون مع الوالد من نفس الجنس. وبهذا فإن تأثير غياب الأب على الأطفال الذكور فى هذه الدراسة كان أكثر ضرراً من حيث توافقهم الاجتماعى عن الأطفال الإناث. (John، ١٩٧٩، ١٣٥٧).

ويمكننا أن نرجع هذه النتيجة إلى حد ما إلى أن خبرة حبس أحد الوالدين لا تخف على الطفل بظروفها الضاغطة - فمدى الخجل هنا لدي الطفل يكون أكثر ويعرضه لكثير من الانتقادات والمعايرات والمشاكل، الأمر الذى يجعله أقل توافقاً فى سلوكه الاجتماعى، ويجعل الطفل يعانى من كثير من مشكلات السلوك، وعلى رأس هذه المشكلات مشكلة العدوانية والسلوك العدوانى وخاصة لدى الأطفال الذكور.

ففى دراسة قام بها " شارب" Sharb ١٩٨٠ أهتم فيه بدراسة تأثير غياب الأب على السلوك العدوانى للأطفال الذكور بناء على ترتيبهم الميلادى، وذلك على عينة من الذكور فى مدارس أسبانيا (٥٠ طفلاً) تراوحت أعمارهم فيما بين السابعة والثامنة من العمر - واستخدم الباحث مقياسين للعدوان، أحدهما لقياس العدوان اللفظى والآخر لقياس العدوان المادي. وقد أسفرت النتائج عن وجود أرتباط دال بين الترتيب الميلادى والسلوك العدوانى والحرمان من الأب، فلقد كانت أكثر المجموعات عدوانية هم الأطفال ذوى الترتيب الميلادي الأخير من المحرومين من الأب، كما أظهر الأطفال ذوو الترتيب الميلادى الأول والأوسط المحرومون من الأب سلوكاً أكثر عدوانية من الأطفال ذوو الترتيب الأول والأوسط غير المحرومين من الأب. إلا أن

عدوانية هؤلاء الأطفال كانت أقل من عدوانية الأطفال ذوى الترتيب الميلادي الأخير (Sharb ١٩٨، ١٩٧)

ولعلنا نستطيع تفسير هذه النتيجة فى ضوء أن الأطفال ذوى الترتيب الميلادى الأخير قد مروا بخبره التفاعل مع الأب بشكل أقل (بحكم الفارق الزمنى) من الأطفال ذوى الترتيب الميلادى الأول والأوسط داخل الأسرة والذين يمكن أن يكونوا قد مروا بفترة من التفاعل مع الأب بشكل أكبر من إخوانهم ذوى الترتيب الأخير.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا نستطيع تفسير عدوانية الذكور في الأسر التى يغيب فيها الأب فى ضوء أن الذكور لديهم ميل أنثوى أكثر من هذه الأسر نظراً لغياب النموذج الذكرى الذى يتوحدون به كما سبق ورأينا فى الدراسات السابقة، ومن ثم تصبح هذه العدوانية كما يذكر "الكيند" Elkind ١٩٧٨ من قبل الأطفال المحرمون من الأب هى بمثابة ميكانيزم دفاعى لتجنب وتغطية الاحساس بالأنوثة والبحث عن الاحساس بالذكورة، وذلك من خلال اتخاذ أساليب ذكرية مبالغ فيها من عدوان وقسوة زائدة على الأطفال وخاصة الاصغر. (Elkind ، ١٩٧٨، ٢٦٥).

وهكذا نجد أن غياب الأب له تأثير ضار على تقمص الدور الجنسى، الأمر الذى ينعكس على توافق الطفل الشخصى والاجتماعى، ولا يقتصر هذا الأثر على مرحلة الطفولة فحسب، بل يمتد تأثير هذا الحرمان ليلقى بظلاله على مرحلة المراهقة - ففى دراسة قام بها " كازرنج" Kathering ١٩٨٢ عن تقمص الدور الجنسى والتوافق الشخصى للمراهقين الذين حرموا من الأب فى الطفولة المبكرة، وقد أجراها على عينة من (٨٤) طالباً ذكراً فى مرحلة المراهقة يقيمون مع والديهم، وكذلك (٨٩) طالباً خبروا غياب الأب بالوفاة أو بالطلاق أو بالسفر للعمل قبل سن الخامسة أو بعد الخامسة. واستخدم الباحث استخباراً يتكون من بنود تستعرض تاريخ حياة هؤلاء الأطفال واختبار كاليفورنيا للشخصية وبطارية Ben للدور الجنسى.. وأوضحت نتائج الدراسة وجود اختلافات دالة بين المجموعتين فيما يتعلق بتقمص الدور الجنسى وعلاقات الجنسية الغيرية لصالح الطلاب الذين لم يخبروا غياب الأب فى طفولتهم، كما وجدت اختلافات دالة بين المجموعة التى فقدت الأب قبل سن الخامسة بالوفاة أو بالطلاق وبين المجموعة التى فقدت الأب بعد سن الخامسة فى تقدير الذات والثقة بالنفس وفى التفاعل الاجتماعى والشخصى لصالح المجموعة الثانية (Kathering ، ١٩٨٢، ١١٢٢).

وتوضح نتائج هذه الدراسة أنه بالاضافة إلى أن غياب الأب له تأثيره الضار على الهوية الجنسية للطفل، فإن هذا التأثير يمتد إلى مرحلة المراهقة ليعوق علاقات الجنسية الغيرية فيما بعد .. إلى جانب أن السن الذى حدث فيه الحرمان كان له تأثيراً على التفاعل الاجتماعى والشخصى للطفل وهو أمر سبق أن أكدته دراسة "شارب" السابقة فيما يتعلق بالترتيب الميلادى.. وتتفق هذه الدراسة مع ما سبق وتوصل إليه كل من "بادنيس" Badines ١٩٧٦، وريتشارد جون J. Ritchard ١٩٧٩، و "جيمس باريش" Barish ١٩٧٩ فيما يتعلق بتأثير غياب الأب على مفهوم الذات والثقة بالنفس .. كما أنها لم تثبت تأثيراً لغياب الأب بالسفر وهو ما سبق أن إكدته دراسات سابقة كما رأينا.

ومن الدراسات العربية المحلية التى أجريت حول التوافق النفسى لهؤلاء الأطفال المحرومين من الأب ذكوراً وإناثاً تلك الدراسة التى قام بها "إبراهيم الدسوقى" ١٩٨٢ على أثر وفاة الأب على التوافق النفسى للأطفال الذكور والإناث قبل سن البلوغ، وذلك على عينة قوامها (١٢٠) طفلاً وطفلة محرومين من الأب تتراوح أعمارهم فيما بين ٩ ، ١٢ سنة من الصف الثالث إلى الصف الخامس الابتدائى مقسمين إلى مجموعتين مجموعة الذكور (٦٠) طفلاً، ومجموعة الإناث (٦٠) طفلة، ثم قسموا إلى فئتين بناء على العمر الذى حدثت عنده وفاة الأب، الأولى خبروا الوفاة فى الفترة من الميلاد إلى سن الثالثة (فئة ما قبل الأوديبية) والثانية حرموا من الأب فى سن السابعة (فئة المرحلة الأوديبية). وقد أختار الباحث ثمانى حالات متطرفة لدراستها إكلينيكياً- وكانت الأدوات المستخدمة هى اختبار الشخصية للأطفال، واستمارة المقابلة الشخصية، الاختبار الإسقاطى للأطفال... وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج يمكن أن نجملها فى أن أثر وفاة الأب يكون أشد على الذكور مقارنة بالإناث فى نفس السن - كما أن وفاة الأب كانت عديمة الأثر على الذكور والإناث الذين حرموا من الأب فى ما بين الميلاد إلى سن الثالثة، كما أتضح أن الأثر السيئ لوفاة الأب على الذكور يعبر عنه من خلال أحاسيس الذنب الناتجة عن رغبة الطفل فى موت الأب والاستحواذ على الأم، أما تغيب الأب عند الإناث فلا يكون له نفس هذا الأثر السيئ طالما أن البيئة تسمح دائماً ببدائل أبوية تكون محوراً لحياتهن الانفعالية المقبلة. *(إبراهيم الدسوقى، ١٩٨٢)* .

غير أننا نستطيع أن نضيف - فيما يتعلق بجنس الطفل- أن البنات المحرومات من الأب يتسمن بالاستسلام والضعف واللامبالاة فى حل الصراعات، الأمر الذى يجعل البنات على المستوى الظاهر أكثر توافقاً من البنين الذين تغلب عليها الاتجاهات السيكوباتية، وهذا ما

أوضحته دراسات أخرى حديثة "جوزيت جورج" ١٩٨٨ سنتناولها فيما بعد، هذا إلى جانب أن الطفل الذى يعيش مع الوالد من الجنس المخالف أقل توافقاً، وبالتالى فالإناث لا يبدون تأثراً كبيراً مقاونة بالذكور نظراً لوجود الأم التى من نفس جنس البنت - وهذا ما توصل إليه "ريتشارد جون" J. Ritchard ١٩٧٩ فى البحث الذى سبق عرضه.

ثم نجد تقدماً ملحوظاً فى تناول تأثير غياب الأب على الطفل وذلك بتناول جوانب أخرى من نمو الطفل مثل النمو العقلى والمعرفى، والمستوى التحصيلى والنمو الاجتماعى.

فنجد دراسة "سورين" Soren ١٩٨٢ والتى كانت تهدف إلى التعرف على مدى تأثير غياب الأب على الأداء العقلى المعرفى، وذلك على عينة قوامها (٦١٦) طفلاً فقدوا الأب، (٥٤٩) طفلاً غير محرومين من الأب، وذلك فى المرحلة العمرية من ٦ - ١١ سنة - واستخدم فى هذه الدراسة مقاييس الإنجاز التعليمى واختبار الأداء الفكرى ومقياس وكسلر لذكاء الأطفال. وأوضحت نتائج الدراسة أن الأطفال المحرومين من الأب (من سلالة البيض) قد سجلوا درجات منخفضة على مقياس وكسلر واختبار الإنجاز التعليمى، فى حين سجل الأطفال المحرومين من الأب (من سلالة الزنوج) درجات منخفضة على اختبار الإنجاز التعليمى فقط - بينما تفوق عليهم الأطفال حاضرو الأب فى كل المقاييس. (*Soren*، ١٩٨٢، ٥٧١).

وكذلك أجرى "بيدرسون" Pederson ١٩٨٣ دراسة نمو الطفل فى الأسر التى يغيب عنها الأب، وخاصة النمو العقلى، على عينة من الأطفال عددها (٥٥) طفلا رضيعاً من السود تتراوح أعمارهم ما بين ٥ إلى ٦ شهور يعيشون فى مدينة داخلية فى ظروف اقتصادية واجتماعية منخفضة، (٢٧) منهم تربوا فى أحضان أمهاتهم فى أسر ذات والد واحد (الأم) والباقون مروا بخبرة التفاعل مع آبائهم إلى حد ما. وكانت المقاييس المستخدمة فى هذه الدراسة هى مقاييس قابلية الاستجابة الاجتماعية - وردود الفعل الدورى الثانوى، والتفضيل للمثيرات الجديدة - ودليل بايلى للنمو العقلى .. وأوضحت النتائج أن مجموعة الذكور التى مرت بخبرة التفاعل قليلاً مع الأب كانت أقل دلالة على دليل بايلى للنمو العقلى، كما أظهرت مجموعة الإناث عدم التأثر بحضور الأب أو غيابه في هذه البحث. (*Pederson*، ١٩٨٣، ٦٠١).

بيد أن نتائج هذا البحث قد ترجع إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية المنخفضة التى يعيش فيها الرضع أكثر من مجرد غياب الأب وذلك أن هناك علاقة بين الذكاء والظروف

الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة - حيث يقل الذكاء فى هذه الظروف نظرا لعوامل سوء التغذية التى يتعرض لها الأطفال وعدم توفير المثيرات المناسبة. *(محمود أبو النيل، ١٩٨٧، ٢١-٢٥)* . كما أننا نستطيع أن نرجع عدم تأثر الإناث بغياب الأب إلى صغر سن العينة المدروسة (٥ - ٦ شهور)، ففى هذه السن قد لا يتأثر الإناث أو حتى الذكور بغياب الأب، نظراً لأن الأب لم يدخل بعد بشكل قوى ومباشر في علاقة مع الطفل نستطيع أن ندعى أنها تؤثر فى نمو الطفل.

وعن عواقب الحرمان الأبوى المبكر وتأثيره على الطفل فى مرحلة الطفولة المتأخرة نجد هناك بعض الدراسات التى أجريت حول النمو الاجتماعى والمشكلات السلوكية والصعوبات المدرسية لهؤلاء الأطفال.

ففى دراسة قام بها " فرى" Fry ١٩٨٣ تناول فيها النمو الاجتماعى للأطفال المحرومين من الأب، وذلك على عينة مكونة من (٦٠) طفلاً فى سن التاسعة ونصف فقدوا الأب فى سن مبكرة، وتم مقارنتهم بعدد (٦٠)طفلاً فى نفس المرحلة العمرية يقيمون مع أبائهم. وكانت الأدوات المستخدمة فى هذه الدراسة هى مقاييس الأساليب الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى .. وتوصلت النتائج إلى أن الأطفال الذين فقدوا الأب كان لديهم نقص ملحوظ على مقاييس التفاعل الاجتماعى من حيث التحكم الداخلى ومهارات اكتساب الدور الاجتماعى والحساسية الاجتماعية، بينما أظهر الأطفال حاضرى الأب تفوقاً فى هذه البنود على مقاييس التفاعل الاجتماعى. *(Fry ، ١٩٨٣، ٦٧٠)*.

أما دراسة " موردخاى " Mordecal ١٩٨٢ والتى أجريت على أطفال محرومين من الأب من أطفال الكيبوتز وأطفال المدن خارج الكيبوتز الإسرائليين، وكانت على عينة قوامها (٢٥) طفلاً من أطفال الكيبوتز، (٢١) طفلاً من أطفال مدينة الشيرزلام، وتراوحت أعمارهم فيما بين الثانية إلى العاشرة من العمر، وقد تساوى الأطفال فى كل من المجموعتين فى المستوى التعليمى وحجم الأسرة، واستخدم الباحث سؤالاً مفتوحاً موجه إلى أم كل طفل من خلال مقابلة معها لتحدد من خلال ملاحظاتها سلوك الطفل التابع لموت الأب وتوافقه العام والتغيرات السلوكية والأعراض المرضية التى طرأت عليه، بجانب إجراء مقابلة مع مدرس كل طفل، وتضمن تقرير المدرس صعوبات التذكر والانسحاب الاجتماعى والمشاكل المدرسية للطفل.

وأوضحت الدراسة أن معدل المشكلات السلوكية كان أعلى وأكثر تكراراً بين أطفال المدينة عن أطفال الكيبوتز، كما أظهروا درجة عالية من الأعراض الإكلينيكية المتكررة مثل الفزع

الليلى وفزع الانفصال، وكانت لديهم اعتمادية وعدوانية وشكوى صحية متكررة – بينما أظهر أطفال الكيبوتز استجابات وجدانية متنوعة من الشعور بالحزن والأسى وسلوك اعتمادى وزيادة في العدوانية وقلق «صعوبات في التركيز، وقد أستمرت هذه الأعراض من الشهر الأول عقب الحرمان حتى السنة الرابعة للحرمان، وهى أعراض لم تكن موجودة قبل فقدان الأب، مما يشير إلى قوة الصدمة النفسية لفقدان الأب حتى فى ظل أفضل الظروف المتاحة لأطفال الكيبوتز. (Mordecal ، ١٩٨٣، ٤٣٥، ٤٤٢).

ومن الدراسات العربية المحلية الحديثة حول تأثير الحرمان من الأب فى مرحلة الطفولة المبكرة على النمو العقلى والنفسى للطفل فى مرحلة البلوغ والمراهقة ، تلك الدراسة التى قام بها "جوزيت جورج" ١٩٨٨ وذلك على عينة من ١٢ أسرة يغيب فيها الأب بسبب الوفاة، أو العمل، أو السجن أو الخلافات الأسرية التى تصل إلى درجة الطلاق – وبين هذه الأسر طفل أو طفلة حرم من الأب فى مرحلة الطفولة الأولى، وشقيقه أو شقيقته الأكبر منه سناً ولم يحرم من الأب فى مرحلة الطفولة الأولى، وصنفت العينة إلى : مجموعة الأطفال المحرومين من الأب فى مرحلة الطفولة الأولى (١٢) طفل أعمارهم ما بين ١٥ – ١٨ سنة، ومجموعة الإخوة والأخوات الراشدين لهؤلاء الأطفال ولم يمروا بخبرة الحرمان من الأب إلا بعد أن تخطوا مرحلة الطفولة الأولى وعددهم (١٢) راشد وراشدة. واستخدم الباحث الملاحظة المباشرة واختبار وكسلر لذكاء الراشدين والمراهقين، واختبار تفهم الموضوع، والمقابلة الشخصية واستمارة تقدير الوضع الاجتماعى والاقتصادى للأسرة.

وأسفر البحث عن أن البناء النفسى للطفل المحروم من الأب يتسم بمشاعر الخوف والتهديد والحرمان من الحماية والسند والأعراض الاكتئابية. كما أن النمو العقلى والنفسى لدى الراشدين قد تعرض للاضطراب نتيجة غياب الأب فى مرحلة مبكرة ولم يعايشه الأطفال – وهى نتيجة تبدو منطقية وتتمشى مع النتائج التى كشف عنها اختبار تفهم الموضوع – وكذلك لم يسفر البحث عن وجود تأثير لوجود البديل الأبوى على النمو العقلى للأطفال... وفيما يتعلق بتأثيره على البناء النفسى فقد وجد أن الأطفال ذوى البديل الأبوى قد أتسم البناء النفسى لديهم بوجود رغبة لدى الأنا فى التغلب على العقبات وزيادة التعقيدات الأوديبية التى تمثلت فى مشاعر الإثم إزاء كراهية بديل الأب. كذلك كان هناك تأثير لجنس الطفل المحروم من الأب على نموه النفسى ، فلدى الإناث كانت هناك مشاعر سادومازوخية وعلاقات سلبية بالآخرين، وأسلوب استسلام وضعف ولا مبالاة فى حل الصراعات، وذلك بشكل أكبر مما لدى الذكور، حيث تغلب عليهم الاتجاهات السيكوباتية (جوزيت جورج، ١٩٨٨) .

إن تأثير غياب الأب على الطفل قد يمتد حتى مرحلة الرشد ليمارس نوعاً من التأثير على عملية اختيار القرين (الزوج، الزوجة) فيما بعد – وهو ما توصلت إليه دراسة محلية حديثة قامت بها "إيمان شريف" ١٩٩١ وكانت على عينة مكونة من (١٨) طالب وطالبة من طلبة جامعة عين شمس غير المتزوجين وغير المتزوجات، وكانت أعمارهم ما بين ١٨– ٢٤ سنة، (٦) ذكور، ثلاث منهم فقدوا الأم، وثلاث فقدوا الأب، (٦) إناث ثلاث منهن فقدن الأب، وثلاث فقدن الأم ، بالإضافة إلى ثلاثة ذكور وثلاث إناث لم يفقدوا الوالدين. وكانت الأدوات المستخدمة في هذه الدراسة هى إختبار تفهم الموضوع، المقابلة الإكلينيكية، اختبار تكملة الجمل، احتبار سمات الزوجة (الزوج) المفضل.

وأسفرت الدراسة عن نتائج هامة تمثلت فى –

وجود علاقة إيجابية بين السمات التى تفضلها الفتيات فاقدات الأب فى شريك المستقبل وبين السمات التى جاءت ضمن سمات الأب أو بديله.

- أقترنت سمات القرينة بسمات الأم الموجودة لدى الذكور فاقدى الأب.
- كذلك أتضح وجود التوحد أو التعين الذاتى بصورة الأنثى فقط.
- أدى غياب الأب إلى غياب الأنا الأعلى الطبيعى واكتساب أنا أعلى آخر قاسى ومشوه، مما أدى إلى دفعات تحقير الذات.

- كذلك وجود رغبة ملحة فى إشباع الحاجات النفسية كالحب والحنان والعطف والحاجة إلى تحقيق الذات .. وكذلك ظهور مخاوف من فقدان الحب والحنان والخوف من الماضى والمستقبل. *(إيمان قائد، ١٩٨٨)*

إن غياب الأب لا يقف بتأثيره السئ عند حدود الأطفال فقط، بل أنه يمتد ليصيب الأم أيضاً، من حيث إنه يزيد من مهام دور الأم فى عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، وهنا يجد أن نفطن إلى أنه حتى إذا أفلحت الأم فى أداء وتحمل هذه الأعباء، فإن ذلك يكون له من الآثار السيئة والخطورة ما يصيب الأطفال فى هويتهم الجنسية من حيث غلبة الخصائص الأنثوية في عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال وهو أمر قد أجمعت عليه جميع الدراسات السابقة والتى سبق عرضها– وهو ما توصلت أيضا إليه دراسة محلية حديثة قام بها " صلاح الدين عبد العظيم ١٩٩١ عن الآثار النفسية لغياب النموذج الأبوى فى عملية التنشئة الاجتماعية، على مجموعتين من الأسر الأولى (٥٢ أسرة) يتوفر فيها شرطان هما غياب الأب أو بديله خارج

الحدود لمدة زمنية أدناها عام كامل، وأن يكون للأسرة أطفال عاشوا خبرة غياب الأب أو بديله فى هذه الفترة، والثانية مجموعة من الأسر متماثلة مع المجموعة الأولى فيما عدا سفر النموذج الأبوى. وأستخدم الباحث فى هذه الدراسة المقابلة شبه المقيدة..

وقد انتهت الدراسة إلى أن هناك زيادة فى مهام دور الأم فى عملية التنشئة الاجتماعية فى الأسر التى يغيب فيها النموذج الأبوى - وكذلك وجد أن البنين فى الأسر المتغيب فيها الأب أقل فى درجة الذكورة عن الأطفال فى الأسر التى لا يغيب فيها الأب وذلك فى سن ٥ سنوات، وكلما تقدم العمر قلت درجة الذكورة في الأسر التى يغيب فيها الأب - كذلك كانت هناك درجة مرتفعة من الأنوثة لدى البنات اللائى يغيب عنهن الأب بشكل أكبر مما لدى الإناث اللائى لا يغيب عنهن الأب. *(صلاح الدين عبد العظيم، ١٩٩١)*.

وأستكمالا لخصائص الأطفال النفسية التى تتأثر بغياب الأب لدى الأطفال الذكور، نجد دراسة "عماد على" ١٩٩٢ والتى هدفت إلى التعرف على بعض الخصائص النفسية للأبناء الذكور المتغيب أباءهم وغير المتغيب أباءهم، وأجريت الدراسة على عينة (٢٦٥) تلميذاً من تلاميذ الصف الرابع والخامس والسادس والسابع من الحلقة الأولى والثانية من التعليم الأساسى ، وتراوحت أعمارهم ما بين ١٠- ١٣ سنة، واستخدم الباحث استبيان تقدير الشخصية للأطفال، واستبيان القبول - الرفض الوالدى للأطفال. وأسفرت الدراسة عن بعض النتائج تمثلت فى :

أن هناك فروق جوهرية بين الأطفال حاضرى الأب وغائبى الأب بالوفاة فى بعد النظرة لسلبية للحياة لصالح غائبى الأب بالوفاة، وكذلك وجودفروق جوهرية بين حاضرى الأب وغائبى لأب بالطلاق على جميع أبعاد استبيان تقدير الشخصية لصالح الأطفال غائبى الأب بالطلاق.

كذلك وجدت فروق جوهرية بين الأطفال المتغيب أباءهم بالوفاة وبالطلاق وحاضرى الأب فى أبعاد استبيان تقدير الشخصية للأطفال. كما وجدت فروق جوهرية بين حاضرى الأب وغائبى الأب فى إدراكهم للقبول والرفض الوالدى، حيث أبدى غائبى الأب إدراكاً أكثر لرفض الأب. *(عماد على، ١٩٩٢)* .

تعقيب على الدراسات الخاصة بالحرمان من الأب :

إن أول ما يستلفت الانتباه في هذه الدراسات هو أنها تحمل اتجاهاً جديداً بدأ في السنوات الأخيرة من حيث إبراز أهمية وخطورة دور الأب في حياة الطفل وتأثير الحرمان منه على نواحي النمو لدى الطفل – وهذا أمر يعد حديث نسبياً – فقد كانت هناك نظرة قاصرة تحاول "تهميش" دور الأب وجعل الأم فقط هي محور الاهتمام ومركز الثقل – وكان الاعتقاد السائد هو أن دور الأب لا يعدو أن يكون دوراً ثانوياً غير مباشر في حياة الطفل، يتمثل في الدور الاقتصادي المدعم لدور الأم للقيام بوظائفها... بالإضافة إلى الاعتقاد بأن الأب لا يدخل بشكل مباشر في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل إلا في سن متقدمة.

وفي هذا الصدد يقرر "لامب" M. Lamb ١٩٧٥ أن الآباء يمثلون نوعاً من الإسهام "الدور المنسي" Forgotten contributors في نمو الطفل – ويتفق معه "دافيد شافر" D. Shaffer ١٩٨٩ في ذلك، حيث يقرر أنه حتى منتصف السبعينيات كان الآباء ينظر إليهم أو يتم التعامل معهم باعتبارهم "ضرورات بيولوجية" تلعب دوراً ضئيلاً في النمو الاجتماعي والانفعالي لأطفالهم الصغار. ويقرر "شافر" أن من بين الأسباب وراء التغاضي عن دور الأب هو الاعتقاد بأن الأب يقضي وقتاً أقل للتفاعل مما تقضيه الأم مع الطفل، ويضيف "بارك" Park ١٩٨١ بأنه كان هناك اعتقاد بأن الآباء لا يصبحون مستجيبين للدلائل الانفعالية والاجتماعية لأطفالهم إلا فيما بعد السنة الأولى من العمر. *(Shaffer، ١٩٨٩، ٤١٦)*.

ويتضح صدى هذه النظرة بجلاء في الفئات العمرية التي خضعت للدراسة فيما أتيح لنا من تراث بحثي سابق – حيث تناولت غالبية هذه البحوث أطفالاً في مراحل متقدمة من العمر (٦ – ٢٤ سنة) رغم أنهم قد حرموا من الأب في سن مبكرة – ولم نجد سوى دراستين تناولتا الأطفال في مراحل مبكرة "هيثرنجتون" Heathrengton ١٩٧٩، "استيرموردخاي" E. Mordecia ١٩٨٣ – ودراسة واحدة تناولت الأطفال في سن ٥ – ٦ شهور "بيدرسون" F. Pederson ١٩٨٣– ولم نجد دراسة واحدة محلية تناولت الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة.

ومن ناحية أخرى، فإن تناول الأطفال في سن متقدمة – يجعلنا نتناول نتائج مثل هذه الدراسات بشئ من الحذر، فالأطفال كما سبق القول قد حرموا من الأب في سن مبكرة، بيد أنهم لم يخضعوا للدراسة إلا في سن متقدمة، وهنا لا نستطع الادعاء القاطع بأن ما يعانيه الأطفال راجعاً بالضرورة إلى الحرمان من الأب فقط، بمقدار ما قد يكون راجعاً إلى تراكم من

العوامل الاخرى المصاحبة لهذا الحرمان أو الناتجة عنه مثل تدهور الحالة الاقتصادية للأسرة، أو خبرات حرمان جديدة يتعرض لها الطفل من قبيل خروج الأم للعمل مثلاً رأباً للصدع الذى أحدثه غياب الأب، وخاصة فى الجانب المادى، أو زواج الأم مرة أخرى ووجود صورة أبوية بديلة قد تكون مرفوضة من قبل الطفل، أو نابذة للطفل وغير متقبلة له .. إلى جانب عوامل أخرى عديدة تعمل جنباً إلى جنب مع الحرمان من الأب لتؤثر فى شخصية الطفل.. ومن ثم فإنه يتحتم دراسة تأثير غياب الصورة الأبوية فى سياقها الزمنى المباسر، بدلاً من الدراسة الاسترجاعية لاستقصاء التاريخ المبكر للكبار الذين يتعرضون لمشكلات نفسية من جراء الحرمان من الأب فى الطفولة المبكرة.

ومما يستلفت النظر بشكل أكبر - وخاصة فى الدراسات المحلية - هو قلتها الشديدة - شأنها شأن دراسات الحرمان من الأم - فلم تجر سوى خمس دراسات فقط فى هذا المجال (إحسان الدمرداش) ١٩٧٦ (إبراهيم الدسوقى) ١٩٨٢، (جوزيف عبد الله) ١٩٨٨(صلاح الدين عبدالعظيم) ١٩٩١ وكانت جميع المراحل العمرية المدروسة من فئات متقدمة تتراوح ما بين ٩ - ٢٤ سنة - ولم نجد دراسة واحدة تناولت الأطفال فى مراحل العمر المبكرة، وهذا الأمر يعد قصوراً فى تناول هذا الموضوع محلياً بالدراسة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسات لم تحاول أن تتناول أثر وجود البديل الأبوى على الأطفال، الأمر الذى قد يفيد فى إلقاء الضوء على تأثير هذا البديل الأبوى فى حياة الطفل سلباً وإيجاباً مما يجعل هناك ثراء فى نتائج هده البحوث، بالرغم من وجود دراسة "باريش" Barish ١٩٧٩ لم توضح أثر لهذا البديل الأبوى، ودراسة محلية "جوزيت عبد الله" ١٩٨٨ أوضحت تأثيره فى بعض نواحي النمو.. ولكن دراستان فقط لا تحسمان الأمر - وخاصة أنهما فى ثقافتين مختلفتين، وأن هناك تضارباً فى بعض نتائجهما.

وفيما يتعلق بالأدوات المستخدمة فى هذه الدراسات، فإن هناك تنوعاً كبيراً فيها بخلاف الدراسات الخاصة بالحرمان من الأم، وذلك من استخدام لأساليب الملاحظة والأساليب الموضوعية والإسقاطية، إلى جانب المقابلات مع الأمهات والمدرسين.. وبالتالي يمكننا أن نقرر أن هده الدراسات قد جمعت بين دراسة تأثير الحرمان من الأب من وجهة نظر الطفل (من خلال ملاحظته والتعامل المباشر معه من حلال الاختبارات والمقاييس) ومن وجهة نظر القائمين عليه .. مما يجعل هناك ثراء فى النتائج ومؤشراً قوياً على مصداقيتها.

أما فيما يتعلق بخلاصة نتائج هذه البحوث، فإنها كشفت عن العديد من الآثار والمظاهر النفسية والسلوكية لهؤلاء الأطفال المحرومين من الأب يمكن إجمالها على النحو التالى :

الميل إلى تقمص الدور الجنسى الأنثوى لدى الذكور، وزيادة الميول الأنثوية لدى الإناث المحرومات من الأب عما هو معتاد .. وكذلك أتضح لديهم انخفاض مفهوم الذات، وعدم الثقة فى النفس والميل الواضح إلى تحقير الذات. وأيضا التأخر الواضح في النمو العقلي، وانخفاض شديد فى التحصيل والإنجاز التعليمى، وتدهور فى النمو الاجتماعى وعدم التوافق النفسى والشعور بالحزن والقلق الشديد، بالإضافة إلى كثير من مشكلات السلوك والعدوانية إلى جانب إرهاق كاهل الأم بأعباء جديدة من مهام التنشئة الاجتماعية، وكذلك إدراك الطفل رفضاً أكثر من قبل الأب، ونظرة سلبية للحياة وتقدير ذات منخفض.

ثالثاً - الدراسات الخاصة بالحرمان من الوالدين :

وعلى العكس من الدراسات الخاصة بالحرمان من الأم أو الحرمان من الأب، نجد هناك اهتماماً متزايداً بشكل كبير بتناول الحرمان من الوالدين معاً بالدراسة، سواء على المستوى العالمى أو المستوى المحلى، ولعل ذلك يتضح فى كم التراث البحثى الكثير الذى أتيح للباحث الاطلاع عليه فى هذا المجال عالمياً ومحلياً. وسيقوم الباحث الآن بعرض لهذه البحوث والدراسات وما أسفرت عنه من نتائج.

فنجد هناك دراسة رائدة وهامة قامت بها " أنا فرويد ودان A. Freud & Danne ١٩٤١ أسفرت عن نتائج غاية في الأهمية – وكانت هذه الدراسة تحاول التعرف علي التغير في السلوك الاجتماعى فى ظروف معينة، وكانت على ستة من الأطفال الأيتام الذين فقدوا الوالدين بالموت في الحرب العالمية الثانية، وقد أودع هؤلاء الأطفال معسكر للأسرى وأعمارهم لا تتجاوز بضعة شهور ومكثوا فى هذا المعسكر حتى بلغوا الثالثة والرابعة من العمر، ثم انتقلوا بعد ذلك ليعيشوا معاً فى إحدى المنازل بانجلترا، وتمت ملاحظة هؤلاء الأطفال بشكل منهجى منظم لمدة سنة.

وأسفر البحث عن نتائج هامة تمثلت فى أن هؤلاء الأطفال رغم أن جميعهم قد عانوا الحرمان الشديد خلال المراحل الأولى من العمر، إلا أنهم كانوا يحسون بالإشباع فى حضور بعضهم البعض منذ وصولهم إلى معكسر الأسرى، فقد كان محور مشاعرهم الإيجابية ومركزها هو مجموعتهم، ويبدون ببعضهم البعض اهتماماً ملحوظاً لم يبدوه لأى فرد آخر بعيداً عن مجموعتهم. وكانوا يعانون شيئاً من الاضطراب إذا أنفصل بعضهم عن البعض الآخر،

كذلك اتضح لديهم عدم الشعور بالغيرة أو المنافسة أو المكايدة بين بعضهم البعض، بل على العكس من ذلك كان هناك نوع من الروح الجماعية لديهم كذلك أتضح أن علاقاتهم بالراشدين بالرغم من أنها إيجابية إلا أنها اختلفت عن السلوك الذى يظهره الأطفال نحو أمهاتهم... ولم ينظروا إلى الراشدين العاملين معهم بوصفهم غرباء عنهم، بل كثيراً ما كانوا يبدون رغبة فى مساعدة العاملين ومعاونتهم ... ولكن مع ملاحظة هؤلاء الأطفال اتضح أن روابط الأطفال بالراشدين العاملين معهم لم تكن على نفس الدرجة من القوة مثلما كانت عليه الروابط بين بعضهم البعض. فكل منهم يمثل للآخر قيمة إثابية أكبر وأشد من الراشدين، أو كما يقرر الباحثان، فقد كان الأطفال يمثل بعضهم للبعض موضوع الحب الحقيقى وليس الراشدين .. ولهذا فقد كانت مشاعرهم نحو بعضهم البعض تتميز بقدر من الدفء والتعاون غير مألوف لدى الأطفال الصغار فى العلاقات والظروف العادية *(جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٤٠٧ - ٤٠٩)*.

وإذا كان من نافلة القول أن نقرر أن السلوك الاجتماعى للأطفال فى سن ما قبل المدرسة يكتسب نوعاً من التدعيم والإثابة من الأسرة والوالدين أو من يقوم مقامهما من الراشدين. بحيث يكتسب الراشدون قيمة إثابية، فإن البحث السابق قد أوضح نقطة غاية فى الأهمية وهى أن الأطفال الذين لم يخبروا متعة فى اتصالاتهم الاجتماعية بالراشدين، أو لم يخبروا أية علاقات بهم، قد يتعلمون أن العلاقة بينهم وبين أقرانهم تكون أكثر إشباعاً ويصبح للأقران قيمة إثابية تكون بمثابة العوض عن الراشدين نظراً لانعدام العلاقة بهم.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يمتد تأثير الحرمان من الوالدين فى مطلع العمر لينال من عديد من جوانب النمو لديه عقلية أو اجتماعية ... إلخ ، وهذا ما كشفت عنه تلك الدراسات التى قام بها "جولدفارب" Goldfarb ١٩٤٤ قام فيها بمقارنة مجموعتين من اليتامى : الأولى كانت قد تربت فى مؤسسة ما خلال السنوات الثلاث الأولى من الحياة قبل أن تنتقل إلى أسر بديلة، والثانية مجموعة من اليتامى تضاهى الأولى من حيث السن والجنس نشأت من بداية الأمر فى أسر بديلة – وقد تم اختيار الأطفال من أربع مجموعات عمرية كان متوسط العمر فى كل منها ٣ر٥ ، ٦ر٥ ، ٨ر٥ ، ١٠ سنة. وتم استخدام عدد من الدراسات الواسعة للحالات والملاحظات والاختبارات (مثل الذكاء، التحصيل الدراسى، الشخصية، التآزر الحركى، النضج الاجتماعى والقدرة اللغوية) كانت بياناتها ميسورة عن هؤلاء الأطفال.

وأتضح أن الأطفال الذين نشأوا فى المؤسسة خلال السنوات الثلاثة الأولى من الحياة كانوا أقل من أطفال الأسر البديلة فى جميع اختبارات الذكاء، كما كانت أظهر نواحى الضعف

لديهم هى تكوين المدركات العقلية والاستدلال والتفكير المجرد، كذلك وجدت بعض مشكلات النطق والكلام والتى استمرت طويلاً حتى بعد أن غادر الأطفال المؤسسة. كذلك اختلف سلوك أطفال المؤسسات عن أطفال الأسر البديلة فى ثلاث نواح رئيسية، فقد كانوا أكثر عدوانية (انفجارات، غضب، كذب، سرقة، تدمير ممتلكات، رفس الاطفال الآخرين وضربهم) وأكثر اتكالاً على الراشدين يطالبون بالانتباه وأكثر حظاً من النشاط الزائد. كما أنهم أقل قدرة على ضبط أنفسهم، كما لم تتكون عندهم تعلقات شخصية ودية قوية، وإنما ظلوا على حالهم من البرود الانفعالى وانعزاليين. *(جون كونجر وآخرون،* ١٩٧٠، ٢١٣، ٢١٤)

ويمكننا أن نقرر أن هذه المشكلات مرتبطة بنواحى الحرمان القاسية التى يخبرها الفرد فى فترة الرضاعة حين لم تكن الارتباطات أو التعلقات القوية قد تأسست بين الطفل وبين أشخاص كبار معينيين، وخاصة الأم، كما يذكر "فارب" ذلك. ونضيف إلى ذلك ما يسود برامج المؤسسات من رعاية لا تراعى شخصية الطفل ولا تقدم له ما يستثير ويحفز ملكاته ومواهبه فى مختلف الجوانب.

وهذا ما توصل إليه كذلك "شبيتز" Spitz ١٩٤٥ فى دراسته التى قام بها لقياس ومقارنة بعض نواحى النمو لدى الأطفال فى أحد الملاجئ بمجموعة أخرى فى مدرسة حضانة، وراعى أن تكون المجموعتان متماثلتان في كل العوامل والظروف فيما عدا توفير الرعاية الوالدية والحنان ففى المؤسسة أو الملجأ كان يخصص لكل مربية عدداً من الصغار يتروواح ما بين ٨ ، ١٢ طفلا ، بينما كان كل طفل فى مدرسة الحضانة ترعاه أمه وتعنى به ، وكذلك روعى أن يحصل كل طفل فى المجموعتين على رعاية صحية فائقة وعناية طبية حسنه وسكن ممتاز – واستخدم الباحث أسلوب الملاحظة، وكذلك اختبار "هتزر وولف Hetzer Wolf Test لقياس النمو فى نواحى عديدة هى : الإدراك، الوظائف الجسمية، العلاقات الاجتماعية، الذاكرة، الضبط، القدرة على معالجة الأشياء والتعامل معها – وحصل من هذا الاختبار على نسبة نضجية D.Q. وأوضحت النتائج أن النسبة النضجية لأطفال المؤسسة فى الشهور الأربعة الأولي ١٢٤، بينما كانت ١٠٢ فقط فى حالة أطفال مدرسة الحضانة – وبتتبع نمو الصغار فى المجموعتين وجد أن الصغار فى مدرسة الحضانة احتفظوا بالنسبة النضجية (١٠٢) – أما نظراءهم فى المؤسسة فلم يستطيعوا الاحتفاظ بها، ولذلك انخفضت هذه النسبة من ١٢٤ إلى ٧٢ فى نهاية السنة الأولي، وإلى ٤٥ فى نهاية السنة الثانية. *(Spitz ،* ١٩٧٦، ٥٣– ٧٤).

ويرى "شد" إن السبب فى تقهقر النسبة النضجية لأطفال المؤسسات هو ما يشعرون به من جوع عاطفي بسبب حرمانهم من عطف الأم أو ما يقوم مقامها وتبادل الحب معها... وبالتالى نجد الحرمان من علاقة دافئة بالوالدين أو ببديلهما يخلق لدى الطفل شعوراً بعدم الاكتراث والأهمية لأحد، الأمر الذى يؤدى إلى عديد من الاضطرابات السلوكية والشخصية ناتجة عن شعوره بالضياع النفسى والاجتماعى الأمر الذى يترتب عليه اصطدامه بالبيئة الاجتماعية لارتكابه الكثير من الانحرافات السلوكية كالسرقة والبوال وغيرها... وهذا ما أوضحته دراسة "لورى" Lowry ١٩٥١ على عينة من الأطفال أودعوا بالملاجئ خلال سنتهم الأولى ومكثوا فيها حتى بلغوا الثالثة أو الرابعة من العمر - وعند فحصهم بمجموعة من الاختبارات وهم فى عمر الخامسة تبين أنهم يعانون من اضطرابات حادة في الشخصية تتركز فى عجزهم عن إعطاء الحب أو تقبله - كذلك كانت هناك مجموعة من الأعراض الشائعة بينهم مثل العدوان والأنانية وشدة الصياح ، والصعوبة الشديدة فى تناول الطعام، وعيوب الكلام والبوال وأحياناً المخاوف الشديدة. *(مصطفى سويف، ١٩٧٠، ١٨٠)* .

فالحرمان من الوالدين - وخاصة الأم - فى سنوات العمر المبكرة يصيب ارتقاء الأنا فى الصميم ، إذ يصيب شعبتي الارتقاء ، مايحقق.. الشعور بالإنية» Personalization والاستقلال عن الآخرين، ومايحقق الارتباط بالآخرين واكتساب العضوية فى الجماعة. ويفسر "بولبى" Bowlby هذه الحقيقة بإرجاعها إلى عمليتين : الأولى أن الحرمان من تجربة الوجه الثابت والعناية الشخصية المتصلة فى سنوات العمر المبكرة من شأنه أن يحرم الطفل من أول مظهر وأول وسيلة «للتنظيم» فى الحياة ، تنظيم السلوك وتنظيم المدركات، وبالتالى يعطل قدراته على الفهم، كما يتسرب إلى كثير من قدراته الاجتماعية. والعملية الثانية هى أن بيئة الملجأ لاتسمح للطفل بأن يمارس نشاطاً فردياً، ولا أن يملى إرادته على أحد ، مع أن هذه تمرينات لابد منها لتقوية الأنا. *(مصطفى يوسف، ١٩٨١ ١٧٨)*.

وتلقى النتائج السابقة تدعيماً وتأييداً فيما توصلت إليه "مارجريت روبى" M.Ruben ١٩٥٧ فى دراستها التى أجرتها على طفل واحد فقد والديه منذ أن كان يبلغ من العمر أسبوعان وعاش فى كنف أسرة بديلة منذ ذلك الحين - وكان هذا الطفل قد بدء يجنح بسلوكه وهو فى العاشرة من العمر - وقد استخدمت الباحثة جلسات التحليل النفسى لتتبع تاريخ حياه الطفل وتحليل حالته، إلى جانب المقابلة مع والدى الطفل بالتبنى. وأسفرت الدراسة عن أن هذا الطفل كان يعانى من مشكلات التغذية، وفى سن سنتين كان لديه تأخراً واضحاً فى نمو الكلام،

ويتصف بالخجل والتعلق الدائم بأمه البديلة، ثم أصبح أكثر انسحاباً ورفضاً للطعام، وكان يعانى من التجوال أثناء النوم، وفى سن أربع سنوات كان غير متوافق مع زملاءه فى الحضانة – وفى السادسة بدأ يجنح بسلوكه نحو السرقة من والديه ومدرسيه، ويمارس الكذب ، وليس لديه شعور بالذنب، وكان يعانى من التوهم المرضي– وحالة من فقدان الإحساس بالواقع وشعور بالعجز واليأس، كما أظهر توحداً أنثوياً بأخته بالتبنى، وكان يقيم علاقة بالموضوعات غير الحية خوفاً من أن يخبر فقدان الوالدين مرة أخرى إذا ماكون علاقة مع موضوعات حية، وهكذا تفسر الباحثة هذا السلوك الجانح المُضطرب بناء على خبرة الحرمان من الوالدين فى مرحلة الطفولة المبكرة، وفشل الطفل فى تخطى هذه الصدمة المؤلمة واجتيازها. (Ruben ، ١٩٥٧، ٣٣٥- ٣٥٥).

وعلى الرغم من أن نتائج هذه الدراسة تتفق مع كثير من نتائج البحوث الأخرى كما رأينا وكما سنرى فيما بعد، إلا أن هذا البحث يثير نقطة غاية فى الأهمية تتعلق بمدى منطقية تفسير نتائجه فى ضوء الحرمان من الوالدين فقط – فالطفل فى بحث "روبن" قد فصل عن والديه الحقيقيين وعمره أسبوعان ثم عاش فى كنف أسرة بديلة، ومن ثم لانستطع تفسير مايعانيه الطفل فى ضوء حرمانه من والديه، حيث أن هناك والدية موجودة. بالفعل وإن كانت بديلة.. «صحيح أن أثار الحرمان السيئة تبدو على الطفل كما يقرر "بولبى". (جون بولبى، ١٩٨٠، ٢١. ٢٢) منذ الأسابيع الأولى وحتى نهاية العام الأول. ولكن استجابة الطفل للحرمان فى هذه الفترة المبكرة جداً من العمر لاتقم على معرفته بافتقاده للأم الحقيقية أو للوالدين كموضوع – بل تقوم على إدراكه لتغير نوع الخبرات الحسية التى يتعرض لها فيما بعد. (Nager ، ١٩٧٧، ٣٦٨ – ٣٦٩) أو إدراكه لنوع الوالدية التى تمارس معه. وبالتالى فإن نتائج من قبيل البحث السابق ينبغى النظر إليها بحذر فيما يتعلق بتفسيرها. فهناك العديد من العوامل تقف وراء مثل هذه النتائج مثل نبذ الوالدين للطفل، أو العلاقات الشاذة بهم.. إلخ. وهى جميعها ظروف تجعل الطفل معرضاً للحرمان من «الوالدية» وليس "الوالدين"

ولعل ذلك يتضح بجلاء فى البحث الذى أجرته "هيلدالويس" H.Lewis ١٩٦١عن نمو الأطفال فى ظروف شاذة غير سوية، وهى ظروف المنزل المهدم والعلاقات الشاذة بالأبوين والتعرض للمعاملة القاسية وأجرته على عينة قوامها (٥٠٠) طفل وردوا على مركز مرشام بمقاطعة«كنت» بانجلترا لاستقبال الأطفال ذوى المشاكل العائلية والسلوك المنحرف. واستخدمت الباحثة طريقة جمع البيانات عن والدى الأطفال والتاريخ الشخصى للأطفال، سواء من حيث

الشرعية أو ترتيب ميلاد الطفل وحالته الصحية والتربوية قبل وروده إلى المركز، إليجانب مجموعة من الاختبارات الخاصة مثل اختبارات الذكاء والاختبارات اللفظية وغير اللفظية وفيما يتعلق بالنتائج فإن الباحثة قد أوردتها فى جداول إحصائية وأنتهت إلى أن الأطفال المحرومين الذين أجريت عليهم الدراسة يتسمون بأنماط سلوكية شائعة منها، أن غالبية الأطفال كانوا يحصول على نتائج حسنة إذا تم اختبارهم باختبارات غير لفظية، والعكس إذا أستخدمت اختبارات لفظية، كذلك وجد أن غالبية الأطفال (مايقرب من ثلاثة أرباع الأطفال) ذوى الأجسام المريضة كانوا فى حالة نفسية سيئة - كذلك وجدت الباحثة فيما يتضح من سلوكهم أنهم أغبياء أو على حدود الضعف العقلى ، وبأستخدام مقاييس الذكاء تبين أنهم متوسطى الذكاء، ويرجع هذا المظهر الخادع إلى العوامل الانفعالية المحيطة بإيداعهم. *(هيلداويس،* ١٩٦١، ٥٨-) .

فهناك عديد من العوامل الانفعالية والاجتماعية المرتبطة بإيداع الطفل بالمؤسسات تمارس تأثيرها السيئ (إلى جانب حرمان الطفل من والديه) على جوانب شخصية الطفل المختلفة. وقد قام " جون نيل" J. Neal ١٩٦٦ بمقارنة الأطفال المحرومين من أسرهم ومودعين بالمؤسسات بأطفال الأسر الطبيعية من حيث تمركزهم حول ذواتهم - وقد أفترض الباحث أن الأطفال المضطربين عاطفياً أكثر تمركزاً حول الذات من الأطفال العاديين وأجريت الدراسة على مجموعة تجريبية مكونة من الأطفال المودعين بالمؤسسة (٢٠ طفلاً) ومجموعة ضابطة من الأطفال الذين يعيشون وسط أسرهم وفى مدارس عامة (٢٠ طفلاً) وكانت أعمارهم ما بين ٩ - ١١ سنة - وكانت الأدوات المستخدمة فى هذه الدراسة هى اختبار خاص لقياس التمركز حول الذات للأطفال، وأوضحت نتائج الدراسة أن أطفال المدارس الذين كانوا وسط أسرهم حصلوا على درجات مرتفعة - وهذا يعنى فى المقياس أنهم أقل تمركزاً حول ذواتهم، فى حين أن الأطفال فى المؤسسات حصلوا على درجات منخفضة وهذا يعنى أنهم أكثر تمركزاً حول ذواتهم.

ويفسر الباحث هذه النتيجة بأن الأطفال المحرومين لم تتح لهم داخل المؤسسة الفرصة لتكوين الصلات والعلاقات التى تحطم التمركز حول الذات - كذلك وجد الباحث أن الأطفال داخل المؤسسة يتصفون ببعض الصفات منها العدوانية، كما أنهم أقل اجتماعية ولا يميلون إلى الصداقة أو الانتماء للجماعة، فليس هناك علاقات شخصية متميزة يمارسها الطفل داخل المؤسسة حتى يقوم بتعميمها بعد ذلك *(Neal* ، ١٩٦٦، ٩٧ - ١٠١) .

هذا بالإضافة إلى أن حرمان الطفل من أسرته وإيداعه بمؤسسة أو حتى مصحة (الإيداع بالمستشفيات) يجعل الطفل عرضة ونهباً للقلق الذى يؤثر بدوره على كفاءته فى مختلف المجالات - وهو ما توصل إليه "مصطفى سويف" ١٩٦٦ فى دراسته عن أثر الحرمان من الأسرة وما ترتب على ذلك من زيادة مظاهر القلق لديهم وذلك على عينة من الأطفال مقسمه إلى مجموعتين، كل مجموعة تتكون من خمسين طفلاً (٢٥ ذكوراً ، ٢٥ إناث) تتراوح أعمارهم بين ١٣- ١٥ سنة. إحدى هذه المجموعتين تعيش مع أسرهم، والأخرى تم عزلها عن أسرهم لوقايتهم من بعض الأمراض ويقيمون بمدينة تحسين الصحة بالهرم، وقد أستخدم الباحث مقياس "تيلر للقلق الصريح". وكشفت الدراسة أن متوسط درجة القلق لدى الأطفال الذين حرموا من أسرهم يفوق متوسط درجة القلق لدي الأطفال الذين يعيشون وسط أسرهم، كذلك أتضح أن القلق لدى الإناث أكثر من معدله لدى الذكور فى المجموعة المحرومة من الوالدين وهذا يوضح أن العلاقة بالأسرة فيما يبدو لها أهميتها الخاصة بالنسبة للفتاة أكثر من الفتى فى مجتمعنا. *(مصطفى سويف، ١٩٦٦، ١٤- ١٧)* .

ويمكننا أن نرى أن يادة معدل القلق لدى الطفل المحروم من أسرته قد يرجع إلى شعوره بأنه غير مرغوب فيه من قبل والديه، الأمر الذى جعلهما يتخليان عنه ويهجرانه، الأمر الذى يجعله عرضه للقلق ويملأ نفسه شعور بأنه غير جدير بحب الآخرين وتقديرهم مما ينعكس على مفهومه وصورته عن ذاته وتقديره لها - وهى جميعها نتائج تؤكدها العديد من البحوث والدراسات.

ففى دراسة قام بها "إليزر" J Eliezer ١٩٦٩ للجوانب الشخصية لدى كل من الأطفال والمراهقين المودعين بالمؤسسات الإيوائية، وأجراها على عينة من ثلاث مجموعات (٧٢٠) طفلاً تراوحت أعمارهم ما بين ١٠- ١٥ سنة. المجموعة الأولى وهى الأطفال المودعون بالمؤسسات، والثانية من الأطفال المنتظرين الإيداع، والثالثة من الأطفال الذين يعيشون مع أسرهم الطبيعية. وأستخدم الباحث كل من المقابلة الشخصية مع الأطفال والمراهقين ومقياس لمفهوم الذات. وأسفرت الدراسة عن أن أطفال المجموعة الأولى والثانية قد حصلوا على درجة أعلى متشابهة تدل على انخفاض فى مستوى الإحساس والشعور بالأسرة، وانخفاض فى مفهوم الذات والعلاقات الاجتماعية كما أظهر أطفال المؤسسات فقراً فى مستوى العلاقات الاجتماعية بالآخرين، ولديهم شعور مرتفع بالقلق إلى جانب شعورهم بأنهم أشخاص غير مرغوب فيها *(Eliezer ١٩٦٩، ١٣١ ١٣٣)*

وفى دراسة أخرى قام بها "سينجا وزملائه" Singh, et al ١٩٧٠ بهدف التعرف على حالة بعض أطفال الملاجئ باستخدام أختبار الكات، وذلك على عينة مكونة من ٢٤ طفلاً من الأطفال المودعين بأحد الملاجئ وتراوحت أعمارهم ما بين ٦ - ١٠ سنوات وأوضحت نتائج الدراسة أن هؤلاء الأطفال تتميز شخصياتهم بالعدوانية وخاصة العدوان البدنى، ولديهم إحساس مرتفع بالقلق، كما ظهرت حاجة هؤلاء الأطفال إلى الانتماء والتودد إلى الآخرين - كما أتضح أن هؤلاء الأطفال كان لديهم اتجاه عدائى نحو البيئة والمجتمع - كما أوضحت الدرسة كذلك انخفاض في مستوى الذكاء والتخيل والقدرة على المستوى الفكرى والعقلى. (*Singh et al* ، ١٩٧٠، ١ - ٦) .

وكذلك قام "هودجز" Hodges ١٩٧٠ بدراسة حول تأثير الحرمان من الوالدين والنشأة داخل المؤسسات على نمو الطفل، وكانت على عينة قوامها (٤٥) طفلاً تم إيداعهم بأحد المؤسسات قبل بلوغهم سن أربعة أشهر وأقاموا بها إلى سن سنتين - وقد قسم هؤلاء الأطفال إلى مجموعات : الأولى (٢٥) طفلاً أقاموا فى أسرة بديلة، والثانية (١٣) طفلاً عادوا إلى أمهاتهم الحقيقية، والثالثة (٧) أطفال ظلوا بالمؤسسة. وقد قام الباحث بمقارنتهم بمجموعة من أطفال الأسر غير المحرومين عددها (٢٩) طفلاً. وقد تراوحت أعمارهم فيما بين الرابعة والثامنة من العمر، واستخدم فى هذه الدراسة استبيان "روتر للوالدين" إلى جانب إجراء مقابلات مع أم الطفل فى المؤسسة وأمه بالتبنى والأم الحقيقية للتعرف على السلوك المتكرر للطفل، هذا بالإضافة إلى استخبار "روتر للمدرسين" للوقوف على سلوك الطفل داخل المدرسة. ومقياس وكسلر لقياس ذكاء الأطفال فى سن الثامنة - وأوضحت الدراسة بعض النتائج المتمثلة فى أن الأطفال فى الأسر البديلة والأطفال الذين عادوا إلى أمهاتهم الحقيقية كشفوا عن سلوك يتصف بالحب والارتباط مع الآخرين فى سن الرابعة، غير أنهم فقدوا هذا السلوك الودى فى سن الثامنة، فى حين كشف أطفال المؤسسات عن سلوك غير ودى تجاه الآخرين بالرغم من محاولتهم جذب الانتباه، الصداقة، كما أنهم أظهروا ثورات الغضب فى سن الثامنة، وقد أظهرت المجموعة المحرومة من الوالدين فقداناً للشهية واضطراباً فى النوم وشعور بالحزن ولجلجة ونوبات عصبية، وكذلك بعض المشكلات الدراسية مثل عدم النظام والطاعة، وفقدان العلاقات مع الأقران، كما سجل أطفال المؤسسة انخفاضاً فى نسبة الذكاء. (*Hodeges* ، ١٩٧٠، ٩٩ - ١١٨) .

وتوصل "هارلو" Harlow ١٩٧١ إلى نتائج متشابهة مع النتائج السابقة وذلك فى البحث الذى تناول فيه القدرات العقلية والشخصية للأطفال المحرومين من الوالدين والمودعين بالمؤسسات الإيوائية، وذلك على مجموعتين من الأطفال تراوحت أعمارهم من ٥ر٢ – ١٢ سنة، وتكونت المجموعة الأولى من أطفال يعيشون فى أسر بديلة ويتمتعون بفرص كافية لإقامة علاقات حميمة دافئة مع الأم البديلة، والمجموعات الثانية أطفال أودعوا منذ بداية حياتهم فى مؤسسة وظلوا بها حتى سن ثلاث سنوات ثم أنتقلوا إلى بيوت للتبنى بعد ذلك. واستخدم الباحث منهج الدراسة الطولية التتبعية للأطفال فى المجموعتين. وانتهت النتائج إلى أن أطفال المؤسسات قد أظهروا فقراً أكثر فى اختبارات الذكاء والإدراك، وقصوراً فى اللغة وصعوبات فى الكلام ظلت تلازمهم حتى بعد مغادرة المؤسسة لفترة طويلة – كما تبين أن أطفال المؤسسات يعانون من اضطرابات فى الشخصية وسوء توافق نفسى، وقد تمثلت هذه الاضطرابات فى زيادة العدوانية والميل إلى الكذب والسرقة وتحطيم ممتلكاتهم الشخصية واضطراب مفهوم الذات وتقلب أمزجتهم بحدة وكثرة ثورات الغضب. (*Mussen*، ١٩٧٩، ٧٤ – ٧٥).

إن نقص الاستثارة والتنبيه اللازم لنمو الطفل يقف وراء هذه الآثار السيئة التى يعانى منها أطفال المؤسسات المحرومين من الرعاية الوالدية – فالحرمان من الوالدين يتبعه الإيداع بالمؤسسات كما سبق القول – ويذهب العديد من الباحثين إلى أن النمو يتأثر تأثراً كبيراً بظروف الإيداع التى تخلو إلى حد ملحوظ من تلك الخبرات التى تكون موجودة فى التفاعلات المركبة بين الأم والطفل فى الظروف الأسرية العادية، مثل التنبيه الحسى المناسب والإشباع المنتظم لحاجات الطفل المختلفة والفرص المتاحة لتعلم الأنواع المعقدة من السلوك الاجتماعى والانفعالى. (*جون كونجر وآخرون*، ١٩٧٠، ٢١٥) .

ونؤكد هنا على نقطة ذات أهمية وهى أن نواحى النمو التى ترتكز فى أساسها على النضج مثل المهارات الإدراكية والحركية كتناول الأشياء والاحتفاظ بوضع الجسم، أقل تأثراً بالحرمان من الرعاية الوالدية – بينما نجد أن نواحى النمو والاستجابات التى تقوم أساساً على التفاعل الاجتماعى كالاستجابية الاجتماعية والانفعالية فهى أشد تأثراً بالحرمان، ولهذا نجد تدهوراً ملحوظاً لدى الأطفال المحرومين من الوالدين والمودعين بالمؤسسات فى توافقهم النفسى والاجتماعى، وكذلك فى تحصيلهم الدراسى، وخاصة اللغوى. كما سنرى فى البحوث التالية

إن هذه الخصائص التى تميز الطفل المحروم داخل المؤسسة الإيوائية تعمل جميعها على إعاقة أى جهد تربوى يقدم للطفل، الأمر الذى يبدو فى نهاية الأمر فى صورة تحصيل دراسي منخفض وخاصة فى المجال اللغوى. ففى دراسة له توصل "سعد للوم" ١٩٧٣ عن أثر الحرمان من الأسرة على التحصيل الدراسى اللغوى للطفل فى المدرسة الابتدائية، وكانت الدراسة على عينة من أطفال مؤسسات الإيواء الذين يدرسون في المدرسة الابتدائية فى الصف الخامس الابتدائى، وأطفال الأسر الطبيعية الذين يدرسون في نفس الصف - واستخدم الباحث اختباراً للتحصيل فى اللغة العربية إلى جانب مجموعة أخرى من الاختبارات. وقد أسفرت الدراسة عن أن الحرمان من الأسرة له آثار سلبية على التحصيل الدراسى اللغوى يتمثل فى انخفاض مستوى التحصيل اللغوى بصفة عامة لدى الأطفال المحرمين من والديهم عن مستواه لدى الأطفال الذين يعيشون وسط أسرهم الطبيعية - كما أتضح انخفاض مستوى التحصيل فى القراءة والتعبير والقواعد عند الأطفال المحرومين من الوالدين عن مستواه لدي أطفال الأسر الطبيعية، كما أوضح البحث أنه ليس هناك اختلاف فى مستوى التحصيل اللغوى لدى طفل حرم من أسرته نتيجة الطلاق مثلاً عن مستوى طفل أخر حرم من والديه نتيجة الوفاة ... وهكذا يرجع تأخر التحصيل الدراسى بصفة عامة واللغوى بصفة خاصة، إلى ما يسببه الحرمان من الأسرة من تراكمات القلق التى يعانيها الطفل، بالإضافة إلى ما يفتقده الطفل المحروم من والديه من استثارة لغوية مستمرة تقوم بها الأسرة بصفة عامة والأم بصفة خاصة. (سعد محمد للوم، ١٩٧٣) .

فالطفل المحروم من والديه هو طفل يفوق معدل القلق لديه معدله لدى أقرانه في الأسرة الطبيعية - كما أوضحت دراسة "سويف ١٩٦٦" من قبل - وينعكس هذا القلق أو يرتبط بشكل سلبى مع التحصيل الدراسى اللغوى، حيث كلما زاد معدل القلق أنخفض التحصيل الدراسى.

ونظراً لما يعانيه الأطفال داخل المؤسسات الإيوائية من نمطية التعامل والجمود والتعامل مع الطفل بصورة روتينية تفقد الطفل شخصيته وفرديته، وخلو هذه المؤسسات من أشكال التعامل والتفاعل الأسرى القائم على الحب والود وإشباع حاجات الطفل المختلفة، فقد ظهرت اتجاهات حديثة تحاول خلق مناخ أسرى طبيعى للطفل المحروم من والديه تمثل فى صورة "قرى الاطفال" أو فى نظام "الأسر البديلة" - باعتباره شكلاً أشبه ما يكون بالأسر الطبيعية - وقد خضع الأطفال فى هذه القرى والأسر البديلة لعديد من الدراسات لمحاولة الوقوف على جدوى مثل هده النظم التربوية

فقام "عبد الصبور سعدان" ١٩٧٤ بدراسة اجتماعية للأطفال فى الأسر البديلة فى سن ٦- ١٢ سنة، وذلك على مجموعة من ٦٩ طفلاً مودعين بالأسر البديلة، وكانت الدراسة تهدف التعرف على حالة الطفل فى الأسر البديلة ومقومات أداء الخدمات التى تقدم لهؤلاء الأطفال - واستخدام الباحث استمارة مقابلة مع الوالدين البدلاء ومقابلة مع الأطفال البدلاء والملاحظة المباشرة لهم داخل الأسر البديلة.

وأسفرت النتائج عن أن الظروف الأسرية التى يعيش فيها الطفل البديل تعتبر ظروفاً طبيعية وأن هناك دافعاً مادياً وراء طلب الرعاية، وكذلك أتضح أن رغبة الأسرة فى وجود طفل، أو جنس معين من الأطفال كانت وراء الرغبة فى طلب رعاية الطفل، واتضح كذلك أن وجود الطفل البديل فى الأسرة كان له أثر فى زيادة الألفة والتقارب بين الأبوين، ووجد أن الأطفال البدلاء فى الأسر التى لا يوجد بها أبناء طبيعيون ينالون ألوان الرعاية المختلفة بصورة تفوق نظراءهم الذين يعيشون فى أسر بها أبناء، وأن الطفل البديل قد يجد فرص التنشئة السليمة فى مثل هذه الأسر وإشباعاً لاحتياجاته المادية والنفسية. *(عبد الصبور سعدان، ١٩٧٤)* .

وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسات أخرى كثيرة أجريت فى هذا المجال مثل "تيزارد وريس TIZARD & Ress ١٩٧٥، ودراسة "ليمون" J. Lemmon ١٩٧٥، وضحى عبد الغفار ١٩٧٦ ودراسات أخرى سيرد ذكرها.

فقد قام "تيزارد وريس" Tizard & Ress ١٩٧٥ بدراسة عن تأثير الرعاية المؤسسية المبكرة على المشكلات السلوكية والعلاقات العاطفية لأطفال عمر ٤ سنوات، وأجريت على أربع مجموعات من الأطفال . الأولى مجموعة من الأطفال (٢٦ طفل) يعيشون ويتلقون الرعاية بشكل مستمر داخل المؤسسة منذ طفولتهم الأولى المبكرة. الثانية مجموعة من الأطفال الذين تم تبنيهم (٢٤ طفل) الثالثة مجموعة من الأطفال الذين أعيدوا إلى أمهاتهم بعد قضاء السنوات الأولى (٢-٤ سنوات) داخل دار حضانة داخلية (١٥) طفل. واستخدم الباحثان اختبار "ويبسى"، وكذلك المقابلة إلى جانب استبيان التعلق لقياس أى الأشخاص الراشدين يفضله الطفل في المواقف المعينة - واستبيان لقياس بعض المشكلات السلوكية. وأوضحت النتائج أن أطفال المؤسسات وأطفال الطبقة العاملة كانوا يميلون إلى العزلة والخجل والحذر والتردد فى اللقاء الأول مع الباحثين - ويتفق دلك مع ما توصلت إليه "بثينة قنديل" ١٩٦٤ فى بحثها السابق دكره فى أول هدا الفصل كدلك وجد أن أطفال المؤسسات والطبقة العاملة

يتميزون بالصمت والانطواء، كما كان لديهم تبلد وذهول، كما تميز سلوكهم بالبحث عن جذب الانتباه.. كما أن أطفال المؤسسات لديهم إحساس أكثر بالقلق من مجموعة الطبقة العاملة .. أما الأطفال المتبنون والأطفال الذين أعيدوا إلى أمهاتهم كانوا أكثر صداقة وود أثناء تطبيق الاختبارات وكانوا أكثر تعاوناً وانطلاقاً بشكل أكبر من الأطفال الآخرين. (Tizard & Ress ، ١٩٧٥، ٦١ - ٧٣) .

وهكذا نجد أن الطفل فى الأسر البديلة قد يصبح شخصية أكثر توافقاً من الطفل الذى يودع بمؤسسة إيوائية، لا يتلقى فيها أية رعاية شخصية، بل وقد تختلف نظرة الطفل فى الأسر البديلة إلى ذاته عن نظيرة داخل المؤسسة، ولكن يظل هناك جانب يؤثر بشكل سئ على أطفال الأسر البديلة وهو معرفتهم بأن هذه الأسر ليست أسرهم الحقيقية فيما بعد الأمر الذى يجعلهم يشعرون بالخجل - وخاصة حينما يدخلون المدرسة ويسئلون عن أبائهم الحقيقيين كما سنرى بعد.

وعن مفهوم الذات لدى الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية وانتقلوا إلى أسر بديلة وتوحدهم بهذه الأسر قام "جون ليمون" J. Lemmon ١٩٧٥ بدراسة على مجموعة من الأطفال (٧٠ طفل) تتراوح أعمارهم من ١٢- ١٥ سنة حرموا من الرعاية الأسرية وحلوا بأسر بديلة لمدة تزيد عن ٤ سنوات. وقد استخدم الباحث فى دراسته "مقياس مفهوم الذات لبيرس - هاريس، وبروفيل شخصية الطفل فى الأسرة البديلة ..

وكشفت الدراسة أن درجات الأطفال على مقياس مفهوم الذات عادية، وإن كانت تبدو هذه النتيجة غير متوقعة، حيث تجمع البحوث على الأثر السئ للحرمان من الأسرة على مفهوم ذات الطفل، إلا أن أطفال هذه الدراسة قد قضوا أربع سنوات فى رعاية الأسر البديلة ساعدتهم على الاندماج معها مما جعل درجاتهم على مقياس مفهوم الذات عادية. (Lemmon ، ١٩٧٥، ٢١٣١).

وفى دراسة " ضحى عبد الغفار " ١٩٧٠ الاجتماعية للمواليد غير الشرعيين في الأسر البديلة وفي المؤسسات، والتى أجريت على عينة قوامها (٤٣) طفلاً غير شرعى فى سن ١٢ سنة، وكذلك على عينة من الأمهات غير الشرعيات وعددهن (١١٧) أما مترددات على دار حماية المرأة والطفل خلال ١٨ عاماً - وكانت الأدوات المستخدمة في هذه الدراسة هى المقابلات الحرة

مع الأخصائيين الاجتماعيين فى مجال الرعاية البديلة وبدار حماية الطفل، ومع الأطفال فى الأسر البديلة، والأمهات البديلات، والأمهات غير الشرعيات، بالإضافة إلى مقياس ملاحظة سلوك الأطفال مع الأم وملاحظات على مسكن الأسرة البديلة بالإضافة إلى استبيان خاص بالأطفال غير الشرعيين داخل الأسرة البديلة وأخر خاص بالأسرة البديلة ذاتها... وقارنت بين هؤلاء الأطفال وأطفال المؤسسات.

وكشفت نتائج الدراسة أن الأطفال غير الشرعيين المقيمين داخل المؤسسات كان لديهم إحساس بعدم الرضا عن الحياة فى المؤسسة وعدم القدرة على إقامة علاقات اجتماعية سواء داخل المؤسسات أو خارجها مع إحساس دائم بالعزلة الاجتماعية، غير أنهم يكونون مجموعة واحدة داخل المؤسسة رغم اختلاف أعمارهم، وذلك لشعورهم بأن وضعهم الاجتماعى واحد، أو لأن الراشدين داخل المؤسسة لا يمثلون له أية قيمة لانعدام الروابط القوية بينهم وبين الأطفال. (ولعل هذه النتيجة الأخيرة تتفق مع ما توصلت إليه أنا فرويد ودان ١٩٤١ فى دراستهما من قبل). وبمقارنة أطفال الأسر البديلة بأطفال المؤسسات، كانت الأخيرة أكثر أمية وانعزالية وأقل طموحاً... بينما كان أطفال الأسر البديلة أكثر طموحاً وأعلى تعليماً وخاصة الأطفال الذين لا يدركون أن هذه الأسر البديلة ليست أسرهم الحقيقية.. وكانت أهم المشاكل التى تقابل الأطفال غير الشرعيين الذين يدركون أن هذه الأسر ليست أسرهم الحقيقية هى شعورهم "بوصمة العار" التى تلاحقهم فى كل مكان، وفى شهادات ميلادهم التى ليست بها أسماء والديهم البدلاء مما يعرضهم لكثير من الأسئلة فى المدرسة. *(ضحى عبد الغفار، ١٩٧٦)*

وكذلك أوضحت الدراسة التى قامت بها "مها الكردى" ١٩٧٦ عن التوافق الشخصى والاجتماعى للأطفال اللقطاء المودعين بقرية S.O.S كشكل من أشكال الرعاية البديلة، وإن كان يختلف عن الأسر البديلة فى جوانب كثيرة - وكانت الدراسة على عينة من ١٠ أطفال ذكور من أطفال القرية، ١٠ أطفال ذكور من أطفال الأسر، وتماثلت المجموعتان فى السن (٩ سنوات) والصف الدراسى (الرابع الابتدائى) والنوع والعدد، وكان الفرق الوحيد هو فى طبيعة الوسط المعاش - واستخدمت الباحثة فى هذه الدراسة اختبار الشخصية للأطفال للكشف عن التكيف الشخصى، والتكيف الاجتماعى والتكيف العام. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن عدم وجود فرق دال بين المجموعتين فيما يتعلق بالتكيف الشخصى، غير أنه كان هناك فرق بين المجموعتين فيما يتعلق بالتكيف الاجتماعى لصالح أطفال الأسر الطبيعية، وكذلك فيما يتعلق بالتوافق العام

ومن خلال نوع من التحليل الكيفى للنتائج فإن الدراسة قد أوضحت أن أطفال القرية يحاولون دائماً إخفاء مشاعرهم الحقيقية عند محاولة التقرب منهم – كما أنهم أقل من أطفال الأسر الطبيعية من حيث الثبات الانفعالى – ولديهم شعوراً داخلياً بعدم الإحساس بالأمان) وكذلك هناك قدر من العدوانية الزائدة سواء داخل المدرسة أو القرية، وكذلك يبدو عليهم الانطواء – ويعانون من بعض الأمراض العصابية مثل عدم القدرة على النوم نظراً للأحلام المزعجة، أو الخوف والشعور المستمر بالتعب والبكاء الكثير، ولديهم تردد كبير فى التعامل مع الغرباء وفي التودد إليهم ويبدون مزيجاً من الانعزال الانفعالى *(مها الكردى،* ١٩٨٠، ١٠٧– ١١٦) .

إن الأطفال فى قرية الأطفال رغم ما يلقونه من رعاية وعناية قد تفوق بكثير أطفال يعيشون فى أسرهم الطبيعية، إلا أنهم قد يتعرضون لكثير من الضغوط النفسية نظراً لنظرة المجتمع والأطفال الأخرين إليهم وخاصة داخل المدرسة، فعندما يرتكب بعضهم بعض المخالفات السلوكية التى تصدر من كافة الأطفال فى المدرسة يقال عنهم " إنهم أطفال القرية" وكأنهم ليسوا أطفالا عاديين – هذا إلى جانب أن بعض الأمهات داخل القرية قد تذكرهم بحقيقة وضعهم دائماً عندما يرتكبون أفعالاً كثيراً ما يقوم بها الأطفال داخل أسرهم... بالإضافة إلى أنه بالرغم من أن نظام القرية داخلياً يشبه إلى حد بعيد نظام الأسرة الطبيعية، إلا أن هناك حدوداً كذلك لا ينبغى على الطفل تخطيها سواء داخل القرية أو خارجها– كل ذلك ينعكس على الطفل بشكل سيئ من حيث توافقه مع نفسه ومع الآخرين .. وعلي هذا وكما أوضحت نتائج هذه الدراسات يظل نظام الأسر البديلة هو أفضل مكان لرعاية الطفل مقارنة بنظم الرعاية الأخرى سواء داخل مؤسسات إيواء، أو داخل قرى الأطفال.

فقد أوضح "بوش" Bush ١٩٧٧ فى دراسته للأطفال المحرومين من أسرهم الحقيقية ويعيشون فى نماذج مختلفة للرعاية وذلك على عينة من (١٢٥) طفلاً يعيشون فى أسر بديلة، (٢٠٠) طفل يعيشون في مؤسسات إيوائية، ومنازل جماعية، ورعاية الأقارب، واستخدم فى الدراسة المقابلات الشخصية مع الاستعانة بالسجلات الرسمية ومقابلة الوالدين الحقيقيين والبدلاء وبعض التقارير النفسية والاجتماعية ... وأوضحت الدراسة تميز أطفال الأسر البديلة عن أطفال النوعيات الأخرى من الرعاية بنمو مفهوم ذات إيجابى. (*BuSh* ، ١٩٧٧، ٤٦٤٦) .

وفى ضوء هذه الدراسات السابقة وما أسفرت عنه من نتائج نستطيع أن نؤكد أن الحرمان من الوالدين فى ذاته ليس عاملاً جوهرياً فيما يعانيه الطـ ـ من آثار سلبية، بل الأمر

يتوقف على نوعية الرعاية اللاحقة للحرمان ونظامها. وهو عامل من العوامل الهامة المؤثرة فى الحرمان واستجابة الطفل له، وقد سبق أن تناولناه فى الإطار النظرى (الفصل الثانى). فهناك كثير من الأطفال لابد وأن يحرموا من الوالدين نظراً لوفاتهما أو لإيداعهم بالمستشفيات والسجون... إلخ هل هؤلاء الأطفال لابد وأن يعانوا بالضرورة من الاضطراب والتدهور فى الشخصية ؟ إن ذلك سيتوقف بالطبع على كثير من العوامل الأخرى، ومن أهمها ما يلاقيه الطفل من عناية ورعاية بعد ذلك .. فليس هناك دليل علمى مؤكد على العلاقة بالوالدين علاقة فطرية محتومة، بل هى علاقة مكتسبة يمكن أن تنشأ بعيداً عن الوالدين الحقيقيين، وفى ظل والدية بديلة تكون بمثابة الوالدية النفسية الكافية والمعوضة عن الوالدية البيولوجية... بل ونقول – وكما أوضحنا من قبل – أن الوالدين الحقيقيين قد يكونا بمثابة عامل حرمان للطفل نظراً لنبذه وإهماله أو نظراً لظروف أخرى قد تمنعهما من القيام بمهام الوالدية بشكل سوى مشبع للطفل – هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى نجد أن الإيداع بالمؤسسات بما ينطوى عليه من ظروف وأحوال سيئة فى أغلب الأحوال قد يكون مسئولاً بالدرجة الأولى عن تدهور الطفل أكثر من إنعدام الوالدين فى حد ذاته، ويتعلق بالإيداع بالمؤسسات عامل المدة التى يقضيها الطفل داخل هذه المؤسسات والسن التى تم إيداع الطفل فيها .. فكل هذه عوامل تسهم بشكل ما فى ظهور الاضطرابات والأعراض السيئة على الطفل المحروم من والديه.

وفى هذا الصدد وعن تأثير الإقامة الطويلة بالمؤسسات الإيوائية على الأطفال المحرومين من الرعاية الوالدية نجد هناك مجموعة من الدراسات.

فقد قام "ميشيل سورن" Micheal ١٩٧٩ بدراسة عن أثر الإقامة الطويلة بالمؤسسات الإيوائية على الأطفال الذين تم إيداعهم بها فى العام الأول من أعمارهم. وكانت عينة الدراسة عبارة عن (٥٧٩) طفلاً تقع أعمارهم فيما بين ١١- ١٥ سنة قد مكثوا فترات طويلة بالمؤسسات قبل انتقالهم إلى أسر بديلة تتبناهم. أما الأدوات التى استخدمت فهى استخبار لجمع المعلومات من خلال سؤال مدرسى الفصل عن معدل توافق الأطفال مع زملائهم وذلك من خلال الأنشطة الحركية، القدرة على التركيز، التواصل مع الأقران – النضج الاجتماعى ، الذكاء، الدافعية للدراسة، إلى جانب تطبيق بعض المقاييس الخاصة بالتحصيل الدراسى لخمس مواد دراسية.

وتوصلت الدراسة إلى أن الأطفال الذين مكثوا فترة طويلة بالمؤسسة أكثر من ستة شهور – كانوا منخفضين من حيث توافقهم الشخصى والاجتماعى، وقد كانوا أكثر عدوانية وتوتراً

وأقل نضجاً وتواصلاً مع الأقران بالمقارنة بهؤلاء الأطفال الذين قضوا فترة قصيرة بالمؤسسة لم تتجاوز الستة شهور – كما أبدى أطفال المجموعة الأولى انخفاضاً فى معدل الدرجات المدرسية وفى قدرتهم على التركيز. (*Micheal* ، ١٩٧٩، ١١١ – ١١٧) .

ووثيق الصلة بهذه الدراسة ونتائجها تلك الدراسة التى قام بها "فاليندر، ومهرابيان" Falnder & Mehrabian ١٩٧٩ عن تأثير الإقامة ببيوت الرعاية على الحالات والاستجابات الانفعالية للأطفال المنفصلين عن والديهم، وذلك على عينة من الأطفال تراوحت أعمارهم بين (٥–٨ سنوات) وقد تم ايداعهم داخل هذه المؤسسات فى سن مبكرة – وقد أستخدم الباحثان تقارير لفظية وغير لفظية للتعرف على الحالة الانفعالية والتى حددت بالشعور بالرضا والسرور أو عدم الشعور بالسعادة، وكذلك أستخدمت تقارير لفظية لتحديد مستوى نشاط الطفل لقياس مستوى الخضوع والسيطرة وذلك من خلال التفاعل في المواقف الاجتماعية. وأوضحت النتائج أن هؤلاء الأطفال المقيمين بهذه البيئة يعانون عادة من الشعور بالقلق والخوف والشعور بالأسى والحزن. كما أوضحت أن طول مدة الإقامة ينتج عنها تأثير سلبى على المستوى العقلى والاجتماعى لهؤلاء الأطفال. (*Falender & Mehrabian* ، ١٩٧٩، ٢٤١ – ٢٥٥) .

ومن الدراسات المحلية التى تناولت أثر متغير خبرة الإيداع بالمؤسسات كعامل هام وخطير فى موضوع الحرمان من الرعاية الوالدية، تلك الدراسة التى قامت بها "مديحة العزبى" ١٩٨٠ حيث هدفت الباحثة دراسة بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية المرتبطة بالمكانة السيسيومترية للأطفال المحرومين من الوالدين والمودعين بالمؤسسات من حيث آثار خبرة الإيداع على نموهم النفسي وتكيفهم الاجتماعى واتجاهاتهم نحو الذات والآخرين ومستوى قلقهم ومقارنتهم بالأطفال المحرومين من الرعاية الوالدية والذين يعيشون فى وسط أسرى مفكك – وكانت عينة الدراسة عبارة عن (٥١) طفلا من الصف الرابع والخامس والسادس الابتدائى تتراوح أعمارهم بين ١٠ – ١٣ سنة ويقيمون فى مؤسسات للرعاية منذ عامين، وكذلك عدد (٤٨) طفلاً فى نفس المرحلة العمرية والدراسية غير أنهم يقيمون مع أسرهم ولكنهم محرومين من الرعاية الأسرية بسبب تفكك الأسرة.

واستخدمت الباحثة فى هذه الدراسة اختبار جود أنف لرسم الرجل، اختبار الشخصية للأطفال ، ومقياس القلق الصريح، ومقياس مفهوم الذات، واختبار الاتجاهات العائلية، واختبار الاتجاهات النفسية والاجتماعية نحو الأسرة.

وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين مجموعتى الدراسة فى مفهوم الذات لصالح مجموعة أطفال الأسر وكذلك فيما يتعلق بمقياس اعتماد الطفل على نفسه وفى مجموع التوافق الشخصى، وفى بعض أبعاد التكيف الاجتماعى، وعمل الصداقة وكذلك فى المكانة السسيومترية وكانت مجموعة أطفال الأسر أفضل من أطفال المؤسسات فى هذه الجوانب . *(مديحة العزبى، ١٩٨٠)* .

ولا يقف التأثير الضار لخبرة الإيداع بالمؤسسات عند هذا الحد، بل يمتد لينال من صحة الطفل العقلية، وقد توصل "سومان" Suman ، ١٩٨٦ إلى أن الأطفال المحرومين من الوالدين والذين أودعوا بالمؤسسات منذ عمر مبكر كانوا أقل فى الصحة العقلية - كما لوحظت المشكلات السلوكية التى تستدعى المساعدة السيكاترية المباشرة والعاجلة فى حوالى ٣٣٪ من هؤلاء الأطفال. *(Suman ، ١٩٨٦، ١٣٧، ١٤٦)* .

وفيما يتعلق بإمكانية العلاج النفسى أو محاولة التخفيف من الآثار السيئة الناجمة عن الحرمان من الوالدين نجد هناك مجموعة من الدراسات على المستويين العالمى والمحلى.

فنجد دراسة قام بها "بيرس" Perse ١٩٨٠ وكانت تهدف التعرف على آثار الحرمان من الوالدين وإمكانية العلاج النفسى لهذه الآثار. وكانت عينة الدراسة عبارة عن طفل واحد فى سن الثامنة قاسى الحرمان والهجر من والديه بعد ميلاده... وقد أتضح فشله فى إمكانية إقامته بإحدى المؤسسات الإيوائية مرتين، وكانت الإجراءات المستخدمة فى هذه الدراسة هى جلسات التحليل النفسى لمدة أربع سنوات، من الثامنة حتى الثانية عشر من العمر. وتوصلت الدراسة إلى أن جلسات التحليل النفسى العلاجية قد أحرزت تقدماً فى كفاح الطفل للتغلب على تأثير هذه الصدمة النفسية فى حياته، مما يوضح إمكانية العلاج النفسي وتقليل الآثار السيئة للحرمان من الوالدين. *(Perse ، ١٩٨٠، ١١٠٧)* .

ونجد فى هذا الصدد بعض الدراسات العربية مثل دراسة "عبد الصبور سعدان" ١٩٨٠ والتى أجريت عن أثر ممارسة إتجاه العلاج الأسرى فى التوافق الشخصى والاجتماعى للأطفال المودعين بالأسر البديلة - وكانت الدراسة على عينة من الأسر التى يعانى الأطفال البدلاء فيها من عدم التوافق الشخصى والاجتماعى - وقد استخدم الباحث اختبار الشخصية للأطفال ، ومقياس الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الأطفال وأدوات أخرى لقياس التغير فى سلوك الأبن البديل والوالدين البدلاء وقد أوضحت نتائج الدراسة أن هناك تحسناً ملحوظاً فى درجة

التوافق الشخصى والاجتماعى بصورة عامة نتيجة للتدخل المهنى باستخدام العلاج الأسرى.

(عبد الصبور سعدان، ١٩٨٠) .

وهناك دراسات أخرى تتعلق باستخدام تكنيكات علاجية وإرشادية مع هؤلاء الأطفال مثل دراسة "عزة الألفى" ١٩٨٦، وسوف نوردها فى سياقها الزمنى فيما بعد.

واستكمالا للبحوث التى تؤكد على دور العلاقة القائمة بين الطفل ومن يقوم على رعايته بعد حرمانه من والديه، وكذلك أثر الإيداع المبكر بمؤسسات الرعاية نجد هناك دراسة "هنرى موسن" Mussen ١٩٨١ والتى تلفت النظر إلى نوع آخر من الحرمان وهو القصور فى التفاعل بين الطفل والراشدين ، حيث كانت تهدف الدراسة التعرف على أثر التفاعل القليل مع الراشدين على الطفل الوليد، وذلك على عينة من (٧٥ طفلاً) مودعين بأحد المؤسسات فى الولايات المتحدة، ليست بهم علل جسدية، ولكن التفاعل الشخصى فيما بينهم وبين الراشدين قليل إلى حد كبير الفرص المتاحة لهم لاستكشاف البيئة حولهم كانت ضحلة وغير كافية - وتمت مقارنتهم بمجموعة أخرى من أطفال الأسر- وكانت إجراءات الدراسة هى وضع كل طفل فى حجرة مكعبة الشكل ويتناول طعامه عن طريق "بزازت" وعندما كانت تضاف إلى طعامهم بعض الحبوب أو الفواكه كانت توسع ثقوب الحلمات قليلاً وكان يوجد معهم قليل من اللعب والدمى "حيوانات محنطة" و "شخاليل"، وكان يشترك كل ٧ - ١٠ أطفال فى تلقى الرعاية ويستمر ذلك لمدة ٨ ساعات يومياً ، وخلال الـ ١٦ ساعة المتبقية من اليوم كانت تظل غرفتهم خالية إلا من شخص واحد يقدم لهم الطعام ويغير لهم ملابسهم فقط - وتمت ملاحظة هؤلاء الأطفال لمدة طويلة، ثم عقدت مقارنة بينهم وبين أطفال الأسر العادية، وأوضحت النتائج أنه بعد مضى أربعة شهور من بدء التجربة أن أطفال المؤسسة كانوا يتلفظون قليلاً أو لا يقومون بعملية المناغاة التى يقوم بها الأطفال عادة ونادراً ما يصرخون - بل ويصفهمّ الراشدين الذين كانوا يقومون على رعايتهم بأنهم " مثل الدمى المصنوعة من نارة الخشب"، أى أنهم كانوا فى حالة ضعف واضحة، وبعد ثمانية أشهر كان غالبية هؤلاء الأطفال أقل اهتماما باللعب من الأطفال العاديين، وخلال النصف الثانى من العام الأول أظهروا اضطراباً انفعالياً، وبدوا فاقدين للإهتمام بأى شئ حولهم فى البيئة، وكانت تعبيرات الوجه متبلدة وكان إحباطهم يقابل منهم بسلبية شديدة (صراخ وانسحاب) وأخيراً كانت لغتهم متأخرة. (*Mussen et al* ، ١٩٨١، ١١٣) .

إن تأثير أنماط الرعاية التى يتلقاها الطفل يمتد كذلك بتأثيره لينال من مفهوم الذات لديه ومن تقديره لذاته - ففى دراسة قام بها " محى الدين توق وعلى عباس" ١٩٨١ عن أنماط رعاية

اليتيم وتأثيرها على مفهوم الذات لديه، وذلك على عينة من الأطفال فى الأردن (٤٣٢) طفلاً تتراوح أعمارهم ما بين ٨ – ١٢ سنة يمثلون الصغار، ١٢– ١٥ سنة يمثلون الكبار، وتم تقسيم الأطفال إلى فئات أربع : أطفال أيتام يعيشون فى رعاية أسرية ممتدة وتقدم لهم أعمال الرعاية ولهم برنامج، وأطفال أيتام يعيشون فى رعاية أسرة ممتدة فقط، وأطفال أيتام يعيشون فى رعاية مؤسسية، وأخيراً أطفال غير أيتام. واستخدم الباحثان فى هذه الدراسة قائمة مفهوم الذات للأطفال من ٧ – ١٦ سنة – وأسفرت الدراسة عن أن أثر متغير نوع ونمط الرعاية كان له تأثير دال فى الأداء على قائمة مفهوم الذات – وقد أتضح أن هناك فروقاً ذات دلالة بين فئات المحرومين من الوالدين فى مفهوم الذات لصالح الأيتام الذين يعيشون فى رعاية أسرة ممتدة وتقدم لهم أعمال الرعاية ولهم برامج – ويليهم الأطفال الأيتام الذين يعيشون فى رعاية أسرة ممتدة. كما لم تسفر النتائج عن وجود فروق بين الصغار والكبار، مما يعنى أن العمر ليس له تأثير، كما أتضح أن هناك أختلافاً بين الذكور والإناث لصالح الإناث.

وهكذا نجد أن تأثير رعاية الطفل داخل أسرته (الممتدة) إلى جانب وجود برامج للرعاية الخاصة بهم من رحلات ومعسكرات وأنشطة أخرى جميعها تساعد على رأب الصدع الذى يحدثه الحرمان من الوالدين الأمر الذى ينعكس على مفهوم ذات الذات. *(محى الدين توق، على عباس، ١٩٨١، ٧١ – ٩٥)* .

كذلك أوضحت دراسة " أنور فتحى" ١٩٨٢ عن مفهوم الذات لدى بعض الفئات من أطفال المؤسسات الإيوائية، والتى أجريت على عينة مكونة من ١٤٢ طفلاً من أطفال المؤسسات الإيوائية تتراوح أعمارهم من ١٠– ١٢ سنة وتشمل خمس فئات ممثلة للحرمان. (يتم أب، يتم أم، يتم والدين، أنفصال الوالدين، سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية)، وكذلك مجموعة مناظرة فى العدد وفى أسباب الحرمان ولكنهم يقيمون مع أفراد أسرهم ومن نفس الأحياء السكنية لدور الرعاية الاجتماعية، واستخدم الباحث اختبار مفهوم الذات للصغار، اختبار الذكاء المصور، استمارة المستوى الاقتصادى والاجتماعى، وقد أوضحت الدراسة أنه لا توجد فروق دالة بين الفئات الخمس في المؤسسات الإيوائية فى بعد الإحساس بالتباعد أو فى بعد تقبل الذات، أو فى بعد تقبل الآخرين. ووجدت فروق دالة بين فئات المحرومين داخل الأسرة فى بعد الإحساس بالتباعد لصالح فئة الحرمان من الأم – ولا توجد فروق حقيقية بين فئات العاديين فى بعد تقبل الذات، وتوجد فروق دالة فى بعد تقبل الآخرين بين فئات العاديين لصالح فئة الظروف الاجتماعية – كذلك لم تتضح فروق بين أطفال الرعاية الاجتماعية والعاديين فى بعد الإحساس بالتباعد أو فى بعد تقبل الذات أو فى بعد تقبل الآخرين. *(أنور فتحى، ١٩٨٢)*

ويمكن تفسير نتائج البحث السابق فى ضوء أن برامج الرعاية المؤسسية قد تؤدى إلى عدم وجود فروق بين الأنماط المختلفة من الحرمان، فهى - أى البرامج - تمارس على كافة الأطفال بغض النظر عن نوع الحرمان الذى يعانيه الطفل - ونضيف إلى ذلك أن الممارسات التربوية مع الأطفال المحرومين خارج المؤسسات قد لا تختلف كثيراً عن برامج المؤسسات الإيوائية فى مضمونها وروتينيتها الخالية من القدر الكافى من الحب والعطف والعلاقة الحميمة الدائمة والمستمرة، الأمر الذى لا يجعل هناك فرقاً واضحاً وتاماً بين هؤلاء المحرومين من الأطفال داخل المؤسسات وخارجها.

ونجد هناك دراسة أخرى هامة تناولت جانباً هاماً من جوانب شخصية الطفل المحروم من والديه وهو نمط وإدراك القواعد الخلقية، وهى دراسة " نجو العدوي" ١٩٨٢ وكانت تهدف دراسة أثر وجود الطفل فى وسط بيئى يتسم بالحرمان، سواء كان ذلك نتيجة التفكك الأسرى أو بالإيداع فى مؤسسات إيوائية، على نمو وإدراك القواعد الخلقية عند الطفل. وأشتملت العينة على (٢١٧) طفلاً ذكر فى فئة العمر من ٩ - ١٣ سنة مقسمين إلى : أطفال أسر عادية، أطفال أسر مفككة ويعيشون مع أسرهم، وأطفال أسر مفككة مودعين بمؤسسات إيوائية، ولقطاء مودعين بمؤسسات إيواء. واستخدمت الباحثة استبيان لنمو وإدراك القواعد الخلقية لدى الطفل (معرب عن بياجيه) ، وكذلك اختبار الصور الإسقاطى لقياس نمو وإدراك القواعد الخلقية (إعداد الباحثة) واختبار عين شمس للذكاء الابتدائى، واستبيان أساليب التنشئة (تعريف مايسة المفتى) . وقد أوضحت هذه الدراسة مجموعة من النتائج تمثلت فى تقدم أطفال الأسر العادية ويليهم الأطفال اللقطاء فى نمو وإدراك القواعد الخلقية، بينما تأخر أطفال الأسر المفككة المودعين بالمؤسسات الإيوائية وأطفال الأسر المفككة الذين يعيشون مع أسرهم فى نمو وإدراك القواعد الخلقية.

وترد الباحثة هذا التأخر لعدم الاستقرار الذى يعانيه الأطفال، والذى يقود بدوره إلى صعوبة التكيف نظراً لتعدد وكثرة جهات الإشراف والضبط، ومحاولة الطفل الامتثال لأكثر من شخص فى نفس الوقت... هذا إلى جانب أن الأطفال المودعين بالمؤسسات قد تقدموا عن نظرائهم من أطفال الأسر المفككة والذين يعيشون مع الأسرة فى نمو وإدراك القواعد الخلقية نتيجة لاحتكاك الصغار مع من هم أكبر سناً فى اللعب أو النشاط أو العمل، وهذا له أثر إيجابى فى سرعة نمو وإدراك الطفل للقواعد الخلقية *(نجوى العدوي، ١٩٨٢)*

وعن تأثير الحرمان الوالدى بالوفاة ورد فعل الطفل له نجد هناك دراسة قام بها " فان Van ١٩٨٢ وكانت على عينة قوامها (٥ ١) طفلاً فى مرحلة عمرية تتراوح من ٢- ١٧ سنة يعيشون فى كنف أحد الوالدين بعد وفاة الآخر وقد سجل الباحث ردود أفعال هؤلاء الأطفال لوفاة أحد الوالدين بعد الموت بفترة تتراوح من شهر إلى ثلاثة عشر شهراً - وكانت الأدوات المستخدمة هى المقابلة مع الوالد الآخر للطفل لوصف رد فعل الطفل وسلوكه استجابة للوفاة - واستخبار شمل بنود عن التكيف العام للموت والأداء المدرسى والمشاكل السلوكية والأعراض المرضية السيكوباثولوجية كالاكتئاب والقلق والصحة العامة، وأوضحت الدراسة أن استجابة الأطفال للموت تمثلت فى الشعور بالحزن والاكتئاب وزيادة فى التبول اللاإرادى وعجز فى الأداء المدرسي ولم تتأثر الصحة العامة للأطفال - ولم تكن هناك زيادة دالة فى المشاكل السلوكية أو الأشكال العنيفة من الاكتئاب (Van ، ١٩٨٢، ٣٧٩)

وعن أثر الحرمان من الوالدين وطول مدة الإقامة بالمؤسسات الإيوائية على النمو الاجتماعى قام "بوستانى ومانجاه " Boostani & Manjeh ١٩٨٢ بدراسة للتعرف على مستوى النضج الاجتماعى لدى عينة من الأطفال الذين تربوا بالملاجئ مقارنة بأطفال الأسر (٦١ طفل فى كل مجموعة)، وكان متوسط العمر لديهم ٨٥ر١٠ - ٦٧ر١٤ سنة، واستخدم الباحثان مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعى وكذلك المقابلة مع كل من مشرفى الأطفال وأمهاتهم. وقد أوضحت الدراسة وجود فروق دالة بين أطفال الملاجئ وأطفال الأسر العادية فى النضج الاجتماعى لصالح أطفال الأسر - وكذلك أتضح وجود علاقة بين طول مدة الإقامة داخل الملجأ وانخفاض مستوى الذكاء الاجتماعى (Boostani et al ، ١٩٨٢، ١٢٧- ١٣٣).

وفى هذا الصدد نستطيع أن نؤكد على خلو بيئة الملاجئ أو المؤسسات من المثيرات المختلفة، وخاصة الاجتماعية منها، كالتفاعل والعلاقات مع الراشدين، الأمر الذى ينعكس بلا شك على مهارات الطفل الاجتماعية، تلك المهارات التى يكتسبها بالضرورة فى سياق التفاعل والعلاقة التى تسمح بنوع من التغذية المرتجعة بين الطفل والقائمين عليه بما يؤثر على سلوكه الاجتماعى.

وإذا كانت عملية الاستثارة الاجتماعية التى ينبغى توافرها للطفل تتضمن بالضرورة وفي المقام الأول الاستثارة اللغوية والتواصل اللفظى معه، فإن تأثير الإقامة والنشأة داخل هذه المؤسسات ينعكس أثره السئ على عملية اكتساب اللغة والنمو اللغوى للطفل، وهو ما توصل

اليه "لاميش" Lamesh ١٩٨٢ فى دراسته عن اكتساب اللغة والنمو اللغوى للأطفال المودعين بالمؤسسات وذلك من خلال دراسة طفل واحد تم إيداعه بأحد المؤسسات فى سن ثلاثة عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً وقد كان قبل ذلك مودعاً بالمستشفى لمدة شهرين حيث تركه والده - وقد بدء الباحث دراسة هذا الطفل فى عمر ستة عشرة شهراً، ولم يكن الطفل فى هذا الوقت قد تكلم بالرغم من أن نموه النفسى - الحركى كان طبيعياً، حيث كانت لديه قدرة حركية ويدوية كبيرة، وقد أستمرت الدراسة لمدة عشر أشهر، وانتهى الباحث فى دراسته إلى تحديد الخصائص اللغوية العامة التى تميز النمو اللغوى لهذا الطفل كما يلى :-

- ظل الطفل صامتاً لا يتكلم حتى بلغ عمره عشرين شهراً.
- ظل الطفل يصدر أصواتاً بلا معنى منذ أن كان عمره ستة عشر شهراً وحتى وصل عمره إلى واحد وعشرون شهراً. وكانت هذه الأصوات هى فى الأصل تقليداً مشوهاً لكلمات سمعها فى حياته اليومية، وكانت الأصوات التى يصدرها لا تمت بعلاقة للموقف الذى يصدر فيه.
- لم يسأل الطفل عن أسم أى شئ فى حضور الملاحظ.
- كان من الصعب على الطفل أن يكرر الكلمات التى يسمعها
- وكان هذا الطفل عموماً يعانى من النقص الخطير فى السلوك اللغوى والذى تمثل فى الغياب الكلى تقريباً للمحادثة، ففى سن سنتين وأثنين وعشرين يوماً كان يجيب على أسئلة الملاحظ كلها بكلمة واحدة هى "No" *(عبد المنعم حسيب، ١٩٩٠، ٤٩، ٥٠)*.

وهذه الدراسة تكشف لنا عن دور العوامل البيئية فى تطور النمو اللغوى، حيث أن بيئة المؤسسات غير المنبهة للأطفال تساعد على تأخرهم من حيث نسبة ما يصدر عنهم من منطوقات ومن حيث عدد الأصوات وأنماطها أمر آخر يمكن أن نؤكد عليه فى هذا الصدد وهو أن ما يصدر عن الطفل من أصوات داخل المؤسسات قد لا يجذب أنتباه الراشدين كما هو الأمر داخل الأسرة الطبيعية، ولا يقابل بقدر من الإثابة، ومن ثم نجد أن نسبة انتشار الاستجابات اللغوية بين هؤلاء الأطفال لا يحتمل أن تتزايد بالمعدل السوى *(جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ١٤٥، ١٤٦)*.

أما عن البناء النفسى للطفل المحروم من الوالدين (اللقيط) وتكوين شخصيته فإننا نجد هناك دراسة محلية هامة هى دراسة "إيمان القماح" ١٩٨٣- وتكمن أهمية هذه الدراسة فى أنها كانت الدراسة المحلية الوحيدة التى تناولت أطفالاً فى مرحلة الطفولة المبكرة، (إلى جانب دراسة محمد بيومى ١٩٨٠ ودراسة سهير كامل ١٩٨٧ عن أطفال المجتمع السعودى).

وكانت تهدف الدراسة معرفة أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسى للطفل اللقيط وذلك على عينة من عشرة أطفال (٥ ذكور، ٥ إناث) تراوحت أعمارهم من ٤ - ٨ سنوات - وأستخدمت الباحثة اختبار تفهم الموضوع (الكات) واختبار الرسم الحر - واختبار الأسرة المتحركة، واختبار رسم الشخص لماكوفر - واختبار اللعب الحر - وبينت النتائج أن من أهم ملامح البناء النفسى للطفل المحروم من الوالدين وعلاقته بواقعه هو أن صورة الذات لديه تحتويها المشاعر السلبية والاكتئابية والشعور بالدونية، وانخفاض تقدير الذات، كما أشارت النتائج أن صورة الجسم لدي الطفل المحروم مشوهة مبتورة عبرت عن ازدواجية الدور الجنسى والتأرجح بين الذكورة والأنوثة، وتشويه صورة الجسم، وأعراض من قبيل سرقة الطعام، البوال العصابي، ضعف الضمير، كما أتسمت العلاقة بالآخرين بالتباعد الوجدانى والشكوك والمخاوف والعدوانية. *(إيمان القماح، ١٩٨٣)*

وعن مفهوم الذات والتوافق النفسى للأطفال اللقطاء، قامت "سميرة شند" ١٩٨٣ بدراسة على مجموعة من الأطفال اللقطاء فى سن ٩ - ١٢ سنة، وكانت هناك مجموعة يعيشون فى مؤسسة للرعاية الاجتماعية، ومجموعة أخري يعيشون فى قرية الأطفال، ومجموعة أطفال فى الأسر العادية - واستخدمت الباحثة في هذه الدراسة مقياس مفهوم الذات، ومقياس التوافق ودليل تقدير الوضع الاجتماعى الاقتصادى، واستمارة بيانات التلميذ، وقد توصلت الباحثة إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين أطفال المؤسسات وأطفال الأسر فى مفهوم الذات لصالح أطفال الأسر، وكذلك الأمر فى التوافق الشخصى والاجتماعى، كما وجدت فروق دالة فى مفهوم الذات والتوافق الشخصى والاجتماعى بيد أطفال القرية وأطفال الأسر لصالح أطفال الأسر - كما وجدت فروق فى مفهوم الذات والتوافق الشخصى والاجتماعى بين أطفال المؤسسات وأطفال القرية لصالح أطفال القرية. *(سميرة شند، ١٩٨٣)*

ويمكن أن نؤكد أن نوع الرعاية التى يتلقاها الطفل تؤثر على نظرته ومفهومه عن ذاته وكذلك توافقه النفسى، وهو ما أكدته الفروق بين أطفال المؤسسات وأطفال القرية فى البحث السابق. وهذا يعنى أن مستوى الحدمات التى تقدم للطفل داخل القرية وأسلوب التعامل والحياة يختلف فيها كثيراً عن أسلوب التعامل والخدمات داخل المؤسسات الإيوائية.

كذلك أجرت " أنى " Anne ١٩٨٤ بحثاً تناولت فيه تقدير الذات والإنجاز التعليمى للأطفال المحرومين من أحد الوالدين مقارنة بالأطفال المقيمين مع والديهم على عينة من الأطفال

بلغت (٢٣١) طفلاً تتراوح أعمارهم ما بين ١٠ – ١١ سنة – واستخدمت اختبار الإنجاز التعليمى وبطارية تقدير الذات للأطفال، واختبار "لوا" Lowa فى المهارات الأساسية واستبيان الحالة الاجتماعية والاقتصادية. وأسفرت النتائج عن عدم وجود اختلافات فى مقاييس الإنجاز التعليمى وتقدير الذات بين الأطفال المحرومين من أحد الوالدين ونظائرهم المقيمين مع والديهم... بيد أنه وجد تأثير دال للمستوى الاقتصادى الاجتماعى فى كل من المجموعتين على مستوى الإنجاز وتقييم الذات ، فكلما زاد المستوى الاقتصادى الاجتماعى، زاد الإنجاز وتقييم الذات، بالإضافة إلى وجود علاقة بين الإنجاز وتقدير الذات، فكلما زاد الإنجاز ارتفع تقدير الذات. *(Anne ، ١٩٨٤، p٧٣)*.

ونظراً لأن الوالدان يتعبران القوة الاجتماعية الأولى التى تخلق من خلال علاقتها بالطفل وتنشئته نوعاً من التحكم الداخلى، أو مصدر الضبط لديه عن طريق الأوامر والنواهى التى يتلقاها فى سياق علاقته بهما، ومن خلال ما يتعرض له من إثابة وعقاب... فإننا نتوقع فى ضوء ذلك أن يختلف مصدر الضبط وتقدير الذات الذات لدى الأطفال المحرومين من الوالدين أو من أحدهما عن نظائرهم من الأطفال الذين يعيشون مع والديهم، وهذا ما تناولته "رشيدة عبد الرؤوف" ١٩٨٥ فى دراستها التى هدفت إلى التعرف على مصدر الضبط وتقدير الذات لدى التلاميذ المحرومين من أسرهم، وذلك على عينة من الأطفال المحرومين وأخرى من غير المحرومين... وكانت المجموعة الأولى تضم أطفالاً حرموا من الأب فقط، وأطفالاً حرموا من الأم فقط، وأطفالا حرموا من الوالدين معاً، وتراوح عمر الأطفال فى المجموعتين ما بين ٩ – ١٢ سنة. واستخدمت الباحثة اختبار مركز التحكم – واختبار لتقدير الذات – وأسفرت النتائج عن أن الأطفال المحرومين من الأسرة عموماً يظهرون تحكماً خارجياً أكبر مما يظهره غير المحرمين من أسرهم – وكلما زاد عدد سنوات الحرمان من الأب كان هناك تحكماً خارجياً مرتفع، كذلك كلما زادت سنوات الحرمان من الأم كان مركز التحكم لدى الأطفال خارجياً .. وفيما يتعلق بتقدير الذات، فإنه لم توجد اختلافات فى تقدير الذات لدى المحرومين من الأب والمحرومين من الأم، أو بينهما وبين غير المحرومين من أسرهم، وكذلك أسفر البحث عن وجود علاقة بين مركز التحكم وتقدير الذات، فكلما كان مركز التحكم خارجياً كلما قل تقدير الذات والعكس صحيح. *(رشيدة عبد الرؤوف، ١٩٨٥)*.

وعن المشكلات السلوكية الشائعة لدى الأطفال المحرومين من الوالدين ومقارنتها بالأطفال المقيمين مع والديهم فى المرحلة الابتدائية قامت "عزة حسين" ١٩٨٥ بدراسة لهذه المشكلات

وتحديدها من وجهة نظر الأطفال ومن وجهة نظر الأمهات والمدرسين، وذلك على عينة من الأطفال (٩٦) طفلا وطفلة فى المدرسة الابتدائية، فى سن (٦- ١٢ سنة) مقسمين إلى مجموعتين، أطفال قرية الأطفال S.O.S (٤٨ طفل) (٢٤ ذكور ، ٢٤ إناث)، والأطفال المقيمون مع والديهم (٢٤ ذكور، ٢٤ إناث)، وكذلك عينة من الأمهات بالقرية والوالدين خارج القرية وكذلك عينة من المدرسين بمدرسة إسماعيل فهمى. واستخدمت الباحثة مقياس المشكلات السلوكية للأطفال (صورة خاصة بالأطفال)، ومقياس المشكلات السلوكية للأطفال (صورة خاصة بأولياء الأمور والمدرسين).

وقد أوضحت نتائج الدراسة أن المشكلة الأولي من وجهة نظر أطفال القرية تمثلت فى العدوانية، كمحاولة لإثبات ذواتهم ووجودهم فى المجتمع، بينما تمثلت المشكلة الأولى من وجهة نظر أمهاتهم البديلات فى الأنانية تعبيراً عن افتقاد الطفل للحب ومن ثم عدم قدرتهم على إعطاء الحب للآخرين، ومن وجهة نظر المعلمين تمثلت المشكلة الأولي في الشعور بالقلق والتوتر وعدم الاستقرار، وما يتركه هذا الشعور من أثر على تأخرهم الدراسي. أما من وجهة نظر أطفال الأسر وأمهاتهم ومدرسيهم ، فقد تمثلت المشكلة الأولى في المسالمة والانسحاب والسلبية. وقد أوضح البحث أن من أبرز مشكلات أطفال القرية العدوانية، السرقة، والقلق، والخوف من الوحدة والميول الجنسية وكثرة الكذب والغش. *(عزة حسين، ١٩٨٥)* .

وعن سمات الشخصية المميزة للأطفال المحرومين من الوالدين والمودعين بالمؤسسات الإيوائية والمرتبطة بمستوى أنشطة الرعاية وخدماتها المتبعة فى تلك المؤسسات، قام "جمال شفيق" ١٩٨٦ بدراسة على عينة من ١٧٢ طفلاً من المودعين بالمؤسسات الإيوائية أعمارهم من ١٣- ١٨ سنة، واستخدم الباحث مقياس الشخصية للمرحلة الإعدادية والثانوية، واستمارة أنشطة وخدمات الرعاية بالمؤسسات الإيوائية واستمارة بيانات عن المودعين بالمؤسسات. وأظهرت النتائج أن الأطفال المودعين بمؤسسات ذات مستوى مرتفع من حيث الرعاية والخدمات والبرامج يتميزون ببعض سمات الشخصية مثل، التفاعل الاجتماعى، تقبل الذات، الاستعراض، الثقة بالنفس، والمرونة .. بينما نجد فى المؤسسات ذات المستوى المنخفض فى الرعاية والخدمات السمات الشخصية الآتية لدى الأطفال، الشعور بالإثم، الخجل، الانطواء، الخيال والتوتر. *(جمال شفيق، ١٩٨٦)*

لقد سبق وتناولنا بعض الدراسات التى دارت حول إمكانية وفعالية استخدام بعض الأساليب العلاجية والإرشادية للتخلص أو للتخفيف من بعض الآثار السيئة للحرمان من الوالدين، وتناولنا دراسة "بيرس" Perse ١٩٨٠، ودراسة " عبد الصبور سعدان " ١٩٨٠. واستكمالاً للصورة نجد هناك محاولات حديثة فى هذا المجال – فهناك دراسة "عزة الألفي" ١٩٨٦ عن استخدام العلاج الجماعى لتعديل بعض الحاجات والضغوط لدى الأطفال المحرومين، وكانت الباحثة تفترض أن العلاج الجماعى يؤدى إلى تعديل بعض الحاجات والضغوط من خلال المساندة العاطفية، التعبير على الصراعات المثيرة للقلق، تعديل مفهوم الفرد عن نفسه وتقديره لذاته، رؤية متبصرة للمشكلات الحاضرة فى ضوء خبرات الماضى – وأجرى البحث على عينة قوامها أربعون طفلاً تتراوح أعمارهم بين ١٠- ١٣سنة ممن حرموا من الوالدين (ضالين – لقطاء) تضمهم مؤسسة خاصة، وكذلك عينة أخرى ضابطة من خارج المؤسسة ممن يعيشون حياة أسرية عادية – واستخدمت الباحثة إختبار تفهم الموضوع، المقابلة الإكلينكية، اختبار تكملة الجمل الإسقاطى – وقامت الباحثة باستخدام العلاج الجماعى ومقارنة نتائج الأطفال قبل وبعد العلاج.

وأوضحت نتائج البحث أنه بعد العلاج الجماعى قد تم تعديل الشعور بالتعاسة وضغط النبذ، ويدل ذلك على أن الشعور بالتعاسة وضغط النبذ قد أمكن علاجها نتيجة العلاج الجماعى، كما أدى العلاج باللعب إلى الاحساس بمشاركة الجماعة في نشاط له هدف يحتمل الفوز والهزيمة والتعود على تقبل كلاهما هو وزملاؤه، وبالتالى لا يصبح الفرد معزولاً ومنبوذاً ، أما العلاج السيكودرامى فإن الدور الذي اختاره كل طفل أو الدور الذى اختارته له الباحثة فقد ساعد الطفل على التخلص من كثير من ضغوط النبذ والإحساس بالتعاسة. (*عزة صالح الألفى*، ١٩٨٦، ٤١٣- ٤٢٧) .

وهناك بعض الدراسات العربية غير المحلية، التى أجريت فى هذا المجال مثل دراسة "محى الدين توق وعلى عباس" ١٩٨٢ والتى سبق تناولها فى المجتمع الأردنى، وهناك كذلك دراسة "سهير كامل" ١٩٨٧ على أطفال المجتمع السعودى، ودراسة "رشدى حنين" ١٩٨٧ على أطفال الجزائر، وكذلك دراسة " محمد بدرينة ١٩٨٨ على أطفال الجزائر.

ففى دراسة على أطفال المجتمع السعودى فى مرحلة الطفولة المبكرة قامت "سهير كامل" ١٩٨٧ بدراسة تأثير الحرمان من الوالدين على النمو الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى،

وتكونت عينة البحث من مجموعتين من الأطفال، الأولى (٤٣ طفلا) ٢٩ ذكور، ١٤ إناث من أطفال الأسر الطبيعية، وكان سن الأطفال يتراوح من سنة إلى ٦ سنوات. وقد تجانست المجموعتين من حيث السن والجنس ومن حيث قضاء نصف يومهم في الحضانة النموذجية الملحقة بالحضانة الإيوائية ويخضعون لنفس الإشراف التربوى والصحى أثناء النهار. واستخدمت الباحثة اختبار ستانفورد بينيه، ومقياس فاينلاند للنضج الاجتماعى للطفل، والنسبة التحصيلية، ومقياس للوزن وآخر للطوفل، وثالث لقياس محيط الجمجمة، وكذلك بطاقة تقويم طفل الروضة وتشتمل على النمو الانفعالي والنمو الإجتماعى للطفل. وأسفرت الدراسة عن عدة نتائج تمثلت في عدم وجود فروق دالة بين مجموعتى الدراسة فيما يتعلق بالطول والوزن، بينما وجدت فروق دالة بين المجموعتين فى محيط الجمجمة لصالح أطفال الأسر – وكذلك أوضحت الدراسة وجود فروق دالة بين مجموعتى الدراسة فيما يتعلق بالنمو العقلى والتحصيل الدراسى والنمو الاجتماعى والإنفعالى وذلك لصالح أطفال الأسر الطبيعية. *(سهير كامل، ١٩٨٧، ٦٨-٩٠)*.

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسات أخرى كثيرة أجريت على أطفال فى مجتمعات أخرى وباستخدام أدوات مختلفة من حيث تأثير الحرمان من الوالدين على جوانب النمو المختلفة لدى الطفل عقلية أو اجتماعية أو انفعالية وحتى الجسمية، مثل "شبيتز" Spitz ١٩٤٥ و "هودجز" Hodegs ١٩٧٠، "سعد الملوم" ١٩٧٣، وسينجا وزملائه Stngh et al ١٩٧٠ ودراسات أخرى كثيرة.

وفى دراسة على الأطفال المراهقين بالجزائر قام "رشدى حنين" ١٩٨٧ بدراسة عن مدى تأثير اليتم المبكر على نمو الطفل الانفعالي وعلى حالته الوجدانية وهو فى مرحلة المراهقة، والصورة الوالدية المضفاة على الوالد المفقود، وأجريت الدراسة على عشرون فرداً من طلاب المرحلة الثانية فى مدينة بسكرة بالجزائر، وكانت أعمارهم تتراوح ما بين ١٧- ١٩ سنة، وقد فقدوا أحد الوالدين خلال مرحلة العمر ٦ – ١١ سنة. واستخدم الباحث اختبار الرورشاخ، واختبار تفهم الموضوع، والمقابلة الاكلينيكية، وأسفر البحث عن مجموعة من النتائج تمثلت فى:

بالنسبة للحالة الوجدانية، نجد مظاهر يأس وكآبة، وكثرة أحلام اليقظة وعدم القدرة على الاستقلال، والخضوع والطاعة للوالد الباقى، والحساسية الشديدة وقلق وتشاؤم مع طموح للمستقبل فى نفس الوقت وكذلك مظاهر تمرد وعصيان. وفيما يتعلق بالصورة الوالدية، نجد هناك رفضاً كلياً للوجة الجديد الذى لا يشابه الصورة الوالدية فى شئ، وشعوراً غريبا بعودة

الوالد المتوفى وانتظاره ومعايشة هذه الصورة كواقع لا كخيال إلا عند الاصطدام بالواقع، وإعطاء هذه الصورة مميزات مثالية ولكنها غامضة، والتصاقاً شديدا وتعلقاً بها فى صورة تثبيت. *(رشدى عبده، ١٩٨٧، ٣٨- ٤٧)* .

وهكذا توضح هذه الدراسة تأثير الحرمان المبكر على الطفل فى المراحل العمرية المتأخرة، وهى تتفق مع ما تناوله "بولبى" Bowlby من أن هؤلاء الأطفال الذين حرموا فى مطلع العمر من الوالدين أو من أحدهما قد يمتد التأثير السلبى لذلك حتى مرحلة المراهقة، فقد أشار "بولبى" إلى أن هؤلاء الأطفال قد ظلوا يعانون من اضطرابات فى الشخصية وتأخر فى النمو العقلي حتى بعد أن وصلوا الي مرحلة المراهقة، وهو يرى أن الاستعداد لسوء التوافق يتدعم ويثبت من جراء الخبرات الطفلية المؤلمة والتى من أشدها الحرمان من الوالدين.

لقد أوضحت الدراسة السابقة فى جانب من نتائجها كثرة أحلام اليقظة لدى الأطفال المحرومين من والديهم، وعن أنماط ومحتوى أحلام اليقظة هذه قامت " مديحة العزبى" ١٩٨٧ بدراسة عن أنماط ومحتوى أحلام اليقظة وعلاقتها بالتعلق الأموى والأبوى لدى الأطفال المحرومين مقارنة بالأطفال فى الأسر الطبيعية، وأجريت الدراسة على مجموعة من الأطفال (٢٦) طفلاً مودعين بالمؤسسات، ومجموعة مماثلة لها فى السن والجنس والصف الدراسى (المرحلة الابتدائية) واستخدمت كذلك مجموعة من (٣١) طفلاً يمثلون التعلق الأموى، ومجموعة مماثلة تمثل التعلق الأبوى – وتراوحت أعمار الأطفال من ٨ – ١٢ سنة.

وقامت الباحثة بتطبيق مجموعة من الأدوات شملت قائمة أخيلة الطفل، أسلوب تحليل الحلم، مقياس التعلق الوالدى – وأشارت النتائج إلى أن أحلام اليقظة لدى أطفال المؤسسات المحرومين من الرعاية الأسرية أقل ثراء وتميل اتجاهاتهم إلى السلبية والتضارب وتكون قصص أحلامهم أقل ترابطا.. ووجدت كذلك أنه ليس هناك اختلاف فى أنماط ومحتوى أحلام اليقظة بين مجموعتين التعلق الأموى والتعلق الأبوى باستثناء بعد العدوانية لصالح مجموعة التعلق الأبوى. *(مديحة العزبى، ١٩٨٧، ١١١، ١٢٠)* .

ونجد هناك دراسة حديثة عن التوافق الشخصى والاجتماعى للأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية تتفق نتائجها مع كثير من الدراسات الأخرى، "مها الكردى ١٩٧٦" ضحى عبد الغفار ١٩٧٦، ودراسات أخرى قام بها "مصطفى الصفتى" ١٩٨٧ على عينة من الأطفال المقيمين بقرى الأطفال S.O.S (١١٦) طفلاً، ومقارنتهم بالأطفال المقيمين مع أسرهم الطبيعية

(١٣٦) طفلاً وجميعهم من الصف الرابع إلى السادس الابتدائى، واستخدم الباحث مقياسا للتوافق الشخصى والاجتماعى وكذلك سجلات التلاميذ بالمدارس، وأشارت النتائج إلى تفوق أطفال الأسر الطبيعية عن أطفال القرية فيما يتعلق بالتوافق العام والتوافق الاجتماعى، حيث وجدت فروق دالة بين المجموعتين في هذين الجانبين، ولم تسفر الدراسة عن وجود اختلاف بين المجموعتين فيما يتعلق بالتوافق الشخصى. (*مصطفى محمد الصفتى، ١٩٨٧، ١٩١- ٢١٧*).

وعلى عينة من أطفال الجزائر قام "محمد بدرينة" ١٩٨٨ بدراسة عن أثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل وتوصل فيها إلى نتائج تتفق مع نتائج أخرى عديدة، إيمان القماح ١٩٨٣، سميرة شند ١٩٨٣، رشدى حنين ١٩٨٧- وقد أجريت الدراسة على مجموعتين من الأطفال (٥٠ طفلاً فى كل مجموعة) من الأطفال المحرومين من الوالدين والأطفال فى أسرهم الطبيعية - وكان سن الأطفال من ٩ - ١٢ سنة، بالإضافة إلى دراسة أربع حالات فى كل مجموعة دراسة أكلينيكية متعمقة. وأستخدم الباحث اختبار الشخصية الإسقاطى، وأختبار رسم الأسرة، واستمارة البيانات الشخصية، وتوصل الباحث إلى عدة نتائج هى : أن صورة الذات لدى الأطفال المحرومين غارقة فى مشاعر البؤس، والانزواء والانعزال، وغياب السند والأمن لافتقاد الصور الوالدية المطمئنة، كما تسيطر مشاعر الذنب والقلق والدونية وانخفاض تقدير الذات - كذلك اتضح عدم قدرة أطفال المؤسسات على إقامة علاقات عاطفية مستقرة مع الموضوع بسبب تعدد هذه الموضوعات (تعدد الأمهات) وتغيرها المستمر. كذلك وجد عدم استقرار للهوية الجنسية للطفل وتأرجح بين الذكورة والأنوثة، وسيادة المستوى الفمى الذى يعكس رغبة فى الإشباع الفمى، وكثرة الاستجابات العدوانية الشديدة ... وباختصار فقد عكست شخصية الطفل المحروم من والديه حاجاته للحب والعطف وعكست كذلك عدواناً شديداً نحو الو لدين. (بدرينة محمد، ١٩٨٨) .

ووثيق الصلة بنتائج هذه الدراسة ما أجرته "نيفين زيور" ١٩٨٩ عن أثر فقدان الموضوع على الحياة النفسية للطفل من حيث صور الذات وطبيعة العمليات الدفاعية التى يستخدمها الطفل إزاء موقف فقدان الموضوع الانفعالى - وقد أستخدمت المقابلة مع الأطفال وكذلك اختبار بقع الحبر (الرورشاخ) - وكانت عينة الدراسة عبارة عن عشرة أطفال لقطاء تراوحت أعمارهم بين سنة وأثنى عشر عاماً. وأوضحت النتائج الدور الذى يلعبه الإنكار كميكانيزم دفاعى لدى الأطفال. بالإضافة إلى عدم تماير الجانبين العقلى والانفعالى لدى الطفل مما يجعله عاجزاً عن الاستجابة لأى شئ خارج المعالم الخارجية الحقيقية. كما أتضح أن صورة الذات سيئة رديئة،

كذلك وجود انفعالية متفجرة لا سيطرة عليها، وعدوانية شديدة تجاه الموضوع وتجاه الذات. وكشفت النتائج عن إضطراباً فى الهوية الجنسية وخاصة لدى الذكور *(نيفين زيور، ١٩٨٩، ٧-١٩)*

وعن السلوك الاجتماعى والانفعالى للأطفال المحرومين من الأسرة فى مرحلة الطفولة أجرت "نبيلة ميخائيل" ١٩٨٩ دراسة على عينة من الأطفال المحرومين من الأسرة (فى المؤسسات وقرى الأطفال) والأطفال فى أسرهم الطبيعية، وتراوحت أعمارهم ما بين ٩ – ١٢ سنة ؛ واستخدمت الباحثة مقياساً للسلوك الاجتماعى وآخر للسلوك الانفعالى بالإضافة إلى استمارة بيانات خاصة بالطفل – وأشارت النتائج إلى وجود فروق دالة فى بعد الانتماء للجماعة لصالح أطفال الأسر الطبيعية، كما وجدت فروق دالة فى بعض أبعاد المقياس الخاص بالسلوك الانفعالى نتيجة اختلاف الجنس وذلك فى بعد الاتزان الانفعالى، وروح المرح، وعدم الاضطراب والقلق كما وجدت فروق دالة فى بقية الأبعاد مثل الحب والتقبل والثقة بالنفس وعدم الخوف والاكتئاب لصالح البنين المحرومين، وعدم الميل للعدوان لصالح البنات المحرومات من الأسرة. *(نبيلة ميخائيل، ١٩٨٩)* .

وهكذا نجد أن الحرمان من الرعاية الأسرية الطبيعية يصيب الطفل فى مختلف نواحى شخصيته بالتدهور والاضطراب نظراً لعدم إشباع حاجات الطفل النفسية والاجتماعية سواء كان ذلك الطفل مودعاً بمؤسسات إيوائية، أو داخل أسرة بديلة، إن الأعطاب التى تصيب الطفل تنتج كما قلنا من قبل من غياب الوالدية الحقة المشبعة لحاجات الطفل، وليس لمجرد غياب الوالدين فى ذاته.. فالأمر يتعلق بممارسة دور الوالدية بشكل كاف أكثر من مجرد وجود أسرة ووالدين – وهذا ما أوضحته كثير من الدراسلت التى تناولت الطفل فى الأسر البديلة أو فى قرى الأطفال

وفى هذ الصدد نجد هناك دراسة " أملى صادق" ١٩٩٠ عن القلق لدى الطفل فى الأسر البديلة، وكانت على عينة من (٤٠) طفلاً فى سن ٩ – ١٢ سنة، ٢٠ طفلا من الأطفال الذين يعيشون فى أسر بديلة، و ٢٠ طفلا فى الأسر الطبيعية، واستخدمت الباحثة اختبار روجرز لدراسة شخصية الأطفال، واختبار رسم المنزل والشجرة والشخص H.T.P واستمارة المستوى الاقتصادى والاجتماعى واتضح من الدراسة أن الطفل فى الأسرة البديلة عموماً أكثر قلقاً من نظيره فى الأسرة العادية كما أتضح أن الطفل الذى لا يعرف أن أسرته البديلة

ليست أسرته الحقيقية فهو أقل قلقاً من نظيره الذى لديه دراية بهذا الأمر - كما أن الأطفال فى المستويات الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة أكثر قلقاً من نظائرهم فى المستوى الأعلى. *(أملى صادق، ١٩٩٠)* .

وعن معدل انتشار المشكلات السلوكية لدى أطفال الملاجئ وعلاقتها بدرجة الحرمان قام " عبد الرقيب البحيرى" ١٩٩٠ بدراسة على عينة مكونة من ١٦٥ طفلاً (٨٩ ذكور، ٧٦ إناث) أعمارهم ما بين ٦ - ١٥ سنة مودعين بأحد الملاجئ منذ عمر يمتد من أسبوع حتى ثمانى سنوات. واستخدم الباحث قائمة المشكلات السلوكية، واختبار تفهم الموضوع، والمقابلة مع الأطفال والمشرفين عليهم، وقد أسفرت الدراسة عن أن معدل انتشار المشكلات السلوكية لدى الذكور أكثر منها لدى الإناث - وقد يرجع ذلك إلى أن الذكور أكثر إفصاحاً وإظهاراً لمشاكلهم - كما لم يكن هناك تأثير لكل من العمر ودرجة الحرمان على جميع مشكلات السلوك فيما عدا اضطراب الكلام، وكذلك اتضح أن نوع الحرمان سواء كان أموياً أو أبوياً أو كلياً لم يكن بالضرورة سبباً مباشراً لكل المشكلات السلوكية لدى أطفال الملاجئ - أما المشكلات التى ظهر فيها الارتباط بنوع الحرمان فكانت هى اضطراب الكلام والاضطرابات الذهانية العضوية فى حالة الذكور، واضطراب الحركة فى حالة الإناث.

وكذلك أوضحت نتيجة الدراسة الإكلينيكية أن الصور الوالدية المدركة صور مشوهة تتسم أحياناً بالاضطهاد والعقاب وغير جديرة بالثقة، وأحياناً أخرى بالسلبية والهجر - كما أن هناك شعوراً دائماً بالحاجة إلى الحنان والحب... ودرجة كبيرة من الاكتئاب والانشغال بموضوع الحرمان، ورغبات فمية شديدة وتعينيات ذاتية انثوية فى بعض الأحيان ومخاوف. *(عبد الرقيب البحيرى، ١٩٩٠، ٧٠- ٨٧)* .

وعن المخاوف المرضية للأطفال فى دور الإيواء فى ضوء تأثير عاملى الجنس والسن ومدى تفاعلهما وتداخلهما معاً، أجرى " عبد الرحمن العيسوى ومدحت عبد الحميد" ١٩٩٠ بحثهما على عينة مكونة من (٧٢) طفلاً وطفلة من المحرومين من الأسرة ومودعين بأحد المؤسسات، وأوضحت النتائج عدم وجود تأثير لعامل السن وحده على المخاوف المرضية، ووجد أن هناك دلالة جوهرية لتفاعل الجنس والسن معاً على المخاوف المرضية- وكذلك كشفت النتائج عن أن الإناث يظهرن قدراً أكبر من المخاوف عن الذكور. *(عبد الرحمن العيسوى، مدحت عبد الحميد، ١٩٩٠، ٨٦٩- ٩٠٦)*.

نعلم جميعاً أن العلاقات الوثيقة بين الطفل ووالديه تسهم إلى حد كبير فى تقدم الطفل اللغوى المبكر . ونعلم أن الأطفال المودعين بالمؤسسات والذين لا تربطهم علاقة وثيقة بالكبار يكونون أدنى مستوى من الأطفال الذين يعيشون فى أسرهم من حيث كثرة التصويت وعدد الأنماط الصوتية التى تصدر عنهم، ويستمر ويدوم هذا التأخر بل ويصبح أوضح كلما تقدم الطفل فى العمر .. كذلك هناك علاقة بين التأخر اللغوى وإنعدام التنبيه الانفعالى، فالأطفال المهملون بشدة والذين اضطربت أرتباطاتهم بالكبار وقلت يكونون على درجة من البطء فى تعلم الكلام وقد يدوم تأخرهم فى اللغة والكلام خلال الحياة كلها. *(جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٢٤٥، ٢٤٦).*

ومن الدراسات العربية الحديثة فى هذا المجال نجد دراسة "عبد المنعم حسيب" ١٩٩٠ والتى أجريت على أطفال سن ما قبل المدرسة (٤ - ٦ سنوات) للتعرف على تأثير الحرمان من الوالدين وعلاقته بالنمو اللفظى، وذلك على عينة من (٤٠) طفل من المودعين بالمؤسسات الإيوائية، (٤٠) طفل من أطفال الأسر الطبيعية - واستخدم الباحث اختبارى الإدراك السمعى والتعبير اللفظى من بطارية القدرات النفسية اللغوية، واستمارة مستوى اقتصادى اجتماعى - وأوضحت الدراسة أن هناك تخلفاً واضحاً لدى أطفال ما قبل المدرسة فى النمو اللفظى، كما لم يتضح وجود إختلاف فى النمو اللفظى بين الذكور المحرومين من الأسرة والإناث المحرومات من الأسرة. *(عبد المنعم حسيب، ١٩٩٠)* .

ولا يقف تأثير الحرمان من الأسرة والإيداع بالمؤسسات عند هذا الحد، بل يمتد هذا التأثير السيئ لينال من النمو العقلى المعرفى للطفل .. ففى دراسة قام بها " مرزوق عبد المجيد" ١٩٩٠ كانت تهدف التعرف على تأثير درجة الحرمان من الأسرة وتأثيره على الأداء العقلى والمعرفى لدى الطفل، وأجريت الدراسة على عينة من الأطفال المحرومين من الأسرة (٣٩) طفلا ممن حرموا حرماناً جزئياً (أى من أحد الوالدين)، (٤٢) طفلاً ممن حرموا من الوالدين معاً ويعيشون فى مؤسسات الرعاية وقرى الأطفال، بالإضافة إلى (٤٠) طفلاً من الذين يعيشون مع أسرهم. وكانت أعمارهم تتراوح ما بين ٨ - ٩ سنوات - واستخدم الباحث اختبار الذكاء المصور واختبار تحصيلى فى اللغة العربية وكذلك فى الحساب، وسجلات الأطفال - وأوضحت الدراسة إنخفاض مستوى الأداء العقلى والمعرفى للطفل المحروم حرماناً تاماً من الأسرة عن نظيره المقيم مع الأسرة - أنخفاض مستوى الأداء العقلى والمعرفى للطفل المحروم حرماناً تاماً عن نظيره المحروم جزئياً (أى من أحد الوالدين)، ولم يسفر البحث عن وجود اختلاف فى الأداء

العقلى والمعرفى للطفل المحروم جزئياً من الأسرة عن نظيره المقيم مع أسرته. (مرزوق عبدالحيد، ١٩٩٠، ٩٧٨- ٩٩٨).

إن نتائج البحوث السابقة تشير إشارة واضحة إلى أن الطفل المحروم من الرعاية الأسرية هو طفل تنقصه الفرصة لإشباع العديد من الحاجات العقلية واللغوية، كالحاجة إلى البحث والاستطلاع والحاجة إلى تنمية القدرة على التفكير والتخيل والحاجة إلى إكتساب المهارة اللغوية .. هذا إلى جانب عدم إشباع العديد من الحاجات النفسية والاجتماعية كالحاجة إلى الحنان والعطف والتقبل والانتماء .. ولا يستطع أحد الادعاء بأن مؤسسات رعاية الأطفال المحرومين من الأسرة بما هى عليه يمكنها أن تشبع هذه الحاجات لهؤلاء الأطفال، لأن ذلك يعنى كسر النظم والروتين الذى تعيشه هذه المؤسسات وتمارسه، يعنى التخلى عن الجمود والنمطية فى التعامل مع الأطفال، والتى صارت سمة من أبرز سمات هذه المؤسسات الإيوائية.

ولقد كانت الفرص الضئيلة المتاحة لمواجهة حاجات هؤلاء الأطفال بالإشباع وراء ما يعانيه الأطفال من اضطرابات في السلوك كان من أبرزها العدوانية الزائدة والسلوك الجانح تجاه البيئة المحبطة للطفل . وعن هذه الحاجات النفسية لأطفال المؤسسات وعلاقتها بالعدوانية قامت "سلوى شوقى" ١٩٩١ بدراسة للتعرف على هذه الحاجات فى علاقتها بالعدوانية، وأجريت الدراسة على مجموعتين من الأطفال : الأولى (٣٥) طفلا ذكوراً وإناثاً من أطفال المؤسسات الإيوائية فى الصف الخامس والسادس الابتدائى، والثانية (٣٥) طفلا ذكوراً وإناثاً من أطفال الأسر العادية وفى نفس الصفوف الدراسية واستخدمت الباحثة استبياناً للحاجات النفسية، ومقياساً للسلوك العدوانى واختبار تفهم الموضوع واستمارة مقابلة شخصية.

وأوضحت الدراسة وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الحاجات النفسية والسلوك العدوانى لدى أطفال المؤسسات، وأتضح كذلك وجود فروق دالة بين أطفال المؤسسات الإيوائية وأطفال الأسر الطبيعية فى السلوك العدوانى الواقعى البدنى المباشر وغير المباشر والموجه نحو الزملاء والأشخاص الآخرين والذات لصالح أطفال المؤسسات، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالسلوك العدوانى اللفظى المباشر وغير المباشر، وكذلك اتضح أن هناك مجموعة من الخصائص تميز الأطفال في المؤسسات الإيوائية هى عجز الإشباع للحاجة الي الرعاية والحنان من الأم ، مشاعر متناقضة نحو الأب (حماية ، مصدر تهديد) ونوع من التصور السلبى للبيئة المحبطة المهددة للأمن والشعور بالسعادة والأمان. وأتضح كذلك أن عدوانية هؤلاء الأطفال هى رد فعل

للبيئة المعتدية غير المشبعة لكثير من حاجات الأطفال. وأبرز ما يميز هؤلاء الأطفال هو سيطرة مشاعر الحزن والقلق والمشاعر الاكتئابية. *(سلوى شوقى، ١٩٩١)* .

ثم نجد هناك بعض الدراسات الحديثة التى أجريت على المستوى المحلى نلحظ فيها نوعاً من التطور والإسهام فى دراسة موضوع الحرمان، سواء من حيث تناول أنواع جديدة من الحرمان الاسرى، أو من حيث استخدام برامج إرشادية أو تقويمية لهؤلاء الأطفال المعوقين ولدور الرعاية المخصصة لهم.

ومن هذه البحوث نجد بحثاً شديد الأهمية، وتكمن أهميته فى تناوله لنوع جديد من الحرمان الأسرى ليس مألوفاً لدى الباحثين محلياً، لا يرتبط بفقدان الوالدين، ولا يرتبط بظروف اقتصادية سيئة، ولا يرتبط بإيداع الطفل بإحدى مؤسسات الإيواء المألوفة ... بل يأتى حرمان الطفل من تخلى الوالدين طواعية عن مهام رعاية الطفل وتربيته، وإلقاء هذه المهمة كاملة إلى مدارس داخلية ذات مستوى رفيع من حيث الخدمات، وذلك مقابل بضع آلاف من الجنيهات (٧-١٤ ألف جنيه سنوياً) .

وقد أجرت هذا البحث " سهير كامل" ١٩٩٢ بهدف التعرف على الانفصال عن الأسرة وعلاقته بمركز الضبط والاكتئاب، وذلك على عينة من الأطفال المقيمين بالأقسام الداخلية ببعض المدارس الخاصة بالقاهرة - بالإضافة إلى مجموعة من أطفال الأسر الطبيعية مماثلة من حيث العمر والتعليم والمستوى الاقتصادى والاجتماعى - وتراوحت أعمارهم فيما بين ٨ - ١٢ سنة - واستخدمت الباحثة اختبار مركز التحكم للأطفال، ومقياساً للاكتئاب.

وأوضحت نتائج البحث أن الأطفال المنفصلين عن أسرهم أكثر اعتماداً على عوامل الحظ والصدفة والقدر ومساعدة الغير، كما أنهم أكثر انفعالية وسلبيه، وأقل فى وضع ضوابط لأنفسهم تساعدهم على النجاح فى حياتهم، كما أنهم يعزون إنجازاتهم وما يتخذونه من قرارات وما يحققونه من أهداف إلى عوامل خارجية هى التى تتحكم فى مصيرهم، وكلها عوامل يقفون عاجزين أمامها لأنهم لا يستطيعون التنبؤ بها. *(سهير كامل، ١٩٩٢، ١- ٢٤)* .

ثم نجد بحثاً آخر يتجاوز حد التعرف على جوانب المعاناة لدى هؤلاء الأطفال إلى محاولة الإسهام فى تنمية بعض جوانب شخصياتهم وقام بإجراء هذا البحث "جمال شفيق" ١٩٩٢

وكان يهدف التعرف على مستوى قدرات التفكير الابتكارى لدى الأطفال اللقطاء فى مرحلة الطفولة المتوسطة، وإمكانية تنمية لهذه القدرات من خلال تصميم واستخدام برنامج إرشادى لهم – وقد أجرى البحث على مجموعتين من الأطفال الذكور فى السن من ٨ – ٩ سنوات من الصف الثالث والرابع الابتدائى، مجموعة الأطفال اللقطاء (٤٠) طفلاً، مقسمين إلى (٢٠) طفلاً فى كل مجموعة لمعرفة تأثير البرنامج المستخدم، وكذلك مجموعة أطفال الأسر الطبيعية (٤٠) طفلاً.

واستخدم الباحث اختبار "تورانس للتفكير الابتكارى" إلى جانب برنامج تنمية قدرات التفكير الابتكارى" وأشارت النتائج إلى تفوق أطفال الأسر الطبيعية على أقرانهم من اللقطاء فى الدرجة الكلية لقدرات التفكير الابتكارى، وفى كل من مكونات هذه القدرات (الطلاقة، المرونة، الأصالة، التفاصيل). كذلك أتضح وجود تأثير دال لأثر وفاعلية البرنامج الإرشادى التدريبى المستخدم فى الدراسة لصالح المجموعة التى طبق عليها البرنامج. (*جمال شفيق، ١٩٩٢، ٣٨٣–٤١٥*) .

وهكذا نجد من خلال البحث السابق أن أى برامج أو أساليب لتنمية الإبداع وكذلك الخبرات الإضافية المخططة التى تمنح لأطفال الرعاية الجماعية، ولو لفترات قصيرة نسبياً تؤدى إلى تحسن درجات القدرات العقلية لمثل هؤلاء الأطفال.

وعن مدى رضا الأطفال المحرومين من الوالدين عن أساليب الرعاية البديلة وعلاقة ذلك بالتوافق والتحصيل الدراسى، قامت "هناء أبو شهبة" ١٩٩٢ ببحث التعرف على مدى رضا أطفال قرية S.O.S بالقاهرة عن أساليب الرعاية المتبعة معهم وعلاقته بالتوافق والتحصيل الدراسى لديهم، وقد أجرى البحث على عينة مكونة من (١٢٠) طفلاً وطفلة (٦٠ ذكور، ٦٠ إناث) من أطفال قرية الأطفال بالقاهرة من ١٢– ١٦ سنة، واستخدمت الباحثة مقياس رضا أبناء قرية الأطفال والذى يتضمن جوانب مادية كالمناخ الثقافى والظروف الاقتصادية.. وكذلك العلاقات الانسانية في الأسرة البديلة والعاملين بالقرية. وقد أسفرت نتائج البحث عن وجود فروق دالة احصائياً بين البنين والبنات لصالح البنات فى الرضا عن المدير والأخصائية النفسية والظروف الاقتصادية والمناخ الاجتماعى للقرية فى الرضا الكلى.. ولم يكن هناك فروق دالة بين البنين والبنات فى رضاهم عن الأم البديلة والإخوة والأخوات والخالة والأخصائية الاجتماعية .. كما أتضح أن المجموعة الأعلى رضا من الجنسين كانت أكثر توافقاً من المجموعة الأدنى رضا (*هناء أبو شهبة، ١٩٩٢، ٢٧٩– ٣١٢*).

وفى مقارنة بين أطفال المؤسسات وأطفال قرية الأطفال في المشكلات السلوكية قامت "فاتن السيد" ١٩٩٢ بدراسة على عينة من الأطفال (١٢) طفلاً وطفلة، (٦) من أطفال القرية، (٦) أطفال من المؤسسات. واستخدمت الباحثة اختبار "الكات" ، اختبار رسم الرجل، والمقابلة والملاحظة، وتشير النتائج الى ضعف الأنا وأزدياد مشاعر القلق، وتعطيل القدرات العقلية فى صورة سيطرة التفكير الحسى العيانى ، وتشبث البناء النفسى بمراحل جد باكرة من التطور، إلى جانب ادراك صور السلطة باعتبارها رمزاً للتسلط والقهر وتهديد الذات. *(فاتن السيد، ١٩٩٢)*.

وفى دراسة حديثة قامت "زينب عبد اللطيف" ١٩٩٣ بدراسة عن الإحساس بالوحدة النفسية وعلاقته بالسلوك التكيفى لدى أبناء المؤسسات، وقامت بمقارنة بين فئات من الأطفال اللقطاء، والأيتام وذوى الأسر المتصدعة فى الإحساس بالوحدة النفسية والسلوك التكيفى، وذلك على عينة من (١٧٩) فرداً ذكوراً وإناثاً، وتراوحت أعمارهم ما بين (١٦- ١٨) سنة، وقد استخدمت الباحثة مقياس الإحساس بالوحدة النفسية والجزء الثانى من مقياس السلوك التكيفى – وأسفرت نتائج الدراسة عن وجود فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات أفراد العينة على مقياس الإحساس بالوحدة النفسية وكانت الفروق لصالح اللقطاء، كما وجدت فروق جوهرية فى بعدالسلوك المدمر والعنيف بين الذكور والإناث لصالح الإناث. *(زينب عبد اللطيف، ١٩٩٣، ٣٥١- ٣٨٠)*.

وعن تقويم أساليب رعاية الأطفال فى المؤسسات الإيوائية قامت " مها صلاح الدين" ١٩٩٣ بدراسة للتعرف على الدور الفعلى الذى تؤديه المؤسسات الإيوائية لرعاية الأطفال إلى جانب التعرف على المعوقات التى تواجه هذه المؤسسات – وأجريت الدراسة على مؤسسات محافظة القاهرة وكذلك على عدد (٣٨) مسئولا من العاملين والمسئولين الموجودين بالمؤسسات الإيوائية (١٥) خبيراً من الخبراء التنفيذين.

وقد أوضحت الدراسة أن المعوقات التى تواجه الرعاية الاجتماعية أهمها : –

- عدم وجود متخصصين لتنفيذ البرنامج.
- ضعف الميزانية المخصصة لتحقيق الأهداف المرجوة.

ومن أبرز المعوقات التي تواجه الرعاية النفسية :

- عدم توفر العدد المناسب من الأخصائيين النفسيين.
- عدم البحث عن أسباب المشكلات والاقتصار على علاج العرض فقط.
- عدم وجود معدات كافية للتأهيل والتدريب.
- عدم كفاية وكفاءة المدرسين العاملين بالمؤسسات. *(مها صلاح الدين، ١٩٩٣)* .

وإذا كان البحث السابق قد تعرض لتقويم أساليب رعاية هؤلاء الأطفال، فإننا نجد بحثاً آخر قام به "المتولى إبراهيم" ١٩٩٣ عن علاقة أساليب الرعاية بالقلق لدى الأطفال في المؤسسات الإيوائية وقرى الأطفال، وذلك على عينة من (٨٠) طفلاً وطفلة من المؤسسات و (٤٠) طفلاً وطفلة من قرية الأطفال S.O.S وتراوح العمر من ١٤- ١٦ سنة، واستخدم الباحث مقياس القلق الصريح لتيلور. وأسفرت النتائج عن وجود دلالة إحصائية فى مستوى القلق بين أطفال المؤسسات وقرية الأطفال لصالح أطفال المؤسسات، بمعنى أنهم أكثر قلقاً. وتشير النتائج أيضاً إلى زيادة أعراض القلق بصفة عامة فى كل من المؤسسة وقرية الأطفال. كما توجد فروق دالة إحصائية بين متوسط درجات مجموعة الأطفال ذوى مستوى الرعاية المرتفع ومتوسط درجات مجموعة الأطفال ذوى مستوى الرعاية المنخفض لصالح الرعاية المرتفعة. *(المتولى إبراهيم، ١٩٩٣)*.

وهناك بعض الدراسات الحديثة التى أجريت على الأطفال المتبنون داخل بعض الأسر، وقد أوضحت هذه الدراسات بعض النتائج الهامة - فنجد دراسة قام بها "كوهين وزملائه Cohen et al ١٩٩٣ وكانت تهدف إلى مقارنة الأطفال المتبنون والأطفال الطبيعيون المتقدمون للعلاج، بالأطفال المتبنون والطبيعيون غير المتقدمون للعلاج - وأجريت الدراسة على (٨٨) أسرة وأطفالهم الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٧ - ١٧ سنة - وأوضحت النتائج أن الأطفال المتبنون لديهم مشكلات أكثر من الطبيعيون، كما أن أسرهم كانت أميل إلى أن ترى إستبعاد الطفل هو بمثابة الحل لما لديه من مشكلات على الرغم مما لدي الأسر المتبنية من موارد إجتماعية واقتصادية ونفسية يمكن الاعتماد عليها فى علاج الأطفال، ولكن بسبب التاريخ الطويل من الإحلالات وما يصاحبها من ضغوط وخبرات بيئية سيئة، كانت هناك مشكلات تعوق عملية التبنى ونجاحها لهؤلاء الأطفال. *(Cohen et al. ١٩٩٣، ٥٤٥ - ٥٦٢)*

وعن تأثير الانفصال الوالدى بالطلاق على هؤلاء الأطفال المتبنون أجرى "بودزينسك وزملائه Bodzinsk ١٩٩٣ بحثاً على مجموعتين من الأطفال، إحداهما تم تبنيهم (٦١) طفلاً وطفلة، والأخرى لم تتبني (٦٢) طفل وطفلة تتراوح أعمارهم من ٦- ١٢ سنة، وقد تم التنبئ بأن الأطفال المتبنون سوف يكونون أكثر وأشد تأثراً بالانفصال الوالدى بالطلاق من الأطفال غير المتبنون - وعلى الرغم من أن الأطفال من الأسر والمنازل غير السليمة قد أبدوا توافقاً أقل من الأطفال فى الأسر السليمة، إلا أن النتائج كانت مماثلة للمتبنون وغير المتبنون - فضغوط الحياة المرتبطة بالاضطراب الزواجي كانت ذات إعتبار بالنسبة للغالبية العظمى من مشكلات التوافق لدى الأطفال. *(Bodzinsk et al، ١٩٩٣، ٥٣٥٩)*.

وفى دراسة هامة عن أثر ضم الأطفال المتبنون إلى والديهم البيولوجيون، قام "باشيكو وإيمى" Pacheco & Eme ١٩٩٣ بدراسة على عينة من ٧٢ طفلاً متبنى، أعمارهم ١٨ سنة فاكثر، وجدوا والديهم البيولوجيون - وقد ملء الأطفال استبياناً عبر التليفون يتعلق بوضعهم الديموجرافى ونتيجة انضمامهم لوالديهم البيولوجيون.. وقد أوضحت النتائج أن عملية رجوعهم إلى والديهم كانت إيجابية بشكل عام - وقرروا أن ذلك قد رفع من مفهوم الذات وتقديرها لديهم وعلى انفعالاتهم وعلى قدرتهم على الارتباط بالآخرين. *(Pacheco & Eme، ١٩٩٣، ٣٥٠١)*.

وعن دور المؤسسات الإيوائية بين الإستيعاب والاستدماج نجد بحثاً محلياً حديثاً قام به "عادل كمال ومحمد ابراهيم" ١٩٩٤ بهدف تقييم الدور الذى تؤديه المؤسسة من خلال محاولة التعرف على بعض جوانب شخصية الأطفال من حيث مفهوم الذات والقلق، والمخاوف والتكيف الشخصى والاجتماعى، وذلك مقارنة بالأطفال في الأسر الطبيعية، وأجرى البحث على عينة من أطفال المؤسسات (٣٣) طفلاً، و (٣٠) طفلاً من أطفال الأسر الطبيعية، وأستخدمت عدة أدوات هى : مقياس مفهوم الذات للأطفال، اختبار القلق للأطفال، واختبار المخاوف للأطفال، واختبار الشخصية للأطفال، وقد أوضحت النتائج أن هناك فروق جوهرية بين أطفال المؤسسات وأطفال الأسر الطبيعية فى جوانب مقياس مفهوم الذات، إلى جانب الفروق بين أطفال المجموعتين في القلق كحالة. بينما لم تكن هناك فروقا بين أطفال المجموعتين فى درجة المخاوف، وكذلك عدم وجود فروق بين الأطفال المحرومين سواء بالوفاة أو بالطلاق أو بسبب الظروف الاقتصادية فى الجوانب المدروسة. وأخيراً أوضحت النتائج أن أسلوب الرعاية البديلة بالمؤسسات القائم على استيعاب الأطفال داخل المؤسسة لم يدعم النمو النفسي السليم والصحة النفسية. *(عادل كمال، محمد إبراهيم، ١٩٩٤، ٧٨- ٩١)*.

تعليق على الدراسات الخاصة بالحرمان من الوالدين :

باستعراض الدراسات السابقة والخاصة بالحرمان من الوالدين معاً نجد أن هناك اهتماماً متزايداً بهذا النوع من الحرمان يفوق ما أولته الدراسات الخاصة بالحرمان من الأم، أو الحرمان من الأب، وهو ما قد يسد النقص فى نتائج هذه الدراسات. إلا أننا رغم كثرة ما أتيح الإطلاع عليه من دراسات فى هذه المجال إلا أن هذه الدراسات قد ركزت جل اهتمامها بالمراحل العمرية المتقدمة (أكثر من ٦ سنوات) - وهذا بالطبع يمثل قصوراً من حيث اهمال مراحل هامة وبخاصة مرحلة الطفولة المبكرة، حتي يمكن التعرف على تاثير الحرمان من الوالدين على الطفل فى مراحل عمره المختلفة بما يمكن من امكانية التنبؤ بسلوكه.

وقد تنوعت جوانب دراسة الطفل المحروم من والديه بدءاً من محاولة تشخيص نواحى القصور والضعف والاضطراب لديه إلى محاولة علاجه ومساعدته في التغلب على مشكلاته المختلفة... وكذلك نجد هناك تنوعاً واسعاً في الأدوات التى استخدمت فى هذه الدراسات تنوعاً كبيراً.

وقد كشفت هذا الدراسات عن عديد من الآثار الناجمة عن الحرمان من الوالدين والإيداع بالمؤسسات مثل زيادة درجة القلق وتأخر التحصيل الدراسي، وسوء التوافق الشخصى والاجتماعى، وتأخر نمو وإدراك القواعد الخلقية، وانخفاض مفهوم الذات وتقديرها، وتشويه صورة الجسم وتدمير الهوية الجنسية وانعدام مصادر الضبط الداخلى والاكتئاب... هذا إلى جانب ما أوضحته هذه الدراسات من إمكانية تدارك أخطار الحرمان من الوالدين عن طريق العلاج الفردى والأسرى والبرامج الارشادية، كذلك أوضحت هذه الدراسات ضرورة توفر الخدمة النفسية والاجتماعية للمودعين بالمؤسسات أو بالأسر البديلة وذلك للقفز بدور المؤسسة الإيوائية من مجرد استيعاب الأطفال إلى دمجهم ومحاولة استدماجهم عن طريق الوصول بالخدمة النفسية والارشادية إلى داخل بعض الأسر المعرضة للانحراف.

الدراسات السابقة "محاولة اجتهادية" :

يرى الباحث أن الهدف من الدراسات السابقة كجزء من التراث المتعلق بموضوع البحث هو محاولة إيجاد موقع للدراسة الحالية بين هذه الدراسات، وإضفاء بعداً تبريرياً للقيام بها سواء من حيث تناول جوانب قد أغفلتها هذه الدراسات - أو لم توفها أو من حيث تناول تجمعات وعينات لم تدرس بعد هذا إلى جانب ما يتيحه الاطلاع على التراث البحثى السابق

من الوقوف على طبيعة الأدوات والمناهج المستخدمة مما يساعد الباحث على اختيار الإجراءات المناسبة لبحثه.

وإنطلاقا من هذا الهدف، ومن أن خطوات البحث العلمي لم يقصد بها أن تكون خطوات تتابعية جامدة على كل باحث أن يستخدمها دون أن يحيد عنها أو يخل بنظام تتابعها... ومن أن استخدام الطريقة العلمية وخطواتها كما تظهر فى تفكير الباحثين وسلوكهم مسألة فردية إلى حد كبير. *(جابر عبد الحميد، أحمد خيرى، ١٩٧٨، ٢٧)* ، فإن الباحث سوف يحاول اصطناع أسلوباً لعرض تلك التراث البحثى الذى أتيح له الاطلاع عليه والذى سبق عرضه بصورة مفصلة.

وهذا الأسلوب لا يعتبره الباحث جديداً بقدر ما يعتبره بمثابة نوع من حسن الاستيعاب لتراث الدراسات التى سبق وتناولت أطرافاً من موضوع البحث الحالى.. وتهدف هذه المحاولة إلى إيجاد سياق متصل يساعد فى الوصول إلى صورة عامة شاملة وواضحة عن الظاهرة موضوع الدراسة، أو- إن جاز التعبير - الوصول إلى "بروفيل" يعكس أهم الملامح المميزة لهؤلاء الأطفال، وذلك من خلال التعرف على أهم ملامح هذا التراث البحثى سواء من حيث موضوعاته أو من حيث ما أسفر عنه من نتائج بصورة تتصف بالتعميم أو التجريد والاختزال، مما يضيق من نطاق المجهلة فى التعامل مع قدر كبير من البيانات، ومما ينأى عن تفتيت ملامح الظاهرة ووضع كل جزئية فى موضع معين بعيداً عن الكل. ويمكن أن يتحقق هذا الهدف من خلال الاستعانة أو أصطناع تصنيف معين.

فالتصنيف يحقق عدة أمور :

- أنه يضيق - ولو بشكل زائف - من نطاق المجهلة فى تعامل الباحث مع قدر كبير من البيانات.
- أن التصنيف يحقق للفرد قدراً كبيراً من اقتصاد الجهد.
- أن التصنيف عامة بما يتضمنه من تعميم وتجريد واختزال يحقق هدفاً أساسياً من الأهداف التوافقية للعلم أو للمعرفة الإنسانية عامة. *(قدرى حفنى، محمد خليل، ١٩٨٢، ٥١)* .

ومن ثم فقد قام الباحث بنوع من التصنيف لما أتيح له الاطلاع عليه من دراسات وذلك بهدف الوصول إلى :-

أ - التحديد النوعى لكل نوع من أنواع الحرمان (أموى، أبوى، والدين) فى التراث البحثى.

ب - التحديد النوعى للدراسات التى تعنى الباحث، أى فى مرحلة الطفولة المبكرة أو ما قبل المدرسة.

حـ- الوصول إلى فئات تصنيفية للجوانب التى تناولتها هذه الدراسات.

د - رصد أهم ما أسفرت عنه هذه الدراسات من نتائج داخل كل فئة تصنيفية.

أولا - جدول رقم (٦)

التحديد النوعى للدراسات حسب نوع الحرمان

نوع الحرمــــان	ك	٪
دراسات الحرمان من الأم	١٧	١٧٪
دراسات الحرمان من الأب	١٧	١٧٪
دراسات الحرمان من الوالدين	٦٦	٦٦٪
المجمــوع	١٠٠	١٠٠٪

ويتضح من الجدول السابق أن هناك اهتمام أقل مما يجب بالدراسات الخاصة بالحرمان من الأم أو الأب، ولعل هذا القصور قد يرجع إلى صعوبات عدة تناولنا بعضاً منها في التعليق على الدراسات الخاصة بالحرمان من الأم، والتى فى مقدمتها صعوبة اختيار العينة... ولعل ذلك يفسر لنا زيادة الاهتمام بالدراسات الخاصة بالحرمان من الوالدين، فهناك سهولة ويسر فى الحصول على عينات هذه الدراسات نظراً لتواجدها الدائم فى مؤسسات رعاية الأطفال. ولكن رغم ذلك فإن الدراسات الخاصة بالحرمان من الوالدين فى مرحلة الطفولة المبكرة قليلة للغاية كما يتضح من الجدول التالى.

ثانيا - جدول رقم (٧)

التحديد النوعى للدراسات حسب نوع الحرمان فى مرحلة الطفولة المبكرة (٢ - ٦ سنوات)

نوع الحرمــــان	ك	٪
دراسات الحرمان من الأم	٤	٢٠٪
دراسات الحرمان من الأب	٣	١٥٪
دراسات الحرمان من الوالدين	١٣	٦٥٪
المجمــوع	٢٠	١٠٠٪

ويتضح من الجدول السابق أن الدراسات التى كانت تعنى الباحث فى مرحلة الطفولة المبكرة قليلة للغاية - فقد بلغ عدد الدراسات فى هذه المرحلة (٢٠) دراسة من إجمالى ما أتيح للباحث الاطلاع عليه (١٠٠) دراسة، وهو ما يمثل نسبة ٢٠٪ - وبلغ ما أجرى من دراسات خاصة بالحرمان من الوالدين (١٣) دراسة فى مرحلة الطفولة المبكرة من إجمالى دراسات الحرمان من الوالدين (٦٦ دراسة) بنسبة ٧ر١٩٪.

ومما هو جدير بالذكر أن الدراسات العربية التى أجريت على الحرمان من الوالدين في مرحلة الطفولة المبكرة قليل للغاية - فقد أجريت على المستوى المحلى (٣) دراسات فقط (إيمان القماح ١٩٨٣) (نيفين زيور ١٩٨٩) (عبد المنعم حسيب ١٩٩٠)، ثم نجد دراسة عربية أخرى أجرتها باحثة مصرية على أطفال المجتمع السعودى (سهير كامل ١٩٨٧) ومما هو جدير بالذكر أن أى من هذه الدراسات لم يتناول مفهوم الذات أو اضطرابات السلوك لدى المحرومين من الوالدين في مرحلة العمر المعنية.

وبالتالى يمكننا أن نقرر أن هذه الفئة من الأطفال في هذه المرحلة العمرية الهامة لم تلق العناية الكافية من حيث الدراسات والبحوث التى تقوم حولها حتى تكشف عن خصائصها وبالتالى الاساليب المناسبة لرعايتها.

ثالثا - من خلال تصنيف الدراسات التى أتيحت للباحث، فإنه من الممكن وضع هذه الدراسات فى عدة فئات تصنيفية وفقاً للجوانب المدروسة على النحو التالى : -

١ - الدراسات الخاصة بالجوانب الجسمية والصحة العامة.
٢ - الدراسات الخاصة بالجوانب الاجتماعية.
٣ - الدراسات الخاصة بالجوانب الانفعالية
٤ - الدراسات الخاصة بالجوانب العقلية.
٥ - الدراسات الخاصة بالنمو اللغوى والتحصيل الدراسى.
٦ - الدراسات الخاصة بمفهوم الذات.
٧ - الدراسات الخاصة باضطرابات السلوك.
٨ - الدراسات الخاصة باستخدام التكنيكات العلاجية والبرامج الارشاد

رابعاً- سوف يقوم الباحث بعرض للنتائج التى أسفرت عنها البحوث السابقة، والتى تندرج تحت كل فئة من الفئات السابقة - وسوف يشير الباحث إلى الاتجاه العام للنتائج مع الإشارة إلى بعض النماذج التى تتفق مع هذا الاتجاه العام وذلك على النحو التالى .

(١) التدهور الجسمى واضطراب الصحة العامة :

تشير نتائج البحوث إلى أن هناك نوعاً من التدهور الجسمى واضطراب فى الصحة العامة للأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية، وتتضح جوانب هذا الاضطراب فى فقدان الوزن. (Spitz ، ١٩٤٦)، (Marion ، ١٩٦٩)، رفض الرضاعة وفقدان الشهية والصعوبة فى تناول الطعام. (Ribble ، ١٩٩٤)، (Barnes ، ١٩٧٦)، (Lowery ، ١٩٥١)، (Ruben ، ١٩٥٧)، (Hodges ، ١٩٧٠)، ألم المعدة والعين والصداع. (بثينة قنديل، ١٩٦٤) . ونزلات البرد والاكزيما. (Spitz ، ١٩٤٦)، نوبات عصبية واضطرابات فى النوم. (Barnes ، ١٩٧٦)، (Traus ، ١٩٧٦)، (Hodges ، ١٩٧٠)، وعدم انتظام التنفس . (Barnes ، ١٩٧٦)، (مها الكرادى، ١٩٧٦) . صغر حجم الجمجمة. (سهير كامل، ١٩٨٧) ضعف وتعب وهزال عام وبطء الحركة . (هيلدا لويس، ١٩٦١)، (Spitz ، ١٩٤٦)، (Julia ، ١٩٨٠).

ويمكننا أن نؤكد هنا أن البيانات المتوفرة عن نتائج الحرمان من الوالدين أو أحدهما على الجوانب الجسمية والصحية للأطفال قليلة إلى حد ما، وقد يرجع ذلك إلى أن هذه الجوانب قد ترتبط بالظروف والأوضاع الاقتصادية والاهمال الشديد، وسوء الأحوال التى يعيش فيها الطفل أكثر من ارتباطه بالحرمان الوالدى فى ذاته، ويمكن أن نرد هذه المظاهر الجسمية والصحية – ولو جزئياً – إلى العوامل الانفعالية المحيطة بالطفل من إيداعه بالمؤسسة ونظام الإشراف وسوء الأحوال المادية والصحية التى يتعرض لها الطفل، مما يجعله عرضه لكثير من الأمراض، هذا الى جانب ما قد تسلهم به الوراثة فى بعض هذه الجوانب، وخاصة فيما يتعلق بالنتيجة الخاصة بصغر حجم الجمجمة. (سهير كامل، ١٩٨٧).

(٢) اضطرابات النمو والجوانب الاجتماعية :

تتفق نتائج البحوث على أن هناك تدهوراً بالغاً فى الجوانب والاستجابات الاجتماعية للأطفال المحرومين من الوالدين، ويمكننا إبراز هذه الاضطرابات كما وردت فى نتائج الدراسات السابقة على النحو التالى .

عدم القدرة على إقامة علاقات مستمرة مع الراشدين أو التردد فى إقامة مثل هذه العلاقات وانعدام الاستجابة الاجتماعية (Ribble ، ١٩٩٤)، (Elizer ، ١٩٦٩)، (Wolkind ، ١٩٧٤)، مها الكردى، ١٩٧٦) ، (John ، ١٩٧٩)، محمد بيومى، ١٩٨٠)، (Anne ، ١٩٨٤)، (إيمان القماح، ١٩٨٣)، (سهير كامل ١٩٨٧) تأخر عمر الابتسام أو انعدامه (Rheingold ، ١٩٥٦)، (Geurtz ، ١٩٨١)، والانسحاب من المواقف والخجل والانطواء، وانعدام المبادرة

والاستطلاع وفقدان الاهتمام باللعب. (Spitz ، ١٩٤٦)، (Ruben ، ١٩٥٧)، (Tizard & Ress ، ١٩٧٥)، (Hetherington ، ١٩٧٩)، (Juben ، ١٩٨٠)، (Mussen ، ١٩٨٨١)، (Kathering ، ١٩٨٣). ونجد هناك نوعاً من الضعف والاستسلام للآخرين. (إبراهيم الدسوقي، ١٩٨٢)، (جوزيف جورج، ١٩٨٨) فهناك نوع من الاعتمادة الزائدة. (Goldfarb، ١٩٤٤)، (Hetherington ١٩٧٩)، (Mordecal ، ١٩٨٣)، (سهير كامل، ١٩٩٤) ونجد تأخر واضح فى اكتساب الدور الاجتماعى. (Fry ، ١٩٨٣) وانعدام للغيرة والمنافسة. (فرويد ودان، ١٩٤٢)، (مرزوق عبدالمجيد، ١٩٩٠). وعدم تقبل الآخرين لهم. (مها الكردى، ١٩٧٦) وتمركز شديد حول الذات. (Neal ، ١٩٦٦).

وهكذا فقد أصبح من الواضح فى هذا المجال أن أكثر الجوانب تأثراً بالحرمان من الأسرة والوالدين هى تلك الاستجابات التى يتم اكتسابها عن طريق التفاعل والتى تكون متضمنة فيه، مثل اللغة والاستجابية الاجتماعية، فيبدو أنها أكثر عرضة للتأثر بالحرمان، فالاستجابة الاجتماعية ومهارات النمو والتفاعل الاجتماعى تتطلب بالضرورة وجود تفاعل دائم بين الطفل وأشخاص آخرين بشكل متبادل ومستمر. (جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٢١٥، ٢١٦).

(٢) عدم النضج والاضطراب الانفعالى :

تشير نتائج البحوث عامة إلى أن الحرمان من الأسرة والتواجد بمؤسسات الإيداع لفترة طويلة له آثار مدمرة للنواحى الانفعالية للأطفال ولصحتهم النفسية، وتتفق نتائج البحوث على أن هناك مجموعة من السمات الانفعالية المضطربة تميز هؤلاء الأطفال يمكن إبرازها على النحو التالى :

عدم الثبات الانفعالى وتقلب الحالة المزاجية مما يدل على عدم النضج الانفعالى. (Harlow ١٩٧١)، (Josef ، ١٩٧٨)، (Julia ، ١٩٨٠)، (Mussen ، ١٩٨١)، (سهير كامل، ١٩٨٧)، (نبيلة ميخائيل، ١٩٨٩)، (مرزوق عبد المجيد، ١٩٩٠) . فنجد زيادة فى الثورات الانفعالية من غضب وصراخ وبكاء واحتجاج وعنف وفزع ليلى. (Spitz ، ١٩٤٦)، (Lowery ، ١٩٥١)، (Hodges ، ١٩٧٠)، (مها الكردى، ١٩٧٦)، (Edward ،١٩٧٩١٩٨٢)، (Mordecal ، ١٩٨٣)، (سهير كامل، ١٩٩٢). أو نجد الانسحاب وجدانياً من الواقع، ورفض هذا الواقع بأكمله وإنكاره، واللجوء الى الخيال والإغراق فى أحلام اليقظة، فنجد نوعاً من العزلة والنفور والبرود الانفعالى. (Gold farb ، ١٩٤٤)، (بثينة قنديل، ١٩٦٤)، (Barnes ، ١٩٧٦)، (مديحة العزبى، ١٩٨٧)،

(رشدى حنين، ١٩٨٧)، (نيفين زيور، ١٩٨٩). وهناك شعور باليأس والعجز وسيطرة مشاعر الكآبة والحزن. (Spitz ، ١٩٤٦)، (Ruben ، ١٩٥٧)، (Mussen ، ١٩٨١)، (إيمان القماح، ١٩٨٣)، (إيمان فوزى، ١٩٨٥)، (رشدى حنين، ١٩٨٧)، (جويف جورج، ١٩٨٨)، (مرزوق عبدالمجيد، ١٩٩٠). ولذا نجد شعور بالقلق والخوف من فقدان الحب والخوف من المستقبل مما يجعلهم غاية فى التوتر وعدم الاستقرار. (Lowery ، ١٩٧٩)، (بثينة قنديل، ١٩٦٤)، (مصطفى سويف، ١٩٦٦)، (Eliezer ، ١٩٦٩)، (Tizard & Ress ، ١٩٧٥)، (Mordecal ، ١٩٨٣)، (آملى صادق، ١٩٩٠)، (عبد الرحمن العيسوى، ١٩٩٠)، (إيمان قائد، ١٩٩١)، فهناك إحساس بعدم الأمان والشعور بالنبذ وعدم تقبل الآخرين لهم، مما يجعلهم يشعرون بالتهديد وعدم رضا عن واقعهم المعاش. (صحى عبد الغفار، ١٩٧٦)، (إيمان فوزى، ١٩٨٥)، (عزة حسين، ١٩٨٥)، (هناء أبو شهبة، ١٩٩٢).

ومما لا شك فيه أن أول عاطفة أو رباط انفعالى يكونه الطفل يكون حول أمه ووالديه أو من يقوم مقامهما من الكبار، فوجود الأم المستمر يساعد الطفل على تكوين عادة انعالية ثابته وصحيحة هو أحوج ما يكون إليها فى تكوينه الانفعالى، إذ تساعده على إتمام عملية الثبوت الانفعالى التى تساعد الطفل فى جميع نواحى نموه الانفعالى، فتبعده عن القلق والخوف والتبلد وما إلى ذلك من أسباب الاضطراب النفسى وإذا ما تقدم الطفل فى السن شرع فى اكتساب نوع من الاستقرار فى حياته الانفعالية، ولعل السبب فى ذلك هو صفة الأمان والطمأنينة التى تسود علاقته بأمه، وهذا الشعور يضفى عليه نوعاً من الجد والرصانة فى علاقاته الانفعالية بغيره. (أحمد زكى صالح، ب.ت، ١٢٣، ١٢٤).

ومن ثم فإن هؤلاء الأطفال المحرومين من الوالدين يعانون نقص أو إنعدام التبادل الانفعالى الموجب بين الطفل وشخص آخر يحتاج إليه ليرعى نموه، وأن إيداع الطفل بالمؤسسة يعنى نقص الفرص المتاحة لتعلم الانواع المعقدة من السلوك الاجتماعى والانفعالى، ونتيجة لهذه يظهرا الأطفال كثيراً من الاعراض مثل الصدمة الانفعالية أو التبلد الانفعالى والقلق ونقص التركيز وعدم الاكتراث بالناس (حامد زهران، ١٩٨٤، ٢٧٥).

(٤) تدهور النمو العقلى :

ويشير الاتجاه العام للنتائج إلى تأخر واضح فى النمو العقلى والمعرفى لهؤلاء الأطفال، فقد أجمعت غالبية البحوث على انخفاض ملحوظ فى نسبة ودرجات الذكاء. (Gold Farb ، ١٩٧٩)، (Spitz ، ١٩٤٥)، (Hodges ، ١٩٧)، (Julia ، ١٩٨٠)، (Mussen ، ١٩٨١)،

(Soren ، ١٩٨٢)، (Pederson، ١٩٨٣)، (سهير كامل، ١٩٨٧)، (جوزيت جورج، ١٩٨٨)، (مرزوق عبد المجيد، ١٩٩٠). ونجد هناك انخفاض وتدهور في القدرة على المدركات العقلية والاستدلال والتفكير المجرد والابتكاري. (Gold Farb ، ١٩٤٤)، (Singh et al ، ١٩٧٠)، (جمال شفيق، ١٩٩٢) كما أنه يتم تشخيصهم أحياناً على أنهم أغبياء أو على حدود الضعف العقلي. (فيلدا لويس، ١٩٦١). كما أنهم متأخرون في نمو وإدراك القواعد الخلقية. (نجوى العدوى، ١٩٨٢).

ونشير إلى أن هذه الدراسات في غالبيتها قد اعتمدت على مقاييس لقياس واستخراج نسب الذكاء في دراسة النمو العقلي، ونرى أن الحرمان من الوالدين في أي صورة من الصور في الطفولة قد يؤثر بصورة واضحة على المستوى الوظيفي للذكاء والتكيف عند الأطفال. (فاروق صادق، ١٩٨٢، ١٤٢) وقد تتدهور نسبة الذكاء نتيجة هذه الظروف بشكل ملحوظ، فالأطفال المحرومون من الوالدين والمودعون بمؤسسات يعيشون في بيئات فقيرة مزدحمة كثيرة الضوضاء، كثيرة الشدة والتغير، خالية من كثير من المثيرات الهامة، والصغار في ظل هذه الظروف أقل احتمالاً لأن يتعرضوا للتعرف على معلومات جديدة أو ان يعرفوا النظام أو أن يتعلموا أن سلوكهم له آثار ونتائج معينة، وهذه الأنشطة جميعها ذات أهمية كبيرة في النمو العقلي والذكاء. (محمود أبو النيل، ١٩٨٧، ٢٣).

(٥) تدهور النمو اللغوى والتحصيل :

يعتبر تأخر النمو اللغوى أكثر أنواع التخلف شيوعاً وأولها ظهوراً في أطفال المؤسسات المحرومين من الرعاية الأسرية منذ عامهم الأول، حيث وجد أن القدرة اللفظية لديهم قليلة، ولا يستخدمون الأصوات في التواصل مع الأخرين، ويرجع هذا التأخر اللغوى إلى ما يفتقده الطفل في المؤسسة من الاستثارة اللغوية المستمرة التى تقوم بها الأسرة عامة والأم خاصة. (Provence & Ritvo ، ١٩٧٥، ١٩١- ١٩٢).

ومن أبرز جوانب التدهور والاضطراب في النمو اللغوى كما أشارت البحوث هى غياب عملية المناغاة وتأخر النطق وقصور اللغة وصعوبات الكلام. (Gold Farb ، ١٩٤٤)، (Lowery ، ١٩٥١)، (Rulen ، ١٩٥٧)، (Hodges ، ١٩٧٠)، (Harlow ، ١٩٧١)، (عبد الرقيب البحيرى، ١٩٩٠) فنجد تخلفاً شديدا في النمو والحصيلة اللفظية. (سعد للوم، ١٩٧٣)، (Mussen ١٩٨١)، (Lamish، ١٩٨٢)، (عبد المنعم حسيب، ١٩٩٠) وكذلك نجد تخلف وتأخر في الإنجازات التعليمية واللغوية (ضحى عبد الغفار، ١٩٧٦)، (Soren ، ١٩٨٢)، (مرزوق عبدالمجيد، ١٩٩٠).

(٦) اضطراب مفهوم الذات :

لقد أصبح شائعاً أن من أبرز خصائص وسمات الأطفال المحرومين تماماً من الأسرة هو مفهوم الذات السلبى، بل حتى النقص فى هذا المفهوم، فالطفل قد لا يدرك أنه شخص، أو حتى أن له اسماً يميزه عن الآخرين. (Smart ، ١٩٨١، ١٧٧). فهؤلاء الأطفال يتأخرون في الإحساس والشعور بالذات، كما تضطرب الأنا الجسمية أو صورة الجسم لديهم، وذلك نظراً لفشلهم فى نضج أنشطة "إثارة الذات" من تفحص فى أجزاء الجسم (رفع الرجل، اللعب باليد وتفحصها ومصها، لمس الجسم... وهى جميعها أنشطة تساعد الطفل في التعرف عل ذاته. (Provece & Ritvo ، ١٩٧٥، ١٩٣).

ومن أوضح مظاهر الاضطراب في هذا المجال كما أشارت نتائج البحوث : انخفاض وتدهور مفهوم الذات. (Eliezer ، ١٩٦٩)، (Harlow ، ١٩٧١)، (Bush ، ١٩٧٧)، (Barish ، ١٩٧٩)، (مديحة العزبى، ١٩٨٠)، (محى الدين توق وعلى عباس، ١٩٨١)، (سميرة شند، ١٩٨٣). وكذلك نجد صورة سلبية للذات تتجهف بالدونية وعدم الثقة وانخفاض تقدير الذات وعدم تقبلها. (Kathering ، ١٩٨٢)، (أنور فتحى، ١٩٨٢)، (Anne ، ١٩٨٤)، (رشيدة عبد الرؤوف ، ١٩٨٥)، (بدرينة محمد، ١٩٨٨)، (إيمان قائد، ١٩٩١). وتمتد هذه النظرة إلى جسم الطفل وجنسه، وتشويه صورة الجسم. (إيمان القماح، ١٩٨٣)، (نيفين زيور، ١٩٨٩) ونجد اضطراب في تقمص الدور الجنسى، حيث نجد التقليد والتوحد بالنموذج الانثوى وانخفاض درجة الذكورة. (Ruben ، ١٩٥٧)، (Hetherington ، ١٩٧٩)، (Kathering ، ١٩٨٢)، (إيمان فوزى، ١٩٨٥)، صلاح الدين عبد العظيم، ١٩٩١) ونجد توحداً بالنموذج الأنثوى لدى الإناث بصورة أكبر عما هو مألوف. (عبد الرقيب البحيرى، ١٩٩٠)، (صلاح عبد العظيم، ١٩٩١).

(٧) الاضطرابات السلوكية :

إذا كنا نعلم أن مفهوم الذات عامل أساسى وهام ويتحكم فى السلوك البشرى، ويقوم بدور فعال فى تنظيم هذا السلوك .. فإنه يصبح من المقبول أنه إذا اضطرب مفهوم الذات لدى الفرد، فإن سلوكه بالضرورة سوف يضطرب حيث أن الفرد يسلك وفقاً لما يتصور نفسه عليه، وفقاً لتصوره عن ذاته وتصوره عن نظرة الآخرين له.

وتشير نتائج البحوث إلى أن المشكلات والاضطرابات السلوكية لدى الأطفال المحرومين من الوالدين تتمثل أساساً فى السلوك العدوانى والعنيف نحو الذات والآخرين. (Gold Farb ، ١٩٤٤)، (Spitz ، ١٩٤٦)، (Harlow ، ١٩٧١)، ('etherington ، ١٩٧٩)، (Edward ،

١٩٨٢)، (Mordecal ، ١٩٨٣)، (عزة حسين، ١٩٨٥)، (سلوى شوقي، ١٩٩٠) فنجد سيطرة الاتجاهات السيكوباتية والسلوك المضاد للمجتمع مثل السرقة والاستيلاء على ممتلكات الغير، أو تدمير الممتلكات الشخصية والغيرية (Gold Farb ، ١٩٤٤)، (Harlow ، ١٩٧١)، (Wolkind ، ١٩٧٤)، (Mordecal ، ١٩٨٣)، (جوزيت جورج، ١٩٨٨)، ونجد هناك اندفاعية وحركة زائدة وتمرد وعصيان وإخلال بالنظام. (Gold Farle، ١٩٤٤)، (Ruben ، ١٩٥٧)، (Hodges ، ١٩٧٠)، (Wolkind ، ١٩٧٤)، (Traus ، ١٩٨١)، والكذب والغش (Ruben ، ١٩٥٧)، (عزة حسين، ١٩٨٥). وعدم التحكم في البول والبراز وقضم الأظافر. (Lowery ، ١٩٥١)، (Wolkind ، ١٩٧٤)، (Barnes ، ١٩٧٦)، (بثينة قنديل، ١٩٦٤) ونجد انخفاض القدرة على التركيز، ومحاولة جذب الانتباه والاهتمام، وبعض الميول الجنسية المثلية. (Tizard & Ress ، ١٩٧٥)، (Soren ، ١٩٧٩)، (إيمان فوزي، ١٩٨٥)، (عزة حسين، ١٩٨٥)

(٨) إمكانية استخدام البرامج العلاجية والإرشادية :

وفيما يتعلق بهذا الجانب من الدراسات لم نجد، فيما أتيح لنا، سوى بضع دراسات قليلة. (عبد الصبور سعدان، ١٩٨٠)، (Perse ، ١٩٨٠)، (عزة الألفي، ١٩٨٦). وقد أسفرت هذه الدراسات في مجملها عن إمكانية العلاج والتخفيف لكثير من الآثار الضارة الناتجة عن الحرمان من الرعاية الوالدية، حيث أحرزت فنيات التحليل النفسي العلاجية تقدماً في التقليل من آثار الصدمة النفسية من جراء الانفصال عن الوالدين وفقدان الرعاية ، هذا إلى جانب نجاح التدخل بالعلاج الأسري في تحسين التوافق الشخصي والاجتماعي للأطفال المضطربين، كما أتضح أن العلاج الجماعي قد ساعد على التغلب على ما يعانيه هؤلاء الأطفال من شعور بالتعاسة والنبذ، كما أدى العلاج باللعب إلى الإحساس بمشاركة الآخرين، إلى جانب أن العلاج السيكودرامي قد ساعد في التخلص من الإحساس بالنبذ والتعاسة، وقد اتضح كذلك وجود مؤشر وإمكانية لتنمية بعض قدرات التفكير الابتكاري لهؤلاء الأطفال (جمال شفيق، ١٩٨٢) باستخدام برامج إرشادية معدة لهذا الغرض.

تعليق عام على الدراسات السابقة : -

يمكننا بعد أن استعرضنا ما شمله حصرنا وأتيح لنا الاطلاع عليه من دراسات دارت فى فلك موضوع البحث الحالى، أن نخرج ببعض الدلالات ذات الأهمية فى هذا المجال .-

أولا – ذلك المدى الواسع الذى تؤيد به نتائج هذه الدراسات بعضها البعض، فهناك ما يشبه الاتفاق والإجماع التام حول ما أسفرت عنه هذا البحوث من نتائج، وذلك على الرغم من تعدد الباحثين القائمين بها، وتعدد أطرهم النظرية واختلافها، وأختلاف وتعدد وسائلهم وأدواتهم ومناهجهم التى اتبعوها، وكذلك إختلاف خصائص الأطفال الذين تعرضت لهم هذه الدراسات، هذا فضلا عن امتداد الفترة الزمنية التى شملتها تلك الدراسات الى ما يقرب من نصف القرن. فما نجده من افتقاد بعض الدراسات التى الدقة والإتقان أو ضبط بعض المتغيرات نجده مستكملاً فى اتفاق المجموع.

ولعل ذلك يرجع – نظرياً على الأقل - إلى أن هناك ما يجمع بين البشر جميعاً من حيث الخصائص النفسية، مع التسليم بأن هناك ما يميز كل فرد وأخر، أو جماعة وأخرى من تلك الخصائص، نظراً لاختلاف ظروف التنشئة والمؤشرات والمؤثرات التى يتعرض لها كل فرد. (قدرى حفنى، ١٩٧٨، ١٣١) .

ثانيا– يمكن تقسيم هذه الدراسات التى أجريت على الأطفال للحصول على الأدلة والنتائج التى تؤيد أن الحرمان من محبة الوالدين والعلاقة معهم فى باكورة الطفولة له اثر بالغ على الصحة العقلية وعلى نمو الشخصية إلى ثلاث أنواع رئيسية من الدراسات هى :-

أ – الدراسات المباشرة : وهى الدراسات المبنية على الملاحظات المباشرة للصحة العقلية وتطور نمو الأطفال فى المؤسسات والمشافى ودور الرعاية.

ب – الدراسات الاسترجاعية: وهى الدراسات التى تستقصى التاريخ المبكر للمراهقين والكبار ممن يتعرضون لأمراض نفسية ومشاكل سلوكية نتيجة حرمانهم من الوالدين فى الطفولة.

جـ– الدراسات التتبعية: وهى التى تتبع مجموعات من الأطفال الذين قاسوا الحرمان فى مستهل حياتهم بغية تحديد صحتهم العقلية والنفسية.

ثالثا– إذا نظرنا إلى طبيعة المراحل العمرية التى درس فيها أثر الحرمان من الوالدين على الطفل – وفى حدود ما أتيح للباحث - فإنه يمكن تصنيف غالبية هذه الدراسات الى -

أ - دراسات أجريت على الأطفال الرضع حديثى الولادة وفى طور المهد.

ب - دراسات أجريت على الأطفال فى مرحلة الطفولة المتأخرة.

جـ- دراسات أجريت على المراهقين والكبار بقصد التعرف على تأثير الحرمان الذى عانوه فى طفولتهم.

والهدف من التلميح بالتصنيف السابق، ليس إنكار وجود دراسات تناولت مرحلة الطفولة المبكرة، أو إدعاء ذلك، بل هو توضيح أن الدراسات التى كانت تهم الباحث فى مرحلة الطفولة المبكرة والتى تناولت الحرمان من الوالدين معاً قليلة إلى حد بعيد - وخاصة الدراسات المحلية - وقد أشرنا إلى ذلك من قبل - وهذا ما تنفرد به الدراسة الحالية من حيث تناولها للأطفال فى هذه المرحلة العمرية الهامة.

كذلك نجد أن الدراسات التى كانت تهم الباحث في المقام الأول، والتى تتعلق بمفهوم الذات أو اضطرابات السلوك قليلة إلى حد بعيد، وقد سبق أن أشرنا اليها - هذا الى جانب ان بعضها كان عن تأثير الحرمان من أحد الوالدين فقط وليس الوالدين معاً... والبعض الآخر كان يتناول أعماراً متقدمة،. فليس هناك بين هذه الدراسات دراسة واحدة تناولت مفهوم الذات أو اضطرابات السلوك لدي الأطفال المحرومين من الوالدين معاً فى فئة العمر التى تتناولها الدراسة الحالية.

كذلك نجد أن بعض هذه الدراسات قد تناولت الأطفال المحرومين من الوالدين بالدراسة دون وجود جماعة مرجعية ضابطة من الأطفال فى أسرهم الطبيعية، وأرجعت النتائج إلى الحرمان من الوالدين فقط . بالرغم من أن الحرمان فى ذاته ليس سبباً وحيداً لما يعانيه الطفل - بل هناك كذلك الظروف المحيطة به والتى تعقبه من عدم توفر البدائل الوالدية الكافية، والإيداع بدور الرعاية والمؤسسات بما تنطوى عليه من ظروف غير سوية وشاذة ... وكلها عوامل تعد هى الأخرى مسئولة عن معاناة الطفل. وهذا ما وضعته الدراسة الحالية فى الإعتبار عند اختيار عينة البحث، وسيضعه الباحث كذلك نصب عينيه عند تفسيره لما تسفر عنه الدراسة من نتائج.

وعموماً، فإن هذه الدراسات قد أسفرت عن نتائج غاية فى الثراء وذات دلالات خطيرة تنتج عن الحرمان من الوالدين، وقد سبق تناول هذه النتائج بالتفصيل .. ولكن نود التأكيد هنا على نقطتين نرى أنهما من الأهمية بمكان فى هذا الموضوع هما

- ان العلاقة بين الأم والطفل ليست علاقة غريزية فطرية كما قد يفهم البعض، بل يمكن أن يقيم الطفل هذه العلاقة مع بديلة جيدة للأم مع إهماله وجود الأم الحقيقية... فالمهم هنا هو الوالديه أو الامومة وليس الأم، أو بتعبير "هيلين دويتش" فيما أورده "جيرسيلد" الوالدية النفسية" وليس "الوالدية البيولوجية" ... ونجد فى التراث الشعبى للأمثال" الأم هى اللى ربت مش اللى ولدت ".
- النقطة الثانية ذات الأهمية هى إمكانية علاج هؤلاء الأطفال المحرومين والتخفيف من معاناتهم النفسية والنهوض بقدراتهم المختلفة باستخدام إجراءات علاجية وبرامج إرشادية مختلفة – وقد أوضحت الدراسات هذه الإمكانية – ولعل ذلك يبرز إسهام البحث الحالى من حيث أن دراسة الأطفال فى هذه السن المبكرة قد يساعد علي التعرف على معاناتهم منذ البداية مما يساعد على رسم الخطط العلاجية والبرامج الإرشادية لتدارك هذه الآثار قبل أن تتأصل فى شخصية الطفل ويصعب استئصالها فيما بعد..

وفى النهاية فقد أجمعت هذه البحوث فى مجملها على أهمية العلاقة بين الطفل وأسرته فى تكوين شخصيته، وأوضحت ما ينجم عن غياب هذه العلاقة من آثار بالغة السوء – ولهذا فإن "جون بولبى" لا يبالغ فيما ذهب إليه "إن الحياة في أسرة ولو كانت متداعية، خير من إبعاد الطفل عن الحياة الأسرية ولو إلى حياة فى مستوى أقتصادى أفضل".

ثانياً - فروض الدراسة :

انطلاقا من هدف الدراسة الحالية وفى ضوء الإطار النظرى والبحثى للدراسة، قام الباحث بوضع فرضان عامان على النحو التالى :-

أولا - الفرض العام الأول :

"هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الأطفال المحرومين من الوالدين (فى الأسر البديلة، وفى المؤسسات) ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى اضطرابات السلوك".

ويشتق منه الفروض الفرعية الآتية :

(١) هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فى اضطرابات السلوك.

(٢) هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى اضطرابات السلوك.

(٣) هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فيما يتعلق بمتغيرات الاضطرابات السلوكية كما يقيسها الاختبار المستخدم.

(٤) هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بمتغيرات الاضطرابات السلوكية كما يقيسها الاختبار المستخدم.

ثانياً - الفرض العام الثاني :

" هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الأطفال المحرومين من الوالدين (فى الأسر البديلة وفى المؤسسات) ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى مفهوم الذات".

ويشتق منه الفروض الفرعية الآتية : -

(٥) هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فى مفهوم الذات.

(٦) هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فيما يتعلق بأبعاد مفهوم الذات كما يقيسها الاختبار المستخدم.

(٧) هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الاسر الطبيعية فى مفهوم الذات.

(٨) هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بأبعاد مفهوم الذات كما يقيسها الاختبار المستخدم.

الفصل الرابع

الإجراءات الميدانية للدراسة

الفصل الرابع

الإجراءات الميدانية للدراسة

بعد بناء أو صياغة الفروض – والتى انتهينا منها فى الفصل السابق – فإنه من الضرورى للباحث أن ينتقى أو ينشئ الاختبارات التى سوف تحدد من خلال ما يجريه من تجارب وملاحظات ما إذا كانت مترتبات الفرض تحدث حقيقة، وأن يجرى هذه الاختبارات ويجمع بها الحقائق التى سوف تؤيد الفرض أو تدحضه. *(فان دالين، ١٩٩٠، ٢٣٠)*، وهذه الادوات أو الاختبارات لابد بالضرورة من إجرائها على مجتمع ما هو المستهدف لجمع البيانات حوله، وهو ما نطلق عليه عينة البحث، ومن ثم فسبيلنا الآن هو عرض لإجراءات الدراسة من العينة وشروط اختيارها والأدوات المستخدمة وما يتعلق بها من بيانات حول كفاءتها أو ما اصطلح على تسميته بالثبات والصدق.

اولا - *العينـــة :*

نظراً لأن الدراسة الحالية تهدف إلي المقارنة بين الأطفال المحرومين من الوالدين ومودعين بالمؤسسات والأطفال المحرومين من الوالدين ومودعين بأسر بديلة، وكذلك مقارنة أطفال الأسر البديلة بأطفال الأسر الطبيعية، فقد أقتضى ذلك أن يقوم الباحث باختيار مجموعات ثلاث من الأطفال تمثل عينة الدراسة الحالية :

(أ) **المجموعة الأولى** : وهى لمجموعة أطفال الأسر البديلة – وتكونت من (٤٠) طفل وطفلة (١٩ ذكور، ٢١ إناث).

(ب) **المجموع الثانية** : وهى مجموعة الأطفال المودعين بالمؤسسات، وتكونت من (٤٠) طفل وطفلة (١٩ ذكور ، ٢١ إناث).

(جـ) **المجموعة الثالثة** : وهى مجموعة الأطفال فى الأسر الطبيعية – وتكونت هذه المجموعة من (٤٠) طفل وطفلة (١٩ ذكور، ٢١ اناث).

وبالتالى أصبح العدد النهائى لعينة البحث الحالى (١٢٠) طفل وطفلة موزعين على المجموعات السابقة، وقد تم اختيار أطفال كل مجموعة على النحو التالي : –

قام الباحث بحصر لحالات أطفال الأسر البديلة فى فئة السن المعنية بالدراسة وهى مرحلة ما قبل المدرسة (٣- ٦ سنوات) وذلك عن طريق مديرية الشئون الاجتماعية بمحافظة القاهرة (إدارة الأسرة والطفولة). ومما يجدر الإشارة إليه أن الباحث قد لاقى صعوبة كبيرة فى سبيل الحصول على بيانات هؤلاء الأطفال.. وبعد محاولات ووساطة بعض الزملاء نجح الباحث في إستخراج خطابات موافقة موجهة إلى سبع إدارات يتوفر فيها سن العينة المطلوب، إلى جانب أن بعضها يتميز بكثافة عددية لهؤلاء الأطفال إلى حد ما.

تم الإتصال بالإدارات السبع لتحديد عدد الأطفال فى الأسر البديلة وفى فئة العمر المعنية بالدراسة، وذلك من خلال سجلات الأسر البديلة الموجودة داخل كل إدارة - وبعد شرح الهدف من البحث وما سوف يقوم به الباحث، تمت الموافقة على إجراء البحث بمرافقة الاخصائية الاجتماعية للباحث أثناء زيارة الأسر، فيما يسمى بخط السير(*).

هذا وقد بلغ عدد الأطفال فى الأسر البديلة فى هذه الإدارات وفى فئة السن المطلوبة (٤٩) طفل وطفلة كانوا متواجدين أثناء إجراء البحث، قام الباحث باختيارهم جميعاً بطريقة مقصودة دون الحاجة إلى الإختيار العشوائى - فالعينة فى هذه المجموعة عينة مسحية - إن جاز التعبير - ومن خلال الزيارات الميدانية لتطبيق الأدوات تم إستبعاد عدد (٩) أطفال لم تنطبق عليهم شروط العينة فى هذه المجموعة كما حددها الباحث - وكما سيأتى ذكرها- وقد تمثلت أسباب إستبعاد هؤلاء الأطفال فى عدة أسباب يمكن إجمالها فى إصابة بعض الأطفال باصابات شديدة تصل إلى حد الإعاقة مثل العرج (نظراً لقصر أحد الساقين نتيجة عملية جراحية اجريت للطفل بعد العثور عليه، وتعرضه لنهش الكلاب قبل العثور عليه، أو إصابة الطفل بحساسية صدرية مزمنة - أو أن الطفل لم يمض على ضمه للأسرة عام حتى يمكن أن تألفه الأسرة ويألفها - وتم إستبعاد (٧) أطفال لهذه الأسباب، كذلك تم إستبعاد طفلين نظراً لأنه كانت هناك أسباب أدبية واجتماعية وراء رفض الأسرتين إجراء البحث، كما أن الأسرتين قد قامتا بالحصول على حكم " بثبوت نسب" الطفل إليها، وأقفل ملفه رسمياً فى وزارة الشئون الاجتماعية، وكانت الأسرة الأولى لشخص ذو مركز بالمعاش متزوج من فتاة تصغره بعد وفاة زوجته، ولا تعرف زوجته الجديدة حقيقة الطفلة، وخاصة أنها في الأوراق الرسمية أبنة له

وللزوجة المتوفاة. والأسرة الثانية مدير مدرسة ثانوية ورفض إجراء البحث خوفاً من أن يعرف أقاربه الذين قدموا ليعيشون معه في نفس المنزل حقيقة وضع الطفل - وقد قدر الباحث هذه الأسباب بل واحترم رغبة الأسرتين فى عدم التعاون مع الباحث وهو حق يجب أن يكفل لأى فرد مستهدف لبحث أو دراسة. وبالتالى أصبح العدد النهائى للأطفال فى الأسر البديلة (٤٠) طفل وطفلة (١٩ ذكور، ٢١ إناث) انطبقت عليهم شروط عينة أطفال الأسر البديلة وهى :

١ - أن تتراوح سن الطفل من ٣ - ٦ سنوات.

٢ - أن يكون قد مضى على ضم الطفل للأسرة عام على الأقل حتى يكون قد كون نوعاً من الألفة والارتباط بالأسرة - وكذلك يكون هناك شعور متزايد لدى الأسرة بأن الطفل هو ابنهم ويصبح من الممكن التعرف على شخصيته.

٣ - أن تشتمل العينة على أطفال من الجنسين.

٤ - أن يكون خالياً من الأمراض المزمنة والإعاقات المختلفة

٥ - أن تتراوح نسبة ذكاء الطفل من ٩٠ - ١١٠ على اختبار الذكاء المستخدم.

ويوضح الجدول رقم (٨)

توزيع أطفال الأسر البديلة من حيث العدد والسن والجنس فى الإدارات الاجتماعية

الإدارة الاجتماعية	السن والجنس						ذكور	إناث	المجموع
	٣ - ٤ سنوات		٤ - ٥ سنوات		٥ - ٦ سنوات				
	ذكور	أناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث			
شبرا	-	-	-	-	١	١	١	١	٢
الساحل	-	١	١	١	٥	١	٦	٣	٩
الشرابية والزاوية	١	١	٣	١	٢	٣	٦	٥	١١
روض الفرج	-	-	١	-	-	-	١	-	١
الوايلى	-	-	١	٢	١	٥	٢	٧	٩
ابدين	-	١	١	١	-	١	١	٣	٤
غرب القاهرة	١	-	-	-	١	٢	٢	٢	٤
المجموع	٢	٣	٧	٥	١٠	١٣	١٩	٢١	٤٠

ومما يجدر الإشارة إليه أن أطفال الأسر البديلة - فى حدود عينة البحث - ينتمون فى غالبيتهم لأسر أقل من المتوسط من حيث الأحوال المعيشية والظروف السكنية، وبعض هذه الأسر ذات ظروف صحية غير ملائمة - نظراً لكبر السن، وهناك عديد من هذه الأسر منجبة ولديها أطفالها الطبيعيون - وإن كان هناك بعض الأسر - ولكنها قليلة - تعد أسر مناسبة من حيث ظروف المعيشة والتعليم والسكن .. لرعاية الطفل بداخلها، وهى نماذج إيجابية للأسر البديلة ويجب متابعتها وإرشادها وتشجيعها.

إما فيما يتعلق بأطفال المؤسسات، فقد تم حصر المؤسسات التى تقع فى نطاق الإدارات السابقة والتى تضم أطفالا فى مرحلة ما قبل المدرسة وذلك عن طريق إدارة الأسرة والطفولة داخل كل إدارة - وتم الحصول على خطابات موافقة موجهة لهذه المؤسسات التى بلغ عددها (١٢) مؤسسة تضم أطفالا فى هذه السن.

تم الاتصال بهذه المؤسسات لمعرفة وتحديد الأعداد الفعلية للأطفال المودعين بها في هذه السن لإختيار من تنطبق عليهم شروط إختيار هذه المجموعة والتى سوف نوضحها بعد - وتم شرح الغرض من البحث والمهام التى ستجرى مع الطفل والمشرفة داخل المؤسسة للمسئولين عن هذه المؤسسات، وقد رفضت بعض المؤسسات التى تتبع النشاط الأهلى اجراء البحث (٣ مؤسسات) - وأخيراً تم الاستقرار على عدد (٩) مؤسسات حصل الباحث على موافقتها لاجراء البحث - وقد بلغ عدد الأطفال المودعين بها فى سن ما قبل المدرسة (٥٢) طفل وطفلة أخذهم الباحث جميعاً ضمن عينة البحث - وأثناء الاطلاع على بيانات الأطفال داخل هذه المؤسسات أثناء العمل الميدانى تم استبعاد مؤسسة بها طفلين فى عمر ٦ سنوات، نظراً لأنها كانت دار للضيافة والاقامة المؤقته وتستقبل الأطفال الضالين أو المطرودين من ذويهم ويقيمون بها لحين تسليمهم لذويهم أو اتخاذ إجراء رسمى حيالهم، وكذلك استبعد الباحث عدد (٣) أطفال أتضح أنهم على علاقة بأحد الوالدين (الأم أو الأب) أى ليس حرمانهم كاملاً من الوالدين - كما تم استبعاد طفلين نظراً لتواجدهم أثناء العمل الميدانى فى غرفة العزل لإصابتهم بأمراض معدية - وكذلك تم استبعاد طفلة واحدة انخفضت نسبة ذكائها عن الحد المطلوب - وبالتالى أصبح العدد النهائى لأطفال هذه المجموعة انطبقت عليهم شروط العينة (٤٤) طفل وطفلة - وفى محاولة المماثلة بين هذه المجموعة والمجموعة السابقة تم استبعاد طفل واحد ذكر، وثلاث أطفال إناث، وبالتالى أصبح العدد الفعلى لأطفال هذه المجموعة (٤٠) طفل وطفلة (١٩ ذكور ، ٢١ إناث) انطبقت عليهم شروط اختيار هذه المجموعة وهى -

١ - أن لا يكون الطفل على علاقة أسرية من أية نوع (فقدان تام للوالدين).
٢ - أن يكون قد مضى على إيداع الطفل بالمؤسسة عام على الأقل.
٣ - أن تكون مشرفة الطفل تعمل معه منذ ٦ شهور على الأقل وليست حديثة عهد به حتى تكون على وعى ودراية بسلوك الطفل داخل المؤسسة.
٤ - أن يتراوح سن الطفل من ٣ - ٦ سنوات .
٥ - أن تضم العينة أطفالا من الجنسين.
٦ - أن لا تقل نسبة ذكاء الطفل عن ٩٠ .
٧ - أن يكون الطفل خاليا من الأمراض المزمنة والإعاقات المختلفة.

ويوضح الجدول رقم (٩)

توزيع أطفال المؤسسات من حيث العدد والسن

والجنس في المؤسسات

المؤسسة	السن والجنس						ذكور	إناث	المجموع
	٣ - ٤ سنوات		٤ - ٥ سنوات		٥ - ٦ سنوات				
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث			
العشيرة المحمدية	-	-	٢	٢	٢	١	٤	٣	٧
جماعة الإصلاح الإسلامى	-	١	٢	٢	٢	٣	٤	٦	١٠
خالد بن الوليد	-	-	١	-	-	٢	١	٢	٣
جمعية الكرازة	١	-	-	١	-	-	١	١	٢
مؤسسة الاخلاص	١	١	-	-	-	-	١	١	٢
جمعية المسلم الصغير	-	-	-	-	٤	٣	٤	٣	٧
جمعية رعاية الطفولة	-	١	١	-	١	٢	٢	٣	٥
جمعية الهنيدى لتحفيظ القرآن	-	-	١	-	١	٢	٢	٢	٤
المجموع	٢	٣	٧	٥	١٠	١٣	١٩	٢١	٤٠

ونود أن نشير هنا إلى أن هذه المؤسسات تضم أطفالا إلى جانب الأيتام ومجهولى النسب (اللقطاء) أطفالا محرومين من أحد الوالدين فقط وعلى صلة بالوالد الآخر، (حالات الطلاق ويتم أحد الوالدين) وأطفالاً لديهم والدين ولكنهم ذوى ظروف اقتصادية شديدة السوء. وقد أخذ الباحث أطفال عينته من الأطفال المحرمين حرماناً تاماً من الوالدين ، كذلك نجد أن

هناك قصوراً شديداً فى إمكانيات هذه المؤسسات من حيث المبانى والسكن، فغالبيتها عبارة عن مبنى قديم أو شقة أو طابق سكنى ملحق بأحد الجمعيات (أو المساجد) كما أن تأثيث هذه المؤسسات غير مناسب للغاية فهناك بعض المؤسسات تستخدم الأسرة ذات الطابقين للتغلب على ضيق المساحة كما أن كثير منها لا توجد بها أفنية للعب ... الخ حتى مكان الأكل فهو عبارة عن صالة يتم فيها الأكل بشكل جماعى فى توقيت معين.

أما فيما يتعلق بأطفال الأسر الطبيعية، فقد كان الباحث ينوى اختيارهم عن طريق سجلات المواليد بمكاتب الصحة التابعة لكل إدارة من الإدارات السابقة - بيد أنه أثناء مناقشة الباحث مع المشرفة على البحث، أشارت عليه بأن يحاول أخذ أطفال الأسر الطبيعية من داخل الأسر البديلة ذاتها فى نفس السن - وخاصة أن بيانات الأسر البديلة التى تم الحصول عليها تشير إلى أن كثير من هذه الأسر منجبة ولديها أطفالها الطبيعيين - ولما لم يتوفر ذلك إلا فى حالتين فقط فى السن المطلوبة، وقد أخذهما الباحث ضمن عينة الأسر الطبيعية، فقد حاول الباحث الاستفادة من الفكرة المطروحة وقام باختيار أطفال الأسر الطبيعية من نفس منزل الطفل فى الأسرة البديلة - وفى بعض الحالات كان الطفل من نفس شقة الأسرة البديلة، حيث يوجد نظام السكن المشترك، حيث تقطن كل أسرة داخل حجرة فى نفس الشقة وقد وفق الباحث من حيث تواجد كثير من الأطفال فى الأسر الطبيعية فى نفس فئة السن نظراً للتكدس السكانى والكثرة العددية التى تتميز بها تلك المناطق التى تقطنها غالبية الأسر البديلة، مما أتاح للباحث فرصة المماثلة بين المجموعات من حيث السن والجنس والعدد والذكاء بشكل جيد.

وقد تم اختيار أطفال هذه المجموعة استناداً إلى عدة شروط هى -

١ - أن يكون الطفل مقيماً مع والديه (الأب والأم) وليس مع أحدهما فقط أو مع بديل لهم (الجدة مثلاً).
٢ - أن لا يكون الطفل قد سبق وتعرض لخبرة انفصال عن والديه.
٣ - أن يتراوح سن الطفل من ٣ - ٦ سنوات.
٤ - أن لا تقل نسبة ذكاء الطفل عن ٩٠ .
٥ - أن يكون الطفل خالياً من الأمراض المزمنة أو الإعاقات المختلفة.
٦ - أن تشتمل العينة على أطفال من الجنسين.
٧ - أن لا يكون الطفل متردداً على دور الحضانة أو روضات الأطفال.

وقد وضع هذا الشرط استناداً إلى أن أطفال الأسر البديلة فى غالبيتهم غير مترددين على دور الحضانة (٣٤ طفل وطفلة) - وكذلك فإن الأطفال فى المؤسسات يعدون غير مترددين على دور الحضانة، نظراً لأن القائمين على الطفل فى المؤسسة هم فى الغالب الذين يقومون بالدور الذى تؤديه الحضانة، وهو فى غالب الأحوال دور لا يؤدى - وكذلك أثبتت بعض الدراسات أن هناك اختلافا فى توافق الأطفال المترددين على دور الحضانة عن نظائرهم غير المترددين لصالح المترددين . *(منى الحمامى، ١٩٨٠)* بالإضافة الى أن الطفل داخل دار الحضانة وعن طريق معايشته لأقران من سنه وأصغر منه وأكبر منه، فإنه ينقل كثير من أساليب السلوك الاجتماعى والخبرات التى تؤثر على شخصيته ولا تتاح لغير المترددين عليها نقلها من أية بيئة أخرى، *(فوزية دياب، ١٩٨٠، ١٦٨)* ومن ثم فقد وضع هذا الشرط حتى نطمئن إلى عدم تدخله بالتأثير على نتائج الدراسة.

هذا وقل بلغ عدد أطفال الأسر الطبيعية الذين قام الباحث باختيارهم وأنطبق عليهم شرط السن (٥٣) طفل وطفلة، أستبعد الباحث منهم (١٣) طفل وطفلة وذلك لمحاولة المماثلة بينهم وبين أطفال الأسر البديلة والمؤسسات فى السن والعدد والذكاء والجنس بشكل أفضل - وبالتالى أصبح العدد النهائى لعينة أطفال الأسر الطبيعية (٤٠) طفل وطفلة (١٩ ذكور، ٢١ إناث).

ويوضح الجدول رقم (١٠) دلالة الفرق بين مجموعات البحث الثلاث
فيما يتعلق بالسن (بالشهور) ن = ٤٠ د.ح = ٣٩

المجموعـات	المتوسط	الإنحراف المعيارى	قيمة "ت"	دلالة الفرق
أطفال أسر بديلة	٥٩ر٨٨	١٠ر٦٥	٠ر٢١	غير دال
أطفال مؤسسات	٦٠ر٣٨	١٠ر٥٠		
أطفال أسر بديلة	٥٩ر٨٨	١٠ر٦٥	٠ر٥٨	غير دال
أطفال أسر طبيعية	٦١ر٣٨	١٢ر٢٠		
أطفال مؤسسات	٦٠ر٣٨	١٠ر٥٠	٠ر٣٩	غير دال
أطفال أسر طبيعية	٦١ر٣٨	١٢ر٢٠		

ويتضح من الجدول السابق الذى يوضح متوسط العمر فى كل مجموعة وكذلك الانحراف المعيارى لها، أن جميع قيم "ت" الثلاث المستخرجة، والتى توضح الفرق بين هذه المتوسطات غير دالة إحصائياً، مما يعنى تماثل المجموعات الثلاث فيما يتعلق بالسن

ويوضح الجدول رقم (١١) دلالة الفرق بين مجموعات البحث الثلاث
فيما يتعلق بالذكاء ن = ٤٠ د.ح = ٣٩

المجموعـات	المتوسط	الإنحراف المعيارى	قيمة "ت"	دلالة الفرق
أطفال الأسر البديلة	٩٨ر١	٥ر٤٢	٠ر٢٧	غير دال
أطفال المؤسسات	٩٧ر٨	٤ر٤٨		
أطفال الأسر البديلة	٩٨ر١	٥ر٤٢	٠ر٩٤	غير دال
أطفال الأسر الطبيعية	٩٩ر٢	٤ر٩٤		
أطفال المؤسسات	٩٧ر٨	٤ر٤٨	١ر٣١	غير دال
أطفال الأسر الطبيعية	٩٩ر٢	٤ر٩٤		

ويتضح من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الذكاء فى المجموعات الثلاث، مما يعنى تماثل هذه المجموعات من حيث الذكاء.

ادوات الدراسـة : -

وبناء على الهدف من الدراسة وانطلاقاً من الفروض السابق طرحها فى الفصل السابق، فقد قام الباحث باستخدام الأدوات الآتية :

(١) مقياس مفهوم الذات للأطفال فى سن ما قبل المدرسة :

إعداد طلعت منصور – حليم بشاى ١٩٨١

(٢) قائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة Pre- School Behavior Checklist (PBCL)

إعداد : Mc Guire & Richman

تعريب وتعديل الباحث .

(٣) اختيار رسم الرجل – جود أنف – هاريس Good enough- Harris

(٤) استمارة بيانات طفل الأسرة البديلة إعداد : الباحث

(٥) استمارة بيانات طفل المؤسســة إعداد : الباحث

(٦) استمارة بيانات طفل الأسرة الطبيعية إعداد : الباحث

وفيما يلى تفصيل لهذه الأدوات المستخدمة فى الدراسة :

(أ) مقياس مفهوم الذات للأطفال فى سن ما قبل المدرسة :

إعداد طلعت منصور ، حليم بشاى :

على الرغم من وجود مقياسين آخرين لمفهوم الذات للأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة (*سعدية بهادر ١٩٨٣*) ، (*ابراهيم قشقوش ١٩٨٣*) إلا أن الباحث قد استقر على مقياس مفهوم الذات للأطفال فى سن ما قبل المدرسة نظراً لما يتوفر فيه من مزايا يمكن إجمالها فى أن الاختبار ليس طويلاً - مثلما فى المقياسين الآخرين - مما لا يثير ملل الطفل ونفوره، كما أن بنود المقياس يمكن أن تنطبق على الأطفال فى مختلف الظروف والأوضاع - وهو ما لم يتوفر فى المقياسين السابقين - فهو لا يتعرض لجوانب تتعلق بنواحى أو ظروف يمكن أن تختلف من أسرة لأخرى أو من بيئة لأخرى، مثل وجود التليفون من عدمه، أو طريقة تشغيل لعبة معينة - فهى بنود يمكن أن تتميز بنوع من العمومية ، هذا إلى جانب أن الصور المصاحبة لعبارات المقياس بسيطة ومألوفة، فهى شائعة ومعروفة للطفل (العلم والبالون) وملونة وجذابة، كما أنها لا تحوى تفاصيل كثيرة يمكن أن تؤثر على انتباه الطفل وفهمه للعبارات - وهو ما لم يتوفر فى مقياس قشقوش - بالإضافة الى ذلك فإن العبارات تتميز بالسهولة والوضوح - على عكس عبارات مقياس سعدية بهادر- كما أتضح من تجريب الباحث لها على بعض الأطفال (١٢ طفل وطفلة، طفلان فى كل مستوى عمرى) بأستثناء عبارة واحدة (البند رقم ١٠) والذى يقول " الطفل الذى معه البالون يحب نفسه " "الطفل الذى معه العلم لا يحب نفسه" فرغم أن البند يقيس جانباً انفعالياً فى مفهوم الطفل عن ذاته وهو رضائه عن نفسه، إلا أن بعض الأطفال فى الأعمار الكبيرة (٦ سنوات) كانوا يفهمون العبارة بأعتبارها صفة غير حميدة، وبالتالى كانوا يختارون السمة السلبية على أنها الإختيار الواجب والصحيح - وبالرجوع إلى واضع المقياس (طلعت منصور) لاستشارته فى تعديل العبارة، أشار على الباحث أن يستخدم مع الأطفال الذين يدركون العبارة بهذا المعنى السابق صيغة آخرى مثل "الطفل اللى معاه البالون مبسوط من نفسه" .:. ومن ثم أستقر الباحث على استخدام هذا المقياس.

وصف المقياس وطريقة إجرائه :

يتألف المقياس أساساً من (٣٥) زوجاً من العبارات، هذه العبارات تصف طفلا يمسك "البالون" وطفلا يمسك "العلم" وفقا لسمات أو خصائص أو مشاعر معينة، ويتضمن كل زوج من العبارات، عبارة إيجابية وأخرى سلبية - فعلى سبيل المثال "الطفل الذى يمسك البالون فرحان" "والطفل الذى يمسك العلم حزين". وعند إجراء الاختبار، يعرض على الطفل مع كل زوج من العبارات شكلين مرسومين بطريقة كاريكاتورية بسيطة فى لوحة واحدة، أحدهما للطفل الذى

يمسك البالون والآخر الذى يمسك العلم، وبعد قراءة كل زوج من العبارات للطفل ، يجرى سؤاله كى يحدد أى من الطفلين يشبه (أو يشبهها) أكثر - ومن المحتمل أن يشير الطفل إلى أحد الرسمين أو يعبر عن ذلك لفظياً.

وتتضمن بنود الاختبار كلمات قليلة بقدر الإمكان، فيتراوح طول الجملة من خمس الى عشر كلمات، بمتوسط ٧ر٦ كلمة لطول الجملة، والغرض من ذلك هو تقليل أثر عامل النسيان عند الطفل لمحتوى العبارة بسبب طولها، كذلك تقدم البنود والرسوم بشكل مختلط وفقاً لتناوب اختلاف لون البالون والعلم واختلاف وضع الشخص فى الرسم وذلك لتقليل إحتمال تكوين الطفل "لحالة استجابة" - بمعنى أن يختار الطفل دوماً الطفل الذى معه العلم أو البالون فى كل مرة . كذلك يتضمن كل زوج من العبارات عبارة إيجابية وأخرى سلبية، وهذه الإجراءات لا تشجع الطفل على تكوين "حالة استجابة" كما إنها لا تشجعه على الانتباه للتفاصيل غير الهامة.

ويلاحظ أن البنود الخمسة الأولى من المقياس هى بمثابة بنود تمهيدية لتهيئة الطفل على حسن التوجه فى البنود الأساسية الأخرى للمقياس. وقد تكونت هذه البنود التمهيدية على شاكلة البنود الأساسية، إلا أنها تستخدم فقط كبنود تهيئة للاستجابة لمثيرات المقياس وطريقة إجرائه، لذلك فإن هذه البنود الخمسة الأولى تتطلب من الطفل أن يستجيب لحقائق ملموسة واضحة يمكن للباحث أن يتحقق منها - مثال ذلك "الطفل الذى معه العلم له يدان" "الطفل الذى معه البالون ليس له يدان". والغرض من تضمين هذه البنود التمهيدية هو التأكد من فهم الطفل لتعليمات المقياس ولإجراءاته ولاستجابيته لمثيرات المقياس - وبناء على ذلك يقرر الباحث ما إذا كان الطفل سوف يستمر فى الإجابة على البنود الاساسية للمقياس.

ويتكون المقياس من خمسة أبعاد، وفيها يلاحظ أن كل بعد من أبعاد مفهوم الذات عند الأطفال فى هذا المقياس يتضمن بندين غير متكررين وبندين متكررين - وهذه الأبعاد هى :

- الذات الجسمية : وتتضمن البنود رقم (١٢، ٢٠، ٨، ٣٣، ١٣، ٢٩)
- نظرة الطفل إلى علاقاته بالرفاق : وتتضمن البنود (١٧، ٢٤، ٧، ٢٦، ١٨، ٢٢) .
- نظرة الطفل إلى علاقاته بالكبار : وتتضمن البنود (٢٣، ٣٠، ٩، ٢٨، ١٦، ٣٢) .
- نظرة الطفل الى تعلمه : وتتضمن البنود (٢٥، ٢٧، ٦، ١١، ١٩، ٣١).
- الذات الانفعالية : وتتضمن البنود (١٥، ٢١، ١٠، ٣٤، ١٤، ٣٥).

طريقة الإجـــراء :

يجرى المقياس مع الطفل بطريقة فردية – ويجب أن يتم الإجراء في مكان تقل فيه عوامل الضوضاء والتشتت، إلى جانب ضرورة خلق جو من الصداقة والوئام مع الطفل، وأن يتحقق من فهم الطفل لتعليمات المقياس وعباراته، ويراعى جيداً تقديم هذه التعليمات والعبارات الى الطفل بلغة مألوفة يفهمها بيسر ونتأكد من فهمه لها.

وحينما نقوم بتقديم هذا المقياس للطفل نقول له " يرحب الفاحص بالطفل ويذكر إسمه بصوت ونبرة فيها إهتمام بالطفل ثم يقول له ".. عندى لعبة سوف تعجبك – هنا ترى طفلاً ومعه علم" ونشير إلى صورة الطفل الذى معه العلم – وهنا ترى طفلاً ومعه البالون ونشير الى صورة الطفل الذى معه البالون ".. والآن أريد منك أن تضع أصبعك على الطفل الذى معه البالون والطفل الذى معه العلم وذلك بالإشارة الى كل منهما حينما نطلب منه ذلك، نستمر فى إتباع بقية التعليمات، وعند كل استجابة صحيحة يقررها الطفل علينا أن نشجعه. ثم نمضى بعد ذلك فى تقديم التعليمات ونقول للطفل " والآن سوف أحكى لك بعض الأشياء عن كل طفل وأريد منك أن تقول لى من هو الطفل الذى يكون مثلك فى الغالب" ونقوم بقراءة كل زوج من العبارات للطفل، والمهم أن تنقل العبارة للطفل بلغة مفهومة لديه ونتأكد من فهمه لها.

وعلينا أن نراعى عند تقديم الصور الإيضاحية الأربعة الخاصة بالطفل الذى معه العلم والذى معه البالون، أن نقدم صورة إيضاحية واحدة مع كل زوج من العبارات – وينبغى أن نحتفظ بالصور الإيضاحية الأربعة كمجموعة مكومة فوق بعضها وفقاً لأى نظام يراه الباحث – وأن نقدم مع كل زوج من العبارات صورة إيضاحية مختلفة وهكذا ... ونلاحظ أنه بعد تقديم كل زوج من العبارات نسأل الطفل " من هو الطفل الذى يكون مثلك فى الغالب" ونقوم بتسجيل إجابة الطفل فى صحيفة الإجابة وذلك بأن نعمل دائرة حول الحرف الملائم للإجابة التى أجاب بها الطفل :

ب وتعنى الطفل الذى معه البالون.

ع وتعنى الطفل الذى معه العلم.

ج وتعنى السمة الإيجابية التى يختارها الطفل.

س وتعنى السمة السلبية التى يختارها الطفل.

وعلينا أن نراعىّ قراءة كل عبارة بنبرة صوت محايد ، بدون تأكيد على أى من الجانبين السلبى أو الإيجابى، أى بدون إيحاء بإجابة معينة، وإذا أجاب الطفل على أحد العبارات بقوله

"لا أعرف" نقول له حسناً ... من هو الطفل الذى يشبهك أكثر ؟ وإذا ظل لا يعطى إجابة للسؤال، ننتقل للعبارة التالية، ولكن علينا أن نسجل تلك الإستجابة فى القسم الخاص بالملاحظات فى صفحة الإجابة ... أما إذا كان الطفل يرفض التعاون في الاستجابة على هذا المقياس، علينا إستبعاد تطبيق المقياس عليه، على أن يتم ذلك بطريقة ودية لا يتضح منها ثمة عقاب موجه للطفل نتيجة لذلك.

حساب الدرجات على المقياس :

تحسب نقطة واحدة لكل بند من البنود الخمسة الأولى التى يجيبه عليها الطفل إجابة صحيحة – ويمثل المجموع الكلي للإجابات الصحيحة درجة الاختبار التمهيدى – وابتداء من البند رقم (٦) إلى البند (٣٥) يعطى لكل بند عليه علامة النجمة (★) نقطة أو درجة واحدة إذا اختار الطفل السمة الإيجابية (ج) من عبارتى البند – أما البنود التى ليس عليها علامة النجمة والتى يختار فيها الطفل السمة الإيجابية فتعطى درجتان أو نقطتان ويمثل مجموع الدرجات التى يحصل عليها الطفل للبنود من (٦) إلى (٣٥) الدرجة الكلية لمفهوم الذات عند الطفل. ويلاحظ أن البنود من (١) إلى (٥) لا تدخل فى درجة مفهوم الذات – ووفقاً لذلك أيضاً يمكن حساب الدرجة على كل بعد من الأبعاد الخمس – وكذلك يمثل مجموع أزواج البنود التى أعطى الطفل لكل بندين متكررين فيها إجابة واحدة درجة الإتساق التى يحصل عليها الطفل فى هذا المقياس – وأزواج البنود المتكررة هى (١١/٦) (٢٦/٢٧) (٢٨/٩) (٢٤/١٠) (٣٣/٨) (٢٩/١٣) (٣٥/١٤) (٣٢/١٦) (٢٢/١٨). (طلعت منصور، حليم بشاى ، ١٩٨١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الباحث الحالى قد قام بإضافة اسم البعد الذى تنتمى إليه العبارة فى ورقة الإجابة حتى يسهل التعامل مع الدرجات بشكل مباشر وبسيط بالنسبة لكل بعد دون الرجوع لدليل المقياس فى كل حالة لمعرفة البعد الذى تنتمى إليه العبارة – مثال (الطفل الذى معه البالون ضعيف) (البند رقم (٨) جسمى) وهكذا، وبالتالى يسهل جمع درجة كل بعد من ورقة الإجابة مباشرة – كذلك إعادة ترتيب البنود في ورقة الإجابة حسب تسلسلها المنطقى فى كراسة الأسئلة – وهى كانت غير مسلسلة تسلسلاً منطقيا فى أصل ورقة الإجابة – لعل مرجع ذلك خطأ مطبعى – مما يعرض للخطأ عند حساب الدرجة الكلية – وقد أقر "معد المقياس" طلعت منصور" هذا التدخل البسيط فى المقياس.

ثبات المقيـــاس :

قام معدا المقياس بدراسة لحساب ثبات المقياس وذلك على عينة من الأطفال فى دولة الكويت قوامها (١١٨) طفل وطفله بمعادلة سبيرمان - براون .. وكان معامل ثبات المقياس وفقاً لهذه الطريقة هو ٧٢ر٠ وهى قيمة مناسبة للتحقق من ثبات المقياس.

كذلك قاما بحساب الثبات عن طريق تضمين عشر أزواج متكررة من العبارات، فإذا كان هناك إتساق فى استجابات الطفل على العبارات المتكررة، كان هذا مؤشراً على ثبات المقياس بالنسبة لهذا الطفل - وقد تم حساب معامل الثبات هذا بالنسبة لعينة قوامها (١١٨) طفل وطفلة - بإيجاد معامل الارتباط لدرجات البنود العشر المتكررة فى الإجراء الأول ودرجاتها فى الاجراء الثانى، وذلك بطريقة إعادة الاختبار بفاصل زمنى قدره ثلاث أسابيع - وكان معامل الثبات المحسوب هو ٦٨٥ر٠ وهو معامل ثبات لا بأس به فى مثل هذه المقاييس فى هذه المرحلة المبكرة من تطور نمو الطفل. *(حليم بشاى، طلعت منصور، ١٩٨١ ، ٢٥)* .

هذا وقد قام الباحث الحالى بالتأكد من ثبات المقياس بالنسبة للدراسة الحالية باستخدام المقياس مع عينة قوامها (٣٦) طفل وطفلة فى سن ما قبل المدرسة (١٢ طفل وطفلة فى كل مجموعة من مجموعات البحث الثلاث)(*). تنطبق عليهم شروط ومواصفات العينة الأساسية للدراسة - ثم قام بإعادة تطبيق المقياس مرة أخرى على نفس العينة - بفاصل زمنى قدره أسبوعان (١٥ يوماً). وقد بلغ معامل الارتباط بين درجات الأطفال على المقياس فى المرة الأولى، ودرجاتهم عليه فى المرة الثانية باستخدام معامل ارتباط بيرسون من القيم الخام ٧٣٨ر٠ وهو معامل ثبات يكفى للثقة فى هذا المقياس وهو دال إحصائياً عند مستوى ٠١ر٠ *(محمود أبو النيل، ١٩٨٧، ١٧٧)* .

هذا وقد كانت الفروق بين متوسط درجات المرة الأولى (٧٨ر٣٠) ومتوسط درجات المرة الثانية (٢٨) من التطبيق فروق غير دالة إحصائياً - فقد بلغت قيمة "ت" المستخرجة (٨٩١ر١) وهى قيمة غير ذى دلالة.

كذلك وفى خطوة أخرى قام الباحث بإيجاد معامل الارتباط بين درجات البنود العشرة المتكررة فى التطبيق الأول ودرجاتها فى التطبيق الثانى، فكان معامل الثبات المستخرج هو ٧٩ر٠ مما يشير إلى ثبات المقياس.

(*) كان هناك (٦) أطفال ذكور، (٦) أطفال إناث موزعين بالتساوى على فئات العمر المختلفة

صدق المقيــــاس :

اعتمد معدا المقياس فى دراستهما لحساب الصدق على عدة طرق وذلك على العينة السابقة (١١٨ طفل وطفلة) فقاما باستخدام :

(١) **الصدق المنطقى** : حيث قام الباحثان بتحليل أبعاد مفهوم الذات وبصفة خاصة فى سن ما قبل المدرسة تحليلاً يحدد عناصره، ثم وضعت العبارات التى تمثل هذه العناصر، ثم عرضت هذه العبارات التى تنتمى إلى كل بعد من الأبعاد الخمسة لقياس مفهوم الذات عند الأطفال فى سن ما قبل المدرسة على مجموعة من المتخصصين بغرض إختبار صدق تمثيلها لمفهوم الذات – ولم يكن هناك اختلاف بين هؤلاء المحكمين فيما عدا تعديل بعض الكلمات كى تكون واضحة بالنسبة للإطفال في هذه السن(*).

(٢) **الصدق الذاتى** : كذلك قام الباحثان بحساب معامل الصدق الذاتى فى دراستهما وذلك باستخراج الجذر التربيعى لمعامل الثبات المستخرج (٦٨٥ر٠)، وقد بلغ معامل الصدق الذاتى ٨٢٧ر٠ وهو معامل مرتفع بدرجة تكفى للثقة فى المقياس.

(٣) كذلك قام الباحثان بحساب الصدق البنائى عن طريق ما يعرف بالتجانس الداخلى للاختبار، لأنه يقيس مدى تماسك المفردات باختبارها. وقد جرى حساب معاملات الصدق البنائى على أساس ارتباط كل بند من بنود المقياس بالدرجة الكلية عليه، وقد كانت جميع المعاملات المستخرجة دالة إحصائياً (٢٣ معامل صدق دال عند مستوى ٠١ر٠) (٧ معاملات دالة عند مستوى ٠٥ر٠) وكلها معاملات مرتفعة تكفى للثقة فى المقياس.

كذلك قام معدا المقياس بالتحقق من الاتساق الداخلى بين البنود مع بعضها البعض داخل كل بعد (مقياس فرعى) – وقد كانت جميع معاملات الارتباط المستخرجة بين البنود بعضها البعض داخل كل بعد من الأبعاد الخمسة للمقياس دالة عند مستوى ٠١ر٠ (ماعدا معاملين كانا دالين عند مستوي ٠٥ر٠) مما يشير إلى أن هناك ترابطاً واتساقاً بين الوحدات المكونة للمقياس سواء داخل كل مقياس فرعي أو بين المقاييس الفرعية. *(طلعت منصور، حليم بشاى، ١٩٨١، ١٩– ٢٤)* .

أما بالنسبة للدراسة الحالية فقد قام الباحث بالتحقق من صدق المقياس على عينة قوامها (٣٦ طفل وطفلة) فى سن ما قبل المدرسة تنطبق عليهم شروط ومواصفات العينة الاساسية للدراسة وذلك باستخدام :

الصدق التركيبى للمقياس :

إن صدق الاختبار يعتمد اعتماداً مباشراً على صدق مفرداته، وذلك لأن أى زيادة فى صدق المفردات تؤدى إلى زيادة صدق الاختبار، ويقاس صدق المفردات بحساب إرتباطها بالميزان، وقد يكون الميزان داخلياً أو خارجياً، ونعنى بالميزان الداخلى الاختبار الذى يشتمل على تلك المفردات. *(فؤاد البهى، ١٩٧٩، ٦٣٩)* . كما يقرر البعض كذلك . *(Anastasi، ١٩٨٨، ١٤٧)*، *(محمد عبد السلام، ب.ت ، ٢٩٣)* أن الإتساق الداخلى هو مقياس لتجانس الاختبار، كما أنه يساعد على تحديد وتمييز مجال السلوك المراد قياسه، كما أن درجة تجانس الاختبار لها علاقة أو تعكس صدقه التركيبى.

ومن ثم فقد قام الباحث بحساب معاملات ارتباط المفردات (البنود) بالميزان الداخلى (الدرجة الكلية للاختبار) وكانت معاملات الصدق المستخرجة كما هى موضحة بالجدول رقم (١٢).

ويتضح من الجدول أن جميع هذه المعاملات دالة إحصائياً - منها (١٦) معامل صدق دال عند مستوى ١٠ر) (١٤ معامل صدق دال عند مستوى ٠٥ر٠) وهى كلها معاملات مرتفعة بدرجة تكفى للثقة فى المقياس.

جدول رقم (١٢)

يوضح معامل الصدق التركيبى لمقياس مفهوم الذات ن = ٣٦

رقم البند	الصدق الداخلى	مستوى الدلالة
٦	٠ر٢٥٠	٠ر٠٥
٧	٠ر٢٨٧	ر٠٥
٨	٠ر٢٨٩	٠ر٠٥
٩	٠ر٢٩٢	ر٠٥
١٠	٠ر٢١٢	٠ر٠٥
١١	٠ر٥٢١	ر٠١
١٢	٠ر٢٦٢	٠ر٠٥
١٣	٠ر٦٨٠	ر٠١
١٤	٠ر٧١٩	ر٠١
١٥	٠ر٤١٦	ر٠٥
١٦	٠ر٦٣١	ر٠١
١٧	٠ر٧١٦	ر٠١
١٨	٠ر٥٠٩	ر٠١
١٩	٠ر٢٧٣	ر٠٥
٢٠	٠ر٧٠٤	٠ر٠١
٢١	٠ر٥٢٧	ر٠١
٢٢	٠ر٤٨٨	ر٠١
٢٣	٠ر٣٩٢	ر٠٥
٢٤	٠ر٥٢٧	ر٠١
٢٥	٠ر٤٥١	ر٠١
٢٦	ر٣٠٤	ر٠٥
٢٧	٠ر٦٥٣	ر٠١
٢٨	ر٢٥٢	ر٠٥
٢٩	٠ر٥٠٩	ر٠١
٣٠	٠ر٤٢٢	ر٠١
٣١	٠ر٢٦٤	ر٠٥
٣٢	٠ر٥٩٢	٠ر٠١
٣٣	٠ر٥٠٩	٠ر٠١
٣٤	٠ر٤٠١	ر٠٥
٣٥	٠ر٢٨٩	ر٠٥

(٢) الصدق الذاتي :

وهو صدق الدرجات التجريبية للاختبار بالنسبة للدرجات الحقيقية التى خلصت من شوائب أخطاء القياس - وبذلك تصبح الدرجات الحقيقية للاختبار هى الميزان الذى ننسب إليه صدق الاختبار - ويقاس بحساب الجذر التربيعى لمعامل الثبات للاختبار. *(فؤاد البهى، ١٩٧٩، ٥٥٣)* . ولما كان معامل ثبات المقياس المستخرج بطريقة إعادة الاختبار هو ٧٣٨ر٠ فإن معامل الصدق الذاتى للمقياس هو ٨٥٩ر٠ وهو معامل مرتفع بدرجة تكفى للثقة فى المقياس.

(٣) قائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة :

Pre- School Behavior Checklist (PBCL)

أعد هذا الاختبار فى الأصل "جاكولين ماك جوير وناومى ريتشمان " MC Guire & Richman ١٩٨٨ - وقد قام الباحث بنقلها إلى العربية لاستخدامها فى الدراسة الحالية.

ويرجع السبب الأساسى لاختيار هذه القائمة - إلى جانب أنها كانت متاحة للباحث ضمن مجموعة أخرى من اختبارات الأطفال - إلى تلك الندرة فى الأدوات الموضوعية المناسبة لطفل ما قبل المدرسة، مما يجعل هناك حاجة شديدة وملحة لإيجاد هذه الادوات تصميماً وتعريباً.. وفيما يتعلق بالاختبارات والمقاييس التى تتعرض لمشكلات واضطرابات الاطفال السلوكية فى هذه السن المبكرة فلم يجد الباحث - فيما أتيح له - سوى مقياس واحد هو "مقياس السلوك التوافقى" الذى أعده "نيهيرا وليلاند" ونقله إلى العربية صفوت فرج وناهد رمزى ١٩٨٥[*]. ومن هنا كانت محاولة الباحث استخدام هذه القائمة التى تصلح للأطفال فى هذه السن المبكرة .. هذا إلى جانب ما تتميز به القائمة من سهولة ويسر فى إجرائها ورصد درجاتها وتصحيحها، مما يجعلها أداة مفيدة سهلة الاستخدام بالنسبة للقائمين على رعاية الطفل سواء داخل فصول الروضة أو داخل المؤسسات الأخرى.. فالقائمة تمد القائمين على الطفل بمعلومات وبيانات عن الطفل الذى يكون مدعاة للاهتمام من خلال تقييم موضوعى وتمدهم بأساس لتقرير ما إذا كانت هناك حاجة للتدخل الخاص نظراً لوجود سلوكيات مشكلة وخطيرة يتم تحديدها فى مرحلة مبكرة من العمر.

(*) هناك ترجمة أخرى للمقياس أعدها فاروق صادق ١٩٨٥ باسم "مقياس السلوك التكيفى".

كما أن السلوكيات التى تغطيها القائمة تمثل ما يعتقد القائمون على الطفل أنها ذات أهمية شديدة لهم وللأطفال – هذا إلى جانب أن القائمة تمكن القائمين على الطفل من إجراء بعض المسوح لكل الأطفال داخل العديد من المؤسسات التربوية، وبالتالى تساعد في التخطيط، فهذه المسوح من خلال استخدام القائمة يمكن أن تعطى مؤشراً لسمات وخصائص الأطفال السلوكية ونوع التدعيمات المطلوبة لهم... وأخيراً فإن القائمة هى أداة بحثية ذات فائدة لمقارنة معدلات السلوكيات المشكلة أو المضطربة فى أوضاع مختلفة، إلى جانب أنها تتضمن سلوكيات يسهل على القائمين على الطفل داخل الأسرة أو فى أى جماعة أخرى ملاحظتها ورصدها أثناء التعامل اليومى مع الطفل.

وصف القائمـــة :

تحتوى القائمة على مجموعة من البنود (٢٢) بنداً أو سؤالاً.

خمس أسئلة تتعلق بالاضطرابات أو الصعوبات الانفعالية مثل . "طلب الاهتمام بشدة"، "الشكوى والحساسية الزائدة" " إنعدام السعادة (التعاسة) والخوف.. وخمس أسئلة تتعلق بالمشكلات السلوكية الظاهرة والتى تنعكس على علاقات الطفل بالآخرين مثل : "صعوبة القياد"، "التشاجر"، "عرقلة وإعاقة نشاط الجماعة والآخرين" ، "الإغاظة والكيد"، "السلوك التدميرى". إلى جانب سؤال يتعلق بفحص "نوبات الغضب" . أما القدرة على التركيز واللعب البناء فقد وضعت لها ثلاث أسئلة : مستوى النشاط (سلوك السبات، النشاط الزائد) والتركيز ، والشرود وثلاث أسئلة تتعلق بعلاقات الطفل الاجتماعية التى تمدنا بمؤشر هام عن تكيف الطفل فى وضع جماعى : سلوك الانسحاب، عدم الحديث مع الأطفال الآخرين أو مع الراشدين، والمحبوبية (ما إذا كان الطفل) محبوباً من الآخرين أم لا). وأخيراً خمس أسئلة تركز على الكلام واللغة، العادات ، تبليل الفراش وتلويث الملابس. ولكل سؤال من الأسئلة الاثنى وعشرون ثلاث أوصاف سلوكية تشير إلى عدم وجود مشكلة، أو وجودها بشكل متوسط أو وجودها بشكل حاد.

كيفية ملء القائمة وتطبيقها :

ينبغى أن تطبق القائمة مع أو بواسطة فرد وثيق الصلة بالطفل، وعلى وعى ودراية بسلوكه سواء كان من الوالدين أو أحد القائمين على رعايته – وكما قلنا فالقائمة تتكون من ٢٢ بنداً تصف سلسلة من السلوكيات، وعند ملء القائمة يجب التفكر فيما عليه سلوك الطفل فى آخر أسبوعين، وفى أحدث استجاباته للناس والأحداث وبالنسبة لكل بند يجب أن تقرأ كل الوصوف السلوكية ثم يتم اختيار السلوك الذى يمثل أدق وصف للطفل فى الوقت الراهن - وينبغى أن لا

يترك أى سؤال بدون إجابة، ويجب تسجيل أى ملاحظات يبديها مصدر المعلومات عن سلوك الطفل.

تصحيح القائمة ورصد الدرجات :

ينبغى أن تصحح القائمة باستخدام مفتاح التصحيح المعد لذلك (الملاحق) ومعظم البنود لها ثلاثة أوصاف سلوكية تمثل : لا توجد مشكلة، أو هناك سلوك مشكل بدرجة قليلة، أو هناك سلوك مشكل بشكل واضح حاد. وهذه الفئات لها توزيع درجات يتراوح من صفر، ١ ، ٢.. وتجمع درجات البند أو السؤال في المربع الجانبى الموجود فى مفتاح التصحيح والخاص بالبند، وتجمع هذه الدرجات معاً لتعطى الدرجة الكلية للقائمة. ولتسهيل رصد الدرجات فقد صمم مفتاح التصحيح بحيث يوضع على ورقة الاسئلة ويأخذ السؤال الذي تمت الموافقة عليه الدرجة الموضوعة على مفتاح التصحيح بعد إنطباقه على ورقة الأسئلة وظهور السؤال المعين من المفتاح.

وفيما يتعلق بالسؤال رقم (٩) فإنه توجد درجتان فرعيتان، واحدة تتعلق بالراشدين أو العاملين مع الطفل) والأخرى تتعلق بالأطفال. وتستخدم الدرجة الفرعية الأعلى كدرجة البند الكلية .. وبالنسبة للبند رقم (٢٢) فإن العادات الثمانية ترتب كالتالى : صفر، ١، ٢ اعتماداً على شدة العادة - وللحصول على الدرجة الكلية لهذا البند فإننا نحسب المجموع الكلي للدرجات الفرعية الثمانية ثم نستخدم مفتاح التصحيح بعد ذلك للحصول على الدرجة الكلية لهذا البند، فإذا كان مجموع الدرجات الفرعية الثمانية من صفر - ١ تعطى للبند درجة (صفر)، ومن ٢ - ٣ تعطى للبند درجة (١)، ومن ٤ فاكثر تعطى للبند درجة (٢). ويجب ن نلاحظ أن الدرجة المرتفعة على القائمة تعنى أنخفاضاً فى السلوك التوافى أو تعكس عدداً من السلوكيات المشكلة، والدرجة العظمى المحتملة للبنود الإثنى وعشرين هى (٤٤) درجة. (MCGuire & Richman ، ١٩٨٨)

صلاحية القائمة :

بعد أن قام الباحث بنقل القائمة إلى اللغة العربية - قام بمراجعة الترجمة مع بعض المتخصصين، وتم تعديل بعض الكلمات وتعديل صياغة بعض العبارات بناءاً على ما أشار به هؤلاء المتخصصون قام البلحث باستخدام القائمة مع مجموعة من مشرفات رياض الأطفال ومشرفات المؤسسات الإيوائية وكذلك بعض الامهات.. وأسفر ذلك عن تفضيل استخدام اللغة

العامية أثناء ملء القائمة مع مصدر المعلومات - ولم تكن هناك صعوبات فهم عبارات القائمة... ولعل ذلك يرجع الى أن هذه البنود تمثل سلوكيات شائعة ومألوفة لدى الأطفال داخل أى ثقافة وفى أوضاع مختلفة.

ثبات القائمـــة :

نظراً لحداثة القائمة فلم يجد الباحث بيانات تتعلق بثبات وصدق القائمة سوى بعض الدراسات التى قام بها معدا القائمة لتحديد مدى صلاحيتها.

فقد استخدمت القائمة على عينة قوامها (١٠٨) طفل وطفلة من دور الحضانة (٤٨ طفل، ٦٠ طفلة) بمتوسط عمرى قدره ٥ر٤٨ شهر - حيث قام اثنان من العاملين مع الطفل باستيفاء القائمة لكل طفل، وهو ما يطلق عليه الثبات الداخلى للمصححين أو ثبات المصححين inter- rater reliability - ولم يكن هناك إختلاف دال إحصائياً بين متوسط درجات مجموعتى المصححين، فمتوسط الدرجات للمصحح الأول هو (٨ر٦)، وللمصحح الثانى (٥ر٦)، وكانت قيمة (ت) ٧٧ر٠ وهى غير دالة. كما أن الاتفاق العام بين كل أثنين من المصححين والذي تم التعبير عنه بمعامل إرتباط بيرسون كان ٦٨ر٠ وهو دال عند مستوى ٠٠٦ر٠

وفيما يتعلق بثبات المصححين على الدرجات الفردية (المنفصلة) فقد حسب الارتباط للتقديرات التى أجريت بواسطة اثنين من المصححين (العاملين) لكل بند - وكانت الاتفاقات جيدة تماماً لكل البنود، وكانت أفضل الارتباطات هى المتعلقة بالتدميرية، صعوبة القياد، عرقلة الآخرين، ضعف التركيز.

ويوضح الجدول (١٣) الارتباطات بين درجات البند كما سجلها المصحح (أ)
وتلك التي سجلها المصحح (ب) ن = ١٠٨ متوسط العمر ٤٨ر٥ شهر

البنـــد	الارتباط	البنـــد	الارتبـاط
النشاط الزائد	٦٠ر٠	الانسحاب من الأقران	٥٤ر٠
غير محبوب من الاقران	٥٦ر٠	الأنين	٣٦ر٠
التبول فى الملابس	٦٥ر٠	الحساسية	٤٩ر٠
التبرز فى الملابس	٥٦ر٠	التشاجر	٣٤ر٠
ضعف التركيز	٦٥ر٠	السبات	٥٣ر٠
صعوبة القياد	٨١ر٠	عرقلة الأخرين	٦٦ر٠
طلب الاهتمام	٦٤ر٠	اليأس	٤٦ر٠
الكلام غير الواضح	٦٩ر٠	الإغاظة والمكايدة	٥٧ر٠
التردد فى الحديث مع الراشدين	٤٧ر٠	الانسحاب من الراشدين	٣٥ر٠
التردد فى الحديث مع الأطفال	٥٨ر٠	التدميرية	٧٥ر٠
التردد في الحديث عامة	٥٢ر٠	الخـوف	٥٦ر٠
نوبات الغضب	٥٨ر٠	العادات الشاذة	٢٣ر٠

ويلاحظ أن جميع البنود ذات دلالة (١ إلى ٢١ دالة عند مستوى ٠٠١ر٠) والبند رقم (٢٢ دال عند مستوى ٠١ر٠ .

كذلك قام معدا القائمة بحساب ثبات القائمة باستخدام طريقة إعادة الاختبار وذلك على عينة مكونة من (٨٢) طفلاً وطفلة (٣٤ بنتاً ، ٤٨ ولداً) بمتوسط عمرى قدره ٤٣ر٧ شهراً وانحراف معيارى ١٨ر١ شهراً، وقد تم استيفاء القائمة لكل طفل مرتين بواسطة نفس الفاحص بعد مضى أسبوعين من المرة الأولى - ولم يكن هناك اختلاف دال إحصائياً بين متوسط الدرجات (المرة الأولى ٩ر١، المرة الثانية ٨ر٤) وكانت قيمة (ت) ٨ر٠ وهى غير دالة - وكان معامل ارتباط بيرسون بين التقديرين ٨٨ر٠ وهو دال عند مستوى ٠٠١ر٠

هذا وقد بلغ معامل الثبات بطريقة التقسيم النصفى لسبيرمان - بروان ٨٣ر٠ مما يشير إلى إتساق المقياس داخلياً مما يعنى ثباته بشكل مرضى. وباستخدام معامل " ألفا لكرونباخ "

كان الارتباط ٨٣ر٠ مما يعكس اتساقاً داخليا جيداً للقائمة. (McGuire & Richman، ١٩٨٨، ١٥، ١٦) .

ثبات القائمة فى البحث الحالى :

أما فيما يتعلق بحساب ثبات القائمة فى الدراسة الحالية فقد قام الباحث باستخدام القائمة مع عينة مكونة من (٣٦) طفلاً وطفلة. ومن خلال إعادة تطبيق القائمة مع نفس مصدر المعلومات بعد مضى أسبوعين من المرة الأولى، لم يكن هناك إختلاف دال بين متوسط درجات المرة الأولى (٣٦ر١٣) ومتوسط درجات المرة الثانية (١٤ر١٢) وكانت قيمة "ت" المستخرجة هى "٧٢٩ر٠" وهى غير دالة إحصائياً.

وباستخدام معامل ارتباط بيرسون من القيم الخام، كان معامل الثبات المستخرج هو ٧٤ر٠ وهو معامل يكفى للثقة فى القائمة ، فهو دال عند مستوى ١٠ر٠ .

صدق القائمـــة :

لقد حسب صدق القائمة بعدة طرق استخدمها معدا القائمة هى :

الصدق العاملى :

وقد أسفر التحليل العاملى لدرجات القائمة على العينة الأصلية التى أجريت عليها دراسة "جاكولين وريتشمان" عن الكشف عن ثلاثة عوامل رئيسية، وقد رؤى أن ينظر إلى التشبع الذى يبلغ أكثر من ٤ر٠ على أنه التشبع الملائم – وفيما يلى العوامل التى خرج بها معدا القائمة والبنود المشبعة على كل منها تشبعاً ملائماً

العامل الأول : السلوك القلق أو المضطرب restless conduct

البنـــود	التشبعــات
النشاط الزائد	٦٦ر٠
عدم المحبوبية	٤٤ر٠
ضعف التركيز	٦٦ر٠
صعوبة القياد	٧٧ر٠
المشاجرات	٥٩ر٠
العرقلة	٧٧ر٠
التدميرية	٧٦ر٠

العامل الثانى : الانعزالية وعدم النضج imature isolated

البنـــود	التشبعـات
عدم وضوح الكلام	٤٣ر٠
الاحجام أو التردد فى الكلام	٧١ر٠
الإنسحاب من الأقران	٦٥ر٠
الشرود	٥١ر٠
الانسحاب من الراشدين أو العاملين	٥٦ر٠

العامل الثالث : الانفعالية emotional

البنـــود	التشبعـات
طلب الاهتمام	٥٠ر٠
الأنين	٥٥ر٠
الحساسية الزائدة	٦٧ر٠
اليأس	٦٧ر٠

حساب الصدق بالإتفاق مع مقياس آخر :

قام الباحثان بتطبيق القائمة على مجموعة من الأطفال بلغت ٧٣ طفلاً وطفلة، وكذلك تطبيق "استبيان سلوك ما قبل المدرسة" الذى أعده "بيهار وسترنجفيلد" Behar & Stringfield– ١٩٧٤ . ثم قاما بمقارنة درجات المجموعة على كل من الأداتين ... وقد كان معامل ارتباط بيرسون ٨٩ر٠ مشيرا إلى اتفاق عالى بين الدرجتين.

كذلك تم التأكد من الصدق التمييزى للقائمة وذلك عن طريق المقارنة بين ثلاث مجموعات مختلفة من الأطفال (مجموعة محولة الى مركز علاجي للاطفال المضطربين سلوكياً (٢٣ طفلا وطفلة) ومجموعة من فصول مدارس الحضانة (١٢٣) طفل وطفلة و ٦٧ طفل وطفلة فى حضانات نهارية– وكان متوسط الدرجات للمجموعات الثلاث هو ١ر١٤ ، ١ر٥ ، ٨ر٩ – وكانت هذه المتوسطات مختلفة عن بعضها البعض بشكل دال، مما يشير إلى أن القائمة تميز بين المجموعات المختلفة وانها تحدد المشكلات السلوكية والانفعالية – وكانت مجموعة أطفال الحضانات النهارية تضم الأطفال الذين أبعدوا عن الأسرة تحت ضغوط معينة، ولهذا فهى تميل لأن يكون لها معدل أعلى من السلوكيات المشكلة

كذلك تم التأكد من صدق القائمة من خلال الملاحظات المستقلة التى قام بها أحد الاخصائيين لمجموعة بلغت (١٦٣) طفلا وطفلة، حيث قضى أياماً عديدة في كل حضانة – وقام بتصنيف سلوكهم على أساس أنه ليست هناك مشكلة، أو أن هناك مشكلة محتملة، أو هناك مشكلة محددة. وقد كان متوسط درجات هؤلاء الأطفال المقسمين الى مجموعات ثلاث على القائمة هو ٢ر٢٤ ، ١ر٩ ، ٠ر١٣) وكانت كل مجموعة تختلف عن الأخرى بشكل دال، مما يشير إلى أن القائمة تحدد أو تعين الأطفال ذوى الدرجات المتنوعة من السلوك المشكل.

وكذلك تم تقدير الأطفال وتقييمهم من خلال إجراء مقابلات مع العاملين معهم لوصف سلوكهم، وقد تم وصف سلوك (١٢٢) طفل وطفلة وتصنيفهم بالأسلوب السابق، وكان متوسط درجات الأطفال على القائمة هو ٤ر٤ ، ٢ر١٠، ٧ر١٣ وكانت كل مجموعة تختلف عن الأخرى بشكل دال – وقد كان الاتفاق بين التصنيفات القائمة على الملاحظة وتلك القائمة على المقابلة عالية – وقد كان الاتفاق العام ٨١٪ مما يشير بشكل واضح الى صدق القائمة. (McGure & Richman، ١٩٨٨، ١٦، ١٨) .

وفيما يتعلق بصدق القائمة فى الدراسة الحالية، فقد قام الباحث باستخدام عدة طرق لتعيين صدق القائمة بالنسبة لعينة الدراسة الحالية على النحو التالي :

الاتساق الداخلى :

وذلك بحساب الارتباط بين درجة البند والدرجة الكلية للقائمة على عينة قوامها (٣٦) طفلا وطفلة لها خصائص ومواصفات العينة الأساسية للدراسة.

ويوضح الجدول رقم (١٤) معاملات الارتباط بين كل بند والدرجة الكلية ودلالتها لقائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة ن = ٣٦

رقم البند	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	رقم البند	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
١	٣٠٦ر٠	٠٥ر٠	١٣	٤٨١ر٠	٠١ر٠
٢	٦٠٥ر٠	٠١ر٠	١٤	٢٦٣ر٠	٠٥ر٠
٣	٤٧٤ر٠	٠١ر٠	١٥	٥٥٤ر٠	٠١ر٠
٤	٤٧٨ر٠	٠١ر٠	١٦	٣٦٦ر٠	٠٥ر٠
٥	٤٥٤ر٠	٠١ر٠	١٧	٣٥٢ر٠	٠٥ر٠
٦	٤٩١ر٠	٠١ر٠	١٨	٤٥٨ر٠	٠١ر٠
٧	٥٨١ر٠	٠١ر٠	١٩	٣٢٥ر٠	٠٥ر٠
٨	٤٧٨ر٠	٠١ر٠	٢٠	٥٣٣ر٠	٠١ر٠
٩	٤٠٥ر٠	٠٥ر٠	٢١	٤٠٢ر٠	٠٥ر٠
١٠	٥٩٦ر٠	٠١ر٠	٢٢	٣٦٧ر٠	٠٥ر٠
١١	٢٥٢ر٠	٠٥ر٠			
١٢	٥٧٤ر٠	٠١ر٠			

ويتضح من الجدول السابق أن جميع معاملات الصدق المستخرجة ذات دلالة إحصائية، وقد تراوحت معاملات الصدق من ٢٥٢ر٠ فى بند العلاقة مع الأقران، الى ٦٠٥ر٠ فى بند المحبوبية – هذا وكان هناك (١٣ معامل صدق دالاً عند مستوي ٠١ر٠) و (٩ معاملات صدق دالة عند مستوى ٠٥ر٠) وجميعها معاملات تجعلنا نطمئن إلى صدق القائمة فى الدراسة الحالية.

صدق الارتباط بمحك خارجى (الصدق بالاتفاق) :

لما كان من المفيد حساب الصدق بأكثر من طريقة حتى نتأكد من صدق المقياس، فقد قام الباحث باستخدام قائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة مع مقياس السلوك التكيفى (الجزء الثانى) على عينة قوامها (٣٦) طفلا وطفلة لهم خصائص ومواصفات عينة الدراسة الأساسية – وبحساب معامل الارتباط بين درجات الأطفال على القائمة ودرجاتهم على مقياس السلوك

التكيفى باستخدام معامل ارتباط بيرسون، فقد بلغ معامل الصدق ٧٩ر٠ وهو معامل يشير الى صدق القائمة المستخدمة في الدراسة.

الصدق عن طريق المقارنة الطرفية :

نظراً لأنه عندما تدل نتائج الاختبار على أن الأقوياء فى الميزان أقوياء فى الاختبار، وأن الضعاف فى الميزان ضعاف في الاختبار يصبح الاختبار صادقاً – ومن الطرق التى تستخدم لتحقيق ذلك هو مقارنة متوسطات درجات الأقوياء بمتوسطات درجات الضعاف ثم حساب دلالة الفروق بين هذه المتوسطات – وعندما تصبح لتلك الفروق دلالة إحصائية واضحة نستطيع أن نقرر أن الاختبار يميز بين الأقوياء والضعاف فى الميزان، وبذلك نطمئن إلى صدقه. *(فؤاد البهى،* ١٩٧٩، ٥٦٠) .

ومن ثم فقد قام الباحث باستخراج الربيع الأعلى والربيع الأدنى فى إختبار السلوك التكيفى وذلك للكشف عن الأطفال ذوى الدرجات العليا والأطفال ذوى الدرجات السفلى، وبعد فصل كل مجموعة على حدة، تم حساب دلالة الفرق بين متوسط درجات الأطفال فى الربيع الأعلى على قائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة وبين متوسط درجاتهم في الربيع الأدنى على نفس القائمة... هذا وكما يتضح من الجدول رقم (١٥) فقد بلغت قيمة (ت) المستخرجة ٧٦٤ر٤ وهى قيمة دالة عند مستوى ٠٠١ر٠ مما يشير إلى قدرة قائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة على التمييز بين مجموعات مختلفة من الأطفال، الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى صدق هذه القائمة.

ويوضح الجدول رقم (١٥) دلالة الفرق بين متوسط درجات الاطفال

فى الربيع الأعلى ومتوسط درجاتهم فى الربيع الأدنى

الربيع الأعلى ن = ١٠		الربيع الأدنى ن = ٧		قيمة "ت"	مستوى الدلالة
المتوسط	الانحراف المعيارى	المتوسط	الانحراف المعيارى		دال عند
٢٠ر١	٣٤ر٥	٥٧ر٨	٤٢ر٣	٧٦٤ر٤	مستوى ٠٠١ر٠

٣ - اختبار رسم الرجل :

وقد قام الباحث باستخدام هذا الاختبار بهدف تثبيت متغير الذكاء لدى أفراد العينة - كما أنه غير لفظى ولا يعتمد علي اللغة فى أدائه ويصلح لتقدير ذكاء الأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة - كما أنه يمتاز بسهولة تصحيحه - هذا إلى جانب أن الاختبار يجذب الأطفال، فهو يبدو وكأنه لعب مع الطفل ولا يثير رهبة الطفل - بل قد يكون مدخلاً ملائماً لإقامة نوع من الود والألفة مع الطفل مما يساعد علي تطبيق الاختبارات الأخرى المستخدمة معه (اختبار مفهوم الذات) فيما بعد - ونظراً لشيوع الاختبار وشهرته، فلن نتعرض له بالشرح فيما يتعلق بالإجراء والتصحيح - وفيما يتعلق بصلاحية الاختبار من حيث الثبات والصدق، فنؤكد أن الاختبار قد تعرض للعديد من الدراسات التى أوضحت نتائجها ثبات المقياس وصدقه، ويمكن الرجوع الى بعض المصادر فى هذا الخصوص مثل. *(فؤاد أبو حطب، ١٩٧٧، المجلد الأول، ٣٢١- ٣٧٣)، (فاطمة حنفى، ١٩٨٣، ١٢٦- ١٢٩)، (محمد متولى ، ١٩٧٦، ٨٩- ١٨٧)، (Anastasi ، ١٩٨٨، ١٩٨، ٢٩٢).* .

تاريخ إجراء العمل الميدانى وصعوباته :

استغرق العمل الميدانى للدراسة ما يقرب من ثلاثة شهور وعشرة أيام - حيث بدأ الباحث عمله الميدانى فى ١٩٩٢/٦/٥ حتى ١٩٩٢/٦/٢٧، وقد قام الباحث فى هذه الفترة بتطبيق أدوات بحثه على عينة التقنين (٣٦) طفل وطفلة - وقد أستغرق العمل مع هذه العينة حوالى (٢٣) يوماً بشكل مستمر يومياً. وقد قام الباحث بتطبيق قائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة، ومقياس السلوك التكيفى (الجزء الثانى)، ثم قام بتطبيق مقياس مفهوم الذات وكذلك استيفاء استمارة بيانات الطفل... ثم قام الباحث بإعادة تطبيق هذه الأدوات مرة أخري بعد مضى فترة ١٦ يوماً (مقياس مفهوم الذات - قائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة فقط) وذلك لتعين مدى صلاحية هذه الأدوات من حيث ثباتها وصدقها.. وقد استغرقت عملية إعادة التطبيق حوالى عشرين يوماً (الفترة من ١٩٩٢/٧/١٤ حتى ١٩٩٢/٨/٢.. ثم توقف العمل الميدانى بعد انتهاء التطبيق على هذه العينة وذلك لمعالجة النتائج التى تم الحصول عليها فى مرتى التطبيق لتعيين مدى ثباتها وكذلك تعين صدقها بالطرق السابق الإشارة اليها.. وبعد الاطمئنان الى صلاحية أدوات الدراسة أستؤنف العمل الميدانى مع بقية عينة الدراسة (٨٤)[*] حالة - وقد استغرق العمل حوالى سبعة وخمسين يوماً بشكل مستمر يومياً فى الفترة من

(*) لقد قام الباحث بضم نتائج عينة التقنين فى المرة الثانية إلى نتائج بقية العنية الكلية.

١٩٩٢/٨/٧ حتى ١٩٩٢/١٠/٣ باستثناء ثلاثة أيام لزم فيها الباحث الفراش نتيجة اصابته بجرح فى قدمه من جراء وقوعه من سلم أحد المنازل القديمة حيث كان يقابل أحد الأسر البديلة فى حى الوايلى – وقد استغرق العمل الميدانى هذه الفترة الطويلة إلى حد ما نظراً للصعوبة والمشقة التى كان يجدها الباحث فى الوصول إلى محل إقامة الأسر البديلة المعنية بالدراسة، ومما كان يزيد الأمر صعوبة أن أخصائية الأسر البديلة التى يفترض أنها ترافق الباحث فى زياراته الميدانية لهذه الأسر نظراً لمعرفتها التامة بمحل إقامة هذه الأسر وكيفية الوصول إليها – بحكم قيامها بعملية المتابعة المفترضة لهذه الأسر – لم تكن ترافق الباحث رغم قيامها رسمياً بما يسمى "خط السير" باستثناء إدارتى الوايلى وعابدين فقط.

ومن ثم فقد كان الباحث يقضى وقتاً طويلاً فى الوصول الى محل اقامة هذه الأسر، والتى كان بعض منها تقطن مناطق نائية ليس للباحث سابق معرفة بها – إلى جانب أن الباحث فى أحيان كثيرة كان يواجه مشكلة أن بعض الأسر المحيطة بالأسر البديلة كانت تعرف حقيقة الطفل فى هذه الأسر فكانت تكثر من الأسئلة والاستفسارات حول الطفل وأسرته البديلة، ولكن الباحث لم يكن يبدى ما ينبئ عن استهدافه للأسر البديلة بالبحث، بل كثيراً ما كان يبرر زيارته لهذه الأسر البديلة بأنها الأسر التى وقع عليها الاختيار، وأنه سوف يتم اختيار أسر أخرى لديها أطفال فى نفس السن، وأحيانا ما كان الباحث يقوم بمقابلة بعض الاسر الطبيعية التى لديها أطفالاً فى نفس السن قبل مقابلة الأسر البديلة وذلك التزاماً منه بعدم إفشاء حقيقة وضع الطفل حتى ولو كانت حقيقته معروفة لدى بعض الأسر الأخرى.

هذا إلى جانب ما كانت تبديه كثير من الأسر البديلة والطبيعية فى هذه المناطق الشعبية الفقيرة المكتظة بالسكان من استفسارات وقلق تجاه الباحث، الأمر الذى كان يستغرق وقتاً وجهداً فى إفهام هذه الأسر هدف البحث وطبيعة ما يقوم به الباحث. ومما يستلفت الانتباه أن كثيراً من هذه الأسر بعد اطمئنانها إلى الباحث وإلى طبيعة عمله كانت تحاول الاستفادة منه فى كيفية معاملة الطفل وعرض بعض مشكلاته وكيفية التغلب عليها.. ونذكر على سبيل المثال إستفسار كثير من الأسر البديلة عن كيفية إفهام الطفل حقيقة وضعه داخل هذه الأسر والسن المناسبة لهذه العملية – سوف نتعرض لهذه النقطة الهامة عند مناقشة النتائج – إلى جانب القلق الذى ينتاب هذه الأسر حول موقف الطفل منها بعد أن يكبر ويكتشف بشكل ما حقيقه وضعه ... كل ذلك كان يستغرق من الباحث وقتاً وجهداً كبيراً، ففى بعض الأحيان كان الباحث يعمل لمدة سبع ساعات أو أكثر يومياً ولا يقابل سوى أسرتين فقط وأحياناً أسرة واحدة.

وقد كان الباحث يقوم بنفسه بتطبيق أدواته مع الأسرة والطفل، مبتدئاً باختبار رسم الرجل أولا لأنه يتيح للباحث إقامة علاقة ألفة وود مع الطفل نظراً لطرافته وسهولته بالنسبة للطفل، فهو يبدو وكأنه لعب مع الطفل - ثم نتبعه باختبار مفهوم الذات - ثم القيام بتطبيق قائمة سلوك طفل ما قبل المدرسة مع الأم (وكذلك مقياس السلوك التكيفى) وإستيفاء إستمارة البيانات الخاصة بالطفل والأسرة.. وكذلك الأمر فى المؤسسات، وبعد الانتهاء من التطبيق كان الباحث يخبر الأسرة (فى عينة التقنين) بأنه سوف يقوم بإعادة بعض هذه الإجراءات بعد أسبوعان، وقد وجد الباحث كثيراً من الترحيب والموافقة.

وفيما يتعلق بتطبيق الأدوات على أطفال المؤسسات، فقد كان الباحث يقوم بتطبيق أدواته بنفسه مع المشرفات بدلاً من تركها للمشرفة لملء بنود الاختبارات وذلك تحاشياً لتدخل الإدارة فى ملء البنود بشكل غير واقعى أو تحاشياً لأن تقوم المشرفة بملئها بشكل روتينى، كما أن كثيراً من المشرفات كن لا يجدن القراءة والكتابة أو ذوى مستوى منخفض جداً - وقد كان الباحث يقوم بتطبيق الأدوات على الطفل أولاً، ثم يستبقى الطفل فى نفس الحجرة ويقوم باستكمال بقية الإدوات مع المشرفة والطفل يتحرك ويلعب حولها حتى تستطيع المشرفة فى حضوره أن تحدد وتتذكر قدر ما تستطيع سلوكياته التى يبديها.. وبعد الانتهاء كان الباحث يقوم بعرض نماذج من الاختبارات والبيانات التى تم الحصول عليها على مديرى المؤسسة أو على مجلس الادارة حتى يكون هناك نوع من الاطمئنان حول طبيعة ما يقوم به الباحث وحتى يسهل على الباحث الحضور مرة أخرى بعد أسبوعين لإعادة بعض هذه الاختبارات، وقد تم شرح الهدف من إعادة التطبيق مرة أخرى.

ومن الصعوبات التى كان يواجهها الباحث - إضافة لما سبق ذكره فى الجزء الخاص بالعينة وما سبق ذكره تواً - أن كثير من الأسر البديلة (خاصة الأسر المنجبة) كانت تعرف بعضها البعض داخل الإدارات وذلك لأن الأمهات يعملن مرضعات بالوحدات الصحية بأجر، ومن ثم حينما كان ينتهى الباحث من أسرة ويذهب للأسرة الأخرى ، كا يُجد أن الأسرة تعرف بمجيئه عن طريق الأسرة الأولى ولذا كان يقابل بقلق شديد وشئ من المقاومة فى إجراء البحث، وكانت بعض الأسر تفسر الأمر على أنه بمثابة إجراءات لإسترداد الطفل مرة أخرى !! وكان هذا الأمر يستغرق كثير من الجهد والوقت لإقناع الأسر بحقيقة عمل الباحث.

كذلك كانت هناك بعض الأسر البديلة - فى إدارة الوايلى خاصة - فطن أماكن نائية متطرفة (الدويقة - منشية ناصر) وكان الباحث يتعرض لكثير من المضايقات هو والاخصائية

المرافقة له من إدارة الوايلى.. وكثيراً ما كان يتم إيقاف الباحث وإحاطته بالأسئلة الكثيرة والإطلاع على ما يحمله من أوراق، مما كان يثير خوف الباحث وخوف الأخصائية، وخاصة أن المنطقة تبدو غريبة فى تنظيمها، فهى مناطق عشوائية بعيدة متطرفة وكذلك محاولة بعض الأسر (أول أسرة يقابلها الباحث) رفض إجراء البحث تماماً بشكل ملفت للنظر مشوب بالقلق الواضح وكان المبرر وراء ذلك هو عدم أحقية أى جهة في متابعة الطفل والإشراف عليه، نظراً لأنها – أى الأسرة – قامت بثبوت نسب الطفل لها.. وقد أيدت الأخصائية سقوط حق المتابعة للطفل من قبل الشئون الاجتماعية بمجرد صدور "حكم ثبوت النسب"... وبعد جهد كبير فى شرح الهدف من البحث وإقناع الأسرة بأن ما يتم هو مجرد بحث علمى وليس تفتيشاً أو متابعة للطفل، أنتهى الباحث من إجراءاته مع الأسرة.. وبعد ذلك تم الاستفسار عن هذه النقطة من الأخصائية الاجتماعية المرافقة فأخبرته بما يسمى "قضايا ثبوت النسب" التى تقوم بها كثير من الأسر البديلة لنسب الطفل لها، ولقد لفت هذا الأمر نظر الباحث وقام بالإطلاع على بعض المصادر الدينية والقانونية التى تتعرض لمسألة "ثبوت النسب"، ولذا فقد قام الباحث بعرض نظرى مختصر لهذه النقطة فى الإطار النظرى للدراسة.

الفصل الخامس

نتائج الدراسة ومناقشتها

الفصل الخامس

نتائج الدراسة ومناقشتها

اولاً - نتائج الإجابة على الفرض العام الأول :

لقد كان نص الفرض العام الأول مؤداه "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الأطفال المحرومين من الوالدين (فى الأسر البديلة وفى المؤسسات) ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى اضطرابات السلوك.

وللتعرف على هذه الفروق بين مجموعات الدراسة الثلاث قام الباحث باستخدام تحليل التباين ذى الاتجاه الواحد. (*محمود أبو النيل*، ١٩٨٧، ٢٩٢- ٢٩٤)

وبعد ذلك عرض للنتائج المتعلقة بالمقارنة بين كل مجموعة وأخرى باستخدام اختبار "ت" للتحقق من دلالة الفروق بين كل مجموعة وأخرى واتجاه هذه الفروق، كما ورد فى الفروض الفرعية للدراسة. (*محمود أبو النيل*، ١٩٨٧، ١٣١)

ويوضح الجدول رقم (١٦) نتائج تحليل التباين فى اتجاه واحد واختبار "ف" لمعرفة دلالة الفروق بين الأطفال المحرومين من الوالدين (فى الأسر البديلة وفي المؤسسات) وأطفال الأسر الطبيعية فى الاضطرابات السلوكية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	التباين	النسبة "ف"	مستوى الدلالة
بين المجموعات	٢٧ر٥١٤	٢			دال عند
داخل المجموعات	٩٦ر٢٥	١١٧	٨ر٦٦٣	٨١ر١٩	مستوى .
الكلى	٢٣ر٥٤٠	١١٩			٠١ر٠

ويتضح من الجدول السابق وجود فروق جوهرية ذات دلالة احصائية فيما يتعلق بالاضطرابات السلوكية بين مجموعات الدراسة الثلاث. أما عن تحديد اتجاه هذه الفروق بين المجموعات الثلاث كما وردت فى الفروض الفرعية فقد استخدم الباحث اختبار "ت" - وهو ما عرضه الباحث فى الفروض الفرعية.

ونجد أن الاتجاه العام للنتائج يكشف عن وجود فروق جوهرية بين الأطفال المحرومين فى الأسر البديلة، وفى المؤسسات، وأطفال الأسر الطبيعية وأن هذه الفروق كانت فى صالح أطفال الأسر الطبيعية، كما أتضح من نتائج اختبار "ت"

وفى ضوء عينه البحث وفى ضوء محاولة الباحث المماثلة قدر الإمكان - بين مجموعات البحث الثلاث فى هذه العينة ، فإن محاولة تفسير هذه النتائج ينبغى أن تنطلق من منطق المنهج التجريبى الذى يقضى بأن أى فروق جوهرية بين مجموعتين متماثلتين إنما يرجع بالضرورة الى المتغير المستقل وحده. (سهير كامل، ١٩٩٢ ،١٥).

ولما كان هذا المتغير هنا هو الحرمان من الوالدين، فان منطق المنهج التجريبى يجيز لنا القول بأن تفوق أطفال الأسر الطبيعية على الأطفال المحرومين من الوالدين يرجع إلى التأثير السئ للإنفصال عن الوالدين والحرمان منهما على جوانب شخصية الطفل.

بيد أن النتائج المتعلقة بالفروض الفرعية للدراسة لا تجعل هناك تسليماً مطلقاً بهذا الاستنتاج المتعلق بتأثير الحرمان من الوالدين، فقد أوضحت النتائج الخاصة بالمقارنة بين أطفال الأسر البديلة، وأطفال المؤسسات وأطفال الأسر الطبيعية أن هناك عوامل أخرى - مستقلة أيضاً، قد تزيد فى أهميتها - أو تقل - عن الحرمان من الوالدين فى ذاته، ولعل ما يؤيد ذلك هو وجود فروق جوهرية بين أطفال الأسر البديلة وأطفال المؤسسات من ناحية - على الرغم من حرمانهما من الوالدين وأطفال الأسر البديلة وأطفال الأسر الطبيعية من ناحية أخرى - على الرغم من وجود وتوفر الوالدين فى المجموعتين، كما سنرى من خلال مناقشة نتائج فروض الدراسة الآن.

(١) نتائج الإجابة على الفرض الأول ومناقشتها :

كان نص الفرض الأول مؤداه "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فى اضطرابات السلوك" وللإجابة على هذا الفرض قام الباحث بمقارنة متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات على الاختبار المستخدم، وذلك باستخدام اختبار "ت".

ويوضح الجدول رقم (١٧) الدلالة الإحصائية للفرق بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فى اضطرابات السلوك

ن = ٤٠ د.ح = ٣٩

المجموعة	المتوسط	الانحراف المعيارى	قيمة "ت"	دلالة الفرق	اتجاه الفرق
أطفال الأسر البديلة	٢١ر٤٥	٦ر٧٨	٢ر٨٢	دال عند مستوى ٠١ر٠	لصالح أطفال الأسر البديلة
أطفال المؤسسات	٢٥ر١٥	٤ر٦٠			

ويتضح من الجدول السابق أن متوسط درجات أطفال الأسر البديلة فى اختبار اضطرابات السلوك المستخدم (٢١ر٤٥) والانحراف المعيارى هو (٦ر٧٨) ، بينما بلغ متوسط درجات أطفال المؤسسات (٢٥ر١٥) والانحراف المعيارى (٤ر٦٠)، وقد بلغت قيمة "ت" المستخرجة (٢ر٨٢) وهى قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠ر٠١) مما يعنى وجود فروق جوهرية بين أطفال المجموعتين - وهذا يعنى أن أطفال المؤسسات أكثر اضطراباً فى سلوكهم من أطفال الاسر البديلة، وهو ما يشير إلى تحقق الفرض الأول من حيث وجود فروق جوهرية بين أطفال الأسر البديلة وأطفال المؤسسات فى إضطرابات السلوك.

وفيما يتعلق بمناقشة هذه النتيجة فإنه يمكن القول بأن المجموعتين تتماثلان فى حرمانهما من الوالدين، وتتماثلان إلى حد كبير فى عدد من المتغيرات الأخرى كالسن والجنس والذكاء .. وبالتالى تصبح العوامل أو الميكانيزمات الفارقة بينهما متمثلة - فى فى حرمانهما من الوالدين فحسب، بل فى ظروف الرعاية البديلة لكل منهما، وما يحيط بها من عوامل قد تلعب دوراً بارزاً فى إبراز الفارق بينهما- ولعل من أبرز هذه العوامل والتى كانت تقف وراء تميز أطفال الأسر البديلة عن أطفال المؤسسات هو "الإيداع بالمؤسسات" stitutionalization وما ينطوى عليه من متغيرات وعوامل سلبية تؤثر على الطفل فى مختلف جوانب شخصيته

أما النظر إلى مشكلة هؤلاء الإطفال باعتبارها فى المقام الأول هى حرمانهم من الوالدين وإرجاع كل مظاهر معاناتهم إلى هذا الأمر فقط هو بمثابة تبسيط للمشكلة - فهذا الافتراض يهمل التأثير النوعى الهام للرعاية البديلة المتاحة للطفل بعد حرمانه من والديه، وإلا أصبحت المعاناة هى قدر محتوم على كل طفل يفقد والديه بالوفاة مثلاً.

ولهذا يرى "أبتون" Upton١٩٨٣ أنه لا الانفصال المستمر ولا الحرمان من الأم البيولوجية أو البديلة الدائمة هى العوامل الأساسية في هذا المجال، بل يبدو بالأحرى أن نوعية الرعاية البديلة ذات الأهمية الأساسية. (Charlton ، ١٩٨٩، ٢٥) فصحيح أن الأم أو الوالدين هم الذين يقومون بأقصى ما يمكن من رعاية للطفل، وهما أكثر أشخاص يألفهما الطفل، كما أنهما أكثر من يهيئ له الراحة والطمأنينة، ولهذه الأسباب فإن وجودهما يكون من الأهمية بمكان، ولكن أهميتهما لا تنشأ من كونهما والدين فى ذاتهما، وإنما تنشأ من اتصالهما الوثيق بالطفل.

وهنا ترى "أنثورث" Ainsworth ١٩٧٩ أن نوعية إرتباط الطفل وتعلقه بأمه يعتمد بشكل كبير على "نوعية" الأمومة التى يتلقاها، أو لنقل نوعية الوالدية. (*Shaffer* ، ١٩٨٩، ٤١٤). وهنا نقرر أمراً غاية فى الأهمية وهو أن الأمر لا يتعلق بأم أو والدين، بل يتعلق بأمومة، أو بتعبير "وينيكوت" Winnecot ١٩٧٦ درجة من الأمومة الكافية Good enough mothering. (*Mack & Ablon* ، ١٩٨٣، ١٦٣). فالحرمان ليس من الوالدين فى حد ذاتهما، بل الحرمان من والديه وعلاقة كافية مشبعة فى إطار هذه الوالدية.

ولهذا فإن الانفصال أو الحرمان في حد ذاته قد لا يكون عاملاً رئيساً فى حدوث المحنة النفسية أو الاضطرابات، إنما العامل الرئيسى هو ما يصاحب الانفصال والحرمان من تشوه لعلاقة الصغير بالبديل الوالدى. (*مايكل راتر، ١٩٩١، ٤٨*) ، فهناك اتفاق واسع على أن "نوعية العلاقات الوالدية" عامل ذو أهمية يسهم فى النمو الاجتماعى والانفعالى والعقلى للأطفال، وأن نقص وتشوه هذه العلاقات يرتبط بتنوع واسع من الاضطرابات السلوكية والانفعالية للأطفال من الطفولة المبكرة حتى المراهقة. (*Erickson*، ١٩٨٢، ٨٧)، (*Vaughn et al*، ١٩٨٨، ١٠٢٠).

إن الفشل فى إنماء الشخصية بالنسبة للأطفال المحرومين يكون أيسر فى الفهم إذا أخذنا فى الاعتبار أن الأم هى التى تقوم فى بدء حياة الطفل مقام شخصيته وضميره، أما أطفال المؤسسات فإن هذه التجربة لا تمر بهم أبداً، ولذا تفوتهم فرصة إتمام أول طور من أطوار النمو وهو تكوين علاقات مع أمهات واضحة المعالم معروفة لهم جيداً، وكل ما يمكنهم الحصول عليه هو تتابع العملاء لرفأ الصدع، ولكن ليس هناك من يمنحهم البقاء المستمر وهو دعامة من دعائم الشخصية، وربما لم تتح الفرصة إطلاقاً لأولئك الأطفال المحرومين حرماناً شديداً والذين لم يكونوا محل الرعاية الدائمة من شخص معين ليدركوا عملية التجريد وعملية تنظيم السلوك بالنسبة إلى المكان والزمان. (*جون بولبى، ١٩٨٠، ٨٤*).

ومن ثم فإن أكثر النماذج السلوكية اضطراباً كانت تشيع بين الأطفال الذين أنفصلوا عن والديهم وأودعوا بالمؤسسات فى عمر جد مبكر، فهؤلاء الأطفال – كما قلنا – عانوا صدمة الإيداع، كما أن تاريخ حياتهم خالى من العلاقات الوثيقة المانحة للأمن والمشبعة لحاجة الحب والعطف والتقبل، ولهذا كانت هناك أثار مدمرة على النمو الانفعالى وعلى انحرافاتهم السلوكية وصحتهم النفسية (*Lefton & Valvatn* ، ١٩٨٨، ٢٥ – ٢٨) ، (*Carson et al* ، ١٩٨٨، ٥٠١). فالطفل فى المؤسسة ينشأ فى مجال نفسى ضيق فقير من حيث المثيرات والخبرات التى تكون

بين الطفل ووالديه فى الظروف الأسرية العادية، كما إنه يتعرض لعملية تنشئة إجتماعية شديدة السوء فى إطار غير طبيعى فيخرج للحياة خالى من كل خبرة بناءة تشكل مستقبل حياته، فالإيداع بالمؤسسات ينطوى على انعدام التفاعل الشخصى الوثيق بين الطفل وشخصية أخرى، وينطوى على قلة فرص التعلم الاجتماعى، والبيئة الحسية الروتينية، وتعدد الصور الأموية وتغيرها باستمرار، ولهذا فهناك حد منخفض من التفاعلات الشخصية، حيث أن الرعاية كما يشير "روتر" Rutter ١٩٨٤ تتوفر فى الأوقات المعتادة الروتينية بدلاً من أن تكون بمثابة استجابة لمطالب الطفل، وحيث توجد صور متعددة لمن يقومون على رعاية الطفل، ونجد أنه لا صورة منهم تملك تفاعلا منتظماً مع الطفل. *(Rutter ، ١٩٨٤، ١٧٣)*.

ففى المؤسسة مقارنة بالمنزل العادى، يكون هناك دفء وإتصال فيزيقى ضحل، واستثارة عقلية وانفعالية أقل، وكذلك هناك نقص فى تشجيع ومساعدة الطفل على التعلم الايجابى. *(Carson et al ، ١٩٨٨، ١١٣)*. فالطفل فى المؤسسة لا يلق سوى رعاية جماعية، فهؤلاء الأطفال يوكل أمرهم إلى أفراد يعاملونهم بالجملة لا فرادى، مما يجعل الطفل يشكو نقص الحب والحنان، فكان يبدو على وجهه الشعور بالوحشة والعزلة، والعجز عن تقبل الحب أو تبادله مع غيره من الناس، مما يعد سبباً لإحباطه، وهكذا حتى إن نسبة عالية من الأطفال فى شجار مستمر يأخذ شكل الضرب والسب والمكايدة والإغاظة وغيرها. *(فوزية دياب، ١٩٨٠، ٩٤)* ولا تنحصر مشكلاتهم فى ذلك إنما تتعدى ذلك إلى السرقة والتبول والتبرز وتلويث الملابس والسلوك الجنسى الشاذ واللجلجة وعيوب النطق والكلام... إلخ.

والأسباب التى تجعل الرعاية الجماعية لصغار الأطفال – داخل المؤسسات – غير مرضية على الدوام ليست فقط هى إستحالة تزويدهم بأمومة من نوع مناسب ومستمر، بل أيضا صعوبة إتاحة الفرص لعدد كبير من صغار الأطفال لكى يقوموا بنصيب من النشاط فى الحياة اليومية للمجموعة وهو ما له أعظم الأثر فى نموهم الاجتماعى وفى سلوكهم – وحتى فى أسرة مكونة من طفلين أو ثلاثة أطفال دون سن الخامسة مثلاً، وأم تخصص كل وقتها لرعايتهم، فإنه من العسير جداً ان تسمح الأم لهؤلاء الأطفال بمساعدتها فى أعمالها اليومية من غذاء وغسل وتنسيق وتنظيف وغير ذلك، وعندما يكون عددهم كبيراً فإنه يكاد يكون أمراً لا مفر منه أن يبعدوا عن هذه الأعمال وأن ينتظر منهم أن يكونوا مطيعين هادئين، وطفل المؤسسة لا يستطيع المساهمة فى الحياة العائلية – افتراضاً – ولا المخالطة الاجتماعية للكبار. ويظهر الإحباط الذى يمكن أن ينتج عن ذلك فى شكل سلوك سئ واستجابات متناوبة من الجمود والاعتداء العنيف. *(جون بولبى، ١٩٨٠، ٢٢٦)*.

هذا وإذا كان يفترض أن عدد الأطفال فى الأسرة الطبيعية هو عامل مؤثر فى حدوث الاضطرابات السلوكية، فالأطفال في الأسر كبيرة العدد أكثر تعرضا للخطر- ومرد ذلك أن الوالدين لا يستطيعان أن يقوموا على رعاية كل هؤلاء الأطفال بشكل كفء وكافى. فكلما زاد عدد الأطفال، كلما قلت فرص التفاعل والاتصال الحميم بين أى من الأم والأب، وكل طفل على حدة، وكلما تناقص كم الوقت الذى يمكن أن يقضيه كل من الأبوين مع الطفل، ويدرك الأطفال دفئاً أقل ورفضاً ونبذاً أكثر - حيث يقرر العديد من الباحثين أن هناك عدم إكتراث نسبى بالأبناء كلما زاد عددهم . (يسرية، ١٩٨٢، ٥٣)، (Rutter ، ١٩٨٤، ٨٤)، (ممدوحة سلامة، ١٩٨٧، ٦٤)، (Erickson ، ١٩٨٢، ٩٠).

فإذا كان هذا هو الحال فى أسرة طبيعية مكتملة الأقطاب، فلنا أن نتصور الأمر فى أسرة المؤسسات - إن جاز التعبير- حيث تقوم المشرفات بممارسة شئون الامهات - لا الأمومة - لكل هذه الأعداد، الأمر الذى لا يجعل هناك نوعاً من الاستعداد النفسى - ولا البدنى لممارسة هذا الدور، وهو ما أسماه "سوجار" Sugar ١٩٧٦ بالموارد النفسية للرعاية، مقابل الموارد الإقتصادية. (Erickson ، ١٩٨٢، ٩٠).

فالمشرفات داخل المؤسسات - فى غالبيتهن - أصحاب ظروف خاصة، إجتماعية (مطلقة، أرملة) أو اقتصادية (الحاجة المادية) دفعتهن إلى العمل بالمؤسسة لتجد القوت أو المأوى، أو هن أصلا من أبناء المؤسسات من المراهقات اللائى نشأن أصلا داخل هذه المؤسسات - وهو ما يطلق عليه "بأمومة المراهقات" . هذه الظروف تجعلهن فى حاجة إلى الوظيفة فقط، دون الحاجة الى ممارسة الأمومة بالذات - وحتى وإن لم يكن كذلك وكن مخلصات فى أداء عملهن محبات له، كالمتطوعات مثلاً، فمن إين لهن بالجهد والطاقة التى تساعد على رعاية هذا العدد الكبير من الأطفال.. ولعل ذلك هو أحد العوامل التى تدفع بالكثيرات منهن الى ترك العمل بعد فترة وتحل محلهن أخريات وهكذا.

وهنا يبرز عامل آخر ينطوى عليه الإيداع بالمؤسسات يؤثر بشكل سئ على الطفل وهو "تغير الأمهات" - المشرفات - باستمرار، إما لانتقال المشرفة وتركها العمل، أو لتغيرها ليل نهار "نظام الوردية" .. وهنا نرى أن الأطفال الذين يكونون فى رعاية أشخاص متغيرين يبدون أكثر قلقاً واضطراباً وأقل شعوراً بالأمن من الأطفال الذين يكونوا فى رعاية وكنف أشخاص دائمين.. إن ذلك يظهر أهمية الثبات والاستقرار فى حياة الطفل فى السنوات الأولى وحاجته

لإقامة علاقات الثقة والأمان التى تتصف بالثبات والاستمرار مع من يقوم على شئونه – فالأطفال الذين يعانون من نظام مضطرب وغير متوقع يشعرون بفقدان الأمل وسرعان ما يفقدون التعلق ولا يظهرون اهتمامهم بالآخرين ولا ثقتهم بهم، وغالباً ما يتميز سلوكهم بالعدوانية وعدم الطاعة والعناد المفرط. *(فايز قنطار، ١٩٩٢، ٢٠٠، ٢٠١)*.

إن هذا الأمر – تعدد المشرفات – قد يطرح للمناقشة مسألة "تعددية الأم" وتأثيرها السلبى على الطفل، وهو الأمر المعهود فى المؤسسات – ولكن – فيما نرى – فإن خطورة هذه المسألة لا تتعلق بتعددية الصور الأموية، أو وحدويتها، بقدر ما تتعلق بمدى كثافة وكفاية العلاقة بين الأم – أو البديلة – والطفل، الأمر الذى لا تتيحه ظروف التغير المستمر والدائم فى المشرفات– بل نرى أن تعدد الأمهات قد يكون مفيداً للطفل – ولكن نؤكد هنا على الاستمرارية والثبات – من حيث أنه قد يتيح للطفل أن يكون علاقات تعلق وأرتباطات متعددة، وبالتالى مدى واسع من مصادر الأمن والطمأنينة فى حالة غياب أحد الوالدين (مثل الاسرة الممتدة).

ويتفق "راتر" Rutter ١٩٨٤ مع تلك النظرة حيث يرى أنه ليس من الضرورى أن يقوم بالأمومة شخص واحد فقط، ولكن إذا قام بالأمومة عدد محدود لا يتغير وثابت من الأشخاص طوال الفترة الباكرة من حياة الطفل، حينئذ لا يكون لتعدد الأمومة آثار سيئة. *(مايكل راتر، ١٩٩١، ٢٦)*.

ولهذا يذهب دارسو الانحرافات والأمراض النفسية إلى أن نقص العلاقات الأولية المبكرة مسئول عن كثير من الشخصيات السيكوباتية، تلك الشخصيات التى لم تنشأ عندهم طبيعة إنسانية حقيقية، لأنهم لم يخبروا علاقات إجتماعية وعاطفية سليمة فى جماعات أولية. *(سيد عثمان، ١٩٧٠، ٢٧)* . ولهذا فالطفل فى المؤسسة ينقصه تنمية الحس المناسب والفرص المتاحة لتعلم الأنواع المعقدة من السلوك الإجتماعى والانفعالى والحركى – فالتربية التى يخبرها الطفل داخل المؤسسة التى تبث فى نفسه بذور النقمة والحقد والخوف والعيظ هى المسئولة أولاً وأساساً عن كثير من حالات الانحراف والجناح والخروج على قواعد وقوانين المجتمعع. *(فوزية دياب، ١٩٨٠، ١٥)* .

فالطفل فى المؤسسة قلما يحظى باهتمام من جانب المشرفة سواء للمحافظة على المظهر أو الآداب الاجتماعية المقبولة، بل تتسم عمليات تعويد الطفل وإكسابه الأنماط السلوكية المعينة بالقسوة والعقاب البدنى والنفسى من جانب المشرفات، الأمر الذى يؤدى الى اضطراب نمو

الطفل وإلى عدم إكتسابه للعادات السلوكية الإيجابية والمقبولة، هذا بالإضافة إلى أن المشرفة في المؤسسة ليست هي الأم الحقيقية، وليس لديها الاستعداد النفسي والبدني - كما قلنا - لهذا الدور، وبالتالي فهي لا تطمح كثيراً في أن تجعل منه شيئاً أكثر مما هو عليه.

فعلى الرغم من توفر الامهات وبعض الآباء في المؤسسات - في صورة المشرفات والمشرفين - إلا أنهم لا يمثلون للطفل الوالد البيولوجي الذي أنجبه، ولا حتى الوالد النفسي الذي يقوم بعملية الأبوة أو الأمومة، فإذا كان المسئول عن الطفل ليس والده البيولوجي، فلابد أن يكون له بمثابة الوالد النفسي القادر على القيام بدور الوالدية، وعلى حب الطفل وتقديره كشخص يحب صحبته وتربيته وفهم سلوكه وإمداده بالدعم والتحلي بالصبر والاستجابة لحاجاته وتقبله والإسعاد به وإسعاده. (*Jersild* ، ١٩٦٩، ١٩٨- ١٩٩).

وبالطبع فإن العنصر الوالدي في المؤسسات لا يمثل والدية بيولوجية ولا نفسية . فغالبية المشرفات في المؤسسات غير تربويات ، لا يعلمن عن الطفل وحاجاته النفسية شيئاً. ويمكن أن نشير هنا إلى المستوى التعليمي والتأهيلي لهؤلاء المشرفات لنعلم مدي كفاية وكفاءة الدور الذي تؤديه المشرفات، كما يتضح من الجدول رقم (١٨).

جدول رقم (١٨)
يوضح المستوى التعليمي والتأهيلي للمشرفات
في المؤسسات موضع الدراسة

المستوى التعليمي والتأهيل	العدد	٪
أمية	٧	١٦٫٦٧
تقرأ وتكتب	١٨	٤٢٫٨٦
ابتدائى	٤	٩٫٥٢
اعدادى	٨	١٩٫٠٥
ثانوى (ومتوسط)	٥	١١٫٩٠
عالي	-	
الدورات التدريبية	-	

ويدل الجدول السابق دلالة واضحة على مدى القصور الذى تعانيه هذه المؤسسات من حيث توفر المشرفات المؤهلات تعليمياً، وتربوياً من خلال الدورات التدريبية، الأمر الذى ينعكس على عدم فهم الطفل وظروفه وحاجاته الخاصة داخل هذه المؤسسات، ويمكن إبراز هذا القصور بشكل أوسع فى ضوء توزيع العاملين بمؤسسات الأطفال المحرومين من الرعاية حسب الوظائف فى آخر إحصاء رسمى أصدرته وزارة الشئون الاجتماعية لعام ١٩٩١- وذلك على مستوى محافظة القاهرة فقط - على سبيل المثال - وكذلك على مستوى إجمالى محافظات الجمهورية (دون تفاصيل المحافظات على حدة) كما يتضح من الجدول رقم (١٩).

جدول رقم (١٩)

يوضح توزيع العاملين بمؤسسات الأطفال المحرومين من الرعاية

عام ٩٠/ ١٩٩١ *(وزارة الشئون الإجتماعية، ١٩٩١، ١٣٩)*

البيان	مدير	اخصائى إجتماعى	مشرف إجتماعى	مشرف ليلى	طبيب بعض الوقت	حكيمة أو ممرضة	مدرس أو مدرب	سكرتير أو كاتب	خدمات معاونة	المجموع
اجمالى القاهرة ٦٣ مؤسسة	٤٦	٢٤	٣٢	٧٣	٥٢	١٣	٢٠	٤٦	٢٣٣	٥٣٩
اجمالى المحافظات ١٥٥ مؤسسة	١٢٨	١٠٩	١١٣	١٨٣	١٢١	٤٣	١٨٧	٢٢١	٥٩٥	١٧٠٠

ومما يجدر الإشارة إليه أن محافظة القاهرة التى تم التمثيل بها تضم ٦٣ مؤسسة، كما أن إجمالى عدد المؤسسات الواردة فى هذه الإحصاء (١٥٥) مؤسسة، وبالحساب يتضح مدى القصور البشرى، تعليمياً وتربوياً، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فان غالبية العاملين فى هذه الوظائف لا علاقة مباشرة لهم بالطفل، بل تكاد تنحصر مهامهم فى الناحية الإدارية والتنظيمية للعمل داخل المؤسسات.

وهكذا وفى ضوء المؤشرات السابقة فإنه يمكن القول بأن الدور الذى تقمن به المشرفات يعد وظيفة ومصدر للكسب فقط، أو مصدر لشغل بعض أوقات الفراغ لدى بعض منهن.. ولا نستطيع أن نعلم ما فى قلوبهن من حب وتقبل للأطفال، ولا توجد لديهن دافعية لهذا العمل بالذات إلا أنه المتاح لكسب القوت - كما أن كثيراً من المشرفات لديهن أطفال وبالتالى فهن غير متلهفات لممارسة دور الأمومة، فهن لا يجدن فى الطفل أى تعويض، ولكنهن محتاجات للوظيفة -

التى لا يرضون عنها فى الغالب، وبالتالى فهى غير حريصات على ملء بيئة الطفل بالمثيرات الحسية والاجتماعية والانفعالية التى تساعده على أن ينمو بشكل سوى متوافق، وأن لهن ذلك وهن لا يتمتعن برضاء وظيفى يحفز دافعيتهم تجاه الطفل - كما يتضح من الجدول رقم (٢٠)

جدول رقم (٢)

يوضح الرضاء الوظيفى لمشرفات المؤسسات

الرضا عن العمل / عدد المشرفات	رضاء		عدم رضاء	
	العدد	٪	العدد	٪
٤٢	١٠	٢٣ر٨١	٣٢	٧٦ر١٩

ويتضح من الجدول السابق عدم الرضى الواضح لدي هؤلاء المشرفات عن القيام بهذا الدور وتحمل هذا العبء. ومما تجدر الإشارة إليه أن المشرفات اللائى عبرن عن رضائهن عن عملهن هن فى غالبيتهن من أبناء المؤسسات أصلا، وبالتالى فليس لديهن ما يمنحن للطفل "ففاقد الشئ لا يعطيه" ! كما أن هناك نوعاً من القناعة فى هذا المجال بأن أبناء المحرومين يكونون محرومين أيضاً.

إن علاقة الأم بالطفل ينبغى أن تكون حسب تعبير "يورى" Urie ١٩ مثل مباراة "البنج بونج" ، فالأم تحفز الطفل والطفل يحفز الأم. (*Draper & Draper* ، ١٩٧٩، ٣٢). بيد أن العلاقة بالطفل داخل المؤسسات هى علاقة "مهنية" جافة - فالوالدية فيها تمارس كوظيفة فقط، والوظيفة مسئولية وحساب، ولهذا فإن نمط التفاعل والتعامل داخل المؤسسات يتسم بالجمود والروتينية، فهو نمط تأدية مهام، ينفق فيه الوقت والجهد والمال لتحويل الطفل المحروم من والديه إلى طفل معتنى به جسمياً فى أحسن الأحوال، ولكنه يظل محروماً من كل مقومات الحياة العاطفية - نمط يتسم - فى ظاهره - بالحماية، غير أنها حماية غير حانية، بل تتسم بالقسوة والجمود والتعامل مع الطفل على أنه ليس إنساناً، بل كآلة تدار، مما يقتل فى الطفل احساسه بذاته وبالآخرين - يقتل فيه استقلاليته، فهو - أى الطفل - لا يستمتع بحرية الكلام واللعب والجرى والتجريب والاستطلاع، وبالتالي فهؤلاء الأطفال فقدوا الثقة فى أنفسهم ويعانون الخوف من تحمل المسئولية ، فليس هناك متنفساً لرغبات ومتطلبات الطفولة، بل هناك نظام قد وضع على الجميع الالتزام به دون أى اعتبارات لإنسانية الطفل، الأمر الذى يجعل

الطفل سيئ التوافق بشكل واضح، ينغمس فى سلوكيات شاذة مضطربة كنوع من الانتقام أو الثأر أو جذب الانتباه، أو حتى تعبيراً عن عجزه وإحباطه إزاء البيئة.

إن أطفال المؤسسات يحتاجون إلى حب حقيقى يتجسد فى أم ينعمون بالحنان فى ظل حبها وأب متواجد يعيشون فى كنفه، فالطفل المحروم من حنان والديه مهما قدمنا له - إذا قدم- الحنان يظل فى حاجة له أكثر، فهو فى حاجة الى والدية سليمة متواجدة باستمرار، دافئة مشبعة، لا كما هو متواجد فى غالبية المؤسسات، حيث يجد أسرة - تجاوزاً - بأم لا تضم أباً- وحتى الأم فهى ليست أما خصوصية له، بل هى فى كثير من الأحيان متغيرة، فهو بعد أن تعلق وأرتبط بأم، تفارقه فجأة وتحل محلها أم جديدة ومعاملة جديدة، وهكذا يعانى الطفل من ذبذبة المعاملة والعاطفة وتغيرهما، الأمر الذى يؤدى به إلى عدم إكتساب أنماط ومعايير واضحة ومحددة لسلوكه، وبالتالى لا يكتسب أى معايير للصواب والخطأ، ولا يتكون لديه الإحساس بالإثم - إن أخطأ - فيبدو لديه عدم الاكتراث بأحد، فلمن يعمل الطفل حسابه، فذاته الاجتماعية قد صارت مسخاً خالياً من كل المعايير الاجتماعية التى يمكن أن تحكم سلوكه وتحدد دوره المطلوب وفقاً لجنسه ووفقاً لما يتطلبه المجتمع.

(٢) نتائج الإجابة على الفرض الثانى ومناقشتها :-

كان نص الفرض الثانى مؤداه "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى اضطرابات السلوك.

ويوضح الجدول رقم (٢١) دلالة الفرق بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى اضطرابات السلوك

ن = ٤٠ د.ح = ٣٩

المجموعة	المتوسط	الانحراف المعيارى	قيمة "ت"	دلالة الفرق	اتجاه الفرق
أطفال الأسر البديلة	٢١٫٤٥	٦٫٧٨	٢٫٩٢	دال عند مستوى	لصالح أطفال
أطفال الأسر الطبيعية	١٧٫٩٨٠٠	٤٫٦٠		٠٫٠١	الأسر الطبيعية

ويتضح من الجدول السابق أن متوسط درجات أطفال الأسر البديلة فى اضطرابات السلوك هو (٤٥ر٢١) والانحراف المعيارى هو (٧٨ر٦)، بينما بلغ متوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية (٩٨ر١٧) والانحراف المعيارى (٠٦ر٣) - وقد بلغت قيمة "ت" المستخرجة (٩٢ر٢) وهى قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠١ر٠) وكان الفرق لصالح أطفال الأسر الطبيعية، مما يعنى أن أطفال الأسر البديلة أكثر اضطراباً فى سلوكهم من اطفال الأسر الطبيعية.

وهكذا فإنه قد ثبت الفرض الثانى من حيث وجود فروق جوهرية بين أطفال الأسر البديلة وأطفال الأسر الطبيعية فى اضطرابات السلوك.

وقبل أن نخوض فى مناقشة هذه النتائج فإنه يمكن الإشارة إلى حقيقه مؤداها أن نظام الأسر البديلة هو أفضل نظم الرعاية البديلة للأطفال المحرومين من الوالدين، وهو ما يتفق مع ما ورد فى التراث النظرى والبحثى لهذا الموضوع، وهو ما أيدته كذلك نتائج الدراسة الحالية التى أسفرت عن وجود فروق جوهرية بين أطفال الأسر البديلة وأطفال المؤسسات لصالح أطفال الأسر البديلة - هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، وفى ضوء هذه النتائج أيضاً فانه لا يمكن الادعاء بأن الأسر البديلة، لا من حيث كونها نظاماً فى ذاته للرعاية، بل من حيث الظروف والممارسات التى تتم فى إطار الأسر البديلة، نقول إنه لا يمكن الادعاء بأنها - فى حدود عينة الدراسة - شكل مكافئ وبديل سوى سليم للأسرة الطبيعية.

وبصدد البحث عن أسباب تلك الفروق ومناقشتها، فإنه مع التسليم بتأثير الحرمان من الوالدين - بأعتباره متغيراً مستقلاً أيضاً - إلا أنه ليس العامل الحاسم فى هذا الموضوع، بدليل ظهور الفروق بين أطفال الأسر البديلة وأطفال المؤسسات - كما سبق فى الفرض السابق- بل هناك عوامل أخرى تكاتفت مع الحرمان من الوالدين تزيد من وطأة وقوة الصدمة والتأثير السئ على الطفل. فالحرمان من الوالدين يتوقف فى تأثيره على عدد من العوامل - الفصل الثانى - منها سن الطفل، خبرات الحرمان والانفصالات المتكررة، الرعاية التى تعقب الحرمان... ومن ثم فإنه يمكن مناقشة هذا الفرض فى ضوء ذلك التصور وتلك العوامل.

وبداية نؤكد أن أخطر نمط من أنماط خبرة الحرمان والانفصال عن الوالدين هو "الانفصال الدائم المتكرر" حيث أن الطفل بعد أنفصاله عن والديه، ربما يوضع فى مؤسسة أو منزل بديل، وهو عادة لا يظل فى مكان واحد طويلاً لكى يستطيع أن يقيم إتصالاً وتعلقاً بديلاً،

ولكنه يخبر سلسلة من التغيرات فى المؤسسات وفى المنازل البديلة.

فالأطفال الذين لهم تاريخ سابق متكرر من الحرمان وانتقالات متعددة، وخاصة خلال العامين الأولين من الحياة، هم أكثر تعرضاً للخطر فى البيوت البديلة أو فى أوضاع التبنى (فى الخارج) – فهؤلاء الأطفال يميلون إلى إظهار مشكلات اجتماعية وصعوبات متكررة فى علاقاتهم، كذلك نجد هناك خطورة تتزايد من نقل الطفل فجأة من إقامة طويلة المدى – نوعاً – مثل الإقامة مع المرضعة – إلى والدين، مما يجعل الطفل أكثر تعرضا للمشكلات. (Steinhauer ١٩٨٣، ٨٦). فصدمة الانفصال الأولى عن الأم كما يرى Yarrow ١٩٦٤ تعزز خبرات انفصال متكررة، وغالباً ما تتضمن خبرات الطفل التالية أنواع مختلفة من الصدمات والحرمان. (Lefton & Valvatne ، ١٩٨٨، ٥٢٨)، (Yarrow، ١٩٦٤، ٩١، ٩٢).

ونرى أن الأطفال فى الأسر البديلة قد تعرضوا لخبرات انفصال وحرمان متكررة متراكمة منذ ميلادهم، بدءاً بصدمة الانفصال عن الأم الحقيقية بعد ميلادهم مباشرة، ثم صدمة انفصالهم مرة ثانية عن صورة بديلة للأم – المرضعة – بعد أن أقاموا معها فترة العامين تقريباً، أقاموا خلالها نوعاً من العلاقة والارتباط أو التعلق، وإن كانت فى كثير من الأحيان جافة قاصرة ومشوهة، خالية فى كثير من جوانبها من ملامح الأمومة السوية، فعلاقة المرضعة بالطفل فى أساسها علاقة كسب وليست علاقة أمومة – فهى علاقة أنشئت إفتعالاً بغية الحصول على العون والمقابل المادى والعيني وليست لممارسة الأمومة فى ذاتها، وليس هناك فى الأمومة افتعالاً حتى ولو كانت الأم هى البيولوجية التى أنجبت الطفل – وقد أثبتت البحوث الاستطلاعية التي قامت بها إدارة الرعاية البديلة للمرضعات أن ٩٥٪ منهن غير صالحات لأداء الخدمة، حيث يعشن على الكفاف، ويسكن بمساكن سيئة للغاية وغير صحية. (علا أنور، ١٩٧٧، ١٩) وحتى مع أفتراض وجود بعض النماذج الأموية أو الوالدية البديلة الإيجابية، فإن الطفل حتما – وبشرط القانون – سوف ينتزع من هذه الصورة بعد عامين ليعهد به عن طريق وزارة الشئون الاجتماعية والصحة إلى مؤسسة من مؤسسات الرعاية الجماعية – فى أغلب الاحوال – أو يضم إلى أسرة بديلة – وهنا يتعرض الطفل لإنفصال جديد وصدمة جديدة.

وهنا تصبح المحصلة النهائية هى عدم القدرة على التفاعل مع صورة الأم، ويحدث نوعاً من استمرار عدم القدرة على إقامة أي علاقة جديدة على الرغم من وجود صور للتعلق متاحة للطفل، وهو ما يطلق عليه "الحداد غير الناجح" Unsuccessful Mourning مقابل الحداد

الناجح أو الصحى، كما عبرت عنه "أنا فرويد" A. Freud ١٩٦٠. (*Klein* ، ١٩٨٧، ١٠٩) .

ففى سياق خبرات الانفصال المتكررة نجد أن الطفل الذي "يتناوب التعلق" على حد تعبير "بولبى" Bowlbey بسلسلة من الأفراد الذين يسلمه كل منهم للآخر، فى سلسلة من الانفصالات، يرى أنه من الحماقة أن يرتبط بفرد بعينه ما دام سيتركه لفرد آخر، وبعد سلسلة من التقلبات وفقدان متعدد متكرر للموضوع، فإن الطفل يقل تدريجياً من ارتباطه الوجدانى مع أى شخص، أو أن قدرته على الارتباط بشخص سوف تجف وتموت.

ومن ثم نجد أن هؤلاء الأطفال فى الأسر البديلة قد لا يتبادلون الحب مع الأم البديلة التى استقر بهم المقام لديهم، وقد يظل القلق سمة بارزة لديهم، ذلك القلق الذى يدفع بهم بعيداً عن نواحى السواء، فينغمس الطفل فى أنشطة سلوكية غير مقبولة ... إن الطفل فى الأسر البديلة وقبل أن يستقر به المقام، وفى ظل عديد من الإجراءات القانونية - وغير القانونية أحياناً- قد تم ممارسة نوعاً من "الكعب الدائر ضده" - إن جاز هذا التعبير - فى ظل انتقاله من مكان لآخر ومن شخص لآخر. وهذا ما توصل إليه "بولبى" من أن التغيرات المتعددة فى صورة الأم وفى المنازل فى الطفولة المبكرة يرتبط بعدم القدرة على إقامة علاقات باقية دائمة وهو ما يسمى بانعدام المحبة السيكوباتى". (*Mussen* ، ١٩٨٣، ٧٨٠).

ولهذا يرى "بولبى" أن السنوات الأولى تشكل فترة حرجة يجب أن تتشكل فيها الرابطة والعلاقة مع الأم، وإذا لم توضع فى الاعتبار ضرورة وأهمية استمرار هذه العلاقة في هذه السنوات، فإن أى درجة من الأمومة الكافية فيما بعد لا يمكنها معالجة الموقف، فالطفل الذي حرم فى مطلع حياته من الأم - أو من البديلة الدائمة لها - يصبح متبلد الطبع فقير وجدانياً- فكلما اتسمت علاقات الطفل وروابطه بالآخرين بالاستمرارية والاستقرار، علاوة على الدفء والمحبة، كلما كانت مصدراً لرضا وأمن كل من الطرفين - الطفل والوالدين - ودعم شعوره بالأمن والانتماء . (*Dunkin* ، ١٩٨١، ٢١٩)، (*Rutter* ، ١٩٨٠، ١٣٩)، (*Craig* ، ١٩٨٠، ١٢٣).

أما حرمان الطفل من ذلك فهو يتضمن تهديداً لكيانه، قد يفسره بخياله على أنه إهمال لشأنه وغضب عليه، ومن ثم يصبح ساخطاً على العالم، يصعب عليه أن يوفق بين حاجاته ومتطلبات المجتمع، لأن شعوره بأن ليس هناك تواجد دائم مستقر لأسرة ووالدين يخلق لديه شعوراً بعدم الثقة، وعدم الاكتراث والأهمية لأحد ، مما يؤدى به الى العديد من الاضطرابات

السلوكية الناتجة عن شعوره بالضياع الاجتماعى والنفسى، ويترتب على ذلك إصطدامه بالبيئة الاجتماعية لارتكابه الكثير من الانحرافات السلوكية كالتشاجر والعدوانية والسرقة، أو أن يصبح متمسكاً فى عناد بأنماط سلوكية طفلية كالتبول ومص الأصابع. (Lee، ١٩٨٤ ١٠١-١٠٥)، (مختار حمزة، ١٩٨٢، ٣٤٧- ٣٤٩).

وهنا يمكننا أن نقرر أنه إذا ما أريد لنظام الأسر البديلة أن يؤتى ثماره، وحماية الطفل وتعويضه عن والديه، فإنه لصالح الطفل من ناحية الصحة العقلية أن يتم تبنيه (أو وضعه فى أسرة بديلة فى ثقافتنا) عقب الميلاد مباشرة، لعدم وجود نظام آخر يسمح باستمرار الأمومة، أما وضع الطفل مؤقتاً فى دار للتربية أو دار للرعاية، فإن نموه سوف يتأثر بدرجة ما، فوضع الطفل فى الأسرة البديلة منذ البداية هو فى مصلحة الطفل وفى مصلحة الوالدين، حيث يزداد شعورهم بأن الطفل هو أبنهم ويصبح من الممكن أن يتعرفوا على شخصيته بسهولة، وبهذا تتهيأ أفضل الفرص لتطور العلاقات المناسبة. (جون بولبى، ١٩٨٠، ١٧١، ١٧٢). فقد أوضحت الدراسات أنه كلما كان عمر الطفل أكبر عند وضعه فى أسرة بديلة أو عند تبنيه، كلما كانت السلوكيات المضطربة للمجتمع أكثر تكواراً وشدة. (Steinhauer، ١٩٨٣، ٨٢).

ولهذا فإن الأطفال الذين نشأوا فى أسر بديلة منذ البداية قد تفوقوا على الأطفال الذين نشأوا فى مؤسسات إيوائية ثم انتقلوا بعد ذلك إلى أسر بديلة فى كل من الذكاء والقدرات العقلية والانفعالية والسلوك الاجتماعى، ويمكن تفسير هذه المظاهر وإرجاعها إلى خبرة الإيداع المبكر داخل المؤسسات - كما رأينا في الفرض السابق- وإلى خبرات الانفصال المتكررة وتأثيرها السئ على شخصية الطفل وفشله فى إقامه روابط وجدانيه مع غياب التجاوب الانفعالي. (مايكل راتر ، ١٩٩١، ٧٤)، (Stewart & Friedman، ١٩٨٧، ٢٦٥). وبالتالى فإن تأثير خبرة الحرمان من الوالدين في هذه الفترة المبكرة من حياة الطفل لا تقم على معرفة الطفل بافتقاد الأم الحقيقية أو الوالدين كموضوع فى ذاته - خاصة أن غالبية الأطفال فى الأسر البديلة لا يعرفون حقيقة أوضاعهم - بل تقوم على إدراكه وخبراته بتغير نوع الخبرات الحسية والانفعالية وسوءها - نظراً لتعدد وتغير الصور الأموية وإختلاف كفاءتها فى أداء دور الامومة للطفل. (Nagera، ١٩٧٧، ٣٦٨- ٣٦٩).

فمن المعروف عن الأطفال كما يرى "بولبى" Bowlbey أنهم ليسوا ألواحاً من الأردواز يمكن محو الماضى منها بطلاسة أو بقطعة من الأسفنج، ولكنهم كائنات بشرية يحملون معهم

تجاربهم السابقة، وسلوكهم فى الحاضر يتأثر تأثراً عميقاً بما قد جرى لهم من قبل. (جون بولبي، ١٩٨٠، ١٩٢).

وهناك عامل آخر يلقى الضوء على طبيعة ما أظهرته النتائج من فروق بين أطفال المجموعتين وهو ما يتعلق بطبيعة الرعاية الوالدية التى تعقب الحرمان – وبصدد هذه الرعاية داخل الأسر البديلة فأننا نلمس نوعاً من سيطرة القلق على العلاقة مع الطفل، يصبغ سلوك الوالدين البدلاء تجاهه، فالوالدان البدلاء – حتي غير المنجبين – يضج القلق مضاجعهم خوفاً من إحتمال تقلب الطفل فيما بعد عندما يكبر، أو عندما يعرف حقيقه وضعه – وقد أفصحت غالبية الأسر عن هذا القلق بشكل صريح ومباشر فى حديثها مع الباحث – " ياترى هيعمل بأصله لما يكبر" ياترى هيمطر فيه " !! إن ذلك القلق قد يجعل هذه الأسر تتردد في كثير من الأحيان فى منح الطفل الحب والعطف والثقة التى يحتاجها، وإن منح فبدون إغداق،. وإن غدق– فى صورة هدايا وكلمات – فهو سطحى غير قائم على عاطفة حقيقية، خالى من دفء العاطفة بين الأم وطفلها – وخاصة فى الأسر المنجبة – وكيف ذلك وهو لم يخرج من رحمها– وليس بمثابة عوض لها.. " يامربى فى غير ولدك ياباني فى غير ملكك" كما صرحت بعض الأمهات المنجبات بذلك، الأمر الذى يدفع بعض هذه الأسر إلى تسليم الطفل وإرجاعه مرة أخرى الى إدارة الشئون الاجتماعية، ليودع مرة أخرى بمؤسسة ما، أو ينتقل لاسرة بديلة جديدة – وهذا الأمر هو أحد المشاكل التى تواجه العاملين فى هذا المجال كما صرح بعضهم بذلك.

وهنا نذهب مع "أنثورث" Ainsworth ١٩٧٩ أن هذا القلق الذي يجتاح الوالدين – وخاصة الأم – يجعلهم غير متسقين فى رعاية الطفل، وأن استجاباتهم للطفل تعتمد على مزاجهم أكثر من اعتمادها على حالة الطفل الانفعالية، فهى استجابات ليست محددة بحاجات الطفل، بل بحاجات الوالدين ومزاجهم فى اللحظة المعينة – ونتيجة لذلك يصبح الطفل قلقاً ومضطرباً فى سلوكه وتصرفاته، فهو يدرك أنه لا يستطع الاعتماد على والديه – وخاصة الأم – في التدعيم الانفعالى، ونظراً لأن الطفل يعتمد على مزاج الوالدين فإن سلوك الطفل يصبح مشوشاً لا يعرف حدود المقبولية لسلوكه، فهذا يتوقف ويعتمد على الحالة الانفعالية لوالديه. (Shaffer، ١٩٧٨٠٩، ٤١٤).

إن ذلك القلق الذى يسم علاقة الطفل بالوالدين البدلاء يجعل الطفل يفشل فى تحقيق قاعدة الآمان والثقة فى علاقته بهما والتى ينطلق منها فيما بعد فى علاقاته وسلوكه، إن ذلك

يجعل الطفل لا يشعر بأن الوالدين وسلوكهما يمكن التنبؤ به فى المواقف المختلفة وبالتالى يفقد المعايير والقيم التى تحكم سلوكه وتوجهه وتبدأ بعض المشكلات فى الظهور نظراً لفشل الطفل فى تنمية ضوابط داخلية لسلوكه أو التعرف على ما هو السلوك الملائم.

ولهذا فإن الأطفال الذين يوصفون بأنهم مرتبطون أو متعلقون بشكل آمن مستقر فى طفولتهم، يكونون أكثر رضى وأكثر قدرة على أن يكونوا منشغلين حينما يكونون بمفردهم، يملكون علاقات أفضل مع الناس، وأكثر قدرة على السلوك المناسب لسنهم. *(Carson et al* ، ١٩٨٨، ١١٩)، *(Rutter* ، ١٩٨٤، ١٤٦، ١٤٨)، *(Owens* ، ١٩٨٧، ٣١٠).

وهناك جانب آخر يلعب دوراً فى سياق علاقة الطفل بوالديه البدلاء، ويساهم فى رفع مستوى القلق لدى الوالدين، وبالتالى التذبذب فى المعاملة وأداء الدور مما ينعكس على سلوك الطفل، وهو قلق كثير من الاسر البديلة تجاه حقيقة وضع الطفل البديل فيها، هل تتم مكاشفته بالحقيقة فى عمره المبكر هذا، أم ينتظرون حينما يكبر، انهم ينظرون الى هذه المسألة باعتبارها "اللغم الموقوت" الأمر الذى يجعل العلاقة بالطفل مشوبة بالقلق والحذر، ويجعل هناك توقعاً لدى هذه الأسر بأن جهدها يمكن أن يضيع فى لحظة ما.

وهنا يتفق الباحثون أمثال "كيرك" Kirk ١٩٦٤، وتريسليوتس Triseliotis ١٩٧٣ وإلدرد وآخرون Eldred et al ١٩٧٦ على أنه يجب مناقشة حقيقة الطفل معه فى سن صغيرة، ويرون أن هناك أسباب عدة لذلك، وأول وأهم هذه الأسباب هو أن الأطفال في الأسر البديلة سوف يعرفون حقيقة أوضاعهم – وهنا يصبح من الأفضل أن يواجهوا بوضعهم الخاص بطريقة دعيمية من والدين مخلصين يوثق بهم، بدلاً من ان يظلوا على جهل بحقيقة أوضاعهم حتى يخبروا أصلهم فى وقت شديد الخطورة من خلال شخص قد لا يساندهم، وبطريقة صدمية غير متوقعة، وفى وقت لا يكونوا مستعدين لذلك. *(Steinhauer* ، ١٩٨٣، ٨٣). كما أن المرونة والقدرة على مواجهة الحقيقة أمر مرغوب فيه بشكل واضح، وهى مسألة أتفق الكل على أهميتها ما دامت الحقيقة ستنكشف إن عاجلاً أو أجلاً . وما دام من الممكن أن يتقبل الوالدان البدلاء الحقيقة ولا يتعلقان لأسباب شخصية – كما فى بعض الأسر غير المنجبة – بأهداب الخيال بأنهم هما اللذان أنجبا الطفل – ولعل ذلك هو ما دفع بعض الأسر الى إجراء ما يسمى بقضايا ثبوت النسب – فلن تكون هناك صعوبة كبيرة فى تهيئة الطفل فى وقت مبكر للعلم بهذه الحقيقة، ولهذا فلابد من إدراك الحاجة إلى الأمانة وإلى الصراحة فى مواجهة الحقائق غير المقبولة وإلى تسمية الأشياء بأسمائها. *(جون بولبى،* ١٩٨٠، ١٨٠، ١٨١، ٢١١).

وبالإضافة إلى ما سبق فإنه يمكن مناقشة نتيجة هذا الفرض فى ضوء أن هناك كثيراً من الأسر – فى عينة الدراسة – البديلة منجبة ولديها أطفالها الطبيعيين، كما يتضح من الجدول رقم (٢٢) الذى يوضح عدد الأسر المنجبة وغير المنجبة.

جدول رقم (٢٢)

يوضح عدد الاسر المنجبة وغير المنجبة

الأسر البديلة	منجبة	غير منجبة
العدد	١٢	٢٨

وبصرف النظر عن الدافع وراء ضم طفل جديد إلى أسرة منجبة – وهو ما سنتناوله – فإن وجود الطفل فى الأسرة البديلة التى لديها أطفالها الطبيعيون يثير الاحتكاك بين الأطفال مما يوقعهم فى مشاجرات ومكايدات ... الخ ويبدو ذلك تخريب ألعاب الرفيق، وفى جذبه وضربه ومكايدته وإغاظته.. وهذه الميول العدوانية والسلوكيات غير المقبولة يكتسبها الطفل من خلال البيئة ونتيجة لاحتكاكه بجماعة الاخوة والوالدين بما يتضمنه ذلك من إحباط وقمع وصراع. فتدل الأبحاث على أن الأطفال سرعان ما يتشاجرون لأتفه الأسباب، وسرعان ما يتحابون من جديد كأن لم يكن فى الأمر شئ. *(فؤاد البهى، ١٩٦٨، ٢٤١)، (حامد زهران : ١٩٧٨، ٤٠)، (Rutter، ١٩٨٠، ٣٠)*. فهذه المظاهر هى جزء من الدورة النمائية للأطفال فى هذه المرحلة من العمر، ولعل ذلك يوضح لنا اختفاء الفروق بين أطفال الأسر البديلة وأطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بالجانب التفعيلى فى أبعاد الاضطرابات السلوكية كما سنرى عند مناقشة نتائج هذه الأبعاد– حيث لم تظهر فروق بين المجموعتين الا فى بعد المشكلات الانفعالية، نوبات الغضب، العادات الشاذة.

ولكن يمكن أن نشير هنا إلى أن هذا الاحتكاك بين الإخوة كثيراً ما يثير ضيق وحنق الوالدين أنفسهم على الطفل البديل وجعله سبباً فيما يحدث من مخالفات سلوكية واضطرابات داخل الأسرة، وخاصة إذا ما كان طفلاً متميزاً عن الأبناء الطبيعيين فى شكله أو فى صحته البدنية مثلاً، وهذا ما لاحظه الباحث فى إحدى الأسر حيث كان الوالد يلقي اللوم على الطفل البديل فى إثارة المشاكل نظراً لقوته البدنية التى تفوق قوة أولاده الطبيعيين والأكبر سناً.

كما أن وجود الطفل وسط أطفال آخرين فى الأسرة البديلة، كثيراً ما يثير المنافسة والحسد والغيرة بين الأطفال بعضهم البعض، سواء فى الألعاب أو فى إقتسام الأنصبة فى الأكل أو غير ذلك والطبيعى والأصل هنا أن يفضل الأبن الحقيقى الطبيعى بجل الحب والاهتمام ويتم الانحياز إليه - وإن نال الطفل البديل قسطاً من ذلك فهو حب سطحى خال من الدفء والتلقائية ، بل هو واجب يحتمه الالتزام الخلقى فى أغلب الأحوال - وهنا يشعر الطفل البديل بأنه غير مرغوب فيه ، لا يلق الاهتمام والحب مثل إخوته، وبالتالى فقد يعبر عن غيرته بأساليب عدوانية واضحة وصريحة كالضرب مثلاً أو تدمير الأشياء وكسرها وإتلافها، أو أن يعبر عنها بمجرد السلوك الانسحابى وقد يقوم بنوع من النكوص إستدراراً للحنان والاهتمام المفقود، كأن يقوم بمص أصابعه أو إصابة فراشه ببلل متواصل، أو ينغمس فى بعض المظاهر الانفعالية المضطربة مثل كثرة البكاء والصراخ والأنين والبحث عن الإهتمام وطلب الانتباه.

وبالإضافة إلى ذلك أيضاً هناك بعض الدوافع لدي الوالدين البديلين - وخاصة الأم - وراء رغبتهم في ضم طفل إليهم، مع التسليم بأن هذه الدوافع قد لا تظهر على حقيقتها دائماً، ذلك أن بعض الأسر البديلة قد ينظرون إلى الطفل من حيث فوائده ومن حيث ما يتوقع منه، مما يجعل الطفل عرضه لبعض المخاطر - فالطفل فى هذه الحالة يكون محتاجاً إليه فقط لإشباع حاجات الوالدين البديلين، كأن يحل محل طفل ميت أو أن يخدم باعتباره رفيق لعب للطفل الوحيد، - وإن كنا لم نصادف ذلك، أو أن يملأ المنزل الخالى ويعطى لحياتهم معنى - فى الأسر غير المنجبة (*Shaffer*، ١٩٨٩، ٨٧)، (*Lee*، ١٩٩٠، ١٣٧، ١٣٨).

وبصدد هذه الدوافع نرى أن كثيراً من الأمهات البديلات لديهن أطفال (١٢) أسرة كما أتضح من الجدول رقم (٢٢) السابق، وبالتالى فهن غير متلهفات لممارسة دور الأمومة بالذات، فهن لا يجدن فى الطفل أى تعويض، ولكنهن محتاجات للوظيفة فقط والعائد المادى منها - فى حالة المراضع - حيث إن هناك عدداً منهن أرامل ومطلقات ومسنات يتخذن من هؤلاء الأطفال مصدراً للدخل قد يكون هو الوحيد بالنسبة لهن، أو أنهن محتاجات للأجر الذى يدفع مقابل رعاية الطفل فى الأسر البديلة - رغم ضآلته - لمساعدة الزوج والأسرة على تكاليف المعيشة - كما أن الطفل فى هذه الأسر يصبح عامل جذب لهبات وصدقات المحيطين بالأسرة والذين يعرفون حقيقة الطفل - وهنا يصبح وجود الطفل فى عدد من الأسر البديلة هو بمثابة نوع من الدعم الاقتصادى لهذه الأسر، وبالتالى فهى لا تحرص على ملء بيئة الطفل بالمثيرات أو إمداده بالخبرات التى تساعده على النمو بشكل سوى متوافق ، الأمر الذى ينعكس على سلوك الطفل

وتصرفاته.

ومما يبرز ويؤكد ذلك الدافع الاقتصادى وراء ضم الطفل إلى هذه الأسر - المنجبة وبعض الأسر غير المنجبة - هو ما نجده من أعداد هذه الأسر سواء من حيث نوع الرعاية (بأجر - بدون أجر) أو من حيث أسباب طلب رعاية الطفل كما يوضحها الجدول رقم (٢٣) والجدول رقم (٢٤).

جدول رقم (٢٣)

يوضح نوع الرعاية فى الأسر البديلـــة

نوع الرعاية	بأجر	بدون أجر	المجموع
عدد الأسر	٢٢	١٨	٤٠

ويتضح من الجدول السابق مدى قوة الدافع الاقتصادى، حيث أن نسبة ٥٥٪ من مجموع هذه الأسر التى ترغب فى الأجر مقابل الرعاية، وذلك فى مقابل نسبة ٤٥٪ ترغب فى ضم الطفل إليها بدون أجر. ويتضح ذلك بشكل مباشر إذا ما نظرنا إلى أسباب طلب رعاية الطفل فى الأسرة البديلة كما فى الجدول رقم (٢٤).

جدول رقم (٢٤)

يوضح أسباب طلب رعاية الطفل

أسباب طلب الرعاية	عدم الإنجاب	عدم إنجاب نوع معين	طلب مساعدة مالية
عدد الأسر	٢٨	-	٢٧

ويتضح من الجدول السابق أن هناك ثلاثة أسباب وراء طلب رعاية الطفل فى الأسرة البديلة، وقد مثل السبب الخاص بطلب مساعدة مالية ٥ر٦٧٪ (٢٧ أسرة بما فيها بعض الأسر غير المنجبة وترغب فى الأجر أيضاً ، بينما كان رعاية الطفل بسبب عدم الإنجاب يمثل نسبة ٧٠٪.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن ذلك قد لا يكون دافعاً قوياً ومقبولاً إذا ما علمنا أن الأجر الذى تتقاضاه الأسرة عن الطفل فى هذاالسن هو (١٠) جنيهات فقط ، تودع نسبة ١٠٪ منها لحساب الطفل فى صندوق التوفير شهرياً (بنص القرار الوزارى رقم ١٨١ بتاريخ ١٩٨٩/٨/٢٢ بشأن نظام العمل بنظام الأسر البديلة، ولكن سرعان ما يتأكد ذلك ويصبح الدافع الاقتصادى قوياً لرعاية الطفل إذا ما علمنا أن هذا المبلغ الذى يبدو ضئيلاً بالحساب

الاقتصادى وتكاليف المعيشة، قد يمثل مورداً إضافيا لا بئس به لأسر متوسط الدخل فيها هو (١٤٧ر٢٥) جنيهاً، وبالتالى فإن هذا المبلغ يمثل علاوة شهرية لا سنوية - إن جاز التعبير - لهذه الأسر مقدارها ٧٨ر٦٪ من إجمالى دخل الأسرة !!.

ومما يؤكد ذلك أيضاً أنه فى بعض الأسر كانت الأم تعمل خارج المنزل فى أعمال مختلفة (فراشة فى مدرسة - عاملة فى بعض المراكز الصحية) وكانت هذه الأمهات تستعين بهؤلاء الأطفال - كبار السن - فى كسب بعض القوت من خلال قيام الطفل (٣ أطفال) ببيع بعض الأشياء البسيطة (الحلوى) بجوار منزل الاسرة - وعلى الرغم مما فى ذلك من انتهاك للطفل، إلا أنه أتاح له بعض الخبرات والمميزات التى جعلته يتفوق على قرينه فى المؤسسة.

ومما يجعل الطفل كذلك يتعرض للإهمال وعدم الإشباع الكافى لحاجاته الاجتماعية والنفسية المختلفة مما يؤثر على سلوكه ، هو سن الوالدين وظروفهم الصحية والمعيشية غير المواتية.

ويوضح جدول رقم (٢٥)

متوسط عمر الوالدين البدلاء

	الآبــاء	الأمهـــات
متوسط العمر	٥٢ر٦	٤٣

وهنا يمكن أن نقرر أن الوالدين كبار السن لا يستطيعون أن يكونوا آباء ناجحين لأنهم يكونون أقل مرونة وأقل تكيفاً مع سلوك ومطالب الطفل. هذا إلى جانب الحالة الصحية غير المواتية - كما لاحظها الباحث لدى كثير من الأسر - مما يجعل الوالدين أقل قدرة على العناية والرعاية للطفل البديل، مما يترتب عليه علاقات ضعيفة جداً. فطفل هذه المرحلة له خصائص ومتطلبات وحاجات خاصة جداً لا يستطع أحد تقبلها وإشباعها بالحب والحنان إلا أم أو والديه حقيقية. وحتى إن توفر هذا الاستعداد لدى بعض الأسر البديلة للقيام بهذا الدور فإن سن الوالدين وظروفهم الصحية والمادية قد لا تتيح لهم النهوض بهذه الأعباء.

إن هذه الأمور جميعها تمارس تأثيراً سيئاً على علاقة الطفل بوالديه، الأمر الذى يضعف هذه العلاقة إلى حد كبير، ومن ثم يفتقد الطفل ذلك التأثير الوالدى على سلوكه بالضبط والتهذيب وإمداده بالمعايير الواضحة التى تحدد سلوكه

بقيت نقطة فى هذا الشأن وهى أن بعض هذه الأسر البديلة غير سليمة التكوين، من حيث توفر الوالدين معاً- الأم والأب - فبعض هذه الأسر (٤ أسر) توجد الأم فقط وليس هناك أب، رغم شرط القانون الذى يحتم ضرورة وجود الوالدين معاً، ولكن يتم أحياناً التحايل على هذا الشرط - فهناك آنسة لم تتزوج وحصلت على الطفل عن طريق أخيها وزوجته رسمياً ، ولكن الطفل يعيش معها - وكذلك نجد وفاة الأب أثناء الرعاية، أو وفاته قبل الرعاية وتحصل الأم على الطفل عن طريق أحد أبنائها وزوجته رسمياً ... إلخ ولا يغيب عن الذهن ما يسببه غياب الأب للطفل من عدم تحديد مكونات الشخصية له وبلورة دوره الجنسى وتدريبه على اتخاذ دوره فى المجتمع وإكسابه أنماط السلوك المسئول - وهو ما عرضنا له فى الفصل الثانى- .

وأخيراً نؤكد مرة أخرى أن نظام الأسر البديلة هو أفضل أنواع الرعاية البديلة المتاحة - وأن ما يعانية الطفل من مشكلات لا يرجع إلى نظام الأسر البديلة كنظام فى ذاته، بل يرجع إلى الظروف المحيطة بهذا النظام - الأمر الذى يعرض الطفل فى الأسرة البديلة لعديد من المخاطر والانتهاك والإهمال على الرغم من أنه يعيش وسط أسرة ووالدين، وقد يحدث ذلك للطفل داخل الأسرة الطبيعية نتيجة لبعض الظروف، ومن ثم فإن المسألة تتعلق بالوالدية الفعالة القادرة على منح الطفل الحب والإشباع المنتظم المستمر لحاجاته المختلفة، فالوالدية ممارسة قبل أن تكون نسباً.

(٣) نتائج الإجابة على الفرض الثالث ومناقشتها :

لقد كان نص الفرض الثالث مؤداه "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فيما يتعلق بمتغيرات الاضطرابات السلوكية كما يقيسها الاختبار المستخدم ".

ويوضح الجدول رقم (٢٦)

دلالة الفروق بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط

درجات أطفال المؤسسات في متغيرات الاضطرابات السلوكية

متغيرات إضطرابات السلوك	أطفال الأسر البديلة		أطفال المؤسسات		قيمة "ت"	دلالة الفرق	اتجاه الفرق
	المتوسط	الانحراف المعيارى	المتوسط	الانحراف المعيارى			
مشكلات السلوك	٤ر[illegible]	٥١ر٢	٤٥ر٦	١٨ر٢	٩٢ر٢	٠١ر٠	لصالح الأسر البديلة
نوبات الغضب	[illegible]	٥ر٠	٦ر١	٦٢ر٠	٧٧ر٠	ليس له دلالة	ليس له دلالة
السلوك الانسحابى والاتصال بالآخرين	[illegible]	١١ر١	٨٥ر١	٢٢ر١	٥٩ر٢	٠٥ر٠	لصالح الأسر البديلة
مستوى النشاط والتركيز	٢ر[illegible]٥	٣٩ر١	٩٨ر٢	١١ر١	٢٥ر٢	٠٥ر٠	لصالح الأسر البديلة
المصاعب الانفعالية	٥ر[illegible]٥	٤٢ر١	٥٥ر٦	٥٨ر١	٥٢ر٣	٠١ر٠	لصالح الأسر البديلة
اللغة والكلام	٢ر٨	٠٢ر١	٢٥ر٢	٥١ر١	٤٥ر٠	ليس له دلالة	ليس له دلالة
العادات الشاذة	٢ر٣	١٢ر١	٤ر٢	٥١ر٨	١ر١	ليس له دلالة	ليس له دلالة

ويتضح من الجدول السابق أن نتائج المقارنة بين أطفال الأسر البديلة وأطفال المؤسسات فيما يتعلق بمتغيرات اضطرابات السلوك كما يقيسها الاختبار المستخدم لم تسفر عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية إلا فى أربعة متغيرات فقط وهى :

- مشكلات السلوك.
- السلوك الانسحابى والاتصال بالآخرين (العلاقات الاجتماعية).
- مستوى النشاط والتركيز.
- المصاعب الانفعالية.

وهو ما يشير إلى تحقق الفرض الثالث من حيث وجود فروق جوهرية بين أطفال الأسر البديلة وأطفال المؤسسات فيما يتعلق بمتغيرات إضطرابات السلوك كما يقيسها الاختبار المستخدم.

وسبيلنا الآن هو مناقشة هذه الفروق بين أطفال المجموعتين فى هذه المتغيرات.

وفيما يتعلق بالفروق فى المشكلات السلوكية والتى تشير – كما يقيسها الاختبار المستخدم – إلى ميل الطفل الواضح إلى العدوانية والتدمير والتشاجر وعدم الطاعة.. فإننا نرى

- بالإضافة إلى ما سبق فى مناقشة الفروض السابقة - أن هذه الفروق تكمن فى السياق البيئى الذى يعيش فيه الأطفال فى المجموعتين، وما يحيط بهذا السياق من عوامل تتعلق بإشباع حاجات الطفل الاجتماعية والنفسية المختلفة، تلك الحاجات التى يرتبط إهمالها وعدم إشباعها للطفل بعديد من نواحى الاضطراب فى سلوكه.

وبداية فإن طفل المؤسسة يعيش فى عزلة نسبية عن المجتمع ويتعرض للحرمان من عوامل ومتغيرات التنشئة الاجتماعية والمثيرات البيئية، وبالتالى فلم يكتسب المشاعر والعواطف الإنسانية، فالحرمان الاجتماعى عامل أساسى فى التخلف وعدم إكتساب الطفل للفطرة الإنسانية، هذه الفطرة أو الطبيعة التى تنمو لدى الطفل من خلال التفاعل الشخصى مع من يتولى أمره. (*هدى قناوى*، ١٩٨٣، ٤٥، ٤٦) .

فاطفال المؤسسات لا يأخذون حقاً القدر الكافى من الحرية فى التنقل والانجاز واللعب والمشاركة كحاجة لازمة للنمو الاجتماعى وتطور السلوك بالقدر الذى يتمتع به أطفال الأسر البديلة، فالاخيرون قد يحصلون على هذه الحاجات بشكل أكثر فاعلية إلى حد ما من أطفال المؤسسات، وذلك من خلال السماح لهم بالخروج والاتصال بالآخرين - أطفالاً وراشدين - فى عديد من المواقف والمناسبات - فهم يقومون بقضاء بعض احتياجات الأسرة من الخارج، أو يلعبون بشكل أكثر حرية واستقلالية مع إخوانهم وأقرانهم في الأسر البديلة أو خارج الأسرة، وبالتالى تتاح لهم فرص أكبر للتعامل مع غيرهم من الأطفال والراشدين، الأمر الذى ينعكس على إكتسابهم لخبرات وأنماط متقدمة من السلوك بشكل أوضح من طفل المؤسسة. بل إن ما قد ينقصه - أى طفل الأسرة البديلة - من وضوح هذه المحددات السلوكية داخل الأسرة البديلة قد يجده خارجها من خلال نشاط اللعب والتعامل اليومى مع الآخرين.

وغنى عن البيان أن نمط الرعاية الذى يتسم بالتقييد - داخل المؤسسة - يخنق نضج الطفل ونموه ، فالحماية الزائدة والتقييد الزائد هى أنماط تربوية تجعل هناك نوعاً من الفشل فى إمداد الطفل بالفرص التى يحتاجها لاختبار الواقع ولنمو المهارات الضرورية - إن ذلك يحدث داخل الأسر الطبيعية حيث الحب الوالدى الفطرى، فلنا أن نتخيل ما يحدثه هذا النمط الممزوج لا بالحب، بل بالقسوة والعقاب والإيذاء النفسى من آثار سلبية على شخصية الطفل وسلوكه.

إن إتاحة المجال أمام الطفل فى المؤسسة يعني من وجهة نظر المشرفات كسراً للقواعد والنظام داخل المؤسسة، والإخلال بالنظام وكسر القوعد يعنى فشل الأم – المشرفة – من وجهة نظر الإدارة ومن وجهة نظرها أيضاً، وبالتالى فهى لابد وأن تنجح فى مهمتها لاعتقال هؤلاء الأطفال، فالمهم هو حفظ النظام، أما الطفل فهو "عهدة" جسدية في الحفظ والصون !!.

إن هذا الشعور بالفشل الذى يعانيه الطفل من جراء إهماله وتقييد حريته يدفع به إلى محاولة الحصول على الإهتمام وتحقيق المكانة والاستقلال، حتى وإن كان ذلك بممارسة الأعمال التخريبية التدميرية، إن تدمير الأشياء والممتلكات مثلاً هو بمثابة محاولة من جانب الطفل لتدمير "مكانة الأشياء" التى فاقت مكانته.

فالمشرفة فى المؤسسة ترى أن منح الطفل الحرية والاستقلالية يهدد سيطرتها عليه،، وبالتالى فالأفضل أن تقضى له الحاجات دون تدخل منه، تلك الحاجات التى تفرض عليه – لا التى يريدها ويرغبها – وبالتالى فهناك كف دائم لأوجه النشاط والحركة ومحاولة استكشاف البيئة.

وهكذا تتسم أساليب التربية داخل المؤسسات بالأمر والنهى والقسوة، وبالتالى يعتاد الطفل التمرد والعصيان وخاصة إذا ما زادت هذه الأمور بدرجة كبيرة، ويأخذ النظام الصارم داخل هذه المؤسسات شكل العقاب البدنى لخرق القوانين والنظم ، وتميل النتيجة لأن تكون فى صورة زيادة السلوك العدوانى من الطفل، فالعقاب البدنى يبدو أنه يمد الطفل بنموذج للسلوك العدوانى يميل الى مضاهاته، وهكذا يتحد النظام الصارم مع التقييدية ليقود الى التمرد والعصيان والسلوك المنحرف اجتماعيا. (Carson et al ، ١٩٨٨، ١٩٩)، (Mussen ، ١٩٧٩، ٢١٧).

ويرتبط بمسألة العقاب والقمع شعور الطفل بأنه غير محبوب وغير مرغوب فيه، إلى جانب شعوره بسوء المعاملة، فيبحث عن الانتقام، وتلك مشكلة خطيرة، فعادة ما يكون هدف الطفل فى هذه الحالة هو الانتقام والثأر ضد أحد الراشدين الذين أجبروه على الطاعة والامتثال ولم يتح له فرصة التعبير عن ذاته واستكشاف البيئة حوله – ويأخذ ذلك الانتقام أشكالاً عديدة مثل الإزعاج – عدم الطاعة، تمزيق الأشياء، التشاجر والعراك وعرقلة الأنشطة، وإذا ما نجح الطفل فى ذلك فإن سلوكه السيئ سوف يتدعم ويميل للحدوث مرة أخرى . (Draper & Draper ، ١٩٧٩، ٢٥٧).

وإلى جانب هذا الحصار النفسى المفروض على الطفل داخل المؤسسة نجد هناك حصاراً مادياً يعرقل الطفل فى نشاطاته المختلفة، الأمر الذى ينعكس على سلوكه وشخصيته بالسوء والاضطراب- هذا الحصار يتمثل فى الظروف والإمكانات المادية لهذه المؤسسات، وذلك من حيث مساحتها ومدي ملاءمتها للطفل ومدى تجهيزها بالادوات والألعاب والوسائل المختلفة اللازمة للطفل فى هذه السن.. ولهذا فإنه يمكن تفسير بعض جوانب السلوك المضطرب لدي الطفل داخل المؤسسة فى ضوء أحد الحاجات الأساسية، وهى الحاجة الى المسكن والمكان المناسب.. وهنا نؤكد أن هذه الحاجة – وفى ضوء عينة الدراسة – ليست مشبعة وليست متاحة كذلك للأطفال فى الأسر البديلة بشكل صحى وكافي، بيد أن هناك بدائل متوفرة لأطفال الأسر البديلة من قبيل الخروج الي الشارع أثناء اللعب أو اللعب مع الأقران فى مساكنهم وهو ما لا يتوفر لطفل المؤسسة.

فهذه المؤسسات فى غالبيتها لا تعدو أن تكون مجرد طابعاً فى مبنى ، أو مبنى صغير المساحة قديماً لا يكاد يتسع لكل هذه الأعداد من الأطفال المودعة به، الأمر الذى دفع كثيراً من هذه المؤسسات إلى استخدام السرير ذى الطابقين مثلاً، بما ينطوى عليه من خطورة على الطفل، فمساحات هذه المؤسسات صغيرة للغاية ولا تناسب حركة الأطفال ولعبهم وجريهم فى هذه السن – فالطفل فى حاجة إلى مساحة حرة معقولة تساعده على الحركة واللعب، كأحد الحاجات البالغة الأهمية فى نموه وسلوكه. (*هدى قناوي*، ١٩٨٣، ١٣١) وهكذا يمكن أن نقرر أن ضيق المساحة وسوء الأحوال السكنية والمكان فى هذه المؤسسات يفرض على الطفل العديد من القيود المادية، إلى جانب القيود النفسية التى يعانيها الطفل والتى تشعره بأنه غريب وغير مرغوب فيه وتزيد من قلقه واضطرابه.

فهذه المؤسسات غير معد أصلاً لغرض رعاية الأطفال وتربيتهم، وبالتالى فهى غير ملائمة للطفل من حيث ازدحامها الشديد بالأطفال، إلى جانب فقرها الشديد من حيث أدوات وتجهيزات اللعب والنشاط والترفيه، وحتى إن وجدت بعض التجهيزات فهى محرمة على الطفل، فنقل شئ من مكانه ممنوع، تناول أى شئ لفحصه واستطلاعه محظور ويجلب العقاب، وهكذا لا يجد الطفل متنفساً لطاقاته الحبيسة إلا أن ينطلق فى شجار وعراك مع الأطفال الآخرين، ويميل إلى العنف والتدمير ويصبح عدوانياً بشكل واضح ويزداد شعوره بالتوتر ويصبح أكثر قابلية للاستثارة والتهيج وسرعة التأثر.

ومن أبرز العوامل الفعالة لدى أطفال الأسر البديلة والتى تلعب دوراً فى جوهرية الفروق بين أطفال المجموعتين فى اضطراب سلوكهم هو العلاقة بالإخوة والأقران داخل هذه الأسر – رغم أن لها جوانبها السيئة كما سنرى فيما بعد – فجماعة الإخوة والأقران تساهم فى التنشئة الاجتماعية للطفل الصغير، فهو يتعلم من إخوته وأقرانه أن يقيم سلوكه مثلما يفعل الآخرين، ويعتقد فى ذاته كما يعتقد الآخرون فيه، فالإخوة الكبار يخدمون هنا باعتبارهم نماذج للمحاكاة والتقليد، وبهذا فهو يتعلم ليس فقط أنماط السلوك المقبول اجتماعياً، بل والمناسب لجنسه أيضاً. وكذلك نجد أنه سواء كان إخوة الطفل أكبر منه أو أصغر منه، فإنهم يسهمون فى أمنه الانفعالى ويعلمونه كيف يبدى محبته تجاه الآخرين، بل إنه حتى فى حالات العراك والتشاجر بين الإخوة والأقران، فإن الطفل يكتسب خبرة تعليمية ذات قيمة، فهو يكتشف ما سوف يتحمله الآخرين وما لا يتحملون، بل قد يصبح للإخوة دوراً مسانداً وتدعيمياً للطفل فى حالة غياب الوالدين أو أحدهما. (Hurlock، ١٩٨٣، ١٠٩، ١١٠)، (Rutter، ١٩٨٤، ٢١٢)، (Harris، ١٩٨٦، ٤٠٢).

وقد يرى البعض أن هناك توفر لهذه الأخوة وجماعة الأقران بشكل أوسع وأكبر داخل المؤسسة، بيد أننا نرى أن هذه الكثافة للإخوة والأخوات داخل المؤسسة قد لا تضيف شيئاً جديداً للطفل – فإلى جانب أنها علاقات سطحية غير عميقة – فأساليب التنشئة الجماعية داخل المؤسسة لا تفرق بين صغير وكبير، بين ذكور وإناث، بل هى نمط واحد تم ممارسته على الجميع، وبالتالى فليس هناك ذلك التباين الاجتماعى والثقافى بين الأطفال والذى يسمح لهم بنقل الخبرات والسلوكيات من بعضهم البعض، بل قد تكون هذه الكثافة عامل مفجر ومثير لاضطرابات السلوك من شغب وعنف وتشاجر نتيجة للزحام الشديد وسوء المكان داخل هذه المؤسسات.

وإلى جانب ذلك ، فإنه يمكن النظر إلى هذه الجوانب السلوكية المضطربة فى ضوء ما يعانية أطفال المؤسسات من إحباط شديد- حيث تدل الدراسات أن هناك إرتباط بين سلوك الوالدين المتسم بالرفض وشدة التحفظ أو عدم الثبات على أسلوب واحد، وبين العدوان والسلوك العنيف لدي الأطفال، حيث أن هذه الألوان من سلوك الوالدين تؤدى إلى الإحباط لدى الطفل. (حامد الفقى، ١٩٧٣، ١٨١). وهنا نستطيع أن نقرر أن هناك عدة ظواهر سلوكية تدل على وجود الإحباط هي العدوانية، والخضوع والانسحاب وأعراض المرض الجسمي النفسى والنكوص. (هدي قناوي، ١٩٨٣، ٣٠٦،٣٠٧). وبالتالى نستطيع أن نقرر أنه إذا كان أطفال المؤسسات يتعرضون للنبذ وشدة التحفظ والتذبذب فى المعاملة والقسوة، فإن ذلك كله يؤدى إلى إحباطهم

الشديد، ذلك الإحباط الذى يعبر عن نفسه فى تلك الصور السابقة والتى تكون العدوانية أحد دلائله، وكذلك الانسحاب من العلاقات الاجتماعية والعزوف عن التحدث مع الآخرين - كما سنرى- فأكثر الأطفال ميلاً للعنف والتدمير والعدوان هم من يتسم سلوك القائمين على رعايتهم بالرفض والنبذ وشدة التحكم.

فغالبية حاجات الطفل الانفعالية داخل المؤسسات غير مشبعة على النحو الأكمل، وبالتالى فهى تواجه دائماً بالإحباط، الأمر الذى يدفع الطفل وبشكل مستمر - ونؤكد هنا على الاستمرارية - إلى الانغماس فى ضروب من التصرفات والسلوكيات تتسم بالعنف والتدمير والإتلاف نحو الممتلكات والأشياء، وبالضرب والعراك والشجار نحو الأشخاص، وذلك كنوع من العدوانية المقابلة لعدوانية الآخرين من الراشدين الذين يقسون على الطفل ويهملونه.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الإشراف في المؤسسات يقوم على أسلوب إفهام الطفل بأن العدوان حرام وقبيح - فإذا عجز الطفل عن ضبط دوافع العدوان لديه،. فإن الشعور بالذنب الذي قد يتملكه قد يدفعه الى أن يكون أكثر عدوانية وأكثر ميلاً للعنف والتدمير، ولهذا فإن من أهم حاجات الطفل الانفعالية هى تخليصه من مشاعر الذنب. *(هدى قناوى، ١٩٨٨، ٢٢٠)*.

كما أن أسلوب العقاب والإيذاء البدنى السائد فى غالبية المؤسسات قد يؤدى فعلاً إلى وقف العدوان المباشر والسلوك العنيف ولو لبعض الوقت، ولكنه يبنى فى نفس الطفل روح العدوان والانتقام التى سوف تنفس عن نفسها فيما بعد، كما أن عقاب الوالدين أو من يقوم مقامهما للطفل جسمياً يقدم للطفل نموذجاً ملموساً للعدوان ومثلاً يحتذى به فى عدوانيته. *(حامد الفقى، ١٩٧٣، ١٨١، ١٨٢)*.

فالعقاب المفرط للطفل على عدوانيته يقابل من جانب الطفل بعدوان أشد، ولا تصبح المسألة هنا مجرد إحباط نتيجة فشل فى إشباع حاجات الطفل أدى إلى عدوان، بل أصبحت مسألة أعقد من ذلك، فهناك إحباط تمت مواجهته من الطفل بعدوان، تمت مواجهته من القائمين عليه بعدوان أشد، فاشتدت عدوانية الطفل، ولهذا يؤكد الكثيرون على أن العلاقة بين الإحباط والعدوان علاقة مركبة وغير مباشرة، وتتوقف على ما يكون بين الطفل ووالديه من تفاعل. *(هدى قناوي، ١٩٨٣، ٢١٦)*.

وهكذا فأطفال المؤسسات ما دام لم تتوفر لهم الأمومة بشكل كافي جسدياً، ولا تتوفر نهائياً بشكل نفسي، وبالتالى لا توجد علاقات الدفء العاطفى الكافى بين الكبار والطفل، وهنا يكون التأثير على مكونات الشخصية كما قلنا فى صورة إفتقار الى تكوين أنا أعلى قوي، وفقدان القدرة على التعلم والتحكم فى غرائزه، مندفع فى انشطة ورغبات مضادة للمجتمع، وكل ذلك لافتقاده الحب وسعيه للحصول عليه بشكل غير ملائم لمتطلبات الواقع الاجتماعى. (محمد شعلان، ١٩٧٧، ١٠٦)، (Marion، ١٩٦٩، ٢٢٥).

ولهذا يرى الكثيرون أن الافتقاد الوالدى والحرمان من الرعاية والحب يرتبط بنمو الشخصية السيكوباتيه والسيسوباتية التى تتميز بعدم القدرة على حفظ الأدوار والقوانين ونقص الشعور بالإثم واشتهاء المحبة وعدم القدرة على إقامة علاقات دائمة باقية. (Marion ، ١٩٦٩، ٢٣٢)، (Mussen ، ١٩٨٣، ٧٨٠، ٧٨١).

وفيما يتعلق بالسلوك **الانسحابى والاتصال بالآخرين** والذى يتضمن علاقات الطفل الاجتماعية ورغبته فى التحدث إلى الآخرين أو انسحابه من هذه العلاقات، فإننا نري، واستكمالاً للصورة السابقة، أنه إذا كان بعض الأطفال يختارون العدوانية والعنف والتدمير وسيلة للتعبير عن إحباطاتهم الناتجة عن عدم إشباع بعض أو كل حاجاتهم النفسية – كما سبق ورأينا– إلا أن هناك بعض الأطفال لا يختارون ذلك، ولكنهم بدلاً من ذلك يميلون نحو نمط وجدانى انفرادى من السلوك، وبمعنى آخر يختارون الانسحاب من المجتمع. (هدى قناوى، ١٩٨٣، ٣٢١) وهنا نجد الطفل يتجنب التعرض للناس أو المواقف أو الاشياء التى تثير فى نفسه القلق والضيق بعد أن حدث له إحباط حاجات تتعلق بها، كما ينفر من الاحتكاك والتحدث مع الآخرين.

وبالاضافة إلى الاحباط الذى يعانيه الطفل ويقوده الى الانسحاب، نجد أن حالة الانسحاب لدى الطفل وعزوفه عن الاتصال بالآخرين قد يكون نتيجة لما يعانيه من ألم نفسى يسببه له القائمون عليه بالمؤسسات، وذلك عن طريق إشعار الطفل بالذنب كلما أتى سلوكاً غير مرغوب – وبالتالى تقوم المشرفة بالتحقير من شانه دون اعتبار لسن الطفل، وإن هذه السن هى سن التعلم والمحاولة والخطأ، ولا يجب أن ينتقد فيه الطفل، وعلى هذا نجد أن الطفل يفقد ثقته بنفسه وبقدراته، ويشعر بالخجل، وبالتالى فهو ينطوى على نفسه وينسحب من العالم المحيط به، وذلك خوفاص من أن يخطئ فيعاقب، وعلى ذلك يمكن أن يكون هذا الانسحاب وعدم الرغبة فى

الاتصال بالآخرين هو بمثابة وسيلة دفاعية ضد الخوف من العقاب والألم النفسى الناتج عن ارتكاب الاخطاء. (هدى قناوي، ١٩٨٣، ٩١).

كما أن نظام الرعاية السائد داخل هذه المؤسسات نظام شديد الصرامة - كما قلنا - ويفرض على الطفل العديد من أشكال القيود والتحكم فى كل تصرفاته مما يسم شخصية الطفل بما يمكن أن نسميه "بالشخصية المكفوفة" - حيث يبدو الطفل خجولاً ومنعزلا وخائفاً من التعبير عن نفسه وعن رغباته، كما يبدو متردداً قليل الحركة مبتعداً عن الآخرين ومتشككاً فيهم.. إلا أن حقيقة الأمر غير ذلك، فبعد محاولة الاقتراب من الطفل يتضح أنه شديد الجوع والاحتياج إلى الآخرين والى عطفهم ومحبتهم، إلا أنه يخاف من إظهار ذلك نتيجة لكبت البيئة لمشاعره وعدم السماح له بإجراء أى إتصال مع الآخرين - أطفالاً وراشدين - إلا بإذن وفى حدود، ولهذا يصبح لديه قصور فى التعبير عن مشاعره ورغباته وتصبح صفات البرود العاطفى والانطواء الشديد ما هى إلا مظاهر لخوف الطفل الشديد، وهو يعوض هذا النقص فى الموضوعات الإنسانية الخارجية بخلق موضوعات خيالية يتعامل معها. (محمد شعلان، ١٩٧٧، ١٠٢).

هذا بالإضافة إلى أن حديث وعبارات الأطفال داخل المؤسسات لا تجذب انتباه الراشدين حولهم، كما في الأسر العادية، فهذا مزعج ومقلق للراحة، وبالتالى فكلامهم وحديثهم وعباراتهم لا تقابل بقدر من الإثابة والتشجيع والتعديل، ونتيجة لهذا يظل معدل الاتصال بين هؤلاء الأطفال والآخرين متأخراً إلى حد كبير. (جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ١٤٥، ١٤٦) فالطفل الذى لم يجد من بيئته استجابية لحاجاته ، لا تنشأ عنده دافعية قوية لنمو المهارة اللغوية ومهارة الاتصال بالآخرين.

فهناك العديد من الظروف والعوامل السلبية داخل هذه المؤسسات تعمل على جعل الطفل فى حالة من القلق والاضطراب المستمرين، فهناك سيطرة تصل إلى حد السيطرة على تفكيره مما يجعل الطفل فاقداً الثقة بذاته ويجعله يشعر بعدم الطمأنينة، وبالتالى فهو يشعر بأنه غير مرغوب فيه ممن حوله، ولهذا يعانى القلق والكراهية للبيئة ولنفسه مما يدفعه دفعاً للانسحاب من هذه البيئة والجنوح نحو الخجل والانطواء .

فانعزالية الطفل هذه وانسحابيته هى دليل فقدانه الأمن الداخلى والأمان الذى يبحث عنه، ولهذا نجد أن مستوى النشاط والتركيز لدى هؤلاء الأطفال ضعيفاً ويشبعون حاجاتهم هذه

من خلال الأنشطة التى تتسم بالخيال وأحلام اليقظة والأوهام والبعد عن عالم الآخرين المؤلم والمحبط، فنجدهم دائمى الجلوس بمفردهم محدقين فى الفضاء بنظرة خالية من أى تعبير وكأنه ينتظر شيئاً ما - أو يبحث عن شئ ما لا يعرفه ولكنه يحسه، إنه يبحث عن الثقة والأمان.

وقد يعبر عن ذلك بكثرة نشاطه وحركته الزائدة، ويصبح نشاطهم الزائد هنا وعدم قدرتهم على التركيز هى دليل ما يعانوه من قلق نتيجة للضغوط الواقعة عليهم مما يسبب لهم الضيق الانفعالى. (*Carson et al* ، ١٩٨٨، ٤٩٦ ، ٤٩٧).

ويمكننا القول إن ما تعرض له الطفل داخل المؤسسات من قبل الأمهات - المشرفات - من رفض ونبذ من الأرجح أن يرتبط بزيادة المشكلات النفسية لدى الطفل - فالأم على حد تعبير "بولبى" تعمل بمثابة " المنظم السيكولوجى Psychological Organizer (*Singer* ، ١٩٩٢، ٩٧). الذى يتوسط بين الطفل والعالم الخارجى منذ البداية ولذا تذهب بعض النظريات إلى أن اضطراب العلاقة بالأم يمكن أن يؤدى إلى اهتزاز العلاقة بالواقع، مما يؤدى بالطفل إلى الذهان فى الطفولة، وهو ما تسميه "مارجريت ماهلر" Mahler بالذهان الذاتوى، الذى ينتج من افتقاد الطفل للعلاقة الأولية المشبعة مع الأم وفقدان قدرة الطفل على حب الأم نظراً لصورتها غير المشبعة لديه، مما يجعل الطفل ينصرف عن عالم البشر ويقيم علاقة مع الأشياء الجامدة، حيث أنه يلغى الإنسان الذى يمثل له فقدان الحب. (*Winnicott* ، ١٩٦٨، ٢٨٥- ٢٩٥).

وإذا كان كل ما سبق يعانيه الطفل من جراء انقطاع العلاقة بينه وبين والديه وتعرضه لوالدية لا هى بيولوجية ولا هى نفسية، فأننا نتوقع أن يعانى الطفل عديد من المشاكل والصعوبات الانفعالية من قبيل اليأس والخوف والحساسية الزائدة وطلب الاهتمام والانتباه.

وهنا وإلى جانب ما سبق ذكره - نشير إلى نقطة شديدة الأهمية تكمن وراء معاناة الطفل الانفعالية وهى مسألة "تقدير الزمن" أو إدراكه - فالطفل خاصة فى الأعمار الصغيرة يكون محدود القدرة على إدراك الزمن وبالتالى فإنه يفسر غياب الوالدين على أنه غياب أبدى بهم، ثم أنه عاجز عن أن يفعل شيئاً نظراً لما يحيطه من سيطرة وتقييد، وهنا يطغى عليه القلق ليدمر شخصيته. (*جون بولبى*، ١٩٨٠، ٨٩) فالقلق كما يرى "بولبى" هو نوع من رد الفعل لغياب صورة التعلق التى يظل الطفل فى حاجة اليها، فالاحتجاج Protest الذى يعقب هذا الغياب يقصد به إحضار واسترداد الشخص الذى يحتاجه الطفل- أو أى شخص آخر - ليكون هناك

نوع من الحماية لما يستشعره الطفل من تهديد - وعندما لا يحضر الشخص المطلوب، فإن القلق هنا يتوقف تدريجياً، ويحل محله الألم والأسى والحداد Mourning وربما اليأس. (Klein ، ١٩٨٩، ١٠٨).

ويمكن أن يحدث هنا نوع من الانفصال التام deattachment أو عدم التعلق، يعبر عنه فى عدم القدرة على إقامة أى علاقة جديدة على الرغم من وجود صورة للتعلق متاحة للطفل وهو ما تطلق عليه "أنا فرويد" A. Freud ١٩٦٠ الحداد غير الناجح Unsuccessful mourning. (Klein ، ١٩٨٩، ١٠٩). ومع تقدم الطفل فى العمر يصبح إلى حد ما أكثر فهماً وإدراكاً لما يتضمنه معنى الانفصال الدائم، وهذا القدر من الفهم الذى يحققه الطفل لمعنى الانفصال يجعله شديد الحزن ويعانى من حالة من اليأس والقلق والبكاء لأقل سبب. (Yarrow ، ١٩٦٤، ٩٦)، ونجد التأثير الشديد فى الرغبة الملحة للمحبة وجذب الانتباه وفي البواعث الزائدة للانتقام التى تسبب صراعاً داخلياً حاداً، كما تسبب شقاء وقلقاً، ويبدأ الأطفال فى الخوف من التخلى عنهم وتوقع أن الذين يتقومون على رعايتهم سوف يختفون ولا يعودون، ولعل ذلك يتدعم من جراء تغير المشرفات الدائم داخل المؤسسة.

وهنا يقوم الطفل بنوع ما من الأنكار لهذا الفقد- تغير المشرفة - ويعيش الطفل حياة خيالية يعيد فيها الموضوع المفقود- المشرفة الأم - ويحاول الطفل دائماً خلق موضوعات بديلة فى واقعه واعطاءها دور الأم - خاصة إذا ما كانت هذه الموضوعات من جنس يساعد على هذا النقل من الأم (المشرفة) إلى المشرفة (الأم الجديدة) مثلاً، ولكن عندما لا تستطع المشرفة أن تؤدى دورها الأموى بكفاءة وكفاية، فإن الطفل يتعرض لدرجة من التشوش فى دور الأم، وذلك كنتيجة وعاقبة خطيرة للحرمان والانفصال الدائم الذي يتعرض له، وتظهر بوضوح الاستجابات الوجدانية المصاحبة للحداد والاكتئاب مثل الحزن والألم والقلق والشعور بالخيبة والإحباط. (Harris ، ١٩٨٦، ٤١٦، ٤١٧)، (Lampe ، ١٩٧٦، ٢٧٦، ٢٧٧).

والنتيجة الحتمية لهذا الشعور بالنبذ والهجران هى الحاجة الملحة فى طلب الاطمئنان والحب وجذب الانتباه، وفى سبيل ذلك قد ينصرف الطفل ببلاهة وسخف ليثير الأهتمام والانتباه الذى يفقده، ونظراً لأسلوب التذبذب وعدم الثبات فى المعاملة على أسلوب واحد من التعامل مع الطفل وتغير الأشخاص عليه نهاراً وليلاً بشكل مستمر، فإن ذلك كله يؤدى الى تذبذب فى انفعالات الطفل وحالاته الوجدانية، فنجده بعد أن تعلق بشخص وأبدى شيئاً من الود تجاهه، يتغير هذا الشخص فجاة ليحل محله آخر يقسو عليه، ولذا نجد أن كثيراً من الأطفال يبكون باستمرار، وتبدو عليهم علامات الخوف كما لو كانوا فاقدين للأمان فى نشاطهم اليومى.

(٤) نتائج الإجابة على الفرض الرابع ومناقشها :

لقد كان نص الفرض الرابع مؤداه "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الأطفال أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بأبعاد الاضطرابات السلوكية كما يقيسها الاختبار المستخدم"

ويوضح الجدول رقم (٢٧)

دلالة الفروق بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط

درجات أطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بمتغيرات اضطراب السلوك

متغيرات اضطرابات السلوك	أطفال الأسر البديلة		أطفال الأسر الطبيعية		قيمة "ت"	دلالة الفرق	اتجاه الفرق
	المتوسط	الانحراف المعيارى	المتوسط	الانحراف المعيارى			
مشكلات السلوك	٤ر٩	٢ر١٥	٤ر٠٣	١ر٦٧	١ر٨١	غير دال	غير دال
المصاعب الانفعالية	٤ر٢٥	١ر٤٢	٤ر٠٥	١ر٦٦	٢ر٧١	ر٠٠١	لصالح الطبيعية
السلوك الانسحابى والاتصال بالآخرين	١ر١٥	١ر١١	١ر٤٨	١ر٢٠	١ر٢٧	غير دال	غير دال
مستوى النشاط والتركيز	٢ر٢٥	١ر٣٩	٢ر٩٨	١ر٠٤	١ر٣٢	غير دال	غير دال
نوبات الغضب	١ر٥	٠ر٥	٠ر٩٣	٠ر٧٢	٤ر٠٧	ر٠٠١	لصالح الطبيعية
اللغة والكلام	٢ر٣٨	١ر٠٢	٢ر٦٣	١ر٠٧	١ر٠٤	غير دال	غير دال
العادات الشاذة	٢ر٧٣	١ر١٢	٢ر٠٣	١ر٢٧	٢ر٥٩	ر٠٥	لصالح الطبيعية

ويتضح من الجدول السابق أن نتائج المقارنة بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بمتغيرات اضطرابات السلوك كما يقيسها الاختبار المستخدم لم تسفر عن وجود فروق جوهرية إلا فيما يتعلق بثلاثة متغيرات فقط وهى :

- المصاعب الانفعالية.
- نوبات الغضب.
- العادات الشاذة.

وكان الفرق فى المتغيرات الثلاث لصالح أطفال الأسر الطبيعية، مما يشير إلى تحقيق الفرض الرابع ويمكننا الآن مناقشة هذه الفروق بين المجموعتين.

وفيما يتعلق بالصعوبات الانفعالية فإنه إلى جانب ما سبق تناوله، فإنه يمكن النظر إلى خوف الطفل وقلقه وحساسيته داخل الأسر البديلة في ضوء عدم كفاية العلاقة بينه وبين الآخرين من جراء تقطع هذه العلاقات وتفككها نتيجة للانتقالات السابقة المتعددة والتغير الدائم فى البيئة والأشخاص، وقد سبق تناوله بالتفصيل ... فالطفل فى الأسر البديلة قد طرأت على حياته تغييرات مفاجئة لم يهيأ لها مسبقاً وبالتالى أصيب بالاضطراب، وهذا الاضطراب مرجعه أن كل تغيير جديد فى حياة الطفل يلزمه عملية توافق، أى أن على الطفل أن يغير عاداته وسلوكه بما يتناسب والموقف الجديد، وإلى أن يتم ذلك فإن الطفل يمر بفترة من التوتر والجهد الانفعالي الزائد، ويزداد هذا التوتر والقلق والخوف إذا ما كانت البيئة تدفعه إلى أبعد من المستوي الوظيفى الذى يكون قد وصل إليه. *(فوقية حسن، ١٩٩٢، ٣٥، ٣٦)* وهو ما نشير إليه بالمطالب الوالدية الزائدة وطموح الوالدين المتطرف.

إن قلق الطفل وخوفه فى الأسر البديلة ودأبه فى طلب الانتباه وكثرة الأنين تنشأ نتيجة عدم تأكده وتيقنه فى علاقاته الشخصية، فالطفل الذى تنقصه الثقة في حب أمه أو فى قدرتها على التواجد– النفسى والجسدى – حينما يحتاج إليها، وانعدام الثقة هذه خبرها فى مطلع العمر، فإنه يبدأ فى إظهار الخوف والقلق مما قد يحدث له – وهنا تدور المخاوف والقلق حول إمكانية ترك الطفل والتخلى عنه كما سبق وحدث له. *(Rutter، ١٩٨٤، ٢١٩، ٢٢٠)*. وبالإضافة إلى ذلك، فقد سبق ورأينا خوف الوالدين البديلين وقلقهما المتعلق بمكاشفة الطفل، أو تحوله حينما يكبر، ورأينا أن ذلك يجعل هناك تذبذباً وعدم اتساق فى العلاقة مع الطفل ... نقول أن هذا القلق والخوف لدي الوالدين يجعل هناك داخل الاسرة البديلة نوعاً من "العدوى الانفعالية" كما يرى البعض. *(محى الدين أحمد، ١٩٨٧، ٥٦)* حيث ينعكس الخوف والقلق الذى يعانيه الوالدان على الطفل فى صورة استيعاب لهذين الضربين من الانفعال، ففي ظل خوف الوالدين وقلقهم يستشعر الطفل نوعاً من التهديد والقلق والتوتر، ولهذا نجده كثير الأنين فى محاولة منه لجذب الانتباه إليه.

ولذا فإن الطفل دائماً فى حاجة إلى طمأنته من حين لآخر بانه مرغوب، وهذا كما يرى Draoer & Draper ١٩٨٣ حقيقى تماماً بالنسبة للأطفال البدلاء والمتبنون. *(Draper & Draper، ١٩٨٣، ٢٩٤)*، ذلك أن شدة ما يبديه الطفل من مخاوف لها علاقة بنوعية العلاقات المتبادلة بينه وبين اسرته. *(ممدوحة سلامة، ١٩٨٧، ٥٤)*. هذا إلى جانب أن روح المبالغة فى الحماية – وخاصة في الأسر غير المنجبة – هذا النمط التربوى ينمى الميول العصابية والاضطرابات

النفسية والانفعالية لدى الطفل، والتى تفصح عن نفسها فى صورة قابلية للاستثارة والحساسية الشديدة وعدم الاستقرار، وتصبح السمة الغالبة لهؤلاء الأطفال هى عدم النضج الانفعالي والاجتماعى، وإنعدام التحكم الانفعالى والحساسية المفرطة دون سبب واضح. *(كمال دسوقى، ١٩٧٩، ٣٤٤، ٣٤٥)*.

وهنا تحدث نوبات الغضب والتى ترجع كما يشير "شيفاكوف" Sheviakov ١٩٦٩ لنقص الحب أو نقص الاحترام ونقص الاتصال الحميم أو عدم المساواة فى التعامل مع الطفل وإخوته. *(Owens، ١٩٩٣، ٤٨٤ - ٤٨٥)*. فالأطفال الذين يحرمون من إشباع حاجاتهم النفسية يتسم سلوكهم بالعدوان أو عدم القدرة على تحمل التوتر الانفعالى مما ينتج عنه سلوك اندفاعى متهور، ودائماً ما يصبح الطفل فى حالة تهيج وانفجارات غضب. *(Grant & Steinhauer، ١٩٨٣، ٣٠١)*. وهنا يصبح الغضب بمثابة محاولة من جانب الطفل لإجبار الآخرين أن يمنحوه ما يريد، وهو ما يسميه "بولبى" بالغضب القهرى Coercive anger أو ما يشير إليه "جنتريب" Guntrip بقوله "الحب يصنع الغضب" Love made anger *(Klein، ١٩٨٧، ٣٠٨)*.

كذلك نجد أن نوبات الغضب قد تحدث نتيجة لممارسات الوالدين الخاطئة ، سواء فى الأسر البديلة أو حتى الطبيعية، فهناك نوع من عدم السماح للطفل بالتعبير عن مشاعره، حيث يخبر الأطفال باستمرار أنه من الخطأ وغير المقبول إظهار مشاعر الغضب، ويعاقبونه من جراء نوبات الغضب العادية والبسيطة، وهنا يمتلئ الطفل بمشاعر الذنب والخوف، وغالباً ما يكبت انفعالاته حتى يصبح التوتر غير محتمل ويظهر فجأة بصورة سيئة مندفعة.

فالطفل فى الاسرة البديلة وفى ظل توقعات الوالدين ومطالبهم الزائدة وغير الواقعية، ينتظر منه الوالدين البديلين النمو العاطفى قبل الأوان، فيتوقعون منه الهدوء والرزانة، ويصبح الدور الذي يؤديه الطفل لإرضاء أسرته لا يمثل حقيقته ويعتبر زائفاً ومؤقتاً، إلى أن تأتى اللحظة الملائمة فيظهر وجهه الآخر وهو الطفل الغاضب الثائر. *(محمد شعلان، ١٩٧٧، ج ٢، ٥٦)*

وقد تكون نوبات الغضب بمثابة أسلوب يستخدمه الطفل فى صراعه مع إخوته – داخل الأسر البديلة المنجبة – حيث يرى أن استخدام الغضب وسيلة سهلة وسريعة للحصول على ما يريد، أو لإشباع رغباته وجذب انتباه الوالدين – كما أنها وسيلة الطفل فى صراعه ونضاله من أجل القوة والسيطرة على البيئة وخصوصاً عندما تعاق رغبته فى الاستقلال والتصرف بحرية

أما فيما يتعلق **بالعادات الشاذة** لدى الطفل فى الأسر البديلة والتى تتضمن عادات سيئة من قبيل مص الأصابع وقضم الأظافر ومص الشعر والأشياء الأخرى والتبول والتبرز... فإننا نرى أن الملل والوحدة التى كان يعانيها الطفل سواء لدى المرضعة أو داخل المؤسسة قبل ضمه للأسرة البديلة، وانعدام الاستثارة والإهمال والقسوة تدفع بالطفل إلى الانسحاب من العالم المحيط به وتدفعه إلى البحث عن وسائل للذة، ويأتى الإحباط من انعدام الدفء والعاطفة ليثير غضب الطفل، ويقوم الطفل بتحويل هذا الغضب إلى الداخل فى صورة الإيذاء الذاتى، فنجده إلى جانب عنصر الإشباع الذاتى الذى يمارسه عن طريق الاتصال بالأشياء ومصها (مص الأصابع - مص أشياء أخرى) بدلا من محاولة الاتصال بالآخر والتى أحبطت، نجده يمارس الألم الذاتى (العدوان).

ولقد كان مص الأصابع من أبرز ما شاهده الباحث لدى غالبية أطفال الأسر البديلة، وأكدته الأمهات البديلات، والطفل بذلك - كما يرى البعض - يمارس إلى جانب الإسباع عملية القرض على نفسه بدلاً من قرض الآخر وخدشه وإيلامه، فهو يحقق رغبتين فى وقت واحد، يحقق الرغبة العدوانية الموجهة نحو الآخر، ويحقق العقوبة التى يؤديها لنفسه نتيجة لوجود مثل هذه الرغبات المحظورة. *(محمد شعلان، ١٩٧٧، ج ٢، ٤٢، ٤٣، ٥٠)* . وكذلك يمكن النظر إلى هذه العادات الشاذة باعتبارها نوعاً من النكوص والارتداد إلى مسالك طفلية بدائية تتسم بنوع من النرجسية بدلاً من العلاقة بالموضوع، فنظراً لأن خبرة الطفل السابقة بالآخرين لم تكن لها قيمة إثابية موجبة، فإنه لم تنشأ لديه دافعية قوية لأن يلتمس الإشباع والمتعة عن طريق الاتصال بالآخرين، نظراً لما عاناه من إحباط فى إشباع حاجاته.

كذلك هى بمثابة محاولة من جانب الطفل لخفض التوتر الداخلى الناتج عن العوائق الانفعالية فى صلاته بالآخرين، فهو قد يستجيب للصراع بينه وبين البيئة بالقلق الزائد أو تحويل هذا الصراع إلى صراع داخلى يظهر فى صورة أعراض مرضية وعادات شاذة. *(انتصار يونس، ١٩٨٦، ١٦٧)* مثل التبول والتبرز وتلويث الملابس، وهى نتيجة للصراع المبكر الذى حدث بين الطفل والقائمين عليه أثناء تعويده على عادات الإخراج والتى أتسمت بالجمود والقسوة وعدم الود، والتى تؤدى إلى نشأة العدوان نحو الأم - أو بديلتها- والذى يحوله الطفل إلى ذاته كما رأينا، فالعادات الشاذة هى فى جوهرها اضطراب في العلاقة بين الطفل والقائمين عليه.

ثانياً - نتائج الإجابة على الفرض العام الثاني :

لقد كان نص الفرض العام الثانى مؤداه " هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الأطفال المحرومين من الوالدين (فى الأسر البديلة وفى المؤسسات) ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى مفهوم الذات" وللتعرف على هذه الفروق بين مجموعات البحث الثلاث قام الباحث باستخدام تحليل التباين ذى الاتجاه الواحد كما سبق فى الفرض العام السابق. ثم قام الباحث بعد ذلك بعرض النتائج المتعلقة بالمقارنة بين كل مجموعة وأخري - كما ورد فى الفروض الفرعية - باستخدام اختبار "ت" للتحقق من دلالة الفروق بينهما واتجاه هذه الفروق.

ويوضح الجدول رقم (٢٨) نتائج تحليل التباين فى اتجاه واحد واختبار "ف" لمعرفة دلالة الفروق بين الأطفال المحرومين من الوالدين (فى الأسر البديلة وفي المؤسسات) وأطفال الأسر الطبيعية فى مفهوم الذات

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	التباين	النسبة "ف"	مستوى الدلالة
بين المجموعات	٥٧٤ر٨٧	٢			
داخل المجموعات	٢١ر٧٨	١١٧	٥٧٤ر٨٧	٢٦ر٣٩	٠١ر٠
الكلى	٥٩٦ر٦٥	١١٩			

ويتضح من الجدول السابق وجود فروق جوهرية فيما يتعلق بمفهوم الذات بين مجموعات الدراسة الثلاث، حيث بلغت قيمة "ف" المستخرجة (٢٦ر٣٩) وهى قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠١ر٠). أما عن تحديد اتجاه الفرق بين هذه المجموعات الثلاث فقدْ استخدم الباحث اختبار "ت" للكشف عن دلالة الفروق بين كل مجموعة وأخري واتجاه هذه الفروق - كما ورد فى الفروض الفرعية. وقد كشف اتجاه هذه الفروق عن نوع من التسلسل يعكس تفوق أطفال الأسر الطبيعية على أطفال الأسر البديلة، وتفوق الأخيرة على أطفال المؤسسات فيما يتعلق بمفهوم الذات.

(٥) نتائج الإجابة على الفرض الخامس ومناقشتها :

كان نص الفرض الخامس مؤداه "هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فى مفهوم الذات. وللإجابة على هذا الفرض قام الباحث بمقارنة متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات على الاختبار المستخدم، وذلك باستخدام اختبار "ت"

ويوضح الجدول رقم (٢٩) الدلالة الإحصائية للفرق بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فى مفهوم الذات

ن = ٤٠ د.ح = ٣٩

المجموعة	المتوسط	الانحراف المعيارى	قيمة "ت"	دلالة الفرق	اتجاه الفرق
أطفال الأسر البديلة	١ر٢٨	٥٧ر٣	٧٣ر٢	٠١ر٠	لصالح أطفال الأسر البديلة
أطفال المؤسسات	٨٣ر٢٥	٧٨ر٣			

ويتضح من الجدول السابق أن متوسط درجات أطفال الأسر البديلة (١ر٢٨) والانحراف المعيارى (٥٧ر٣) – بينما كان متوسط درجات أطفال المؤسسات (٨٣ر٢٥) والانحراف المعياري (٧٨ر٣) – وقد بلغت قيمة "ت" المستخرجة (٧٣ر٢) وهى قيمة دالة إحصائيا عند مستوى ٠١ر٠. وكان اتجاه الفرق فى صالح أطفال الأسر البديلة، مما يعنى أن أطفال الأسر البديلة أفضل من أطفال المؤسسات من حيث مفهوم الذات كما يقيسه الاختبار المستخدم وبذلك يكون قد تحقق الفرض الخامس

وبداية يمكن مناقشة تلك الفروق فى ضوء أن الحرمان من الوالدين – أى العلاقة مع صور والدية ثابتة ومستمرة – خاصة الأم – فى سنوات العمر المبكرة يصيب أرتقاء الأنا فى الصميم ، إذا يصيب شعبتى الارتقاء، ما يحقق الشعور بالإنية Personalization والاستقلال عن الأخرين، وما يحقق الارتباط بالآخرين وإكتساب العضوية فى الجماعة – ونود أن نشير هنا إلى أن أطفال الأسر البديلة يشتركون مع أطفال المؤسسات فى ذلك، بيد أن هناك اختلافاً فى الدرجة بينهما لعل مرده تلك الفترة التى قضاها أطفال الأسر البديلة داحل هذه الأسر وساعدتهم على الاندماج الى حد ما معها مما رفع درجاتهم على مقياس مفهوم الذات.

وفيما يتعلق بأطفال المؤسسات يفسر بولبى Bowlby هذه الحقيقة السابقة – تخلف ارتقاء الأنا- بإرجاعها إلى عمليتين : الأولى أن الحرمان من تجربه الوجة الثابت والعناية الشخصية المتصلة فى سنوات العمر المبكرة من شانه أن يحرم الطفل من أول مظهر وأول وسيلة للتنظيم فى الحياة، تنظيم السلوك وتنظيم المدركات ، وبالتالى بعطل قدراته على الفهم،

كما يتسرب إلى كثير من قدراته الاجتماعية، والعملية الثانية هى أن بيئة المؤسسات لا تسمح – كما سبق القول – للطفل بأن يمارس نشاطاً فردياً ولا أن يعلى إرادته على أحد، مع أن هذه تمرينات لابد منها لتقويم الأنا. (مصطفى سويف، ١٩٨١، ١٩٧٨)

فالطفل المحروم من والديه قد حرم من إقامة تلك الأنماط الثابتة لحل الصراع الرئيسى للثقة فى مقابل فقدان الثقة – كما يرى أريكسون" – والتى هى أول عمل للذات أو الأنا – وأن مقدار الثقة المستمدة من خبرات الطفولة يتوقف على نوع العلاقة بين الطفل والأم ومدى الرعاية الحساسة لحاجات الطفل. فمن أهم واجبات الوالدية فى مطلع العمر هو إشباع حاجة الطفل الى التضمن والأرتباط أو ما يسميه "كيجان" Kegan ١٩٨٢ Yearing for inclusion أى أن يكون الطفل مرتبطاً، متعلقاً، مسنداً، مرحباً به، متقبلاً، جزءاً من ... وتشبع هذه الحاجة حينما تتكون روابط انفعالية قوية بين الطفل والقائمين عليه، ويرى أن ذلك يؤدى إلى مفهوم إيجابى للذات وتقدير مرتفع لها. (Owens، ١٩٩٣، ٣٦٩) .

إن أطفال المؤسسات قد فقدوا تلك التعلقات والروابط الانفعالية مع شخص آخر، الأمر الذى يجعل الطفل فى حالة من فقدان الثقة وعدم الأمان والشك فى إمكانية التنبؤ بإشباع حاجاته المختلفة، فهو لا يشعر بالتقبل من قبل الآخرين، يشعر بالإهمال والنبذ، وكما ترى "هاريس" Harris ١٩٨٩ فإن الفشل فى إيجاد وتحقيق تلك الروابط والتعلقات يمكن أن ينشأ عنه الإهمال والنبذ والانتهاك للطفل، والذى يتمثل فى حرمانه من الرعاية الفيزيقية والانفعالية الضرورية لنموه وصحته. (Harris، ١٩٨٩، ٢٩١) ، ويفترض أن الصور الإيجابية للذات تبزغ وتنشأ بسبب ونتيجة للمشاعر الجيدة المتبادلة فى علاقة الطفل بالأم – أو بديلتها – ويرى "داروهولدر" Dare & Holder ١٩٨١ أنه عندما تبتسم الأم وتعانق طفلها وتتحدث إليه بكثرة، فإن صورة الذات البازغة سوف تكون مرتبطة بمشاعر من الدفء والأمان، (Mack & Ablon، ١٩٨٣، ٢٥) ولذا فإن صورة الذات لدى طفل المؤسسة والمستمدة من صورته لدى الآخرين غير مقبوله وسلبية نظراً لما يلاقيه من إهمال ونبذ وقسوة.

فأطفال المؤسسات يعاملون كأفراد من الدرجة الثانية، لا ينظر اليهم، لا يتم سماعهم، ويمكن مقاطعتهم، كما أن أسهاماتهم غير جديرة بالتقبل والإعجاب، وكل ذلك يغذيهم بصور غير إيجابية عن ذواتهم، فالعلاقة القائمة بين الطفل والمشرفة داخل المؤسسة لا تمكن الطرفين من العيش معاً بسعادة ورضى، فالمشرفة ليست سعيدة بالطفل ولا الطفل سعيد بها – فهناك رؤى متبادلة بين الاثنان أساسها عدم التقبل والتباعد - هذا من ناحية

ومن ناحية أخرى نجد أن مشغوليات ومسئوليات العمل لدى المشرفة داخل المؤسسة كثيرة الى الحد الذى تصبح أكثر أهمية من الطفل، فبنود العمل والإشراف المنوطة بها- مع الكثرة العددية لهؤلاء الأطفال - تجعلها تتصرف دوماً وتنشغل عن الطفل، ويستنتج الطفل بسهولة أنه غير جدير باعتبار واهتمام المشرفة، ويظهر ذلك فى نمط من المشاعر السلبية التى تجعله يفكر فى نفسه بأنه غير محبوب وغير مقبول، مما ينعكس على تصوره ونظرته لذاته - فالمشرفة فى نهاية الأمر ما هى إلا موظفة تخضع للجزاء إذا اختل أو تأخر شئ عن ميعاده الروتينى المعتاد ... وبالتالى فليس لديها الدافعية والصبر والوقت الذي يميز الأم مع طفلها فى تركه يمارس الأشياء بنفسه مع إحاطته بالتوجيه والمساندة ، مما يشعره بالحب والتقبل والثقة فى نفسه وفى الآخرين.

وكما يرى "درابر ودرابر Draper & Draper ١٩٨٣ فالأطفال يشعرون بالنبذ عندما يبدو الراشدون مشغولون عنهم، الانشغال بأحوال المعيشة أو واجبات المنزل، وبالتالى يشعرون بالوحدة التى تؤثر على شعور الطفل بالاعتبار والقيمة، وتشعره بأنه قليل الأهمية، تشعره بالضآلة والدونية، وقد يسلك بشكل سئ كترجمة لهذه المشاعر. *(Draper & Draper* ، ١٩٨٣، ٢٩١- ٢٩٣) . فاهتمام الآخرين وتقديرهم للطفل يخلق مناخاً انفعالياً إيجابياً ينمو فيه حب الذات، فآراء واتجاهات ومشاعر الآخرين تصبح جزءاً من البناء النفسى الداخلى للذات. *(Mack & Ablon*، ١٩٨٣ ،١٢٤). ومن ثم فإن الطفل داخل المؤسسة يفسر إهماله ونبذه وعدم الاهتمام به وبرغباته وحاجاته باعتبارها دلائل ومؤشرات على إنعدام قيمته وأهميته، ومن ثم فهو ينظر لنفسه ويفكر فيها بطريقة سلبية.

ولذا فإن اصطلاح "وينيكوت" Winnicott ١٩٧٦ " درجة كافية من الأمومة" يصف نوعية من الوالدية التى تتصف بالاستجابية للحاجات الفسيولوجية والانفعالية الاساسية للطفل، وهذه الملامح الأساسية للأمومة تتضمن القبول والاستجابية والاستحسان وتحمل الطفل وحاجاته الخاصة. *(Mack & Ablon*، ١٩٨٣ ،١٦٤).

جانباً آخر وثيق الصلة بنبذ الطفل واهماله، داخل المؤسسات يؤثر على مفهوم الذات لديه، وهو العقاب المادى الذى تمارسه المشرفات مع الطفل، فالأطفال الذين يعاقبون بشدة ويهملون ينمون مفهوم ذات سلبى وفقير، فهم يرون أنفسهم غير ذى قيمة، ويبدءون فى الشعور بالدونية وبأنهم غير مرغوبين *(Draper et al* ، ١٩٨٨، ٩١) وعندما يشعر الأطفال بالضآلة وبأنهم غير

مرغوب فيهم فإنهم يشعرون بنوع من السلبية يتمثل فى عدم القدرة على التعامل مع العالم والشعور بكونهم غير قابلين لأن يُحبوا، وهؤلاء الأطفال عندما يتحدثون عن أنفسهم فإنه يبدون مفاهيم سلبية للذات بصورة ملفتة للنظر. (Brunk ، ١٩٧٥، ٣٠٤).

وهناك بعد آخر ذو أهمية شديدة، يتمثل فى نوع من العقاب والإيذاء النفسى – إلى جانب العقاب المادى – وهو "التحقير" من شأن الطفل ونقده بشكل دائم وقاسى، فالتحقير يقلل من إحساسى الطفل بأنه جدير بالاعتبار والاحترام، فالمشرفات يحقرن الطفل بإهماله وعدم الالتفات إلى نجاحاته وإنجازاته، وإن حاول أن يستلفت انتباه القائمين عليه فإنه يتعرض لنوع من النقد القاسى والتأنيب المستمر يجعله يعانى من مشاعر الفشل والذنب، ويخبر الأطفال فى هذه الحالة مشاعر قوية من عدم الكفاءة والضآلة ، ويشعرون بدونية أكثر، ويبدءون فى تحقير أنفسهم وينمون نمطاً من الإقلال لأنفسهم مثلما يفعل الآخرون معهم.

ولهذا فإن إحساس الطفل بأن إنجازاته مقدرة ومقبولة وذات قيمة، يحفزه على تقبل التحديات الجديدة ، لأننا نتواصل معه على إساس أننا لدينا الثقة فى قدرته على النجاح، ويصبح واجبنا حياله أن نضع الواجبات التى تتحدى قدرته دون أن تعجزه ونسانده فى مجهوداته على مواجهة هذه التحديات، ونمده بما يساعده على أن يصبح مستعداً لأن يكون مقبولاً، وستكون النجاحات التى يحرزها هى الأساس لنمو مفهومه عن ذاته وشعوره بالكفاءة والأمن. (Brunk ، ١٩٧٥، ١٣٩، ١٤٠) ، (Santrock ، ١٩٨٨، ٩٧، ٩٨) .

ويرتبط بالتحقير جانب آخر يؤثر تأثيراً سلبياً على مفهوم ذات الطفل، بل قد يكون أخطر من التحقير والنبذ، داخل المؤسسة وهى ما يسمى "بالأوصاف أو المسميات السلبية Negative Labllings – فأطفال المؤسسات كثيراً ما يوصفون بأوصاف سلبية سيئة، وبالتالى يصبح سلوكهم كما يرى "هارتر" Harter ١٩٨٣ متوافقاً مع تلك الأوصاف التى تلصق بهم، فهذه الأوصاف السلبية تدمج فى ذات الطفل وتساعد على تعزيز النظرة السلبية إليها وتقود إلى سلوك غير توافقى إلى حد كبير.

فإذا ما ألصقت كلمة أو صفة بالأطفال لمدة طويلة ، فإنهم يميلون لأن يصبحوا هذا النوع من الشخص الموصوف، وتثبت هذه الأوصاف بأن يسلك الأطفال هذا السلوك الذى يتلاءم وهذه الصفة السلبية المعينة" (Owens ، ١٩٩٣، ٣٧١).

ونرى أن عملية التحقير والوصف السلبى الذى تمارسه المشرفات مع الأطفال داخل المؤسسات تنشأ أساساً وترتبط بأمر غاية فى الخطورة – من وجهة نظر الباحث – وهو ما يمكن أن نطلق عليه "الإدراك المسبق السئ" للطفل من قبل المشرفات والمجتمع عامة – فهناك نوع من الاتجاهات المحددة سلفاً تجاه هؤلاء الأطفال، لا تقوم على أساس التعامل الفعلى معهم، بل تقوم – فى نظر الباحث – على أساس النظرة الى أصل وظروف هؤلاء الأطفال والتى لا دخل لهم فيها، لا شرعية الأصل، فالمشرفات يتعاملن مع الطفل على أنه خبيث وشرير وشقى، غير جدير بالحب والاحترام والاهتمام ، الأمر الذى يدفع الطفل إلى أن يتخذ من هذه الأفكار والتصورات السيئة صورة ومفهوماً لذاته، فالطفل يكون فكرته عن نفسه بما يسمعه ويخبره من الآخرين، ويقبل هذه الافكار والآراء وكأنها صورة حقيقية لذاته، وتتضاعف الخطورة هنا فى انه سوف يسلك فى إطار هذه الصورة وذلك الوصف طالما أن الكبار ينظرون إليه هكذا ويتوقعون منه ذلك.

ومما يؤيد ذلك ما لاحظه الباحث وشاهده فى أحد المرات، حيث نادت المشرفه طفلة قريبة منها فى حجرة الطعام لتقوم بجمع قصاصات الورق التى مزقها ويعثرها الأطفال، وبعد أن جمعتها الطفلة فى طاعة وهدوء، مدحتها المشرفة وأثنت عليها (شاطرة) ... وإذا بالطفلة تبعثر الورق فى الهواء مرة أخرى وتجري !! وهنا صاحت المشرفة " طبعاً بنت حرام" .. هذا هو ادراك المشرفة للطفلة والذى يصبغ اتجاهاتها وأسلوب تعاملها مع الأطفال داخل المؤسسة، أما الطفلة فقد تصرفت بدافع من فكرتها عن ذاتها التى طالما غذت بها من قبل المشرفة وسمعتها كثيراً بأنها شقية غير مطيعة، وبالتالى فلم تشأ أن تسلك سلوكاً يتناقض وهذه الصورة الذاتية، حتى ولو كان سلوكاً يجلب المدح والثناء.. إنه مفهوم الذات الذي يعمل وراء السلوك، فسلوكياتنا منذ الصغر هى انعكاسات لما بداخلنا من مفاهيم عن ذواتنا، التى هى بدورها انعكاسات لما نبدو عليه فى نظر الآخرين.

فكما يرى "جيرسيلد" Jersild ١٩٦٩ فإن مفهوم الذات وتقديرها لدي الطفل يتأثر بإدراكه لاتجاهات القائمن عليه ومطالبهم، وكيف يحكمون عليه، وماذا يتوقعون منه. *(Jersild* ، ١٩٦٩، ١٧٥، ١٧٦) مفهوم الطفل لكيف ينظر إليه بواسطة الآخرين وتفسيره لهذه النظرة يعد جانباً شديد الأهمية فى مهفوم الذات. *(Jersild*، ١٩٦٩، ١٧٣)، *(Brisbane*، ١٩٨٠، ٢٥٧)، *(Draper et al*، ١٩٨٨، ٩٢)، *(Santrock* ، ١٩٨٨، ٤٦٠).

ولذا فإن الرسائل النفسية السلبية التى يتلقاها الطفل فى سياق علاقته بالآخرين، تلك الرسائل التى تتصف باللوم والتأنيب والنبذ والرفض تتسبب فى عرقلة مفهوم الذات واهتزازه مما يخلق لدي الطفل شعوراً وانطباعاً عاماً بقلة إحترامه وعجزه عن تأكيد ذاته بطرق سوية مشروعة.

هذا ويمكن النظر إلى مفوم الذات للأطفال داخل المؤسسات فى ضوء مدى إشباع حاجاتهم إلى الاستقلال وتأكيد الذات - فالحاجة إلى الاستقلال مرادفة للحاجة إلى الحرية والاعتماد على النفس، وهى من العوامل الهامة التى تساعد على النمو، فالطفل فى حاجة إلى حرية المشي والجري واللعب وحرية الكلام والتعبير. *(فوزية دياب، ١٩٨٠، ١٠٠- ١٠١)*. وترتبط الحاجة إلى الاستقلال بالحاجة إلى تأكيد الذات، فتأكيد الذات يتحقق من خلال الاستقلال، والاستقلال لكى ينمو ويظهر يحتاج أن يبنى على الاحساس بالثقة، وما لم يتوفر ذلك فإن الطفل لا يجرؤ على الاستجابة فى ثقة لرغبته في تأكيد ذاته فى جراءة. *(جابر عبد الحميد، ١٩٨٠، ٤٢، ٨٣)*.

ومن ثم يمكن أن نرى أن أطفال المؤسسات قد فقدوا تأكيدهم لذواتهم نظراً لأن الرعاية داخل المؤسسات تتسم بالسيطرة الشديدة وتحكم الكبار في كل أوجه النشاط التى يمارسها الأطفال - فينشأ الطفل ولديه شعوراً بالاحباط لهذه الحاجة واحساساً ملازماً بالعجز وعدم القدرة، فليس هناك تشجيع للطفل للاعتماد على ذاته، ولا للقيام بأى عمل يشعره بأنه مهم ومقبول وقادر داخل هذه البيئة، الأمر الذى يصبغ صورته عن ذاته بصورة سلبية قوامها العجز وعدم الكفاءة والقدرة.

فالثقة فى الطفل تمده بالثقة فى ذاته وتجعله يشعر بالكفاءة والقدرة، أما الوالدين الذين لا يثقون فى أطفالهم فهم عادة ما يكونوا خائفين من إحتمال حدوث خطأ ما - كما لدى المشرفات - يجلب لهم المتاعب ويعرضهم للمساءلة، وهؤلاء الأطفال غالباً ما ينمون احساساً بالضآلة ويبدأون يحملون لانفسهم تلك الصورة التى يعتقدون أن الآخرين يحملونها تجاههم - وتدريجياً لا يثقون فى انفسهم، وينمون وهم تنقصهم الثقة التى يحتاجونها لتجريب الأسياء الجديدة.

فمفهوم ذات الطفل يعزز من خلال شعوره بالنجاح فى الخبرات المتعلقة بالحياة، مثل القيام ببعض الأشياء وممارستها. *(Santrock، ١٩٨٨، ٩٨)*. فاللعب مثلاً ينمى الاستقلال

ومفهوم الذات، فحينما يلعب الأطفال مع الآخرين فإنهم يعرفون أنفسهم بشكل أفضل، أنهم يكونون الافكار عن أنفسهم من خلال الطريقة التى يلعب بها الآخرين معهم، فهم ينمون الاحساس بالاستقلالية وبالذات - كما أنه من خلال اللعب يعبر الطفل عن مشكلاته الانفعالية. ويتعلم أن يتحكم فى انفعالاته البدائية، ويتعلم أن يكون كائناً اجتماعياً ويأخذ مكانه فى المجتمع.(Lee ، ١٩٩٠، ٣٥)، (Draper & Draper ، ١٩٨٣، ٣٥).

وإضافة لما سبق، فإذا كان مفهوم الذات وتقديرها لدي الأطفال يتشكل - جزئياً - بواسطة ومن خلال مفهوم الذات وتقديرها لدى والديهم، نظراً لأنهم ينمون مفهوم الذات وتقديرها تبادلياً فى علاقتهم بوالديهم من خلال التوحد بهم وتقليدهم ومن خلال خبراتهم الموضوعية لنظرة والديهم لأنفسهم.(Mack & ablon ، ١٩٨٣، ٢٧٠)، (Fitch ، ١٩٨٥، ٢٨٧) فإنه يمكن النظر إلى تدهور مفهوم الذات لدي أطفال المؤسسات من خلال تلك النظرة الدونية والتقدير المنخفض للذات الذي تعانيه المشرفات، فهن ينظرن إلى أنفسهن نظرة متدنية قوامها العجز المادى والأدبى - وخاصة المشرفات اللائى هن أساساً من أبناء المؤسسات ونشأن بها - فكاهلهن مثقل بالأعباء، وينظرن إلى الطفل باعتباره عبئاً جديداً، ومن ثم فهن غير متقبلات لدورهن ولا يتمتعن برضاء عن عملهن ودورهن، وبالتالى لا نجد هناك ذلك الدور التدعيمى الفعال فى علاقتها بالطفل، وليست هناك الاستجابية والحساسية لمطالب الطفل ورغباته فى هذا العمر، ولهذا نجدهن غير متسقات فى تأديبهن وتعاملهن مع الطفل، يتأرجحن بين المعاملة الفظة القاسية، واللامبالاة الشديدة والإهمال التام، الأمر الذى يجعل فكرة الطفل عن نفسه والتى يستمد أصولها من هذه المعاملة فكرة مشوشة مختلطة، نظراً لأنه لا يستطع تفسير أسباب هذه المعاملة.

وأخيراً فإن مفهوم الذات لدي الطفل داخل المؤسسة لابد وأن يتأثر بذلك التكوين الأسرى البديل الناقص، من حيث غياب صورة الأب، حيث وجد أن غياب الأب يرتبط بشكل سلبى مع نمو مفهوم الذات لدى الطفل، فقد وجد " روزنبرج Rosenberg ١٩٦٥، و "كوبر سميث" Copersmeth ١٩٧٦ أن الأطفال ذوي الآباء المتغيبين يبدون صوراً سلبية للذات وتقديراً منخفضاً لها، ذلك لأن الأب يمثل ركناً أساسياً فى عملية إعتبار واحترام الذات لدى الطفل (Mcintire & Drummond، ١٩٧٨، ١٨) كما أنه ليس بخاف تأثير غياب الأب على عدم وضوح الدور الجنسى لدى الطفل وتدمير الهوية الجنسية وهو جانب هام من جوانب مفهوم الذات لدي الطفل، كما أن الأطفال الذين يعيشون مع الأم فقط غالباً ما يتلقون رعاية أقل وإهتماماً

وانتباهاً أقل من الأطفال الذين يعيشون فى أسر سليمة التكوين مكونة من الأم والأب معاً، ليس ذلك فقط ، بل إنه كما يرى "شافر" Shaffer ١٩٨٩ أنه كلما كانت الأم لديها أطفال كثيرون وهى بمفردها، كلما كانت اتجاهاتها نحوهم سلبية، وكلما اعتقدت أنهم أكثر إثارة للمتاعب. (Shaffer ، ١٩٨٩، ٤٠٣).

(٦) نتائج الإجابة على الفرض السادس ومناقشتها :

لقد كان نص الفرض السادس مؤداه : " هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فيما يتعلق بأبعاد مفهوم الذات كما يقيسها الاختبار المستخدم .

وللتحقق من هذا الفرض قام الباحث باستخدام اختبار "ت" للمقارنة بين متوسط درجات أطفال المجموعتين لكل بعد من أبعاد مفهوم الذات.

ويوضح الجدول رقم (٣٠)

دلالة الفروق بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال المؤسسات فى أبعاد مفهوم الذات

أبعاد مفهوم الذات	أطفال الأسر البديلة		أطفال المؤسسات		قيمة "ت"	دلالة الفرق	اتجاه الفرق
	المتوسط	الانحراف المعيارى	المتوسط	الانحراف المعيارى			
نظرة الطفل إلى تعلمه	٨٨ر٥	٢٧ر١	٧٠ر٥	٥٠ر١	٥٨ر٠	ليس له دلالة	ليس له دلالة
نظرة الطفل إلى علاقاته بالرفاق	٩ر٥	١٤ر١	٩٠ر٥	٤٥ر١	صفر	ليس له دلالة	ليس له دلالة
نظرة الطفل إلى علاقاته بالكبار	٠٨ر٥	٦٢ر١	٢٠ر٤	٧١ر١	٣٢ر٢	٠٥ر	لصالح أطفال الاسر البديلة
الذات الجسمية	٣٨ر٦	٣٢ر١	١٣ر٦	٥٠ر١	٧٨ر٠	ليس له دلالة	ليس له دلالة
الذات الانفعالية	٧٣ر٤	٦٣ر١	٨٥ر٣	٦٧ر١	٣٨ر٢	٠٥ر	لصالح أطفال الأسر البديلة

ويتضح من الجدول السابق أن نتائج المقارنة بين متوسطات درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسطات درجات أطفال المؤسسات فيما يتعلق بأبعاد مفهوم الذات كما يقيسها الاختبار المستخدم، لم تسفر عن وجود فروق جوهرية إلا فيما يتعلق بمتغيرين فقط، الأول هو نظرة الطفل إلى علاقاته بالكبار، حيث بلغت قيمة "ت" الخاصة بالفرق بين متوسطى درجات المجموعتين (٣٢ر٢) وهى قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠٥ر٠) وكان الفرق لصالح أطفال الأسر

البديلة ، مما يعنى تفوقها على أطفال المؤسسات فى هذا البعد. والبعد الثانى هو الخاص بالذات الانفعالية حيث بلغت قيمة "ت" الخاصة بالفرق بين متوسطي درجات المجموعتين (٢٫٣٨) وهى قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠٫٠٥) وكان الفرق لصالح أطفال الأسر البديلة كذلك، مما يعنى تفوقها على أطفال المؤسسات أيضاً، وبذلك فقد تحقق الفرض السادس من حيث وجود فروق جوهرية بين أطفال الأسر البديلة وأطفال المؤسسات فى أبعاد مفهوم الذات. وسبيلنا الآن هو تفسير هذه الفروق فيما يتعلق بهذين البعدين.

وبداية فإن هذه النتائج تشير إلى ما توصل إليه "روبرت اكريه " Akeret ١٩٦٥ فى دراسته من أن الفرد " لا يرفض أو لا يقبل ذاته ككل، ولكن ربما يرفض أو يقبل ذاته فى بعض جوانبها وليس فى بعضها الآخر، وأن مفهوم الذات لدى الفرد لا يكون إدراكاً كلياً متحداً، ولكن يتكون إلى حد ما من أبعاد بدرجات متفاوته *(أنور الشرقاوي، ١٩٨٦، ٢٥٤)*.

وفيما يتعلق بالبعد الخاص بنظرة الطفل إلى علاقاته بالكبار فإنه يمكن القول - إضافة لما سبق فى الفروض السابقة، بأنه من الجوانب شديدة الأهمية فى نمو مفهوم الذات هو تزايد قدرة الطفل على فهم كيف ينظر إليه بواسطة الآخرين. *(Santrock ، ١٩٨٨، ٤٦٠)* وعموماً فإن الطفل فى المؤسسة قد يدرك الراشدين أو الصور الوالدية القائمة عليه (المشرفات والمسئولين) باعتبارها تهديداً لذاته نتيجة للشعور بالتباعد، فالطفل فى المؤسسة لم يشعر أبداً بحب أو عناية كافية ليشعر بالقيمة والاعتبار ، وهذا النقص فى مفهوم الذات يتفاقم من جراء النبذ المتكرر والانفصال المتكرر الذى يبرهن مرة تلو الأخرى على أنه غير جدير بالحب والاحترام من قبل الآخرين.

فاستمرار الطفل فى المؤسسة يعرضه للتعلق العابر بعدد من المشرفات اللواتى يغادرن الطفل أو يتغيرن عليه دوماً ، مما يؤدى إلى تكرار تجربته الأصلية بفقد الأم، مما يحمله على الاقتناع بأن الصلات مع الآخرين ليس لها معنى بالنسبة له، ويرى أن علاقاته بالكبار كنوع من التعميم لخبراته السابقة غير ذى جدوى، فهو يرى أنه لا أحد يعبأ به، ولا أحد يوليه الاهتمام والحب والرعاية، ويفسر ذلك على أنه احتقار لشأنه وغضب عليه، الأمر الذى ينعكس على نظرته لنفسه فى علاقاتها بالآخرين بالدونية والاحتقار، فلا أحد يحبه أو يريده، فهو يرى ذاته من خلال علاقاته بالكبار قبولاً ورفضاً

ليس ذلك فحسب، بل إن الطفل قد يستغنى عن هؤلاء الكبار، فبسبب أن الراشدين كانوا لا يلعبون دوراً في حياة الأطفال الانفعالية، فانهم لا يتنافسون أو يتسابقون على خطوة أو اعتراف أو تقدير من جانب الآخرين. *(جون كونجر وآخرون، ١٩٧٠، ٤٠٨)* بل أن الأطفال فى مثل هذه الحالة قد يكونون مجموعة مقابل الراشدين مصدر الإيذاء والنبذ، ونجد هناك بينهم نوعاً من الاتكال الانفعالى مثل الذى يوجد مع الراشدين، ولعل ذلك يفسر لنا اختفاء الفروق بين المجموعتين فيما يتعلق ببعد النظرة إلى العلاقة بالأقران – فالقيمة الإثابية لهؤلاء الأطفال لبعضهم البعض كانت أعلى من القيمة الإثابية لهؤلاء الراشدين، أو أن رفقاءهم المماثلين لهم هم موضوعات الحب الحقيقى بالنسبة لهم. وهو ما توصل إليه من قبل "فرويد ودان" فى دراستهما – الدراسات السابقة –

ويتفق ذلك مع ما يقرره " درابر ودرابر Draper & Draper١٩٨٣، من أن الأطفال المهملين والمنبوذين غالباً ما يكونون غير قادرين على تكوين – أو الإبقاء على – علاقات وثيقة دائمة ذات معنى مع الآخرين – فهم غير آمنين لأنه ينقصهم التدعيم والحب الكافى من الوالدين أو الراشدين، وهؤلاء الأطفال قد يقضون كثيراً من الوقت مع الأقران فى محاولة لأن يجدوا علاقات بديلة عن التى يفتقدونها مع الوالدين أو، الكبار، إنهم ينقصهم عنصران هامان هما أخذ receivingوإعطاء giving الحب والرعاية. *(Jersild، ١٩٦٩، ١٨١)*، ومن ثم فإننا نذهب مع "أوينز" OWens ١٩٩٣ أنه كما يرفع الحب والتقبل من مفهوم الذات لدى الأطفال، فإن النبذ وعدم التقبل يعوق نمو نظام صحى للذات، فإذا نشأ الأطفال فى بيئة ينبذون فيها وتنكر حريتهم فى استطلاع بيئتهم ولا يستطيعون التوحد بوالدين مدعمين، فإنهم سوف يبدءون فى عمر مبكر فى إدراك أنفسهم بأنهم غير ذي قيمة ويشعرون بالعداء تجاه الآخرين، بل وعداء الآخرين تجاههم. *(Owens، ١٩٩٣، ٣٦٨، ٣٦٧)*

إن حياة المؤسسات تعطى تصوراً عاماً وشعوراً لدى الطفل بأنه غير مرغوب ومعزول عن الآخرين، وذلك يؤثر على ما يمكن أن نسميه "شعبيته" أو إحساسه وشعوره بحب الآخرين له. فأطفال المؤسسات لا يستطيعون الاندماج – وخاصة فى هذه السن – مع المجتمع الخارجى ويعيشون فى عزلة نسبية عن المجتمع، وحتى إذا كانت هناك زيارات تقوم بها بعض الجهات (كالمدارس والأفراد) لهذه المؤسسات بغرض الترفيه وتقديم الهدايا لهؤلاء الأطفال، فإن ذلك أيضا يعمق تصور الطفل بعدم حب الآخرين له، فهو يتحول إلى عمل أشبه ما يكون بإذلال الطفل وتحقيره، وهذا ما لاحظه الباحث فى زياراته الميدانية لبعض هذه المؤسسات، فحينما

يحاول الطفل الاقتراب من أحد الزوار مثلاً فإنه يتعرض للنهر والزجر من قبل المشرفات ويمنع من ذلك تحتى دعوى عدم مضايقة الزائر أو تلويث ملابسه – ويذكر الباحث موقفاً ذا دلالة فى شعور الطفل بعدم تقبل وحب الآخرين له ، ففى إحدى المناسبات الدينية " المولد النبوى الشريف" حضر بعض الأفراد لتوزيع الحلوى على الأطفال، وهنا قامت المشرفات بصف الأطفال فى طابور ليأخذوا الحلوى ويقدمون الشكر بشكل رسمى ملقن، إن المتفحص لتعبيرات وجوه هؤلاء الأطفال يجد شعوراً بالأسى والحزن، والضيق والتبرم، فهناك إحساس بفقد الطفل للشعور بأن هذه الزيارات تعنى حب الآخرين له ورغبتهم فى إسعاده ومساعدته، فليس فيها من الدفء والتلقائية فى التعامل ما يجعل الطفل يشعر بحب الآخرين له – حتى ولو قدمنا له الهدايا.

أما فيما يتعلق بالبعد الخاص "بالذات الانفعالية" والذي يشير فى جوهره إلى حب الطفل واستحسانه لذاته والى تحرره من مشاعر الحزن والأسى، فإننا إلى جانب ما ذكرنا، يمكن أن نذهب مع "جيرسيلد" Jersild ١٩٦٣ إلى أن حب الذات – باعتباره جانباً انفعالياً يجسد حب الآخرين ويعكسه ، فهناك علاقة موجبة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين. (*Jersild*، ١٩٦٩، ١٨١). ولهذا فإن عدم حب الذات لدى أطفال المؤسسات هو إنعكاس لإحساسهم بعدم حب الآخرين لهم، كما رأينا فى بعد العلاقة بالكبار، فحب الآخرين وتقديرهم يخلق مناخاً انفعالياً إيجابياً ينمو فيه حب الذات . (*Nack & Ablon*، ١٩٨٣، ١٢٤).

فالطفل الذى يستحسن بواسطة الآخرين ذوى الدلالة فى حياته، سوف يستحسن ذاته ويشعر أنه طفل حسن، فالاستحسان والقبول يغرس البدايات الأولى لاستحسان الذات، كما أن عدم الاستحسان من الآخرين يقود الي عدم استحسان الذات.

ولذا فإن طفل المؤسسة نظراً للنبذ وعدم الاستحسان الذى يتعرض له والتحقير والوصم بالصفات السيئة، يجد أنه من الصعب عليه أن ينظر إلى ذاته بشكل إيجابى محبب، وإذا ما حاول أن يحمى نفسه من عدم الاستحسان بأن يكون طفلاً جيداً وحسناً، فإنه قد يدفع إلى حالة من خضوع الذات أو الاستسلام Self - Surrender . (*Jersild*، ١٩٦٩، ١٧٢).

إن عدم حب الطفل لنفسه وعدم استحسانه لذاته داخل المؤسسة يرتبط أساساً بالنقص في الأمومة، مما يفقده الشعور بالثقة فى الآخرين وفى ذاته – فالطفل الذى يخبر الامومة بدرجة

كافية يمى شعوراً بالقدرة على كل شئ، وكذلك يشعر بثقة قائمة على كفاية حقيقية فى العلاقة، إن هذه التفاعلات المبكرة تعطى الطفل إحساساً عميقاً بالقيمة، أو ما يطلق عليه " اريكسون " Erikson ١٩٩٦ " الجودة أو الصلاح الداخلى " inner goodness – فمن خلال تقبل الوالدين للطفل وارتباطهم به تغذى مشاعره بالكفاءة الداخلية والقدرة، ويصبح تقبل الوالدين للطفل واستمتاعهم معه وبه متحداً بإحساسه بذاته فى النهاية. فالاتجاهات الإيجابية نحو الذات، كما يرى "روزنبرج" Rosenberg ١٩٧٩ ترتبط بخبرات معينة من المتعة والإثابة فى مطلع العمر. *(Mack & Ablon، ١٩٨٣، ٣٢، ١٦٧– ١٦٩)*.

وطالما ليست هناك ثقة فى الطفل وفى قدرته على الإنجاز والنجاح، والخوف من إحتمال وقوع الاخطاء والمخالفات كما سبق ورأينا، فإننا نجد هناك نوعاً من إجبار الطفل على المسايرة Conformity والمسايرة هنا تمنع الطفل من أن ينمى استقلاليته ومهارات اتخاذ القرار لديه وتحمل مسئولية أفعاله، وبالتالى لا يصبح هناك سبيل أمام الطفل لبناء الثقة بالنفس، فالطفل يجبر باستمرار على إتباع الأوامر التى تكون عديمة المعنى بالنسبة له.

ليس ذلك فقط، بل نجد أن هذا النظام الصارم عندما يكون مصحوباً بمعايير خلقية يميل لأن يخلق طفلاً ناكصاً تنقصه التلقائية والدفء، ويكرس كثيراً من جهده للتحكم فى الدفعات التى تكون فى الواقع طبيعية، ولكن أدعى أنها آثمة، من خلال النقد القاسى والتأنيب كما رأينا – مثل هؤلاء الأطفال يعرضون أنفسهم لسب الذات Self- recriminatıan وعقاب الذات على أخطاء وذنوب حقيقية أو متخيله. *(Carson et al، ١٩٨٨، ١١٩)*. فهم ينمون شعوراً بالذنب لأنهم لم يسعدوا والديهم أو القائمين عليهم، فهم لا يعرفون بالضبط لماذا ينبذون ولماذا يهملون ويتخلى عنهم. *(Draper & Draper، ١٩٨٣، ٢٩)*. ولذا يتملكهم الشعور بالحزن والأسى، ويشعرون بالفراغ والخواء، فليس هناك أساس لبناء مفهوم وتقدير ذات صحيح، فالطفل لا يملك طريقة ليتعلم بها عن ذاته فى علاقتها بالآخرين، فليس هناك أساس لتأسيس الهوية

إن أطفال المؤسسات هم بشكل ما ضحايا لما أسماه "روجرز" Rogers ١٩٦١ بالاعتبار الإيجابى المشروط Conditioned positive regard – فالأطفال فى سياق علاقاتهم بالكبار قد يعتقدون أنهم لن يحبوا إذا لم يتصرفوا ويشعروا بالطريقة التى يتوقعها الوالدان – أو القائمون عليهم *(Haber & Runyon، ١٩٨٤، ٦٢، ٦٥)*. ولكنه يمكن القول إن حتى هذه الاعتبار الإيجابى المشروط لا يتوفر للطفل داخل المؤسسة إن ذلك يعتمد على الحالة المزاجيه

للمشرفات - لذا فهو فاقد الثقة فى ذاته، فمهما يسلك الطفل ومهما يحرز من نجاحات فلا أحد يلتفت إلى هذه النجاحات ولا أحد يساعده على تنمية ثقته فى ذاته من خلال دفعه وتشجيعه وعدم التقليل من شأنه والالتفات إلى انجازاته التى يحاول أن يستلفت بها نظر الآخرين إليه.

وهنا تكون المحصلة النهائية أن يمتلئ الأطفال بمشاعر سلبية تجاه أنفسهم، فهم لا يستطيعون تعلم الثقة فى أنفسهم بأنهم في الواقع كائنات قادرة حقاً. (*Brunk*، ١٩٧٥، ٣٠٦). فكمية ونوعية القبول الذي يبديه الوالدان أو الراشدون، والاستحسان الوالدى يحدد إلى حد كبير صور الأطفال عن أنفسهم ، فالأطفال يميلون إلى ادراك الاستحسان والاهتمام كمؤشرات على أهميتهم ودلالاتهم، وبأستمتاعهم بهذه الدلائل على أهميتهم الشخصية، فإنهم يتعلمون أن يفكروا فى أنفسهم بطريقة إيجابية . (*Owens*، ١٩٩٣، ٣٦٨).

ولذا يرى "روجرز" أن الطفل يجب أن يقدر، يتقبل، يستحسن بصرف النظر عن سلوكه، حتي ولو كان سلوكه غير ملائم، فالطفل يحتاج إلى الاحترام ، والحب من الآخرين، وهو ما أسماه "روجرز" بالتقدير أو الاعتبار الإيجابى غير المشروط Unconditioned Positive regard فالتقدير أو الاعتبار للطفل ينبغى أن يكون باعتباره فى المقام الأول إنساناً فى ذاته ذا كرامة وأهمية. (*Santrock & Yussen*، ١٩٨٨، ٢٨٦). فالأطفال الذين تلقوا إعتباراً وتقديراً إيجابياً غير مشروط يملكون صوراً لذواتهم وتقديراً مرتفعاً لها - فهم يشعرون بالرضا عن أنفسهم، سعداء بها، ويملكون إدراكا سليمة ودقيقة لعالمهم. (*Harber & Runyon*، ١٩٨٤، ٦٤).

(٧) نتائج الإجابة على الفرض السابع ومناقشتها :

كان نص الفرض السابع مؤداه : " هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى مفهوم الذات.

ويوضح الجدول رقم (٣١) الدلالة الإحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى مفهوم الذات

ن = ٤٠ د.ح = ٣٩

المجموعة	المتوسط	الانحراف المعيارى	قيمة "ت"	دلالة الفرق	اتجاه الفرق
أطفال الأسر البديلة	٢٨ر١	٣ر٥٧	٤ر٥٨	٠ر٠٠١	لصالح أطفال
أطفال الأسر الطبيعية	٣٣ر٢٣	٦ر٠٣			الأسر الطبيعية

ويتضح من الجدول السابق أن متوسط درجات أطفال الأسر البديلة (٢٨ر١) والانحراف المعيارى هو (٣ر٥٧)، بينما بلغ متوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية (٣٣ر٢٣) والانحراف المعيارى (٦ر٠٣) وقد بلغت قيمة "ت" المستخرجة (٤ر٥٨) وهى قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠ر٠٠١) وكان الفرق لصالح أطفال الأسر الطبيعية. وهذا يعنى أن أطفال الأسر البديلة - فى حدود عينة البحث - أقل من أطفال الأسر الطبيعية من حيث مفهوم الذات كما يقيسه الاختبار المستخدم، وهكذا فقد تحقق الفرض السابع حيث وجدت هناك فروق جوهرية بين أطفال الأسر البديلة وأطفال الأسر الطبيعية.

وبداية يمكن أن نرى أن اختلاف الطفل فى الأسرة البديلة عن نظيره في الأسرة الطبيعية فيما يتعلق بمفهوم الذات - رغم توفر الوالدين والاسرة لدى المجموعتين - يرتبط بخبراته الماضية والمكتسبة من أنماط الرعاية البديلة السابقة (فى المراكز والمؤسسات)، فخبرات الانفصال المتكررة التى تعرض لها الطفل قبل ضمه للأسرة البديلة - والتى أشرنا إليها فيما سبق - تلعب دوراً فى تشكيل مفهوم الذات لديه، فخبره التخلى عنه وتركه وخصوصاً أنها تكررت - تتدخل فى شكل اعتبار منخفض للذات، فهؤلاء الأطفال فى الأسر البديلة لديهم درجة من القلق المتعلق بالانفصال عن موضوعات الحب - نتيجة لخبراتهم السابقة، ولديهم درجة من الشك حول قيمة واعتبار الذات، فالانفصال لا يمثل بالنسبة لهم فقدان الموضوع الحامى والمشبع للحاجات فقط، بقدر ما يمثل ويعنى أيضاً التثبت والبرهان على التقليل من شأن الذات وما يرتبط بذلك من ألم وخطر (Mack & Ablon ١٩٨٣، ٣٤) .

ونظراً للحرمان والانفصال والانتقالات المتعددة فإن صورة الذات لدى الطفل فى الأسرة البديلة صورة مشوشة مختلطة ، فهو يعيش فى ذهنه عوامل أسرية متعددة، أو ما يسميه "هوفمان ريم Hoffman- Riem ١٩٩٠ " بالوالدية المزدوجة Double parenthood .(*Hoffman - Riem* ١٩٩٠، ١٣١) . الأمر الذى يعرضه لصراع شديد حول قيمة الذات لديه وإحساسه بأهميته وقيمته، فإلى أى عالم ينتمي، لماذا يترك ويتخلى عنه !!.

ومن ثم فإنه يمكن القول بأن هؤلاء الأطفال يملكون مفهوماً منخفضاً للذات، وينشأ ذلك أساساً من حقيقة أنهم لم يشعروا بحب كاف أو عناية كافية فى مطلع العمر قبل إحلالهم بالأسر البديلة، شأنهم فى ذلك شأن أطفال المؤسسات – لكى يشعروا بالقيمة والأهمية والاعتبار، وهذا النقص فى مفهوم الذات يتفاقم من جراء النبذ المتكرر الذى تعرض له الأطفال والذى يبرهن مرة تلو الأخرى على أنه لا يوجد فيهم شئ جدير بالحب والاعتبار. (*Steinhauer* ١٩٨٣، ٧٥) . الأمر الذى يفشل معه الأطفال فى تحقيق أول وأهم إنجاز فى مطلع العمر وهو إنجاز الثقة فيمن قام على رعايتهم ، الأمر الذى ينعكس على ثقتهم بذواتهم.

ولهذا يرى "إريكسون Erikson ١٩٦٨ أن الأطفال الصغار يتعلمون الثقة عندما يربوا بطريقة متسقة دائمة ومستمرة، وإذا لم يعتنى بالطفل على أساس ثابت، فإن هناك إحساسا بعدم الثقة ينمو لدي الطفل، فالطفل الذى لديه إحساس بالثقة يميل لأن يكون متعلقاً بشكل آمن Securely attached ولديه الثقة لاستطلاع وتجريب المواقف الجديدة، أما الطفل الذى لديه إحساس بعدم الثقة فإنه يميل لأن يكون متعلقاً بشكل غير آمن ولا يملك توقعات إيجابية نحو ذاته ونحو الآخرين. (*Santrock & Yussen* ١٩٨٨، ٣٧٩ -٣٨٠) .

ومن ثم فطفل الأسرة البديلة متعلق بأسرته البديلة بشكل غير آمن – نظراً لافتقاده الثقة، فهو لم يفلح فى مطلع العمر فى استخدام الأم كأساس آمن، على حد تعبير "أنثورث Ainsworth ١٩٧٨، Using the mother as a secura base. (*Messer*، ١٩٩٣، ١٩٠) . فهناك نوع من التوقع والقلق المرتبط بإمكانية واحتمال التخلى عنه مرة أخري – مثلما حدث من قبل – مما يجعله يفقد الإحساس بالقيمة والاعتبار مما ينعكس على مفهوم الذات لديه بالسلبية والقصور

فكما يرى "ماك وأبلون Mack & Ablon ١٩٨٣ فإن التخيلات المرتبطة بالترك والتخلى تصبح متوازية مع إحساس الطفل بأنه عديم الجدوى وغير جدير بالاعتبار فالقلق والخوف المرتبط بفقدان الموضوع يصبح مرتبطا تماماً بفقدان تقدير الذات. (*Mack & Ablon*، ١٩٨٣، ٣٢) . فالطفل فى الأسرة البديلة الذى كان يحتفظ برابطة انفعالية بأمه أو بديلتها فى مطلع العمر، هذا الطفل يكون عرضة للانهيار إذا لم يحترم هذا التعلق ويستمر. (*Steinhauer*، ١٩٨٣، ٨٦) .

ولهذا فإنه من الضرورى وحماية للطفل من خطورة تكرار خبرة الانفصال ومضاعفة الأثر السئ للحرمان، أن يتم اتخاذ القرار الخاص بوضعه فى أسرة بديلة منذ مولده، فذلك فى صالح الطفل والأسرة معاً، ويتوقف عليه نجاح الطفل (والأسرة) وتكيفه داخل الاسرة البديلة، وهو ما سبق تناوله.

أما فيما يتعلق بالخبرة الحالية الحاضرة للطفل، فإنه ينتمى لأسر بديلة غير منجبة، وأخرى منجبة لديها أطفالها الطبيعيين، فإذا ما نظرنا إلى الطفل فى الأسر غير المنبجة فإنه يعد طفلاً وحيداً، ويلعب ذلك دوراً هاماً فى تشكيل مفهوم الذات لديه .. فالطفل هنا يتعرض لطموح والديه الذى غالباً ما يكون زائداً ومغال فيه، فنظراً لأن الطفل الوحيد قد ينظر إليه داخل هذه الأسر باعتباره " كل الأولاد" فقد يضع الوالدان - دون قصد الاضرار به - ضغوطاً شديدة متطرفه ومطالب تفوق قدرات الطفل. فالوالدان كما يرى "ماك وابلون Mack & Ablon ، ١٩٨٣ يرون فى كفاءة طفلهم مقياساً لجدارتهم وقيمتهم، الذى بدوره يؤثر فى قدرتهم على الاستجابة لأطفالهم. (*Mack & Ablon*، ١٩٨٣، ١٦٦) فدائماً هناك إلحاح وإصرار من قبل الوالدين على الأحسن، وهنا يصبح من الصعب على الطفل أن يصل إلى توقعات والديه ومطالبهم، إما لعدم وصول قدراته واستعداداته للمستوى المطلوب - كضرورة نمائية - أو لأنه لا يستطع استغلال كل إمكانياته وقدراته نظراً للحماية الزائدة التى يتعرض لها كطفل وحيد وسوف نتناولها.

فالوالدين لا يريان شيئاً مما يفعله الطفل ويحققه حسن بدرجة كافية، فالمطلوب هو الأحسن والأمثل - وهنا يرى الطفل أن بذل الجهد يجلب إحباطاً مؤلما وعدم تقبل للذات وتقديرها، فهذه الطموحات الوالدية والمطالب المتطرفة تستحث مشاعر الفشل لديه وتثير مشاعر الذنب، ويصبح تدريجياً وفى النهاية محبطاً ولسان حاله يقول " لا أستطع أن أفعل ذلك، فلماذا المحاولة اذن ؟ " الأمر الذى يصبغ فكرته وتصوره عن ذاته صبغة قوامها العجز والقصور. فهناك شعور دائم بالفشل وإحباط مستمر مما يؤدى الى انتقاص الذات وإنكارها والحط من قدرها وعدم تقبلها

ولذا يرى "كوبر سميث" Coopersmith ١٩٦٧ أن مطالب الوالدين ينبغى أن تكون واقعية وتأخذ بعين الاعتبار مزاج الطفل ونواحي العجز لديه، فالطفل الذى تصد أو تهمل مجهوداته لتحقيق القبول وتقدير الذات – سعياً للأحسن – لا يميل لأن ينمى وسائل ذات فعالية. (Carson et al ١٩٨٨, ١١٧) . فالطفل الذى يقاس ويقيم بناء على توقعات والديه قد ينمى احساساً بالفشل، ونتيجة لذلك فهو ينمو لديه إحساس بنقص الاشباع الذاتى أو الرضا عن الذات Self-satisfaction فى المهام الاجتماعية والشخصية والاكاديمية – وغالباً ما يقود ذلك إلى مفهوم ذات فقير وتقدير منخفض لها وإحساس بأنه غير جدير، فيتملكه شعور بامتهان الذات والشعور بالنقص. (حامد زهران، ١٩٧٤، ٢٠)، (Draper & Draper ١٩٨٣، ٢٥) .

ولذا يرى Steinhauer ، ١٩٨٣ أن وضع الطفل فى أسرة بديلة يملك فيها الوالدان توقعات مغالى فيها من الطفل البديل، يعرض الطفل للخطر. (Steinhauer ١٩٨٣، ٨٧) . فالوالدين قد يهددان الطفل بسحب الحب أو يعاقبونه إذا لم يسلك بالشكل الذي يريده الوالدان – وهنا يرى "روجرز" Rogress ١٩٦١ أن الأطفال قد يصبحون ضحايا "للاعتبار الشخصى المشروط" Conditioned personal regad بمعنى أن الحب والاعتبار والتقدير لن يمنح للطفل إذا لم يساير المحددات الوالدية، وتصبح النتيجة كما يرى "روجرز" أن ينخفض مفهوم الذات وتقديرها لدى الطفل. (Santrock ١٩٨٨، ٢٨٦)، ولهذا فإن مساعدة الطفل على عمل الأشياء وفقاً لمقصده ورغباته، وإنه يستطيع أن يتعامل بفاعلية مع المطالب البيئية والاجتماعية سوف تترجم فى النهاية الى ثقة فى الذات، وفى قدرته على إدراك الاجتهادات الشخصية وإنجاز الأهداف القيمة مما ينعكس على شعوره نحو نفسه بالإيجابية. (Owens ١٩٨٧، ٣٠٢، ٣٠٣) .

ومن ناحية أخري، نجد أن هذا الطفل طالما هو الوحيد لدى الأسرة، وهى غير قادرة على إيجاد غيره، فإنه يتعرض لنوع من الحماية الزائدة Over Protection – وهذه الحماية – فيما يرى الباحث – هى إنعكاس لرغبة الأم الشديدة فى إشباع شوقها وممارستها لدور الأمومة، ولذا نجدها تقوم بأداء الأشياء للطفل باستمرار، تلك الأشياء التى يستطيع أن يؤديها لنفسه – وبمرور الوقت نجد أن هذا الطفل يملك المؤشرات والدلائل بأنه عديم الحيلة وغير قادر، مما ينعكس على شعوره نحو نفسه.

فالوفرة الكثيرة من التدخل الشديد، وسلسلة الفشل التى يعانيها الطفل من جراء المطالب التى تؤكد على طلب الكمال، جميعها تقود إلى مفاهيم ذات سلبية وتقدير منخفض لها. (Owens ١٩٩٣، ٣٦٩) ، فإحساس الطفل بالكفاءة والاقتدار هو من أهم مقومات إحساسه بذاته ورضائه

عنها. أما الحماية المفرطة فتدل على أن الأم تعتبر الطفل عاجزاً عن التعامل مع وقائع ومشكلات الحياة اليومية، وبالتالى فليس بمستغرب أن نجد هؤلاء الأطفال - حتي فى المراهقة والرشد - يشعرون بعدم الكفاءة والتهديد من العالم الخطير - من وجهة نظرهم - فحينما يحين الوقت ليتحمل هؤلاء الاطفال مسئولياتهم فإنهم يجدون أنفسهم عادة غير مستعدين لهذا التحدى، فهم يحملون تصوراً عن ذواتهم قوامه العجز وعدم القدرة. *(Carson et al، ١٩٨٨، ١١٧)* فمحاصرة الطفل داخل دائرة محبة الأم المطلقة لا يسهل انطلاقته لإقامة علاقات أخرى حميمة .*(فايز قنطار، ١٩٩٢، ١٧٩)* . ويعرقل تحقيق الذات وتنمية الاستقلالية والثقة وتأكيد الذات، وينعكس ذلك كله على شعور الطفل باحتقار الذات والشعور بالدونية والاعتماد الكامل على الآخرين.

كذلك - وكما سبق القول - فإن الطفل يستمد مفهومه عن ذاته - جزئياً - من خلال مفهوم والديه عن ذواتهم، من خلال التوحد والتقليد . وهنا وفى ضوء ذلك التصور فإن الوالدين فى هذه الأسر غير المنجبة - وخاصة الأم - يمكن القول بأن مفهوم الذات لديها مشوب بالقصور والسلبية، فالمرأة فى الأسر غير المنجبة مفتقدة التواصل السوى مع الآخر والآخرين، فإذا لم يكن الأمر بالنسبة لها هو الطفل "المفقود" فإن الآخر هنا هو الآخرون أو المجتمع الذى يمنحها شعوراً بالدونية والقصور. *(منال شحاته، ١٩٨٩، ٥٥)* . وهذا ما يؤكده "ستيناور" Steinhauer ١٩٨٣ من أن مشاعر الوالدين البديلين حول عدم الإخصاب infertility يمكن أن تبرز وتؤكد بالفعل تقدير الذات المنخفض لديهم، ويعد الطفل البديل هنا بمثابة المذكر reminder المستمر وغير المرغوب بعدم الإخصاب. *(Steinhauer ، ١٩٨٣، ٨٠)* . ولعل ذلك يتضح فيما ترويه بعض الاحصائيات الاجتماعيات من عدم إرتياح بعض هذه الأسر لزياراتهم، وانهم - أى الأخصائيات - بمثابة حاجز بينهم وبين الطفل. إن كل هذه المشاعر تنعكس بلا شك على أسلوب معاملة الوالدين للطفل، الأمر الذى ينعكس على تصور الطفل لوالديه وذاته داخل هذه الأسر فيما يتلقاه من رسائل نفسية شديدة الإختلاط والغموض، تتأرجح ما بين القبول والرفض، بين الحب والإعراض، الأمر الذى يؤثر على علاقته بوالديه وينعكس على مفهوم الذات لديه بعدم الوضوح. فالأطفال - كما سبق القول - شديد والحساسية لمشاعر والديهم.

كذلك يمكن تناول مفهوم الذات لدى الطفل فى الأسرة البديلة المنجبة فى ضوء وجود أطفال طبيعيين لدى هذه الأسر - وأول ما يمكن إبرازه فى هذا الصدد هو أن الأطفال الطبيعيين داخل هذه الأسر أكبر من الطفل، ويعرفون حقيقة وضع الطفل داخل الأسرة، الأمر الذى يصبغ اتجاهاتهم نحو بصبغة قوامها الاحتقار والازدراء، فهو طفل مختلف عنهم بشكل ما، وكثيرا ما يكون "الطفل محط لعدوانيتهم وعدائهم، فهم ينظرون إليه باعتباره منافساً لهم فى

حب ورعاية الوالدين مما يوقعهم فى صراعات ومنافسات ومشاجرات وفى هذه الحالة سوف يفضل الأبن الطبيعى ويتم الإنحياز له - ولو انفعالياً - مما يجعل الطفل البديل يشعر بنوع من الألم والانفعالى بأنه أقل من الآخرين وأنه غير مقبول منهم ولا ينتمى إليهم، مما ينعكس على شعوره نحو ذاته وتقبله لها، فهو لديه إحساس بأنه غريب عن الأسرة لا ينتمى إليها فالعلاقة بين الإخوة والأخوات تتسم بالمنافسة، ونجد أنهم يهتمون بكونهم يعاملون بعدل ومساواة من والديهم. (Santrock ، ١٩٨٨، ٢٠٣) . وهنا يمكن أن نشير أن شعور الفرد بأنه ينتمى إلى أسرة، إلى جماعة ، إلى أناس، يكمل جانباً ضرورياً من الذات ويقوى إحساسنا بالقيمة والاعتبار .. وحينما يكون الألم الانفعالى والصراع فى الأسرة غير محتمل فى الطفولة، فإن دفاعات التجنب avoidance defenses التى قد تنمو قد تؤدى بالطفل إلى إبعاد نفسه عن الآخرين فى الأسرة، ويتأثر مفهوم الذات وتقديرها كنتيجة للمشاعر غير المفهومة وغير المشروحة للعزلة الإجتماعية المصاحبة للاحساس بعدم الانتماء. (Mack & Ablon ، ١٩٨٣، ١٨)، وقد يجد ذلك تدعيماً من خلال معرفة بعض الجيران وأبنائهم بحقيقة وضع الطفل مما قد يصبغ اتجاهاتهم أيضا نحوه بالسلبية والاحتقار نظراً لنظرة المجتمع إلى اللاشرعية، ولقد كان ذلك أحد المشاكل التى تواجهها بعض الأسر البديلة.

ويدعم احساس الطفل بعدم الاهمية وأنه غير جدير بالاحترام والاهتمام ما يراه من إهتمام الوالدين بأطفالهم الطبيعيين بشكل مختلف عما يتلقاه من إهتمام مشوب بالجفاف وخالى من الدفء والتلقائية.. فالوالدان البديلان يمكنهم ويحق لهم التخطيط لحياة طفلهم الطبيعى ومستقبله، أما فيما يتعلق بالطفل البديل فهناك إحساس نفسى واعتقاد بأنه ليس لهم الحق - نظراً لانفصال الطفل عنهم آجلاً أو عاجلاً - ولكنهم فى نفس الوقت يتحملون بعض المسئوليات والحقوق تجاه الطفل، وهنا نجد أن هذه الأسر قد تنتظر من الطفل مقابل رعايتها وخدماتها له، فتدفعه أحياناً إلى العمل فى بعض الأعمال البسيطة ليساهم فى النفقات، كما سبق الإشارة، وقد وجد الباحث بعض الحالات سبق الإشارة إليها، هذا إلى جانب ما عرفه الباحث من أحد الأخصائيات بأن هناك بعض الأطفال الكبار يعملون فى حرف ومهن مختلفة ليساهموا فى النفقات - إن كل ذلك لابد وأن يفقد الطفل قيمته واعتباره واحترامه لذاته، فهو يشعر بنوع من الاختلاف عن بقية الإخوة، مما ينعكس على مفهومه لذاته وشعوره بالنقص والدونية، وهنا نشير إلى ما يؤكد عليه "فيتش" Fitch ١٩٨٥ من أن بعض الأسر البديلة، غالباً ما يكونوا مدفوعين أكثر للاهتمام بالأموال التى يتلقونها أكثر من اهتمامهم برفاهية الأطفال. (Fitch ، ١٩٨٥، ٢٨١)

(٨) نتائج الإجابة على الفرض الثامن ومناقشتها :

كان نص الفرض السادس مؤداه : " هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بأبعاد مفهوم الذات كما يقيسها الاختبار المستخدم

وللتحقق من هذا الفرض قام الباحث باستخدام اختبار "ت" للمقارنة بين متوسطات درجات أطفال المجموعتين لمعرفة الفروق واتجاهها لكل بعد من هذه الأبعاد.

ويوضح الجدول رقم (٣٢)

دلالة الفروق بين متوسط درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسط درجات أطفال الأسر الطبيعية فى أبعاد مفهوم الذات

أبعاد مفهوم الذات	أطفال الأسر البديلة		أطفال الأسر الطبيعية		قيمة "ت"	دلالة الفرق	اتجاه الفرق
	المتوسط	الانحراف المعيارى	المتوسط	الانحراف المعيارى			
نظرة الطفل إلى تعلمه	٥ر٨٨	١ر٢٧	٦ر٤٣	٢ر٢٤	١ر٢٤	ليس له دلالة	ليس له دلالة
نظرة الطفل إلى علاقاته بالرفاق	٥ر٩	١ر١٤	٦ر٥٨	١ر٧٦	٢	ليس له دلالة	ليس له دلالة
نظرة الطفل إلى علاقاته بالكبار	٥ر٠٨	١ر٦٢	٦ر٨٥	١ر٥٨	٤ر٩٢	٠ر٠٠١	لصالح الطبيعية
الذات الجسمية	٦ر٣٨	١ر٣٢	٦ر٨٥	١ر٣٥	١ر٥٧	ليس له دلالة	ليس له دلالة
الذات الانفعالية	٤ر٧٣	١ر٦٣	٦ر٩	١ر٤٢	٦ر٢	٠ر٠٠١	لصالح الطبيعية

ويتضح من الجدول السابق أن نتائج المقارنة بين متوسطات درجات أطفال الأسر البديلة ومتوسطات درجات أطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بأبعاد مفهوم الذات كما يقيسها الاختبار المستخدم، لم تسفر عن وجود فروق جوهرية إلا فيما يتعلق بمتغيرين فقط، الأول هو نظرة الطفل إلى علاقاته بالكبار، حيث بلغت قيمة "ت" الخاصة بالفرق بين متوسطي درجات المجموعتين (٤ر٩٢) وهى قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠ر٠٠١) وكان الفرق لصالح أطفال الأسر الطبيعية ، مما يعنى تفوقها على أطفال الأسر الطبيعية على أطفال الأسر البديلة في نظرتهم للعلاقة بالكبار – والبعد الثانى هو "الذات الانفعالية" حيث بلغت قيمة "ت" الخاصة بالفرق بين متوسطى درجات المجموعتين (٦ر٢) وهى قيمة ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠ر٠٠١)، وكان الفرق لصالح أطفال الأسر الطبيعية كذلك، مما يعنى تفوقهم على أطفال الأسر البديلة في الذات الانفعالية مما يعنى تحقق الفرض الثامن حيث وجدت فروق جوهرية بين أطفال المجموعتين

وفيما يتعلق ببعد النظرة إلى العلاقة بالكبار من حيث كونه كان بعداً مميزاً بين أطفال الأسر البديلة وأطفال الأسر الطبيعية، فإنه يمكن القول بأن الطفل يدخل مرحلة الطفولة المبكرة بتاريخ من الخبرات مع من قام على رعايته مبكراً، وذلك التاريخ يمد الطفل بالتوقعات عما إذا كان العالم ساراً أم غير سار، ويستمر الطفل فى طفولته المبكرة يخبر تأثيراً سلبياً أو ايجابياً لمن قام على رعايته. (Santrock ، ١٩٨٨، ٢٨٥) . ومن ثم فإن تناول الفرق بين أطفال الأسر البديلة وأطفال الأسر الطبيعية فيما يتعلق بنظرة الطفل إلى علاقاته بالكبار ينطلق من أن الطفل البديل قد تعرض فى سياق علاقاته بالكبار - قبل ضمه للأسرة البديلة - لشتى أنواع الحرمان والانتهاك وعدم الإشباع لحاجاته المختلفة ، الأمر الذى صبغ نظرته إلى علاقاته بالكبار بصبغة قوامها أنهم لا يحبونه، فعلاقة الحب والثقة التى افتقدها فى مطلع العمر مازالت تلازمه.

إن الطفل فى الأسرة البديلة - نظراً لما تعرض له، ونظراً لتأخر ضمه لها - قد صار على حد تعبير "سانتروك" Santrock ١٩٨٨ مثل الطفل المحروق الذى صار يخشى اللهب، فهذا الطفل قد احترق انفعالياً emotionally burned وينأى بنفسه عن ألم العلاقات الوثيقة (Santrock ، ١٩٨٨، ٢٨٠). لقد كان يثق فى أمه - أو صورتها - ثم تخلت عنه لتحل محلها أخرى تتخلى عنه كذلك، ولذا فإنه الآن لا يثق فى أحد، ويعتقد أنه ليس هناك من يحبه ويهتم به. فالأطفال الذين لم ينموا علاقات التعلق الآمن يميلون كما يرى "أوينز" Owens ١٩٩٣ لأن يروا أنفسهم غير محبوبين من الآخرين ويشعروا منهم بالنبذ. (Owens ، ١٩٩٣، ٢٨١) . ولهذا نجد هؤلاء الأطفال ميالين باستمرار لإظهار مشكلات إجتماعية واضطرابات - خاصة خارج المنزل - وتجد لديهم صعوبات مستمرة فى العلاقات الاجتماعية، ويميلون لأن يضعوا عبئاً وجهداً كبير على العلاقة بالوالدين البديلين. (Steinhauer ، ١٩٨٣، ٨٦)

وهناك جانب آخر يتعلق بالطفل البديل ذاته، ويؤثر تأثيراً سلبياً على علاقاته بوالديه، وهو أنه قد يفشل فى إشباع حاجة الوالدين البديلين للعرفان بالجميل gratitude أو إشباع حاجاتهم أنفسهم إلى أن هناك شخصاً يحبهم ويتعلق بهم - وخاصة فى الأسر غير المنجبة - وذلك نظراً للصعوبات الانفعالية التى عاناها من قبل - فهو قد لا يكون مستجيباً responsive لرعاية الوالدين البديلين، مما يتدخل ويؤثر على اتجاهات الوالدين نحوه وعلى علاقتهم به، مما يسهم فى عديد من المشاكل بينهم، فالطفل غير المستجيب للرعاية قد يتسبب فى إحباط الوالدين، الأمر الذى يجعلهم يترددون كثيراً فى منح هذه الرعاية، فكما يرى "درابر، درابر Draper & Draper

١٩٨٣ فإن الوالدين يشعرون شعوراً حسناً نحو أنفسهم عندما يعرفون ويدركون أن أطفالهم يحبونهم. (Draper& Draper ، ١٩٨٣، ١٤٤) . إن ذلك ينعكس فى شكل تغذية مرتجعه سلبية تجاه الطفل، مما يشعره بعدم الحب والتقبل من الكبار، فمثل هذه الخصائص المزاجية السلبية لدى الطفل تجعله عرضه للانتقاد والتأنيب من والديه مما يجعله يدرك ذلك على أنه غير جدير بحب الكبار واعتبارهم..

كذلك هناك - فيما يرى الباحث - عنصر يلعب دوراً فى نوع العلاقة بين الطفل وأمه البديلة، وهو أن الأمهات البديلات ليس لديهن تلك الاتجاهات نحو الطفل، والتى تعتمد - جزئياً- على خبراتها مع الطفل خلال الساعات والأيام الأولى بعد ميلاده، والتى تكون ركناً أساسياً فى علاقة الأم بالطفل، إن هذا الطور الذى لم تمر به الأمهات البديلات يجعلهن أقل استجابية للطفل وحاجاته، مما يجعله يشعر بنوع من الإهمال وعدم الحب من أمه .. ومع التسليم بأن ذلك ليس قصوراً فى الأم أو الأسرة البديلة، إلا أنه يبرز ضرورة وأهمية وضع الطفل فى أسرة بديلة منذ ميلاده كلما أمكن حتى، نحفز قدرات واتجاهات الأم نحو الاستجابة الحساسة للطفل وحاجاته.

وأخيراً فإن هناك نوعاً من القلق يسيطر على هؤلاء الاطفال تجاه والديهم، وهو ما يسمى بقلق التجنب anxious avoidance نظراً لما خبروه من نبذ وإهمال، يؤدى إلى نوع من توقع عدم الاتاحية Unavailability لمن يرعى شئونهم والميل إلى تجنب التعلق بهم، فلا أحد هناك يحبهم. (NMesser ، ١٩٩٣، ١٩١) . فنظرة الطفل الحالية لعلاقته بالكبار يحكمها نوع من التعميم لخبراته السابقة السيئة.

أما فيما يتعلق ببعد الذات الانفعالية لدى طفل الأسرة البديلة، فإننا نجد هناك نوع من سيطرة الانفعالات السلبية للطفل نحو ذاته، وقد يكون مرد ذلك، واستكمالاً لمسألة طموح وتعوقعات الوالدين الزائدة والتى سبق تناولها - أن الطفل عندما لا يحقق المطالب التى يرغب فيها والديه البديلين أو يفشل فى تحقيق مطامحهما، فإنه يظن أن والديه ينظرون إليه بعدم الرضى وعدم الإرتياح، فيشعر بالاحتقار والازدراء الموجه له من الآخرين نتيجة لفشله، مما يؤدى الى صبغ انفعالاته تجاه ذاته بعدم التقبل لها - فهناك ارتباط وثيق بين تقبل الآخرين للطفل واستحسانهم له وتقبله واستحسانه لذاته. هذا إلى جانب مشاعر الذنب التى يعانيها نتيجة لفشله فى إنجاز ما يريده والديه، وفشله فى إسعادهما، مما يجعله يقع تحت وطأة الشعور بالحزن والأسى.

كذلك نجد أنه أحياناً ما يسبب الأقارب بعض المشاكل للأطفال البدلاء، وخاصة إذا ما كان هناك أطفالا طبيعيين في الأسرة، فالأقارب قد يبدون عدم الاستحسان للطفل البديل عن طريق تفضيل الأبن أو الطفل الطبيعي. (*Brisbane* ، ١٩٨٠، ٤٠٣) . وقد قررت بعض الأسر أن أهم ما يضايق الطفل هو موقف بعض الأقارب والجيران منه، والذي يتسم بالنبذ وعدم التقبل له – بل ومنع أطفالهم أحياناً من اللعب معه – وذكرت أحد الأسر البديلة غير المنجبة أن بعض أقاربهم (أخو الوالد) يقيمون في نفس المنزل كانوا يحرضون أطفالهم على الطفل للاعتداء عليه ومحاولة جعله يهرب من الأسرة. إن ذلك كله يغمر الطفل بمشاعر من الحزن والنظر إلى ذاته على أنه ليس ككل الأطفال، إنه مختلف، إنه سيئ.

ووثيق الصلة بذلك – كما أشارت بعض الأسر أيضاً – أن هناك نوعاً من تنفير الأطفال الآخرين من الطفل، عن طريق والديهم، فهو غير حسن وغير عادي، الأمر الذي يجعل الأطفال ينظرون إلى الطفل هكذا، وإذا ما أخذنا دور جماعة الأقران في الاعتبار، وخاصة فيما يسمى بأخذ أو تبني المنظور Perspective taking والذي يعني تبني الطفل لوجهة نظر طفل آخر (*Santrock* ، ١٩٨٨، ٣١١) . فإنه يمكن أن نقف على بعض أسباب ومصادر عدم تقبل الطفل البديل لذاته وعدم شعوره بحب الذات لأنه ليس طفلا حسناً، ولادركنا كذلك سبب شعور الطفل البديل بأنه محط عدوان بعض الأطفال مما يجعله يبكي منهم ويصرخ وهو ما أوضحته بعض الأسر.

ونظراً لأن الأطفال في هذه السن يمارسون تقييم ذواتهم Self- evaluation بمعيار مطلق، (*Owens* ، ١٩٩٣، ٣٤٩) . فإن ذلك يفسر لنا أن أي نقص أو توتر في العلاقة بين الطفل والقائمين عليه أو عدم الاتساق في المعاملة يفسره الطفل على أنه رفض تام له كشخص، فهو يفسر اعتراض والديه على سوء سلوكه على أنه رفض له شخصياً وليس لسلوكه، الأمر الذي يجعل انفعالاته تجاه ذاته تتسم بعدم الرضا عن ذاته وعدم تقبله لها واستحسانها.

ولهذا فإن مدة الاضطراب التي يعاني منها الطفل داخل الأسرة البديلة بعد سلسلة من الانفصالات المتكررة ترتبط إلى حد كبير بطبيعة السلوك الذي يظهره نحوه أولئك الذين يقومون عليه، فقدرتهما على التكيف مع الطفل وأخذه بالحسنى وطمأنته وإظهار السلوك المناسب قد يختصر على الطفل مدة الاضطراب ويحد من مخاوفه ويخفف من قلقه ويعيد إليه الثقة المفقودة في ذاته وفي الآخرين. (*فايز قنطار*، ١٩٩٢، ٢٠٤، ٢٠٨)

توصيـــات البحث

ان التوصيات هى بمثابة الشق التطبيقى لأى عمل علمى، ومن ثم فإن التوصيات ينبغى أن تتعامل مع ما هو " متاح " فى الواقع العملى، بعيدة عن النظريات التى قد تتعامل مع "المأمول" دون مراعاة لمقتضيات الواقع وظروفه من حيث توفر الامكانات المادية والبشرية للاستفادة من طاقتها حتى تصبح هناك قيمة لتوصية أى بحث.

ومن خلال العمل الميدانى ونتائج البحث الحالى والبحوث السابقة يمكن أن نضع بعض التوصيات فيما يلى :-

- سد العجز فى أعداد العاملين فى مجال رعاية الأطفال المحرومين من الوالدين، بحيث يتلاءم عدد الأطفال مع عدد المشرفين، بما يضمن قدرة المشرفين على تحمل أعباء خدمة هؤلاء الأطفال - (من ٤ - ٨) أطفال لكل مشرفة).
- ويرتبط بالتوصية السابقة محاولة الاستفادة من خريجات كليات رياض الأطفال وأقسام الطفولة بالجامعات المصرية للعمل فى هذا المجال.
- وكذلك الاستعانة بفائض الخريجين فى بعض التخصصات، بالإضافة إلى من أحيلوا إلى سن التقاعد من الرجال ولديهم القدرة للعمل فى هذا المجال، وذلك لاستكمال التكوين الأسرى المفترض داخل هذه المؤسسات - المشرف والمشرفة ، أو الأب والأم.
- عقد الدورات التدريبية والتأهيلية للعاملين بهذا المجال.
- توفير الخدمة النفسية والاجتماعية داخل هذه المؤسسات.
- توفير الموارد المالية لهذه المؤسسات بما يضمن لها تحقيق الهدف الذى أنشأت من أجله.
- دمج أطفال المؤسسات بالمجتمع الخارجى، وذلك من خلال اشراك الأطفال فى بعض الانشطة والمهام مثل قضاء احتياجات المؤسسة من الخارج أو خروج الأم - المشرفة - أو المشرف - بصحبة أطفالها لقضاء بعض الوقت خارج المؤسسة.
- العمل على ضرورة ضم الأطفال المحرومين من الوالدين إلى أسر بديلة فى وقت مبكر جداً، الأمر الذى يتوقف عليه نجاح الطفل وتكيفه داخل الاسرة البديلة.
- تفضيل الأسر البديلة غير المنجبة لرعاية الطفل داخلها، فالأسر غير المنجبة أفضل بكثير من المنجبة لرعاية الطفل وهو ما أجمعت عليه غالبية البحوث المصرية التى أجريت فى هذا المجال.

- ضرورة إعداد وتهيئة الأسر البديلة لاستقبال الطفل، مع وضع برامج ارشادية لتوجيه وتوعية هذه الأسر بنوع المشكلات التى تطرأ، وكيفية التعامل معها بشكل فعال.
- وضع ضوابط شديدة فى اختيار الأسر البديلة، وخاصة فيما يتعلق بسلامة تركيب الأسرة (الوالدين معاً) والظروف الصحية والمعيشية لهذه الأسر، والنزول بالحد الأقصى للسن إلى (٤٥) سنة.
- تقنين مسألة "ثبوت النسب" بشكل شرعى وقانونى واضح.
- ضرورة مكاشفة الطفل داخل الأسر البديلة بحقيقة وضعه (أى أنه يتيم) فى سن مبكر بشكل تدعيمى فعال تفادياً لكثير من المشكلات التى قد تطرأ فيما بعد
- رفع المكافآت التى تصرف مقابل رعاية الطفل داخل هذه الأسر.

قائمة المراجع

اولا - المراجع العربية

ثانيا- المراجع الأجنبية .



أولا - المراجع العربية :

١ - إبراهيم أبو زيد: سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية، ١٩٨٧.

٢ - ـــــــــ : مفهوم الذات لدى الجنسين، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، ١٩٧٧.

٣ - إبراهيم الدسوقى بدر : دراسة امبريقية اكلينيكة مقارنة لاثر وفاة الأب على التوافق النفسى عند البنين والبنات من هم دون سن البلوغ - رسالة ماجستير - غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس، ١٩٨٢.

٤ - إبراهيم زكى قشقوش: إختبار مفهوم الذات المصور للأطفال - كتيب الدليل - الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣.

٥ - إحسان محمد الدمرداش : مفهوم الذات لدى الأطفال المحرومين من الأب - رسالة غير منشورة، كلية البنات - جامعة عين شمس، ١٩٧٦.

٦ - أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى، النهضة المصرية - القاهرة - ط ١٠، (ب.ت).

٧ - أحمد عمر هاشم : رعاية الطفل المحروم فى الإسلام، الندوة العلمية الخاصة بخدمات الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية من ٤- ١٢ ابريل ١٩٨٨- وزارة الشئون الإجتماعية، الإدارة العامة للأسرة والطفولة.

٨ - أرنوف ويتنينج : نظريات ومسائل فى مقدمة علم النفس، ترجمة عادل عز الدين الأشول وآخرون - بسلسلة ملخصات شوم ، ماكجروهيل للنشر، ١٩٧٧.

٩ - السيد محمدالحسينى، محمد على محمد : تشارلس كولى، المجلة الإجتماعية القومية، العدد الأول، المجلد الرابع، المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، ١٩٦٧.

١٠- المتولى إبراهيم إبراهيم: دراسة لأساليب الرعاية المقدمة لأطفال المؤسسات الايوائية وقرى الأطفال وعلاقتها بمستوى القلق لديهم". رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس،١٩٩٣.

١١- أملى صادق ميخائيل : دراسة مقارنة للقلق لدى الطفل فى الأسرة البديلة والطفل فى الأسرة العادية فى سن المدرسة الإبتدائية ٩-١٢ سنة، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩٠.

١- أنا فرويد، دورثى برلنجهام أطفال بلا أسر، ترجمة محمدبدران - دار الفكر العربى، الطبعة الرابعة، (ب.ت)

١٣- إنتصار يونس **السلوك الإنسانى**، دار المعارف، القاهرة . ١٩٨٦

١٤- إنجلش سيرجيون، جيرالابيرسون **مشكلات الحياة الإنفعالية**، ترجمة مختار حمزة، الجهاز المركزى للكتب الجامعية، ١٩٨.

١٥- أنور فتحى عبد الغفار **مفهوم الذات لدى بعض الفئات من أطفال المؤسسات الإيوائية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، ١٩٨٢.

١٦- أنور محمد الشرقاوى **انحراف الاحداث**، الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

١٧- أوتو فينخل . **نظرية التحليل النفسى فى العصاب**، الجزء الاول، ترجمة صلاح مخيمر، عبدة ميخائيل، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩.

١٨- أوجست إيكهورن **أزمات الشباب - غزة** - دار النشر العربى- بدون تاريخ.

١٩- إيمان فوزى سعيد **دراسة اكلينيكية لأثر وفاة الأم على التوافق النفسى للأبناء من الجنسين**، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية التربية - جامعة عين شمس ١٩٨٥.

٢٠- إيمان قائد شريف **أثر فقدان أحد الوالدين على إختيار الزوج** ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨.

٢١- إيمان محمود القماح : **أثر الحرمان من الوالدين على البناء النفسى للطفل**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب ، جامعة عين شمس، ١٩٨٣.

٢٢- إتحاد هيئات رعاية الاسرة والطفولة بحث نظرى وميدانى عن المؤسسات الايوائية للأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية ، وزارة الشئون الاجتماعية، ١٩٩٠.

٢٣- بثينة محمد قنديل . **مقارنة بين أبناء المشتغلات وغير المشتغلات من حيث بعض نواحى شخصيتهم**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٦٤

٢٤- بدرينة محمد العربى **أثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل، دراسة ميدانية بالجزائر**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨

٢٥- ب.م. فوس **آفاق جديدة فى علم النفس**، ترجمة فؤاد أبو حطب، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٢

٢٦- جابر عبد الحميد جابر، أحمد خيرى كاظم **مناهج البحث في التربية وعلم النفس،** النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٨

٢٧- جابر عبد الحميد جابر، **علم النفس التربوى،** النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١.

٢٨- جمال شفيق أحمد : **سمات شخصية المودعين ببعض المؤسسات الايوائية "دراسة مقارنة "** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٦.

٢٩- ___________: **دراسة تجريبية لتنمية قدرات التفكير الإبتكارى لدى أطفال الرعاية الجماعية "اللقطاء" فى مرحلة الطفولة الوسطى، المؤتمر** السنوى الخامس للطفل المصرى ، المجلد الاول، ٢٨-٣٠ ابريل ١٩٩٢، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، ص ص ٢٨٣-٤١٥.

٣٠- جوزيت جورج عبد الله : **أثر تغيب الأب فى مرحلة الطفولة المبكرة على النمو العقلى والنفسى للطفل،** رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٨٨

٣١- جون بولبى : **رعاية الطفل ونمو المحبة،** ترجمة عبد العزيز ابو النور، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٨٠.

٣٢- جون كونجر ، بول موسن، جيروم كيجان **سيكولوجية الطفولة والشخصية،** ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، جابر عبد الحميد - دار النهضة العربية - القاهرة، ١٩٧٠.

٣٣- حامد عبد السلام زهران : **الصحة النفسية والعلاج النفسى،** عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٧

٣٤- ___________ **التوجيه والارشاد النفسى،** عالم الكتب ، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٠.

٣٥- ___________ **علم النفس الإجتماعى،** عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٨٤.

٣٦- ___________ **علم نفس النمو "الطفولة والمراهقة ".** عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٠.

٣٧- حامد عبد العزيز الفقى **دراسات فى سيكولوجية النمو،** عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣

٣٨- حرم على عبد الواحد وافى **دراسة لتطور مفهوم الذات لدى الأطفال،** رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٩.

٣٩ حلف أحمد مبارك **مفهوم الذات لدي الطفل الوحيد فى الاسرة وعلاقته بالتكيف الشخصى والإجتماعى،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أسيوط، ١٩٨١

٤٠- دالاس د. لابين، بيرت جرين **مفهوم الذات النظرية والتطبيقية**، ترجمة فوزى بهلول، الانجلو المصرية، القاهرة، ب.ت.

٤١- ديوبولد ب. فان دالين **مناهج البحث فى التربية وعلم النفس**، ترجمة، محمد نبيل نوفل وآخرون، ط ٤، الانجلو المصرية، ١٩٩٠

٤٢- رشدى عبده حنين: **اليتم وأثره على الحالة الوجدانية والصورة الوالدية لدى المراهق**، مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد الثاني،١٩٨٧.

٤٣- رشيدة عبد الرؤوف رمضان · **مركز التحكم وتقدير الذات لدى التلاميذ المحرومين وغير المحرومين من أسرهم**". رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ١٩٨٥.

٤٤- رمزية الغريب : **العلاقات الإنسانية في حياة الصغير ومشكلاته اليومية** ، الانجلو المصرية ، (ب.ت).

٤٥- ريتشارد سوين : **علم الأمراض النفسية والعقلية**، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩.

٤٦- زينب عبد اللطيف خليفة : **الإحساس بالوحدة النفسية وعلاقته بالسلوك التكيفى لدى أبناء مؤسسات الرعاية**، مجلة معوقات الطفولة، المجلد الثاني، العدد الأول، مركز معوقات الطفولة، جامعة الازهر، ١٩٩٣.

٤٧- زيدان عبد الباقى : **الأسرة والطفولة**، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٠.

٤٨- سامية محمد فهمى : **الرعاية البديلة للطفل قبل سن السادسة**، ندوة الرعاية الشاملة لطفل ما قبل المدرسة، وزارة الشئون الاجتماعية، نوفمبر ١٩٨٢

٤٩- سعد المغربى : **إنحراف الصغار**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.

٥٠- سعد محمد الموم : **دراسة تجريبية لأثر الحرمان من الأسرة على التحصيل الدراسى في المرحلة الأولى من التعليم**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس ١٩٧٣.

٥١- سعدية محمد بهادر : **دراسة ميدانية لأهم المخالفات السلوكية المدرسية للطلبة الكويتيين فى المرحلة الثانوية**، مركز البحوث والمناهج، الكويت، ١٩٧٩

٥٢- ـــــــــــ . **من أنا ؟ البرنامج التربوى النفسى لخبرة من أنا الموجهة لأطفال الرياض بين النظرية والتجربة**، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، ادارة التأليف والترجمة، الكويت، ١٩٨٣

٥٣- سلوى شوقى مسيحة **الحاجات النفسية لدى أطفال المؤسسات الايوائية وعلاقتها بالعدوانية،** رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩١.

٥٤- سميرة محمد ابراهيم . **مفهوم الذات والتوافق النفسى لدى الأطفال اللقطاء،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٣.

٥٥- سنية عبد الوهاب صالح : **المشاكل التى تواجه الاسرة بعد وفاة الأم،** مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد (١٢) ١٩٨٩

٥٦- سهير كامل أحمد : **الحرمان من الوالدين في الطفولة المبكرة وعلاقته بالنمو الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى،** مجلة علم النفس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد (٤)، ١٩٨٧

٥٧- سهير كامل أحمد **الانفصال عن الاسرة فى الطفولة وعلاقته بمصدر الضبط والاكتئاب،** مجلة دراسات نفسية، تصدر عن رابطة الاخصائيين النفسيين المصرية (رانم)، ك ٢ جـ١، يناير ١٩٩٢

٥٨- سول شيدلنجر · **التحليل النفسى والسلوك الجماعى،** ترجمة سامى محمود على ، دار المعارف - القاهرة، ١٩٧٠

٥٩- سيد أحمد عثمان **علم النفس الاجتماعى التربوى،** الجزء الأول، التطبيع الإجتماعى ، الانجلو المصرية، ١٩٧٠

٦٠- سيد محمد غنيم **سيكولوجية الشخصية . محدداتها، قياسها، نظرياتها،** النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥

٦١- سيد محمد غنيم **النمو النفسى من الطفل الى الراشد،** النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.

٦٢- صفوت فرج، نزار المطيرى، إبراهيم النقبثان **أبعاد الشخصية والخصائص الاكلينيكية فى مفهوم الذات،** دار أتون للنشر والتوزيع، ١٩٨٦.

٦٣- صفوت فرج، سهير كامل · **القيمة النظرية والتجريبية لمفهوم الذات،** دار آتون للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ١٩٨٩

٦٤- صلاح الدين عبد العظيم **الآثار النفسية لغياب النموذج الأبوى ،** دراسة فى التنشئة الإجتماعية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة عين شمس، ١٩٩

٦٥- ضحى عبد الغفار المغازى : **المواليد غير الشرعيين والمجتمع، دراسة إجتماعية للمواليد غير الشرعيين في جمهورية مصر العربية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٧٦.

٦٦- طلعت حسن عبد الرحيم : **حرمان التلميذ من الأم وعلاقته ببعض نواحى تكيفه الشخصى والاجتماعى فى المرحلة الابتدائية**، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد الثانى، ١٩٧٨.

٦٧- طلعت منصور، حلين بشاى: **مقياس مفهوم الذات للاطفال فى سن ما قبل المدرسة**، الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١.

٦٨- عادل عز الدين الأشول : **سيكولوجية الشخصية**، الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨.

٦٩- عادل كمال خضر، محمد إبراهيم : **المؤسسات الإيوائية بين الإستيعاب والإستدماج**، مجلة علم النفس، العدد (٣١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤

٧٠- عبد الرحمن العيسوي، مدحت عبد الحميد . **المخاوف المرضية لدى عينة من أطفال دور الايواء فى ضوء عاملى الجنس والسن**، المؤتمر الدولى "الطفولة فى الاسلام"، المجلد الثانى، كلية الدراسات الانسانية، قسم علم النفس، جامعة الازهر، ٩- ١٢ ابريل، ١٩٩٠.

٧١- عبد الرقيب البحيرى : **المشكلات السلوكية لدى أطفال الملاجئ "دراسة تحليلية"**، المؤتمر السنوى الثالث "الطفل المصرى تنشئته ورعايته"، المجلد الاول، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، مارس ١٩٩٠.

٧٢- عبد الصبور سعدان : **دراسة اجتماعية للأطفال فى الأسر البديلة فى سن ٦-١٢ سنة**، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالى للخدمة الإجتماعية، القاهرة، ١٩٧٤.

٧٣- ___________ : **أثر ممارسة اتجاه العلاج الأسرى فى التوافق الإجتماعى للأطفال المودعين بالأسر البديلة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية، القاهرة، ١٩٨٠م.

٧٤- عبد المنعم محمد حسيب : **الحرمان من الوالدين وعلاقته بالنمو اللفظى فى مرحلة ما قبل المدرسة**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهدالدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩٠

• ٧٥- عزت سيد اسماعيل (تحرير) جنوح الأحداث، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٤

٧٦- عزة حسين زكى المشكلات السلوكية التى يعانى منها أطفال المرحلة الإبتدائية المحرومين وغير المحرومين من الرعاية الوالدية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس ١٩٨٥.

٧٧- عزة صالح الالفى : استخدام العلاج الجماعى لتعديل بعض الحاجات والضغوط النفسية لدى الأطفال المحرومين، الكتاب السنوى فى علم النفس، تصدره الجمعية المصرية للدراسات النفسية - المجلد الخامس، عدد خاص باعمال المؤتمر السنوى الثانى لعلم النفس - الأنجلو المصرية، ١٩٨٦.

٧٨- عفت الكاتب : خدمات وزارة الشئون الإجتماعية فى مجال رعاية الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية، الندوة العلمية الخاصة بخدمات الأطفال المحرومين من الرعاية الاسرية، وزارة الشئون الإجتماعية، الإدارة العامة للأسرة والطفولة، إدارة رعاية الطفولة، ابريل ١٩٨٨

٧٩- علا أنور مصطفى بحث تقويم مشروع الرعاية البديلة - المجلة الجنائية القومية، العدد (١)، مجلد (٢٠)، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، مارس ١٩٧٧.

٨٠- عماد على مصطفى الخصائص النفسية للأبناء الذكور المتغيب أباؤهم وغير المتغيب " دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب - جامعة الزقازيق، ١٩٩٢.

٨١- فاتن السيد على : دراسة مقارنة للمشكلات السلوكية التى يتعرض لها كل من أطفال المؤسسات وأطفال قرية الأطفال، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩٢

٨٢- فاروق محمد صادق سيكولوجية التخلف العقلى، عمادة شئون المكتبات ، الرياض، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٩٨٢.

٨٣- فاروق محمد صادق دليل مقياس السلوك التكيفى، الانجلو المصرية ط ٢، ١٩٨٥

٨٤- فاطمة حنفى محمود دار الحضانة والإستعداد العقلى للأطفال دون سن السادسة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٣

٨٥- فاير قنطار الأمومة : نمو العلاقة بين الطفل والأم، عالم المعرفة، العدد ١٦٦، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢

٨٦- فرج أحمد فرج سيكولوجية الشخصية، غير مبين الناشر، ١٩٨٠

٨٧- فؤاد أبو حطب : بحوث فى تقنين الإختبارات النفسية، المجلد الأول - الانجلو المصرية، ١٩٧٧

٨٨- فؤاد البهى السيد : علم النفس الاحصائى وقياس العقل البشرى، دار الفكر العربى، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩.

٨٩- فؤاد البهى السيد : النمو النفسى من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربى، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨

٩٠- فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠.

٩١- فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، النهضة العربية، القاهرة، ط٣، (ب.ت)

٩٢- فوقية حسن عبد الحميد : الرضاعة والفطام وعلاقتهما بمشكلات مرحلة الطفولة المبكرة كما تدركها الامهات، مجلة مركز معوقات الطفولة، العدد الأول، مركز اعاقات الطفولة، جامعة الأزهر، ١٩٩٢.

٩٣- فيوليت فؤاد إبراهيم : الإعاقة البصرية والجسمية وعلاقتها بمفهوم الذات والتوافق الشخصى والإجتماعى - الكتاب السنوى فى علم النفس، تصدره الجمعية المصرية للدراسات النفسية - المجلد الخامس، الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٦.

٩٤- قدرى محمود حفنى : الشخصية الإسرائيلية ، ط٢، دار الشايع - القاهرة، بيروت - امستردام ١٩٧٨.

٩٥- __________ : موضوعات فى علم النفس الصناعى، دار جى جى للطباعة، ١٩٨٢.

٩٦- __________ : علم النفس ومشكلات مجتمعنا، نحن والفلاح والمشكلة السكانية، دار جى جى لطباعة الأوفست، ط٢، ١٩٨٢.

٩٧- __________ : القياس النفسى، دار جى جى للطباعة، ١٩٨٢.

٩٨- __________ : سيكولوجية الشخصية الاسرائيلية، الجهاز المركزى للكتب الجامعية، (ب.ت).

٩٩- كالفين هول، جاردنر ليندزى : نظريات الشخصية، ترجمة فرج أحمد فرج، قدرى حفنى، لطفى فطيم، دار الشايع للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨.

١٠٠- كاميليا عبد الفتاح إبراهيم، الأهمية النفسية والتعليمية للأسرة، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٨٤

١٠١- كمال دسوقى **النمو التربوى للطفل والمراهق،** دروس فى علم النفس الإرتقائى، النهضة العربية، ١٩٧٩.

١٠٢- مايكل راتر . **الحرمان من الام، إعادة تقييم،** ترجمة ممدوح سلامة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١

١٠٣- مجدى عبد الكريم حبيب : **دراسة تفاعلية عاملية لمفهوم الذات وتقدير الذات والتفكير الابتكارى لدى عينة من الأطفال بالصفين الخامس والسابع الابتدائى،** المؤتمر السنوى الرابع للطفل المصرى ، الطفل المصرى وتحديات القرن الحادى والعشرين، المجلد الأول، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩١

١٠٤- محمد بيومى على **حرمان الطفل من الأم وعلاقته بالتكيف الشخصى والإجتماعى،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ١٩٨٠

١٠٥- محمد جمال حامد **أحكام النسب،** الندوة العلمية الخاصة بخدمات الأطفال المحرومين من الرعاية الاسرية، وزارة الشئون الاجتماعية، الإدارة العامة للأسرة والطفولة، أبريل ١٩٨٨.

١٠٦- محمد شعلان . **الإضطرابات النفسية فى الأطفال،** الجزء الأول، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، ط١، ١٩٧٧.

١٠٧- ______ : **الإضطرابات النفسية فى الأطفال،** الجزء الثانى، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، ط١، ١٩٧٧.

١٠٨- محمد عبد السلام أحمد **القياس النفسى والتربوى،** المجلد الاول، النهضة العربية، (ب-ت).

١٠٩- محمد متولى غنيمة : **تقنين اختبار رسم الرجل بالنسبة لتلاميذ المرحلة الابتدائية فى مصر،** رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٦

١١٠- محمد مصطفى زيدان، منصور حسين . **الطفل والمراهق،** الأنجلو المصرية، ١٩٨٢

١١١- محمود أبو النيل . **الذكاء والفقر،** مجلة علم النفس، العدد (٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧

١١٢- ______ **الإحصاء النفسى والإجتماعى والتربوى،** النهضة العربية، بيروت، ط٥، ١٩٨٧

١١٣- محي الدين أحمد حسين **التنشئة الأسرية والأبناء الصغار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

١١٤- محي الدين توق، على عباس **أنماط رعاية اليتم وتأثيرها على مفهوم الذات فى عينة من الأطفال فى الأردن**، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد (٣) سبتمبر، تصدر عن جامعة الكويت، ١٩٨١

١١٥- مختار حمزة : **مشكلات الآباء والأبناء**، دار البيان العربى، جدة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٨٢.

١١٦- مديحة محمد العزبى : **دراسة لبعض المتغيرات النفسية والإجتماعية المرتبطة بالمكانة السسيومترية لدى أطفال المؤسسات المحرومين من الرعاية الأسرية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٠.

١١٧- ________ **أحلام اليقظة وعلاقتها بالتعلق الأمومى والحرمان الأسرى لدى أطفال المرحلة الابتدائية**، مجلة علم النفس، العدد (٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧

١١٨- مرزوق عبد المجيد : **الأداء العقلى والمعرفي للطفل المحروم من الاسرة، دراسة مقارنة على ضوء درجة الحرمان ومدتة**، المؤتمر السنوى الثالث للطفل المصرى، " تنشئته ورعايته "، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس، المجلد الثاني، ١٩٩٠.

١١٩- ________ : **عمل الأم والسلوك الانفعالى للابناء من الجنسين**، المؤتمر الدولى، "الطفولة فى الاسلام "، المجلد الثانى ، كلية الدراسات الانسانية، جامعة الازهر ، من ٩ - ١٢ أكتوبرو ١٩٩٠

١٢٠- مصطفى المسلمانى: **الرعاية البديلة للأطفال والأحداث**، المؤتمر الاول للدفاع الإجتماعى، الكتاب الأول، وزارة الشئون الاجتماعية، ١٩٨٠.

١٢١- مصطفى سويف : **مقدمة لعلم النفس الاجتماعى**، الجزء الاول، الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٦٦.

١٢٢- ________ : **الاسس النفسية للتكامل الإجتماعى**، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠م.

١٢٣- ________ : **الاسس النفسية للتكامل الإجتماعى**، دار المعارف، ط٤، ١٩٨١م.

١٢٤- مصطفى فهمى **الصحة النفسية فى الأسرة والمدرسة والمجتمع**، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣.

١٢٥- ________ علم النفس الاكلينيكى، مكتبة مصر القاهرة ١٩٦٧

١٢٦- مصطفى محمد الصفتى التوافق الشخصى والاجتماعى لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية المقيمين بقرى الأطفال S.O.S والمقيمين مع اسرهم "دراسة مقارنة"، مجلة دراسات تربوية، المجلد الثانى، الجزء السابع، سلسلة ابحاث تصدر عن رابطة التربية الحديثة، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٧.

١٢٧- ممدوحة محمد سلامة : أساليب التنشئة وعلاقتها بالمشكلات النفسية فى مرحلة الطفولة الوسطى، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٨٤.

١٢٨- __________ : عمل الأم وحجم الأسرة والمستوى الإجتماعى والاقتصادى كمحددات لإدراك الأطفال للدفء الوالدى، مجلة علم النفس، العدد (٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

١٢٩- __________ : مخاوف الأطفال وادراكهم (للقبول - الرفض) الوالدى، مجلة علم النفس، العدد (٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

١٣٠- منال أحمد شحاته : أثر الحرمان من الإنجاب على مفهوم الذات لدى المرأة العاقر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٩.

١٣١- منى محمد محمود : دار الحضانة كما يراها طفل ما قبل المدرسة وتوافقه النفسى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٠.

١٣٢- مها الكردى : التوافق والتكيف الشخصى والإجتماعى لدى أطفال الملاجئ "اللقطاء" ، المجلة الإجتماعية القومية، ١- ٢، المجلد (١٧)، ١٩٨٠.

١٣٣- مها صلاح الدين تقويم لبعض أساليب رعاية الأطفال فى المؤسسات الايوائية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة ، جامعة عين شمس، ١٩٩٣.

١٣٤- نبيلة أمين أبو زيد: مفهوم الأمومة الواقعية والمثالية والمثوالية بين زوايا رؤية الأمهات والأبناء، مجلة علم النفس، العدد (٤) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

١٣٥- نبيلة ميخائيل مكارى : أثر الحرمان من الأسرة على السلوك الإجتماعى الإنفعالى لتلاميذ مرحلة الطفولة المتأخرة من ٩ -١٢ سنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الاسكندرية ١٩٨٩.

١٣٦- بجوى محمد العدوى أثر الاسرة فى نمو الحكم الخلقى عند الأطفال، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات الإسلامية، جامعة الأزهر، ١٩٨٢

١٣٧- نجيب اسكندر ، لويس مليكة، رشدى فام، **الدراسة العلمية للسلوك الإجتماعى**، النهضة العربية، ط٣، (ب-ت)

١٣٨- نيفين زيور : **سيكولوجية النمو**، مكتب ومطابع المستورد والمصدر العربى، (ب-ت).

١٣٩- __________: دراسة إكلينيكية لأثر فقدان الموضوع على الحياة النفسية للطفل، مجلة علم النفس، العدد (١٢)، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٩.

١٤٠- هدى محمد قناوى : **الطفل تنشئته وحاجاته**، الأنجلو المصرية، ١٩٨٣،

١٤١- __________ : **الطفل تنشئته وحاجاته**، الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٨.

١٤٢- هناء يحى أبو شهبة : **مدي الرضا لدى أبناء قرية الأطفال S.O.S عن اساليب الرعاية البديلة وعلاقته بالتوافق والتحصيل الدراسي**، مجلة مركز معوقات الطفولة، جامعة الازهر، العدد الاول، يناير ١٩٩٢

١٤٣- هيلدا لويس **الأطفال المحرومون، تجربة مرشام، دراسة اجتماعية اكلينيكية**، ترجمة مصطفى سويف، المجلة الجنائية القومية، مارس ١٩٦١.

١٤٤- وزارة الشئون الاجتماعية : **دليل دور الحضانة والمؤسسات الايوائية للأطفال المعرضين للإنحراف**، وزارة الشئون الاجتماعية، ١٩٧٠.

١٤٥- وزارة الشئون الاجتماعية : **المؤشرات الإحصائية فى مجالات الرعاية والتنمية الاجتماعية**، الإدراة العامة لمركز المعلومات والتوثيق العام ١٩٨٩.

١٤٦- وزارة الشئون الاجتماعية : مكتب الوزيرة، الإدارة العامة للشئون القانونية، قرار وزارى رقم ١٨١ بتاريخ ١٩٨٩،٨/٢٢ بنظام العمل بالاسر البديلة.

١٤٧- وزارة الشئون الاجتماعية : **المؤشرات الإحصائية فى مجالات الرعاية والتنمية الاجتماعية**، الادارة العامة لمركز المعلومات والتوثيق العام، ١٩٩٠.

١٤٨- وزارة الشئون الاجتماعية : **المؤشرات الإحصائية فى مجالات الرعاية والتنمية الاجتماعية**، الإدارة العامة لمركز المعلومات والتوثيق العام، ١٩٩١

١٤٩- يسرية أنور صادق : **دراسة لمتغيرات ترتبط ببعض أبعاد التكوين النفسى للطفل داخل الأسرة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٢

١٥٠- يوسف عبد الفتاح محمد **العلاقة بين الرعاية الوالدية كما يدركها الأبناء ومفهوم الذات لديهم**، دراسة عاملية مقارنة، مجلة علم النفس، العدد (١٣) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

ثانيا- المراجع الاجنبية :

(151) **Ainsworth, M.:** The effects of maternal deprivation, A review of findings and controversy in the context of research strategy, World Health Organization, Geneva, 1979.

(152) **Alpert, A.:** Reversibility of pathological fixation associated with maternal deprivation in infancy, The Psycho Analytic Study of the Child. New York International Universities, vol.XIV. 1975.

(153) **Anastasi, A.:** Psychological testing, 6th. ed. MaCmillan Publishing Company, Inc. New York, 1988.

(154) **Aanne, B.:** Comparison of fourth and fifth grade children of one parent families with those of two parents families on measures of academic achivement and self-esteem. Dissertation Abstracts Internatioinal, vol.45, 1984.

(155) **Antoinetti, J.:** Identification, Imitatioin and sex role performance in father present and father absent black and chicona child. Journal of Psychology, vol.92, 1979.

(156) **Barish, J.:** The impact of divorce subsequent father absence on children's and adolecents self-concept. Psychological Abstracts, vol.65, 1979.

(157) **Barnes, J.M.:** Reaction to the death of mother, The Psycho-Analytic Study of the Child, New York, International Universities, vol.XIX.1976.

(158) **Bee, H.L. and Mitchell, S.K.:** The developing person Alife-span approach. 2nd ed. Harper & Row Publishers, New York, 1989.

(159) **Bee, H.:** The develping child, 3rd. ed. Harper & Row, New York, 1984.

(160) **Bodzinsky, D. & Hitt, J.C. and Smith, D.:** Impact of parental separation and divorce on adopted and non adopted children. Psychological Abstracts, vol.80, No.12, 1993.

(161) **Boostani, M. & Tashakkori, A. and Shiraz:** Social maturity of children reared in Iranian orphanage. Child Study Journal, 1982, vol.12(2).

(162) **Bremner, G.J.:** Infancy, Basil Blackwell Ltd, 1988.

(163) **Brisbane, H.E.:** The developing child 3rd. ed. Bennett publishing company, 1980.

(164) **Brody, S. and Axelard, S.:** Mothers, fathers and children. New York, International Universities press, 1978.

(165) **Brunk, J.W.:** Child and adolescent development. John wiley & Sons, Inc.1975.

(166) **Bruno, F.J.:** Dictionary of key words in psychology London. Boston and henley, 1986

(167) **Bukako, D. and Daehler, M.:** Child development: Atopical approach. houghton Mifflin Company, Boston, London, 1992

(168) **Bush, M.:** A client evaluation on foster care. Dissertation Abatracts International, 37(A)7.1977.

(169) **Carson, R.C. & Butcher, J.N. and Coleman, J.C.:** Abnormal psychology and modern life. 8th. ed. Scott, Foresman and Company, 1988.

(170) **Chamberlain, C. and Steinhauer, P.D.:** Conduct disorders and delinquency "In: Steinhauer, P.D. and Grant, Q.R.: Psychological problems of the child in the family. Basic books, Inc. Publishers, New York, 1983.

(171) **Charlton, T. and Kenneth, D.:** Managing misbehavior. Ma Cmillan, Ltd.1989.

(172) **Cohen, N.J. & Coyne, J. and Duvall, J.:** Adopted and biological children in the clinic: family, parental and child characteristics. Journal of child psychology & psychiatry, vol.34 No.4.1993.

(173) **Corter, C.M.:** The nature of the mother's absence and the infant's response to brief separation. Developmental psychology, vol.12. No.5.1976.

(174) **Craig, G.J.:** Human development. 2nd. ed. Prentice-Hall, Inc.N.J.1980.

(175) **Critelli, J.W.:** Personal growth and effective behavior. Holt, Rinehart and Winston, New York, 1987.

(176) **Davison, G.C. and neal, J.M.:** Abnormal psychology an experimental clinical approach. 3rd. ed. John wiley & Sons, Inc.1982.

(177) **Doworetzkey, J.P. and David, N.J.:** Human development Alife span approach. West publishing Company, 1989.

(178) **Draper, M.W. Draper, H.E.:** Caring for children Abennett Career Book, 1979.

(179) **Draper, H.E. and Draper, W.:** The caring parent Glencoe publishing company 1983.

(180) **Draper, H.E.:** Studying children Observing and participating. glencoe Advision of MaCmillan publishing company. Misson Hills, California. 1988.

(181) **Dunkin, E.N.:** Psychology for proffesional groups, psychology for physiotherapists. MaCmillan press Ltd.1981.

(182) **Edward, S.:** Effects of mother presence on children's reaction to oversive procedures. Psychological Abstracts, vol.7.1982.

(183) **Eliezer, J.:** A study of effect of institutionalized on adolescent children Psychological Abstracts, vol.4.1969.

(184) **Elkind, D.:** Development of the child. New York: Wiley International, John Wiley & Sons, Inc.1978.

(185) **Erickson, M.T.:** Child psychopathology: Behavior disorders and developmental disabilities. Prentice-Hall, Inc., Englewood Cliffs, new Jersy.1982.

(186) **Falender, C.A. and Mehrabion, A.:** The effects of day care on young children: An environmental psychology approach. Journal of Psychology, 101,1979.

(187) **Feldman, R.S.:** Essentials of understanding psychology. MaGraw-Hill book Company.1989.

(188) **Fitch, S.K.:** The science of child development. The Dorsey Press, 1985

(189) **Fry, P.S.:** Father absence and deficits in children's social, cognitive development implication for intervention and training. Psychological Abstracts, vol.71.4.1983.

(190) **Gross, S.Z.: Critique:** Children who break down in foster homes: A psychological study of patterns of personality growth in grossly deprived children. Journal of child psychology & psychiatry, vol.4.1963.

(191) **Haber, A. and Runyon, R.P.:** Psychology of adjustment. The Dorsey press, 1984.

(192) **Harris, C.A:** Child development.. West Publishing Company. New York, Los Angoles, San Francisco.1986.

(193) **Harter, S.:** Developmental perspective on the self-system. In Mussen, P.H.: Hand book of child psychology. vol.IV. 4th. ed. John Wiley & Sons, 1983.

(194) **Hetherington, E.M. and Park, R.D.:** Child psychology: A Contemorary viewpoint. 2nd. ed. MaGraw-Hill, International Book Company. 1979.

(195) **Heward, W.L. and Orlansky, M.D.:** Exceptional children: an introduction survey of special education. 2nd. ed. Ohio: Charless E Merrill Publishing Company. 1984.

(196) --: Exceptional children: an introduction survey of special education. 4th. ed. MaCmillan Publishing Company.1992.

(197) **Hodges, J.:** The effects of early instituational rearing on the development of eight years old children. Journal of child Psychology & Psychiatry. vol.19.1970.

(198) **Hoffman, M.:** Father absence and conscience development. Developmental Psychology, vol.4 No.3.1971.

(199) **Hoffman-Riem, C.:** The adopted child: family life with double parenthood. Translated by Brookman, M. Transaction Publishers, New Brunswick (U.S.A.) and London (U.K.) 1990.

(200) **Huffman, K.:** Psychology in action. John Wiley & Sons. Inc. 1987.

(201) **Hurlock, E.B.:** Child development. 6th.ed. MaGraw Hill publishing company Ltd. New Delhi, 1983.

(202) ------------------: Developmental psychology. MaGraw Hill Publishing company Ltd. New Delhi, 1983.

(203) **Jersild, A.T.:** Psychology of adolexence. 2nd. ed MaCmillan company 1963

(204) ------------------: Child psychology 6th. ed. Staples press, London, 1969.

(205) **John, R.:** Father custody and social development in boys and girls. Psychological Abstracts, vol.65.1979.

(206) **Johnson, R.C. and medinnus, G.R.:** Child development Behavior and development. 3rd. ed. John Wiley & Sons, 1976.

(207) **Josef, R.:** The effects of father abesence on children of merchant seaman. Psychological Abstracts, vol.64. No.6. 1978.

(208) **Julia, T.:** Low of maternal care for children under three years old. Psychological Abstracts, vol.67. No.4.1980.

(209) **Kathering, C.:** The long term effects of father absence in childhood on male university students, sex role identity and personal adjustment Psychological Abstracts, vol.69.No.5.1983

(210) **Kauffman, J.M.:** Characteristics of children's behavioi disorders. 3rd. ed. Charles E Merrill Publishing Co.1985.

(211) **Kesler, J.W.:** Psychopathology of childhood. Prentic Hall, Englewood-Cliffs. N.J 1966

(212) **Kirk, S.A.:** Educating exceptional children Oxford & IBH Publishing Co 1970

(213) **Klein, J.:** Our need for others and its roots in infancy Tavistock publications London, New York,1987

(214) **Lamp, J.: Mourning in a 6 year-old girl.** The psycho-Analytic Study of the Child. London, International Universities, vol.31,1976.

(215) **Lee, C.:** The growth and development of children 3rd ed LongMan Group limited, 1984.

(216) **Lee, C.:** The growth and development of children. 4th. ed. LongMan Group UK Limited, 1990.

(217) **Lefton, L.A. and Valvatne, L.:** Mastering Psychology Allyn and Bacon, Inc 1983

(218) **Lemmon, J.:** Self concept and the foster adolescent, Legal and adminstrative implications Dissartation Abstracts International, 36, A(5)19

(219) **Lilly, M.S.:** Children with exceptional needs Asurvey of special education Holt, Rinehart and Winston 1979

(220) **Lynch, E. and Levis, R.**: Exceptional children and adults: An introduction to special education. Scott, Foresman and Company 1988.

(221) **Mack, J.E. and Ablon, S.L.**: The developing and sustaining of self-esteem in childhood. International Universities press, Inc. New York, 1983.

(222) **Mahler, M.**: On sadness and grief in infancy and childhood. The Psycho-Analytic Study of the Child. New York, International Universities, vol.XVI.1961.

(223) **Mrion, V.**: Incidence of parental loss in children with depressed mode. Journal of Child Psychology & Psychiatry vol.10, 1969.

(224) **McGuire, J. and Richman, N.**: Pre-School behavior checklist. Nefer-Nelson Publishing Company.1988.

(225) **McIntire, W.G. and Drummond, R.J.**: Family and social role perceptions of children raised in military families. In Hunter, E.J. and Nice, S.: Children of military families. The Superintendent of Documents, U.S. Government Printing Office, Washington. 1978.

(226) **Messer, D.J.**: Master motivation in early childhood Routledge, London, New York, 1993.

(227) **Micheal, S.**: Longterm effects of early institutional care Journal of Child Psychology & Psychiatry, vol.20 1979.

(228) **Montgomery, D.**: Managing behavior problems. 2nd. ed. Hodder and Stoughton, London, Sydeney, 1990.

(229) **Mordecal, E.:** Bereavement responses of Kibbuty and non Kibbaty children following the death of the father Journal of Child Psychology & Psychiatry, vol 24 1983.

(230) **Mussen, P.H.:** The psychological development of the child. 3rd. ed. New Jersy, Prentic-Hall, Inc 1979

(231) **Mussen, P.H. & Conger, J.J. & Kegan, J. and Geiuritz, J.:** Psychological development Alife span approach Harper & Row Publishers, 1981

(232) **Mussen, P.H.:** Hand book of child psychologty 4th. ed vol IV Socialization, personality and social development. John Wiley, Sons, N.Y 1983.

(233) **Nager, H.:** Children's reactions to the death of important objects: A developmental approach The Psycho-Analytic Study of the Child. London, International Universities, vol 31, 1976

(234) **Neal, J.M.:** Egocentrism in institutionalized and non institutionalized children Child development vol 37 1966.

(235) **Oshman, H.:** Some effects of father absence upon the psychological development of male and female late adolescents dissertation Abstraccts International vol.35, B.11.1975.

(236) **Owens, K.:** The world of the child. Holt, Rinehart and Winston, Inc 1987

(237) --------------: The world of the child MaCmillan Publishing Company 1993

(238) **Pacheco, F. and Eme, R.:** An outcome study of the reunion between adopted and biological parents Psychhological Abstracts, vol.80. No.8.1993

(239) **Patton, J.R. & Kauffman, J.M. & Blackurn and Brown, G.B.:** Exceptional children in focus. 5th. ed. MaCmillan Publishing Company, 1991.

(240) **Paul, J.L. & Epanchin, B.C.:** Emotional disturbance in children. Charles E. Merrill Publishing Company 1982.

(241) **Pederson, F.A.:** Infant in father-absent families. Journal of Genetic Psychology, vol.135, (1)1979.

(242) **Perry, J. and Perry, E.:** The social web: An introduction to sociology. 3rd. ed. Harper Row Publishers, 1982.

(243) **Perse, P.:** Psychotherapy with severly deprived children Psychological Abstracts, vol 67, 6,1980.

(244) **Pratt, H.:** Dictionary of sociology and related science U.S.A. Little field and Abdmas Co.1975.

(245) **Provence, S. and Ritvo, S.:** Effects of deprivation on institutionalized infants. The Psycho-Analytic Study of the Child. Internatijonal universities, vol.XVI, 1975.

(246) **Rabertum, G.:** Longman dictionary of psychology and psychiatry. New York-London, Awalter D.G. Lanze Book Longman, 1984.

(247) **Rayner, C.:** Children care made simple 2nd. ed. Made simple Books, Helnemann London, 1983

(248) **Reinert, H.R.**. Children in conflict: Educational strategies for the emotional disturbed and behavior disordered Mosby St Lois. 1980

(249) **Ropalia. D. and Wenkos, S.**: A child's world Infancy through adolescence. 2nd. ed. MaGraw-Hil. U.S.A 1979

(250) **Ross. A** Psychological disorders of children: A behavioral approach to theory. research and therapy MaGraw Hill Kogakusha. Tokyo,1974.

(251) **Ruben. M** Delinquency, a defense against loss of objects and reality The Psycho-Analytic Study of the Child International Universities, vol.XIV.1957

(252) **Rutter. M** Helping troubled children 7th ed Penguin books. 1984

(253) **Santrock, J.W.**: Children. WM.C. Brown Publishers Dubuque Iowa. 1988

(254) **Santrock. J W. and Yussen, S.R.**: Child development an introduction. WM.C Brown Publishers. Dubuque Iowa, 1988

(255) **Saunders, M.**: Class control and behavior problems MaGraw-Hill Book Company (U.K) Limited 1979

(256) **Shaffer. D.R.** Developmental psychology childhood and adolescence 2nd ed Brooks/Cole Publishing Company Pacific Grova, California, 1989.

(257) **Sherb. B** Effects of father's absence and birth order on aggressive behavior of young male children Psychological Abstracts, vol.71.1980.

(258) **Singer, E.:** Child care and psychology of development Routledge London & N Y 1992

(259) **Singh, U.P. and Akhtar, S.N.:** The childrens apperception test in the study of orphans Psychology Anual, Mar vol 4 1970

(260) **Smart, M.:** Infant development and relationships MaCmillan Company. New York 1981

(261) **Smith, L.:** Effects of brief separation from parents on young children, Journal of Child Psychology & Psychiatry, vol.16.1-4-1975

(262) **Smith, R.M.:** The exceptional child: A functional approach, 2nd ed MaGraw Hill Book company 1983

(263) **Soren, S.:** Father absence and cognitive performance in a large sample of six to eleven years old children Psychological Abstracts, vol 68,4-6-1982

(264) **Sptiz, R.A.:** Analytic depression An inquiry into the genesis of psychiatric conditions in early childhood The Psycho-Analytic Study of the Child International universities vol 11.7th ed 1975

(265) ---------------: Hospitalism: An inquiry into the genesis of psychiatric conditions in early childhood 7th ed Psycho-Analytic Study of the Child vol.(1) International Universities Press, Inc 1976

(266) **Statt, D.:** Dictionary of psychology Barnes & Noble books, A division of Harper & Row Publishers 1982

(267) **Steinhauer, P.D. and Grant, Q.R.:** Psychological problems of the child in the family Basic Books Inc Publishers. New York 1983

(268) **Stewart, G. and Friedman, S.:** Child development. Infancy through adolescence. John Wiley & Sons, N.Y. 1987.

(269) **Stipek, D.J. & Gralinski, J.H. and Kopp, C.B.:** Self-concept development in toddler years. Developmental Psychology, vol.26.No.6.1990.

(270) **Stone, L.:** Managing difficult children in school. Basil Blackwell Ltd.1990.

(271) **Suman, S.K.:** A study of the mental health status of children in orphanages at Bangalore. Indian Journal of Social Work, Jul. Vol.47(2),1986.

(272) **Sutherland, J.:** The theory of the parent-infant relatioship. The Internatioinal Journal of Psycho-Analysis, vol.XLI, 1960.

(273) **Tizard, B. and Ress, J.:** The effects of early instituational rearing on the behavior problems and affectional relationships of four-years old children. Journal of Child Psychology & Psychiatry, vol.16,1975.

(274) **Traus, .M.:** Separation for children: The effects on the sibling., Psychological Abstracts, vol.66.No.5.1981.

(275) **Van, R.:** The bereaved child.' Psychological. Abstracts, vol.68,1982.

(276) **Vaughn, B.E. and Block, J.H.:** Parental agreement on child rearing during early childhood and the psychological charcteristics of adolescents. Child Development, vol.59. No.4.1988.

(277) **Warde, C. and Tovris, C.**: Psychology. Harper & Row publishers, New York. 1987.

(278) **Whipple, D.V.**: Dynamics of development: Euthenic pediatrics. MaGraw-Hill book company.1966.

(279) **Winicott, D.W.**: The theory of the parent-infant relationship. The International Journal of Psycho-Analysis. vol.XLI.1968.

(280) **Witt, J.C. & Eliott, S.N. & Gresham, F.M. and Kramer, J.J.**: Assessement of special children: Tests and the problem-solving process. Scott, Foresman and Company.1988.

(281) **Wolf, S.**: Children under stress. 2nd. ed. Pengiun Books 1981.

(282) **Wolkind, S.N.**: The components of "Affectionless psychopathy" in institutionalized children. Journal of Child. Psychology & Psychiatry. vol.15.1974.

(283) **Wolman, B.B.**: Dictionary of behavior science. New York: Van Nostrand Reinhold Company,1973.

(284) **Yarrow, L.J.**: Maternal deprivation: Towards an emperical and conceptual evaluation. Psychological bulltine. vol.58, No.6.1961

(285) --------------------: Separation from parents during early chidhood. In Hoffman, M.: Review of child development, Research (1) 1964.